

سَعْدِي الشِيرَازِي

شاعر الإنسانية

عصره . حياته . ديوانه "البوستان"

تأليف

دكتور

محمّد موسى لفسداوي

المدرس بكلية با العلوم

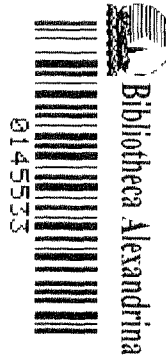
جامعة فؤاد الأول

بالتزم الطبع والنشر مكتبة الخانجي

الطبعة الأولى

مكتبة الخانجي للطباعة والنشر
٤ شارع بومباردينا (ساحات شارع الدواوين)

١٩٥١



الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التعريف: ٤
رقم التسجيل: ١٩٥١

سَعْدِي الشِيرَازِي

شاعر الإنسانية

عصره . حياته . ديوانه "البوسْتان"

تأليف

دكتور

محمد موسى هندأوى

المدرس بكلية دارالعلوم

جامعة فؤاد الأول

ملزم الطبع والنشر مكتبة الخانجي

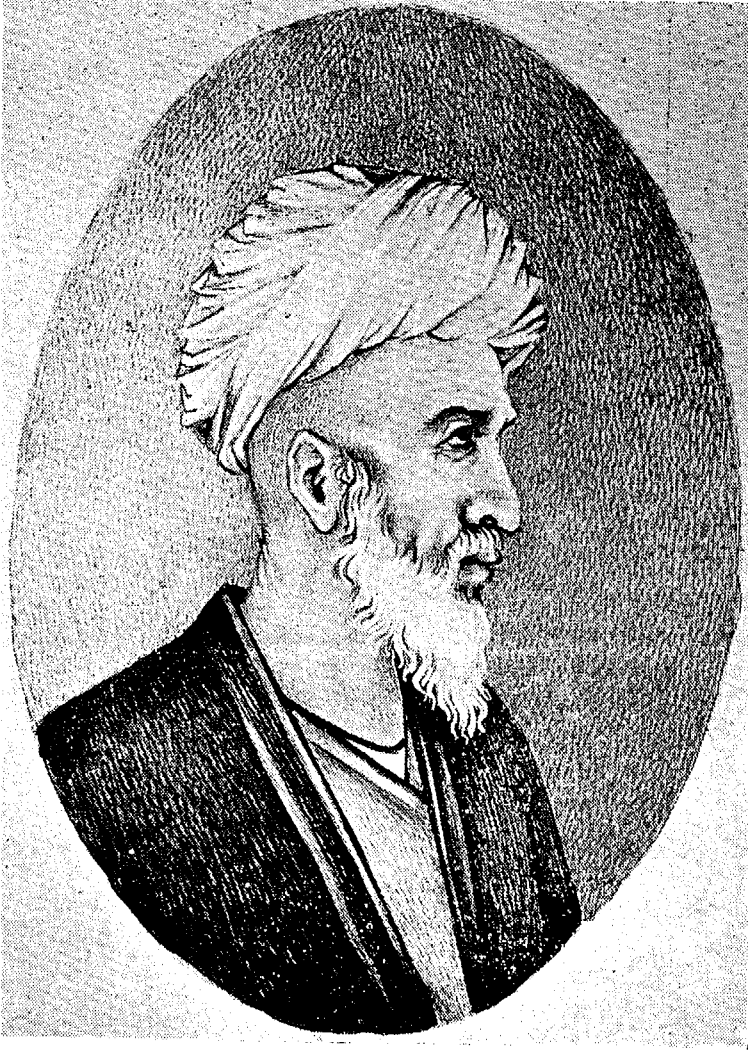


General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Alexandria, Egypt

القائمتان

مطبعة الخانجي
٤ شارع فؤاد الثاني (ساحات شارع الفؤاد)

١٩٥١



صورة الشاعر « سعدى الشيرازى » عن كتاب « تاريخ أدبى إيران »
عصر المفلول للأستاذ « على أصغر حكمت » ترجمة عن « تاريخ
الأدب الفارسى » للأستاذ براون

الاهراء

إلى ...

العزیزین علی نفسی ، القریبین إلى قلبی .
من هیآلی سعادة الحیاة من جُهدهما .
وحنفنا عنی آلامها بالكثیر من عطفهما ،
وأغدقنا علیَّ فیض الحنان من قلبیہما ،
إلى والدی العزیز
وإلى روح والدتی العزیزة
إلیكما معاً أقدم هذا الكتاب .
فهو ثمرة من ثمار رعایتكما ،
ورمز الاعتراف بفضلكما .

ابنکما الوفی
محمد موسی هندراوی

بنام خداوند جان آفرین
حکیم سخن در زبان آفرین
البيت الأول من «البوستان»

فهرست الموضوعات

ص	ص
إهداء (ج)
تقديم بقلم حضرة صاحب الغزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك	(م)
تعريف بالبحث (ف)

مقدمة

لمحة عن إيران ووضعها السياسي في القرن السابع الهجري ١	٥
الباب الأول		
الفصل الأول ٦	٥١
القرن السابع الهجري من الناحية السياسية العامة في إيران وببلاد		
الخلافة الإسلامية وكيف صوروه المؤرخون ؟ ؟ .		
حال البلاد قبل الغزو ٦	
هجوم المغول وكيف صوروه المؤرخون في مملكة خوارزم وإيران		
الشمالية ؟ ؟ ٨	
الشاعر وتصويره لهذه الأحداث ١٤	
ولاية فارس بإيران الجنوبية ، وكيف صور المؤرخون مواجهتها		
للغزو ١٧	
الشاعر وتصويره حالة فارس في ذلك العهد ١٩	
المغول في أرض الخلافة ، تصوير الموقف بين هولاءكو والخليفة ٢٠	
هولاءكو وسياسته مع الخليفة ٢٢	
الشاعر يرثي الخليفة ٣٠	
الشاعر يمدح هولاءكو ٣١	
هولاءكو وسياسته إزاء بغداد ورجالها ٣٣	
هولاءكو وسياسته إزاء مكنتبات بغداد ٣٦	
ابن خلدون أول من قال بالقائها في النهر ، رأيه والرد عليه ٤٣	

ص ص
الفصل الثاني ٥١ - ١٠٨

الحضارة والعلوم في إيران خلال عصر المغول ، وأهم العوامل	
التي ساعدت على مسيرها	٥١
البيئة - ٥١ ، تشجيع المغول - ٥٣ ، عامل الزمن	٥٥
الانقلاب الديني وأثر الدين في توجيه الحضارة	٥٨
البوذية ونشاطها - ٥٨ ، المسيحية ونشاطها	٦١
الإسلام ونشاطه وكيف دخل المغول في الإسلام	٦٣
الأمير تكودار أول من أسلم - ٦٦ ، نكسة تصيب الإسلام والمسلمين ٧٠	
غازان يسلم ويعلن الإسلام ديناً رسمياً	٧٤
مظاهر الحضارة في عصر المغول بإيران	٧٧
أولاً - الحضارة المعمارية - ٧٧ ، ثانياً - الحضارة العلمية	٨٣
العناية بالعلوم التاريخية وأهم المؤلفات فيها	٨٧
كتاب جهانگشاى	٨٩
قيمة هذا الكتاب بين المؤلفات ومدى الرجوع إليه	٩١
حياة الجويني وصلة الشاعر به وبأخيه	٩٣
خاتمة حياة المصنف ، ومصير أسرته	٩٩
السعدي وأسرة الجويني	١٠٠
الشاعر لم يرث أحداً من آل الجويني	١٠٣
رأى الأستاذ هنرى ماسيه في تحليل هذه الظاهرة والرد عليه	١٠٣
تفسير هذه الظاهرة	١٠٥

الفصل الثالث ١٠٨ - ١٨٠

ولاية فارس وحكامها في القرن السابع الهجرى	١١٠
أصل التسمية وأقسامها - ١٠٨ ، فارس في ظل الإسلام	١١٠
فارس قبيل حكومة الأتابكة - ١١٤ ، أتابكة فارس	١١٧
سنقر بن مودود - ١١٨ ، زنگى بن مودود	١١٩

- تكلمة بن زنگى - ١١٩ ، سعد بن زنگى ١٢٠
 حروبه وسياسته الخارجية - ١٢١ ، إصلاحاته الداخلية ... ١٢٣
 الاضطراب فى سنة وفاته وتحديدها ١٢٤
 لماذا لم يمدح الشاعر هذا الأمير مدحاً مستقلاً ؟ ١٢٥
 بو بكر بن سعد ١٢٧
 كيف تولى أبو بكر الحكم - ١٢٩ ، السياسة الخارجية فى عهده ١٣١
 السياسة الداخلية - ١٣٥ ، الحركة العلمية فى شيراز فى عهده ١٣٨
 تحديد السنوات التاريخية فى حياة أبى بكر ١٤٢
 الشاعر وأبو بكر بن سعد - ١٤٤ ، سعد بن أبى بكر - ... ١٥١
 متى ولد هذا الأمير ؟ - ١٥٥ ، مدائح الشاعر ومراثيه فى هذا الأمير ١٥٧
 محمد بن سعد وأمه تركان خاتون ١٥٨
 الشاعر ومحمد بن سعد - ١٦٠ ، رأى الأستاذ القزوينى والرد عليه ١٦٢
 الشاعر وتركان خاتون ١٦٥
 محمد شاه بن سلغرشاه - ١٦٦ ، سلجوقشاه بن سلغرشاه ... ١٦٨
 أبش خاتون - ١٧١ ، الشاعر وأبش خاتون ١٧٤
 فارس تحت حكم المغول ١٧٥
 الأمير أنكيانو أول مندوب لإدارتها ١٧٥
 الشاعر والأمير انكيانو - ١٧٧ ، الأمير سوغو نجاى ... ١٧٨

الباب الثانى ١٨٠ - ٢٩١

الفصل الأول ١٨٠ - ١٩٣

- أسرة الشاعر والغموض الذى يحيط بحياته - ١٨٠ ، أجداده ... ١٨٠
 أبوه - ١٨٣ متى مات أبوه ؟ وإلى أى سن بلغ الشاعر
 حين وفاته - ١٨٦ ، أمه - ١٨٨ ، إخوته ١٩٠
 زوجاته وأولاده ١٩١

ص	ص
٢١٣	١٩٣ الفصل الثاني
	١٩٤ مولد الشاعر - ١٩٣ ، عرض آراء القدماء ونتائج
	٢٠٠ عرض آراء المحدثين ونتائج - ١٩٩ ، عرض لرأى الأستاذ إقبال
	٢١٠ مناقشة آرائه - ٢٠٤ ، الرد على رأى الأستاذ إقبال
٢٢١	٢١٣ الفصل الثالث
	٢١٣ لإسم الشاعر وتحقيق ما يدور حوله
٢٥١	٢٢١ الفصل الرابع
	٢٢١ ، آراء القدماء
	٢٢٣ من قال بتخلصه بسعد الأكبر
	٢٢٧ ، رأى الأستاذ القزوينى
	٢٣٠ ، رأى الأستاذ إقبال فى هذه
	٢٣٩ ، خلاصة المسألة
٢٦٧	٢٥١ الفصل الخامس
	٢٦٣ رحلات الشاعر - ٢٥١ ، العلماء والأدباء الذين لقبهم الشاعر
٢٧٠	٢٦٧ الفصل السادس
	٢٦٧ حياته الأخيرة
٢٧٣	٢٧٠ الفصل السابع
	٢٧٠ مقبرته ومرقد
٢٧٥	٢٧٣ الفصل الثامن
	٢٧٣ عقيدة سعدى
٢٨٨	٢٧٥ الفصل التاسع
	٢٧٥ مؤلفات الشاعر أو كلياته - ٢٧٥ ، المنشورات
	٢٨٧ المنظومات - ٢٨١ اللغات التى كان يعرفها
	٢٨٨ الفصل العاشر
	٢٨٨ منزلة الشاعر ومكانته

ص ص
٤٥٦ ٢٩١ الباب الثالث

ديوان « البوستان » :

٣٢٧ - ٢٩١ القسم الأول

دراسات تاريخية على البوستان :

٣٠٠ - ٢٩٣ الفصل الأول

البوستان أملمته حوادث العصر وظروف الشاعر ٢٩٣

٣٠٤ - ٣٠٠ الفصل الثاني

هل كان الكتاب يسمى البوستان أولا؟؟ ٣٠٠

لمن قدم هذا البوستان؟؟ ٣٠٣

٣٠٨ - ٣٠٤ الفصل الثالث

البوستان بين المثنويات - ٣٠٤ ، المثنويات التاريخية ٣٠٤

المثنويات الصوفية - ٣٠٥ ، المثنويات التعليمية ٣٠٧

٣١٦ - ٣٠٨ الفصل الرابع

وصف أهم النسخ الموجودة من البوستان ٣٠٨ - ٣١١

نسخة إيران ، نسخة الهند ، نسخة تركيا ، نسخة أوروبا ،

نسخة فروغى . الفروق بين النسخ ٣١٣

٣٢٢ - ٣١٦ الفصل الخامس

آبواب الكتاب وموضوعها ٣١٦

هل من فروق بين كتابي الشاعر « البوستان والگلستان »؟؟ ٣١٩

٣٢٧ - ٣٢٢ الفصل السادس

طريق الشاعر فى قصص البوستان - ٣٢٢ ٣٢٦

القصة من حيث الشكل ، القصة من حيث المكان ، القصة من

حيث الأشخاص .

القسم الثاني

- تحليل « البوستان » ٣٢٧ ..
 أولاً - تحليل قطع المقدمة ٣٢٧ القطعة الأولى - مدح الذات
 الإلهية - ٣٢٩ ، القطعة الثانية - مدح الرسول عليه السلام ٣٣٦
 ثانياً - تحليل أبواب الكتاب ٣٤٠
 ١ - باب العدل - جدول ٣٤١ - ٣٤٢
 قصص باب العدل التي تدور حول شخصيات تاريخية ٣٤٣
 قصة حمشيد ، قصة دارا - ٣٤٦ ، قصص ملوك الأكاسرة -
 قصة كسرى وهرمز - ٣٤٨ قصة خسرو وشيرويه ٣٤٩
 قصة شاپور وخسرو - ٣٥١ ، قصة گرگین ٣٥٢
 قصة عمر بن عبد العزيز - ٣٥٣ ، قصة الحجاج ٣٥٥
 قصة المأمون - ٣٥٧ ، قصتنا قزل أرسلان ٣٥٨
 قصة تكله بن زنگی ٣٦١
 الأفكار العامة في باب العدل
 (أ) السياسة الداخلية :-
 شؤون الرعية - ٣٦٣ ، شؤون الموظفين ٣٦٦
 السياسة مع الوزراء - ٣٦٧ ، السياسة مع الموظفين ٣٦٩
 شؤون الجيش ٣٧٠
 (ب) السياسة الخارجية :-
 خصوم الدولة - ٣٧٢ ، حالات السلم والحرب ٣٧٤
 أمور الأجانب ٣٧٦
 ٢ - باب الإحسان جدول - ٣٧٧
 قصص باب الإحسان - ٣٧٨ ، قصة سيدنا إبراهيم ٣٧٩
 قصة شبلي - ٣٨٠ ، قصص حاتم - ٣٨٢ ، قصة ابنة حاتم ٣٨٤
 قصة بهرام ٣٨٥

الأفكار العامة في باب الإحسان .

- الدعوة إلى الإحسان - ٣٨٦ ، من يستحقون الإحسان ... ٣٨٧
الذين لا يستحقون الإحسان ٣٨٨
الدعوة إلى السعي وراء الرزق والاقتصاد ٣٨٨
- ٣- باب العشق - جدول - ٣٩١
قصص باب العشق - قصة المحنون وليلى ٣٩٢
قصة محمود وإياز - ٣٩٣ ، قصة اليراع - ٣٩٥ ، قصة الفراشة ٣٩٥
الأفكار العامة في باب العشق ٣٩٧
أهل الصورة وأهل المعنى - ٣٩٩ ، عقيدة الفناء في الله ... ٤٠٢
عقيدة وحدة الوجود... .. ٤٠٤
- ٤- باب التواضع - جدول - ٤١٥
قصص باب التواضع - قصة عيسى عليه السلام ٤١٦
قصة سيدنا عمر - ٤١٩ ، قصة سيدنا علي ٤١٠
قصة حاتم الأصم - ٤١٠ ، قصة لقمان الحكيم ٤١١
قصة كوشيار الحكيم - ٤١٢ ، قصة بهاول ٤١٢
قصة أبو يزيد البسطامي - ٤١٣ ، قصة معروف الكرخي ... ٤١٤
قصة ذى النون - ٤١٦ ، الأفكار العامة في باب التواضع -
الدعوة إلى التواضع - ٤١٧ ، صفات المتواضع ٤١٨
- ٥- باب الرضا - جدول - ٤١٩
قصص باب الرضا - ٤١٩ ، قصة النسروالحدأة ٤٢٠
قصة البعير والناقة - ٤٢١ ، تحليل الأفكار العامة في باب الرضا ... ٤٢١
القضاء والقدر - ٤٢٢ ، الجبر والاختيار ٤٢٣
- ٦- باب القناعة - جدول - ٤٢٤
قصص باب القناعة - ٤٢٤ ، قصة الأبدال ٤٢٥
قصة الهرة - ٤٢٦ ، الأفكار العامة في باب القناعة ٤٢٧
علاج الطمع - ٤٢٧ ، الدعوة إلى القناعة ٤٢٩

ص

- ٧- باب التربية - جدول - ٤٣٠
- قصص باب التربية - ٤٣١ ، قصة تكش ٤٣١
- قصة عضد الدولة - ٤٣٣ ، قصة داود الطائي ٤٣٣
- قصة الحجاج - ٤٣٥ ، قصة فريدون ووزيره ٤٣٦
- قصة بقرط الحكيم - ٤٣٨ ، قصص النساء - ٤٣٩ ، قصص الأولاد ٤٤١
- قصص الأتباع ٤٤٢
- الأفكار العامة في باب التربية - ٤٤٢ ، التربية العقلية ٤٤٣
- التربية الخلقية ٤٤٤
- ٨ - باب الشكر - جدول - ٤٤٦
- قصص باب الشكر - ٤٤٦ ، قصة طغرل ٤٤٧
- الأفكار العامة في باب الشكر ٤٤٨
- ٩ - باب التربية - جدول - ٤٥١
- قصص باب التوبة - ٤٥٢ ، قصة جمشيد ٤٥٢
- قصة يوسف وزليخا ٤٥٣
- الأفكار العامة في باب التوبة تصوير الحياة الدنيا ٤٥٤
- الدعوة إلى العمل الصالح ٤٥٥
- التوبة والاعتذار عن العمل السيء ٤٥٧
- ١٠ - باب المناجاة - جدول - ٤٥٨
- قصص باب المناجاة ، قصة المحوسى ٤٥٨
- قصة السكران ٤٦١
- الأفكار العامة في باب المناجاة ٤٦٣
- خاتمة ٤٦٥
- الكشاف ٤٦٧
- المصادر ٤٨١
- تصويب ٤٩١

(ل)

تقديم

بقلم مفضرة صاحب العزة أستاذى الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر بالباكستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— ١ —

هذا الكتاب عن الشاعر الفارسى الكبير الشيخ سعدى الشيرازى وكتابه المنظوم « البوستان » .

وهو ثمرة طيبة من ثمرات دراسة الآداب الإسلامية الشرقية فى قسم اللغة العربية ، ومعهد اللغات الشرقية من كلية الآداب ، من جامعة فؤاد الأول إلى ثمرات أخرى أثمرتها السكينة فى عشرين عاماً .

أخرجت كلية الآداب فى هذه السنين كتباً قيمة ، وأبحاثاً مجدية ، عرضت على قراء العربية صوراً من الآداب الإسلامية غير العربية وأبحاثاً فيها . وهى آداب تصلها بالعربية صلوات متينة ، فهى تستمد من العربية ومنابعها وتحدث — هى والآدب العربى — عن تاريخ واحد ، وتقرب عن عوطف متواصلة .

— ٢ —

والشيخ سعدى شاعر عظيم ، يرى بعض أدباء الفرس أنه أعظم شعراء الفارسية ، شملت نظراته جوانب الحياة كلها ، وتجلت فى منظوماته المقاصد الإسلامية الجليلة ، والغايات الإنسانية السامية .
هو — لا ريب — من كبار شعراء الإنسانية .

(م)

وإن البحث الأدبي ، ولا سيما تقصى مذاهب شاعر ، أو كاتب ، والتعريف بالبيئة التي أثرت فيه ، والمنابع التي أمدته ، لما يشق على الباحثين حتى في أدبهم ، دب اللغة التي يتكلمون بها ، ويتعلمون ، وينثرون ، وينظمون ، وهو — لا ريب — أشق وأصعب مجالا ، وأبعد غاية ، وأعسر منالا ، على من يدرسون أدب لغة غير لغتهم ، وقلَّ أن يمكنَّ لهم هذا إلا بعد طول الدرس ، وكثرة المران ، مع سلامة الطبع ، وصحة النظر . ولا بد — مع هذه كلها — من الاستعانة بالباحثين من أهل اللغة أنفسهم ، فهم أبصر بلغتهم ، وأقدر على سبر أغوارها ، وإدراك دقائقها ، والتمييز بين صورها ، وألوانها ، وإحساس روائحها ، وطعومها .

فالتصدى للكتابة عن شاعر كبير كالشيخ سعدى الشيرازى ، ومنظومة كبيرة من منظوماته ، يبشر بأن خريجي كلية الآداب مولعون بالمباحث الصعبة ، مقدمون على المطالب البعيدة ، ويُبِين عما بلغته دراسة الآداب الشرقية في هذه الكلية من سعة ، وعمق ، مهَّدًا للإقبال على المطالب الصعبة ، والطموح إلى الغايات البعيدة .

وقد احتمل تلميذنا الدكتور محمد هنداوى مصاعب كثيرة ، ولقى عناء كبيراً ، حين طمحت همته إلى البحث الواسع الشاق ، فاختار لرسالته الشيخ « سعدى الشيرازى » : عصره — حياته — ديوانه « البوستان »

تابع البحث سنين ؛ قرأ البوستان وكثيراً من منظومات الشاعر ، واطلع على ما كتبه أدباء إيران ، والمستشرقون في تاريخ سعدى ، وعصره ، وفي أدبه ،

وكتاب البوستان خاصة ، ورجع إلى أمهات الكتب الفارسية التي يرجع إليها في هذا الموضوع .

— ٥ —

وقد تناول في كتابه العصر الذي عاش فيه الشاعر ، وقدم له بذكر الحوادث الهائلة التي طلع بها هذا العصر ؛ حوادث الغارات المغولية على البلاد الإسلامية ، ثم صور أحوال السياسة والحضارة في هذا العصر جهد الطاقة ، وبين آثار هذا كله ، في معيشة الشاعر ، وفي أدبه ، وتتبع ما أشأ الشاعر في هذه الحوادث من شعر ، وما جاء في كلامه من إشارة إليها .

وخص الإقليم الذي عاش فيه سعدى ، والدولة التي سيطرت على هذا الإقليم في حياته ، ببحث مفصل ، فبين كيف نجا إقليم فارس من غارات الغول ، وأجمل أخبار دولة آل زنگى التي أظلت فارس في ذلك العهد ، واتصل بها الشاعر وعاش في كنفها ، ولقى من رعايتها ما جعله ينتسب إلى أحد ملوكها فيتلقب بالسعدى انتساباً إلى سعد بن زنگى أحد ملوكها ، ويقدم البوستان إلى ابنه أبى بكر بن سعد .
وذلكم بحث أدبى ، تاريخى ، قيم ، لا يظفر به الكاتب إلا بعد جدِّ ودأب .
وكذلك عنى المؤلف بتاريخ الشيخ سعدى - من مولده إلى وفاته - فلما وفتَّ التاريخ حقّه ، عمد إلى « البوستان » فأطال البحث فيه ، تكلم عن نسخ الكتاب الجديرة بالثقة ، وذكر شروحه في الفارسية والتركية ، ثم تكلم عن مقدمة الكتاب ، وأبوابه ، وقصص كل باب ، وعدد أبيات كل قصة ، والحادثة التي تضمنتها ، والإنسان الذي ذكرته .

وقد شق على نفسه بالتدقيق ، والإحصاء ، ووضع الجداول - فيسّر ، لكل طالب - ثمرات هذا البوستان ، وقدم لكل باحث مفاتيح أبوابه ، فذل صعباً ويسّر عسيراً ، فله شكر كل معنّى بالشيخ سعدى ، و بوستانه .

(س)

وكان الدكتور هنداوى قد اعتزم ترجمة البوستان كله إلى العربية ، ونشر الترجمة ، فعسى أن يتبع بحثه القيم عن سعدى ، والبوستان ، نشر الترجمة العربية ، ثمرة أخرى طيبة من ثمرات درس الآداب الإسلامية في جامعة فؤاد .

والله يجزيه خيراً كفاء ما احتمل من مشقة ، ولقي من عناء ، وما وقف على البحث والكتابة ، من ، فكره ، ووقته ، وماله ، ويوقفه لمتابعة البحث والتأليف . وهو ولى الهداية والتوفيق « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً » .

عبد الوهاب عزام

كراچی ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ

١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بالبحث

— ١ —

تعرفتُ على هذا الشاعر الكبير منذ دراستنا في معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وعرضتُ علينا نماذج من كتابه البوستان فكشفت لنا عن كثير من مواهب هذا الرجل .

وصح العزم لدى — فيما كان يقدر لي — أن أتناول هذا الشاعر ، وكتابه هذا بالدراسة والتحليل ، فأعرض لتلك النواحي السامية التي بدأنا نلمسها في دراستنا ، فكان أن صح العزم على اختياره موضوعا للدراسة للحصول على درجة الدكتوراه .

والبحث عن هذا الشاعر — بل عن أية شاعر — له منهج محدود ، لا بد أن يتناول نواحي ثلاثاً :

١ — الحديث عن العصر الذي عاش فيه الشاعر من الناحية السياسية العامة والخاصة — في الدولة والإقليم — والإلهام بالحركة العلمية في العصر ، لبيان مدى تأثير كل ذلك في تكيف حياة الشاعر ، وتأثيرها في إنتاجه .

٢ — الحديث عن الشخصية بما يتناول أطراف حياتها ، ومذهبها في الحياة ، وتحقيق ما يدور حولها من آراء وخلافات .

٣ — الحديث عن الإنتاج — كاه أو بعضه — إذا كان هذا البعض مستقلا يمكن أن يستخلص منه أفكار الشاعر ، وآراؤه ، ومذاهبه .

(ف)

فأما الحديث عن العصر ، فقد رأيت أن هذا الشاعر ليس مواطناً في إمارة فارس وحدها ، ولا في دولة إيران كلها ، بل مواطناً عالمياً — إن صح هذا التعبير — فكان لا بد لي أن أصور حالة إيران كلها في ذلك العصر ، بل الحياة في محيط البيئة الإسلامية التي كانت تجاور إيران شرقاً ، وغرباً ، والتي كان لها صدى كبير في حياة الشاعر ، وفي تلوين إنتاجه .

ومن هنا كان لزاماً علي — في مدخل الموضوع — أن أصور بقدر الإمكان أهم الأحداث السياسية ، في تلك البيئة عامة ، وأن ألتقط هذه الصور من السكتب المعاصرة التي تصدت لهذا ، كي أرسم صورة تقريبية للحياة العامة في ذلك العصر . وكان من الواجب كذلك — حين أعالج هذا الموضوع — أن أتجنب الدخول في تفاصيل الحروب الطاحنة ، التي شنها المغول على تلك المواطن ، وأن أتجنب ذكر الأسباب والمسببات ، والخطط العسكرية ، وطريق الجيوش ، ونتائج المواقع . فان كل ذلك مما يعنى المؤرخ السياسي ويساير طبائع المنهج المألوف لديهم . أما مهمة الدارس للأدب ، أو لعصر من العصور ، من وجهة نظر الأدب فهي مهمة يسيرة في ظاهرها ، ولكنها عسيرة في داخلها . ذلك لأنه إنما يتصدى لدراسة أهم الأحداث السياسية — إن وجدت — أو الأحداث العامة ، ومدى تأثيرها في حياة الأدب ، أو في حياة الأديب ، والاجتهاد في ربط الحوادث بالإنتاج إن كان لها صدى فيه .

وبهذا مضيت في الفصل الأول ، صورت بقدر الإمكان ، حالة البيئة قبيل الغزو وحالاتها في مختلف المواطن خلال الغزو ، وتعرضت لأهم الحوادث التي حدثت وكان

لها تأثير في إنتاج الشاعر ، وعقبت على كل ذلك بصور من شعره في كل حادثة بقدر الإمكان، وبذلت جهداً لتصحيح موقف بعض المؤرخين من حوادث المغول. في أرض الخلافة الإسلامية ، وما كانوا يسندونه خاصة إلى قائد الجيوش — هولوكو — في تحطيم الخلافة ، وفي مصير مكنتات بغداد ، وفصلت في هذا مسترشداً بما كتبه مختلفو المؤرخين من الإيرانيين القدماء ، وما كتبه بعض العرب ، والمستشرقين .

★ ★ ★

وفي فصل الحضارة ، أثبت من تاريخ المغول عند مختلف المؤرخين من الغربيين وغيرهم ، أنهم لم يكونوا أعداء للحضارة بالمعنى الذي عرف عنهم وتذبت بعض ألوان الحضارة ، وخاصة ما كان يتصل منها بتشجيع العلوم والعلماء والنهوض بالإنتاج العلمي ، وما أحاط المؤرخين من بسطة الحياة ، حتى ظهر في هذا العصر كثير من أعلام التاريخ الذين مكنت لهم الدولة فبلغ بعضهم مناصب الوزارة .

★ ★ ★

فما انتقلت إلى الفصل الثالث من هذا الباب ، وهو دراسة الأسرة الحاكمة في إمارة فارس ، التي كانت عاصمتها شيراز — موطن الشاعر — التزمت المنهج التاريخي التفصيلي لأعضاء هذه الأسرة ، ولكنني أفضت القول في دراسة ألوان الحياة من الوجوه الهامة ، في عصر الأمير الذي عاش الشاعر في كنفه ، وبخاصة الحركة العلمية في عهده ، ومدى تأثير لون الحياة نفسها في إنتاج الشاعر ، وحققت في هذا الفصل بعض وجوه الخلاف بين المؤرخين ، ورجال الأدب ، فيما كان يتصل بالشاعر ، وحكام هذه الإمارة .

(ق)

وكان النظر في هذا الباب جديراً بهذا كله ، ذلك لأنه يحيط بألوان أساسية من الحياة السياسية ، والحضارة ، لتشخيص حياة الشاعر وإنتاجه على ضوءها ، تشخيصاً قريباً من الصواب ، وكان التماس تأثيرها في هذا الإنتاج مما أطال النظر كذلك ، ولكنه كان لا غنى عنه .

— ٣ —

وفي الباب الثاني — وهو الخاص بحياة الشاعر نفسه — تتبعت أطراف حياته منذ مولده حتى نهايته ، وفصلت — جهد الطاقة — في كثير من الخلاف حول المسائل الهامة ، التي لا تزال موضع جدل ومناقشة ، وحاولت — في كل ذلك — أن أرسم صورة صحيحة ، أو قريبة من الصواب ، لحياة هذا الشاعر ، وتطورها ، وتأثيرها بلون الحياة التي كان يعيش فيها : في منزله ، وفي موطنه ، وفي إمارته وفي دولته ، وأخيراً في البيئة الإسلامية التي كانت تحتويه ، ويجوب بعض نواحيها والتي وجهت الطريق لكثير من الأفكار التي أخذ ينظمها في كتابه البوستان ، حتى أخرجت منه شاعراً من أكبر شعراء الأخلاق ، ومن أعظم شعراء الإنسانية بوجه عام ، تشيد بذكره — حتى اليوم — البيئة الإسلامية كلها ويشارك في الإشادة به الذين عنوا بدراسة الاستشراق في الغرب .

— ٤ —

أما الباب الثالث وهو البحث في ديوانه — أو مثنويه البوستان — فقد تخيرته من إنتاج الشاعر جميعه ، ذلك لأنه أهم كتاب يعرض للدراسة الأخلاقية ، ويوضح كثيراً من مذاهب الشاعر ، وآرائه ، فهو — وحده — جدير بالدراسة ، وقد قسمت البحث فيه إلى قسمين أساسيين .

(أ) بحث تاريخي .

(ب) دراسة تحليلية .

وقد شمل البحث في الأول كل ما أمكن أن يدور حول تاريخية البوسنان .
عن الباعث لهذا اللون من الشعر ، وعن تسميته ، ومكانته بين المثنويات ، وأهم
النسخ الموجودة ، والفروق بينها ، وعن أبوابه وموضوعها ، وعن طريق الشاعر
في أداء قصصه .

أما الدراسة التحليلية ، فقد كانت عوضاً عن الترجمة الصامتة . ذلك أن الترجمة
— وحدها — ترضى حاسة الأديب ، قبل أن تسد حاجة الباحث العلمي ، كما يشير
إلى ذلك أستاذنا معالي الدكتور طه حسين باشا ، فيما قدم به غزليات حافظ
الشيرازي . فالترجمة — من هذه الناحية — عمل تكميلي لا أساسي . ذلك لأننا
بصدد بحث علمي يطالبنا أن نكشف عما في طرفي الكتاب من أفكار ،
وإذا فُهِمَت المقاصد من أبواب الكتاب ، كان الرجوع إلى الترجمة أسراً يسيراً ،
على أن الترجمة كانت قد تمت — بطبيعة الحال — لتكون أداة للبحث عند النظر
في ذلك التحليل ، وسأقوم — عما قريب — بعرضها على القراء فيما أشار إليه
أستاذي الدكتور عزام بك .

وقد شملت الدراسة التحليلية ، تحليل المقدمات وما تطويه من أفكار ، ثم
تحليل القصص التي تدور حول أشخاص تاريخيين أو على ألسنة الحيوان ، فيما
تضمنته أبوابه المختلفة .

وكان لا بد أن أعين حدود القصة قبل الحديث عن أفكارها أو موضوعها
ولهذا وضعتُ الجداول ، ثم اتبعتُ تحليل القصص بالإشارة إلى الأفكار العامة
التي نادى بها الشاعر في مختلف قصص الباب كله .

(ش)

والقصص التي عرضنا لتحليلها هي أقوى القصص — لا نزاع — في إثبات أفكار الشاعر وآرائه ، وإلا فكيف يهتم بأن يسند أدوارها أعظم الشخصيات الملائمة لها؟؟ كما أنها القصص التي اهتم لها الدارسون من الغرب والشرق ، بل اهتم لها المصورون العالميون ، فصوروا حوادث بعضها . كما نلاحظ ذلك في إحدى النسخ القيمة المخطوطة بدار الكتب المصرية ، والتي على بعضها توقيع المصور الإيراني الخالد — بهزاد — والتي زادت من قيمة المخطوطة فعرض فيها مبلغ خيالي بلغ ٣٠ ألف جنيه ، وقد نقلنا بعضها في هذا الكتاب .

هذه هي دراستي للموضوع ، أقدمها اليوم ، وأقدم معها هذه الألوان التي كشفت عن الشاعر الكبير « سعدى الشيرازى » . ولعلى أكون قد وفقت في أن أقدم للقارئ الكريم — وكل ذى رغبة في التماس شيء من آثار الشاعر — صورة صادقة تحب إليه التماس الترجمة الكاملة لهذا الكتاب التي سأنشرها عما قريب ، والتي سأتابعها بدراسة وترجمات أخرى لبقية آثاره — منشورة ومنظومة — لعلى أكون قد ساهمت بنصيبى في نقل تراث أجنبي إلى لغتنا ، وإضافة ثروة جديدة إليها ، عن شاعر من كبار شعراء الإسلام . ولعلى أكون قد ساهمت بنصيبى كذلك في إحياء هذا الشاعر .

المؤلف

والله أسأله التوفيق والسداد

٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ هـ

٣٠ يناير سنة ١٩٥١ م

(ت)

مقدمة

لمحة عن إيران ووضعها السياسي في القرن السابع الهجري

تعتبر المنطقة التي تقع فيها إيران إقليماً قائماً بذاته ، ولهذا الإقليم مقوماته الطبيعية التي تجعل منه وحدة مستقلة ، وقد هياً له موقعه وسهولة مسالكه منذ القدم مكانة جعلته بمثابة الجسر يعبر عليه الغزاة من الشرق إلى الغرب وبالعكس . فاجتازه الإسكندر الأكبر في فتوحاته إلى الشرق قبل الميلاد ، ومضى عليه العرب في غزواتهم حتى الهند في القرن الأول الهجري ، واجتاحه المغول خلال القرن السابع الهجري ، و نفذوا منه إلى الشام وأوربا في الغرب .
أما من الناحية السياسية في مطلع ذلك القرن فقد كان ينقسم إلى قسمين أساسيين :

الجزء الشمالي ، وتدخل فيه منطقة خراسان ، وكان أغلبه تحت حكم « ملوك خوارزم » وبعضه تحت حكم « الإسماعيلية » في منطقة صغيرة جنوبي بحر قزوين تسمى « بلاد الجبل » .
والجزء الجنوبي منه وأهم ما فيه « ولاية فارس » وكانت مستقلة ، وبعض ولايات أخرى صغيرة .

وكان يجاور هذين القسمين من الغرب بلاد الخلافة الإسلامية .
ويمكن أن نصور حال البلاد خلال القرن السابع الهجري بما يأتي :
كانت بلاد إيران في مستهل ذلك القرن تتمتع برخاء في العيش ، وازدهار في الحياة ، وتقدم في العلوم ، وورق في كل ألوان الحضارة . تزخر مدنها بوفرة من

أجلة العلماء ، ويتسابق حكامها وولايتها في رعايتهم ، وهيئة الحياة رخية هائلة لهم .
وكان الموطن الإسلامي موطناً عاماً لكل مواطن في أية بيئة من بيئاته ،
ينتقل فيها كيف يشاء ، ويحل فيها متى شاء ، تتلقاه مدنها وأهلها وكأنما يحل معهم
وطناً وينزل عليهم أهلاً . لا فرق في هذا بين من كان من أبناء الشرق أو من
أبناء الغرب .

وفي أوائل هذا القرن نجىء العالم الإسلامي في — الجانب الشرق منه —
بسيل جارف اجتاح أقاليمه ومدنه بظهور المغول ، ومسيرهم نحو البلاد الإسلامية
الجاورة لهم .

وكانت أم دولة اصطدموا بها في الطريق دولة « ملوك خوارزم » وكانت
تبتسط سلطانها على بلاد ما وراء النهر والجزء الشمالي من إيران ، وامتد حكمها من
سنة ٤٩١ هـ حتى سنة ٦٢٨ هـ^(١) .

وكان يقوم على حكمها السلطان « محمد شاه » حين فجأه المغول ، ولم يحتمل
هذا السلطان ضغط هجماتهم المتواصلة ، وما زال يفر من مكان إلى مكان وهم
في أعقابهم حتى لجأ أخيراً إلى جزيرة ببحر قزوين ومات بها في نفس العام الذي
هاجمه فيه المغول وهو سنة ٦١٧ هـ . فتولى الدفاع بعده ابنه « جلال الدين
منكبرتي » وقاد الجيوش في بسالة وشجاعة قل أن يوجد لها نظير .

ولا نستطيع ونحن نسجل له بعض ما أثر تاريخه أن ننسى ذلك الموقف الذي
وقفه جلال الدين نفسه وتلك البطولة التي مثلها حين عيل صبره ، وضاق به المجال ،
ولم يبق إلا أن يسقط أسيراً أو قتيلاً ، فألقى بنفسه من مرتفع على شاطئ نهر
السند ، وهو على صهوة جواده ، يبغى النجاة إلى لقاء جديد ، بعد أن التقى بفتنة

(١) حمد الله المستوفى . تاريخ كزیده ص ٤٨٦ طبعة جب التذكارية .

قليلة من رجاله بجيش المغول اللجب ، وأوشك أن ينتصر عليهم بهذه الجماعة ، لولا سوء الحظ ونفاذ المقدور ، فكان عملاً فداً أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة^(١) .

ومع ذلك لم تحطم أعصابه هذه الحادثة ومضى يحمل نفسه بيده ، يذيقهم العذاب ويذيقونه ، حتى قضى الله أمراً كان مفعولاً ، فتلاشت قوته وبادت دولته سنة ٦٢٨ هـ^(٢) .

وفي الجزء الجنوبي الغربي من إيران كانت تقوم أكبر ولايات الجنوب وهي « ولاية فارس » كان على حكم هذه الولاية في ذلك العهد أمير من تابكة آل سلغرهو « سعد بن زنگي » الذي حكم ما بين سنة « ٥٩١-٦٢٣ هـ^(٣) » فتمكن - بعد نظره - أن يحافظ على استقلال ولايته والنجا بها بعيداً عن ذلك الغزو المرير ، ورضى أن يحافظ على استقلاله الذاتي ، والاعتراف به مقابل دفع الجزية لهم ، فأمن بهذا شر ذلك المصير الذي آلت إليه إمبراطورية « ملوك خوارزم » . كان يجاور هذين القسمين من الغرب ، بقايا ممتلكات الخلافة في العراق ، وكان يقوم عليها في ذلك الوقت « الخليفة المستعصم » . تجنب الخليفة سياسة المسالمة وارتكب كثيراً من الأخطاء التي سنعرض لها ، مما أدى إلى القضاء على خلافته وعلى دولته سنة ٦٥٦ هـ .

وبجانب ذلك كانت هناك ولايات أخرى بعيدة عن المحيط الذي سنعرض له في دراستنا ، أصاب بعضها غزو المغول وطواها فيما طوى ، وكان أهمها منطقة

(١) انظر محمد المنتهي النسوي «سيرة جلال الدين منكبرتي» ص ٨٥ طبعة باريس وانظر تصوير القصة في كتاب الأوابد للدكتور عزام بك .
(٢) ابن الأثير ج ١٢ ص ٢٣٥ الطبعة الأزهرية .
(٣) شيرازنامه ص ٥٢ و ٥٤ طبعة طهران .

« قلاع الاسماعيلية » في « بلاد الجبل » جنوبي بحر قزوين ، وقد أقاموا حكومتهم في تلك المنطقة ما بين سنة ٤٨٣ إلى ٦٥٤^(١) هـ . استطاع المغول أن يتغلبوا بدورهم أيضاً على تلك الطائفة ، حتى إذا فرغوا منها سنة ٦٥٤ هـ تقدموا إلى العراق ، فإذا انتهوا منه مضوا في طريقهم إلى الشام حيث التحموا بالمصريين وأمرء الشام في عدة مواقع ، كان من أهمها موقعتان عظيمتان هما موقعة « عين جالوت » سنة ٦٥٨ هـ^(٢) . وموقعة « مرج الصفر » التي حدثت سنة ٧٠٢ هـ^(٣) . وقد كتب النصر في هاتين الموقعتين للمصريين ، فارتد المغول على أعقابهم ، ثم تتابع الضعف عليهم ، حتى انقضت حكومتهم التي أسسوها شمالي إيران في النصف الأول من القرن الثامن الهجري .

هذا تصوير سريع لسير هذه الحركة التي استغرقت قرابة قرن من الزمن ، هو القرن السابع الهجري من بدئه تقريباً حتى نهايته ، وأخذت جزءاً من أوائل القرن الثامن .

لكن بالرغم من هذا لم يخل عصر المغول من جانب مشرق إيران ، فسرعان ما نهض العالم من كبوته ، كما اندمج هؤلاء في الجماعة الإسلامية بعد توطنهم بينها واتصلهم بأبنائها ، فأخذوا في بناء الحضارة من جديد ، وارتقت العلوم في هذا العهد ، واستخدموا كثيراً من أبناء تلك الأمة في مناصب الدولة وكراسي الوزارة وكثيراً ما كانوا يأخذون بمشورتهم ويعملون بأرائهم ، مما كان لكل هذا تأثير كبير على العلوم والحضارة بل على الحياة العامة كذلك مما سنفصله فيما بعد .

(١) تاريخ كزیده ص ١٧٥

(٢) أبو الفداء - المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢١٤ وابن الفوطى في الحوادث الجامعة ص ٣٤٤ وان كان يجعل هذه الحادثة سنة ٦٥٩ هـ .

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٥٠

عاصر الشاعر معظم هذه الأحداث ، فولد في طليعة القرن السابع الهجرى ،
وشاهد ما حل بالعالم الإسلامى من تخريب ودمار ، وتحركت نفسه للكوارث التى
ألمت به ، وخاصة ما حل بالخلافة الإسلامية ، وما أصيبت به بغداد من أهوال ،
واتصل بكبار رجال الحكومات فى هذا العصر ، وكان لكل ذلك أثر فى مجرى
حياته وفى ألوان شعره مما سنعرض له بعد .

الباب الأول

الفصل الأول

القرن السابع الهجري من الناحية السياسية العامة
في إيران وبلاد الخلافة وكيف صوره المؤرخون؟؟

حال البلاد قبل الغزو :

والرجوع إلى تصوير المؤرخين لحال البلاد في ذلك العصر يعطينا فكرة عن مدى الرخاء ، وسعة العيش وتقدم العلوم ، ورفاهية الحياة .
وينقل ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » نص خطاب بعث به « ياقوت الحموي » إلى القاضي الأكرم « أبو الحسن الشيباني » وزير حلب يصف فيه بلاد خراسان ، وما كانت عليه قبيل غزو المغول تقتطف منه قوله :
« كانت والله مورقة الأرجاء رائقة الأنحاء ذات رياض أريضة وأهوية صحيحة مريضة » ، ثم يمضى في وصف رقيق حتى يقول عنها إجمالاً « وجملة أمرها أنها كانت أنموذج الجنة بلا مين . فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين » .
ثم يصور فرار « السلطان محمد » منها ورحيله عنها بقوله « كم تركوا فيها من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين »^(١)

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٣ طبعة الحلبي .

ويشارك الجويني — عطا ملك — في كتابه « جهان گشای » « ياقوتنا »
في وصفه لها كذلك قبل الغزو المغولي بقوله عنها :

« مطلع السعادة والمبرات ، وموضع المراد والخيرات ، ومنبع العلماء ، ومجتمع
الفضلاء ، ومربع العطاء ، جاء عنه في الخبر ، العلم شجرة أصلها بمكة وثمرها
بخراسان »^(١) .

ويعطينا « ياقوت » فكرة صادقة عما لقيه بإحدى مدن ذلك الإقليم وهي
مدينة « مرو » وما وجدته فيها من المكتبات الغنية ، التي كان يتردد عليها ، والتي
انتفع بها كثيراً في مؤلفاته . يرد ذكر هذا في موضعين أحدهما في كتابه « معجم
البلدان » والآخر في خطابه السابق الذي أثبت نصه « ابن خلكان » .

فأما ما ورد عنها في كتابه « المعجم »^(٢) ، ففي قوله عن مرو « إن فيها عشر
خزائن للوقف ، لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة . منها خزانتان في الجامع ، إحداها
يقال لها العزيزية ، وفيها اثنا عشر ألف مجلد ، والأخرى يقال لها الكالوية وغيرها »
إلى أن يقول بعد ذلك :

« وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مثناً مجلد ، وأكثرها بدون
رهن » ثم يختم عبارته بقوله : « وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الصحب والولد
وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره فهو من تلك الخزان » وكان « ياقوت » قد
تركها سنة ٦١٦ هـ^(٣) .

ويقول عنها في سياق الكلام من خطابه السابق في « وفيات الأعيان » .
وكان المقام « بمرور الشاهجان » المفسر عندهم بـ « نفَس السلطان » . فوجد

(١) جهانگشای ج ١ ص ٤

(٢) معجم البلدان . مدينة مرو ص ٣٥

(٣) توفى ياقوت سنة ٦٢٦ هـ — انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٤

بها من كتب العلوم والآداب^١ ، وصحائف أولى الأفهام والألباب ، ما شغله عن الأهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صفي وسكن ، فظفر منها بضائنه المنشودة ، وبعية نفسه المنقودة ، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص ، وجعل يرتع في حدائقها ويستمتع بحسن خلقها وخلاتها « إلى أن يقول: « وأعتقد المقام بذلك الجناب إلى أن يجاور التراب » .

وبمثل هذا التصوير الرقيق يشارك « الجويني » « ياقوتا الحموي » أيضاً في تصويره لما يبين رقيقين من الشعر في قوله :

. بلد طيب ورب غفور وثرى طينه يفوح العبيراً
وإذا المرء قدم السير منه فهو ينهاه باسمه أن يسيراً

وفي عبارته « فهو ينهاه باسمه » — إشارة لطيفة إلى معنى الكلمة وتركيبها . فهي تتكون من الميم التي تؤدي معنى النهي في الفارسية و« رو » من مصدر « رفتن » أي الذهاب . فعنى كلمة « مرّو » لا تذهب ، وذلك إشارة إلى قوله فهو ينهاه باسمه .

هجوم المغول وكيف صوره المؤرخون في مملكة خوارزم وإيران الشمالية ؟

لا نعرض هنا لذكر أسباب هذا الهجوم بالتفصيل ، ولا للعلاقات التي كانت بينهم وبين البلاد الإسلامية المجاورة ، فلننا في حاجة إلى ذلك ، كما أن البحث لا يدعو إليه .

ونكتفي بأن نورد ما سجله « ابن الأثير » المعاصر لهذه الأحداث في ذكر الأسباب التي دفعت المغول إلى الهجوم على بلاد « خوارزم شاه » ، ثم إلى غيرها . ففي أحداث سنة ٦١٧ هـ تحت عنوان « ذكر خروج التتر إلى تركستان ،

وما وراء النهر وما فعلوه»^(١) يقول « وكان السبب في ظهورهم أن ملكهم ويسمى چنگيزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده ، وسار إلى نواحي تركستان ، وسير جماعة من التجار الأتراك ، ومعهم شيء كثير من النقرة والقندر وغيرها إلى بلاد ما وراء النهر — بخارى وسمرقند — ليشتروا له ثياباً للكسوة ، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى « أوترار » وهي آخر ولاية « خوارز مشاه » ، وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ، أرسل إلى « خوارز مشاه » يعلمه بوصولهم ، ويذكر له ما معهم من الأموال ، فبعث إليه « خوارز مشاه » يأمر بقتلهم ، وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه ، فقتلهم وسير ما معهم ، وكان شيئاً كثيراً ، فلما وصل إلى « خوارز مشاه » فرقه على تجار بخارى وسمرقند ، وأخذ ثمنه منهم .

هذا ما أورده « ابن الأثير » في ذكر الأسباب ، يتضح منه — إلى أي حد — ترجع أسباب هذه الحرب إلى السلطان « محمد خوارز مشاه » .
ونستطيع أيضاً أن نعتمد على ما ذكره هذا المؤرخ في تصوير هجوم المغول ، وحوادثهم في بعض المدن التي استولوا عليها ، وقد ظفرت هذه الصورة بتقدير عظيم عند كثير من المؤرخين الذين عرضوا لدراسة هذا العصر في بعض نواحيه^(٢) .
ويبدو مدى تأثير تلك الصورة في نفسية « ابن الأثير » حتى أنه تردد أن يسجلها ، ولكنه أذعن أخيراً تحت مشورة أصدقائه .

وترد هذه الصورة في فصل له تحت عنوان « خروج التتار إلى بلاد الإسلام^(٣) » يقول فيه « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ،

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٦٦

(٢) G. Brown: A Literary His. of Persia. v. 2. pp. 427-430

Arnold: The Preaching of Islam.

انظر ترجمته « الدعوة إلى الإسلام » ص ١٩٠ للدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٣) ابن الأثير ج ١٢ حوادث سنة ٦١٧ هـ .

استعظاما لها ، تاركاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن ذا الذى يهون عليه ذلك ، فياليت أمى لم تلدى ، وياليتى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » ويذكر أنه يتردد في ذكر تفاصيلها ، إلا أنه استجاب تحت مشورة أصدقائه ، ثم يمضى فيسجل .

« هذا الفعل يتضمن الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التى عفت الأيام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن ، لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يداينها » .

ثم يقارن بينها وبين ما سلف من أحداث التاريخ التى أحدثت هزات عظيمة حتى عهده ، ويخص بالذكر ما فعله بختنصر بينى إسرائيل من القتل والتشريد ، وتخريب بيت المقدس ، ثم يمضى فى عرض البلاد التى تقدموا إليها ، وتم فتحها فى حياته^(١) بقوله :

« فان قوما خرجوا من أطراف الصين ، فقصدوا بلاد تركستان ، مثل كاشغر وبلاسون ، ثم منها إلى بلاد ماوراء النهر ، مثل سمرقند وبخارى وغيرها ، فيفعلون بأهلها ما نذكر ، ثم تمر طائفة منهم إلى خراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها إلى الرى وهمدان وبلاد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية ويخربونها ، ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلى الشريد النادر » .

ومن المؤرخين المعاصرين — أيضاً — هذه الأحداث ، والذين كان لهم مركز ممتاز فى دولة ملوك خوارزم « محمد المنشى النسوى » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

(١) انتهى ابن الأثير من كتابه بعد إتمام ج ١٢ حوادث سنة ٦٢٨ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ انظر ترجمة حياته فى ابن خلكان ج ١ ص ٣٤٧

وصاحب « سيرة جلال الدين منكبرتي » يعرض أيضاً باختصار صورة لهذا الغزو في قوله :

«وهل بلغك أن طائفة خرجت من مطلع الشمس ، فقطعت الأرض إلى باب الأبواب^(١) ، فعبرت بلاد قفجانب وشتت على قبائلها غارة شعواء ، وخبطتها بالسيوف خبط عشواء ، فلم تدرس أرضاً إلا نهبتها ، ولا بلداً إلا خربت بها ، ثم رجعت إلى صاحبها من طريق خوارزم بعد هذه الدورة سالمة غائمة ، وقد أهلكت حرث البلاد ونسلها. إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(٢).

ويغنيها « الجويني » عن الإطالة في التعبير بكلمات قصار ، ولكنها تدل دلالة قوية على تصوير هذه الحادثة ونتائجها . وذلك في عبارته التي أوردها على لسان أحد أبناء بخاري ، الذين فروا من هول الغزو ، وقد سئل عما شاهدته فأجاب بالعبارة الآتية :

« آمدند ، وکندند ، وسوختند ، وکشتند ، وبردند ، ورفتنند^(٣) » أي جاءوا ، وهدموا ، وأحرقوا ، وقتلوا ، ونهبوا ، وذهبوا .

وهذه العبارة مقابلة تقريباً لما ذكره « ابن الأثير » في قوله من عبارته السابقة :

« فيفرغون منها ملسكا ، وتخریباً ، وقتلاً ، ونهباً » .

وظل صدى عبارة « الجويني » يتردد بين كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده فأشار إليها باختصار صاحب « تاريخ گزیده^(٤) » من مؤرخي القرن الثامن الهجري . وترجمها سجعاً مؤرخ عربي في القرن العاشر هو « أبو العباس أحمد

(١) مدينة تقع على الشاطئ الغربي من بحر قزوين .

(٢) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٢٤

(٣) جهانگشای ج ١ ص ٨٣

(٤) تاريخ گزیده ص ٥٧٤

ابن يوسف الدمشقي الشهير بالقرماني^(١) . في قوله « هجموا، وهدموا ، وأحرقوا، وأزهبوا ، ونهبوا ، وذهبوا » ..

ومن الظواهر التي تسترعى أنظارنا بالإضافة إلى ما تقدم من تصوير المؤرخين لرفاهية الحياة ، وازدهارها بهذه الأقاليم، ما ذهبوا فيه مذهب المغالاة في تقدير عدد السكان فكان سكان كل من بخارى وسمرقند يجاوز المليون^(٢) . كذلك يذكر « براون» نقلا عن «رشيد الدين» « أن الجيش الذي حاصر مدينة « خوارزم » كان تعدادة خمسين ألفاً، قتل كل واحد منهم أربعة وعشرين سجيناً أو محاصراً^(٣) . كما يقول آرنولد « إن جيش المغول بعد أن تحول عن هراة خرج أربعون من أهلها من مخبئهم فراراً من الموت ، وكان هؤلاء التاسعون هم البقية الباقية من سكانها الذين يربو عددهم على مائة ألف^(٤) . »

ويذكر الجويني في فصل له عن أحوال مدينة مرو يمتد إلى الثلاثين صفحة يذهب فيه إلى أن عدد القتلى في تلك المدينة بلغ مليوناً وثلثمائة ألف قتيل^(٥) . على أن هناك ظاهرة أخرى، تلفت أنظارنا كذلك هي أنهم — منذ فتوحاتهم الأولى — كانوا يرغبون في معرفة الطبقات التي يأسرونها ، وتمييزها عن بعضها ، وإحاطة رجال الفن منهم برعايتهم الخاصة ، أما الجنود فإنهم كانوا يلقون شر المصير . يقول ابن الأثير في عبارة له « أمر جنكيزخان أن يكتبوا له أسماء تجار البلد ورؤسائه وأرباب الأموال والصنائع في جريدة ليعرضوا عليه » ثم يستطرد

(١) انظر كتابه — أخبار الدول وآثار الأول . طبع بغداد ص ٨٦

(٢) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

(٣) G. Brown : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 438

وجهانگشای ج ١ ص ١٠٠ — ١٠١

(٤) الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٠ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٥) جهانگشای ج ١ ص ١٢٨

في عرض ما انتهى إليه الأمر بقوله « فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه « مرو » ولم يبق فيه أحد ، فجلس على كرسى من ذهب ، وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم ، فأحضروا وضربت رقابهم»^(١).

وربما جد من الأسباب — لدى المغول — ما يحملهم على المغالاة ، وارتكاب الفظائع في الاستيلاء على المدن والتنكيل بأهلها ، وكان من أهم ذلك أن يتعرض أحد أسرائهم أو مشاهير قادتهم إلى القتل . فيذكر صاحب « سيرة جلال الدين منكبرتي » ما فعلوه في مدينة نيسابور ، وقد قتل فيها أحد أسرائهم قوله « قصدوا نيسابور في عامتهم ، ليذيقوا أهلها نكال طامتهم ، حتى إذا قاربوها خرج أهلها مناوشين ، فأصابت صدر تفجاق اللعين نشابة تمكنت من محل سره فانتقل إلى نار الله الموقدة » .

ثم يمضي في تعداد بعض الأساليب الحربية وأسلحتها التي استعملوها في حصارهم لتلك المدينة مما كان معروفاً في عصرهم وذلك في قوله « حتى أراحوا عليهم بها في المتاريس ، والدبابات ، والجانيق ، والجمونات ، فساقوا إليها ونصبوا في نهارهم ذلك مائتي منجنيق مكملة الأسباب ، فرموا بها واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام » ثم يستطرد فيعرض لأسماء كثير من الأقاليم والمدن التي فتحوها في حياته^(٢) وذلك في قوله :
« فهذا قياس مطرد في سائر مدن خراسان وخوارزم والعراق ومازندران وأذربيجان والگور وغزنه وباميان وسجستان إلى تخوم الهند ، فلو ذكرت مفصلة لم يتغير فيها إلا اسم المحاصر والمحاصر فلا حاجة إلى التطويل »^(٣).

ويذكر « براون » أنهم فعلوا في مدينة « باميان » مثما فعلوا بمدينة نيسابور

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٨١ . المطبعة الأزهرية .

(٢) توفي هذا المؤرخ سنة ٦٣٠ هـ .

(٣) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٥٣ و ٥٤

بعد أن قتل أهلها أميراً مغولياً فدمروها عن آخرها حتى بقيت خالية من السكان
لمائة سنة بعدها^(١).

هذا تصوير سريع أشار إليه المؤرخون المعاصرون لهذه الأحداث ، تبين منه
إلى أى حد يصورون رفاهية الحياة فى تلك البلاد قبل الغزو ، وإلى
أى حد يصورون مآعته تلك المدن وسكانها وكيف احتملت مرارة ذلك
الغزو الفظيع .

★ ★ ★

الشاعر وتصويره لهذه الأحداث :

لم تمض هذه الكوارث دون أن تؤثر فى نفسية الشاعر ، فعرض صداها فى
كثير من أشعاره ، تردد فى مناسبات مختلفة ، لم يعرض لها عرضاً مستقلاً .
وتصوير الشاعر لهذه الأحداث مها يكن فى مناسباته ، أو فى أسلوبه ، يعطى
أيضاً صورة لما كان عليه العالم الإسلامى فى ذلك الوقت من اضطراب ومحن
ألمت به .

ونستطيع أن نأخذ تصويره لهذه الحوادث من أربعة مواضع :

أولاً — فى كتابه « بوستان — باب الرضا — » فى القطعة الثالثة . يعرض
الشاعر لقصة بطل من المحاربين فى مدينة « أصفهان » ، يحدّثه عن شجاعته ،
وبسالته فى حرب التتار . ويورد فى الحديث بعض أسلحة الحرب وملابسهم فى
أزمانهم ، كما يصف معركة من المعارك .

يدور مغزى القطعة حول « القضاء والقدر » ، وأن القضاء إذا لم يسعف
الإنسان فلن تسعفه شجاعته وقوته ومعداته . يجرى الحديث بينهما فى سؤال الشاعر له .

G. Brown : A Literary History of Persia v. 2, p. 439. (١)

- قلت له ، أيها السيد الذي كان يصيد الأسد المهورا . . .
- ماذا حل بك حتى صرت كالثعلب الهرم . . . ؟
- تبسم ضاحكا ، ثم قال ، منذ تقائلنا مع التتر .
- أخرجت من رأسي حديث الظفر
- رأيت الأرض ، والرماح المشرعة فيها ، كأنها زرع من غاب .
- والأعلام المرفوعة فوقها كأنها نار ذات لهب .
- انهم طائفة تصرع النمر ، وفي قوة الأفيال .
- مدرعين بالحديد من رؤوسهم حتى حوافر الخيل .
- وحين لمحنا الجيش يثير الغبارا .
- اكتسبنا بالدروع واتخذنا قلائسا المغافرا .
- وأثرنا الجياد العربية عليهم كأنها السحاب .
- وصببنا السهام القولاذية عليهم كأنها المطر .
- وصارت الأرض ، من زرقة الغبار فوقنا كأنها سماء .
- تلعب فيها السيوف والخوذات وكأنها نجوم .
- كنا نكاد نخرق الشعر بالسهام والأسنة .
- لكن لما لم يكن لنا حظ ولينا الأديارا .
- لما كان الطالع معرضاً عنا .
- كان الجن أمام سهم القضاء كأنه لاشيء^(١) .

(١) بدو گفتم سرور شیر گیر
 بخندید کز روز جنگ تـسـتر
 زمین دیدم از نیزه چون نبستان
 گروهی پلنگ افکن و پیل زور
 هماندم که دیدیم کرد سیاه
 چو ابراسب تازی برانگیختیم
 زمین آسمان شد ز کرد کبود
 بتیر و سنان سوی بشکافتیم
 چو طالع زما روی برهیچ بود

چه فرسوده کردت چورویاه بیبر؟
 بدر کردم آن جنگجوی زسر
 گرفته علمها چو آتش در آن
 در آهن سیرد و سم ستور
 زره جامه کردیم و مغر کلاه
 چو باران بلا رگ فرو ریختیم
 چو آنجم درو برق شمشیر و خود
 چو دولت نبد روی برتافتیم
 سپر پیش تیر قضا هیچ بود

ثانياً— وفي مقدمة بعض نسخ « گلستان »^(۱) يصف اضطراب العالم، وتأثير ذلك في نفسه ، حتى أنه خرج من موطنه يرفه عنها ، مشيراً إلى أن العالم صار في نظره مضطرباً معقداً كأنه شعر الزنجي ، وحين كان الناس يحاربون بعضهم البعض كأنهم الوحوش الكاسرة . فإذا أمضى مدة في رحلاته عاد بعدها إلى موطنه ، فوجده تحت ظلال الأمير العادل « أبي بكر بن سعد » فرأى الحياة قد عادت إلى هدوئها ، ورأى النور قد تحررت من طباعها .

— ألا تدرى لماذا خرجت مغترباً أطوف في البلاد؟

ولماذا أمضيت زمناً بعيداً عن الوطن والأحباب .؟

— نزلت بعيداً حين رأيت محن الأتراك

و حين صار العالم معقداً كأنه شعر الزنجي .

— الناس — كافة — من بنوة آدم لكنهم

كالدئاب المتعطشه للدماء بمخالبها الحادة .

— وحين عدت إلى موطني وجدت السعادة تظله .

ووجدت النور الكاسرة قد تحررت من طباعها .

— رحلت من موطني حين كان العالم في عهده الأول .

يفيض بالحن ، والاضطراب ، والشدائد .

— ثم آويت إليه حين كان يظله عهد السلطان العادل .

الأتابك أبي بكر بن سعد بن زنگي^(۲)

(۱) گلستان سعدی نسخه platts طبع لندن سنة ۱۸۷۴ م ص ۵
 (۲) ندانی که من در اقالیم غربت
 برون رفتم از تنگ ترکان که دیدم
 همه آدمی زاده بودند — لیکن
 چو باز آمدم کشور آسوده دیدم
 چنان بود در عهد اول که دیدم
 چنین شد در ایام سلطان عادل
 چرا روزگاری بکردم درنگی؟
 جهان درهم افتاده چون سوی زنگی
 چو گرگان بخوشوارگی تیز چنگی
 بلنگان رها کرده خوی پلنگی
 جهان پر ز آشوب و تشویش و تنگی
 آتابک أبو بکر بن سعد زنگی

ثالثاً — وفي قصيدة فارسية يرثي فيها « الخليفة المستعصم » يستهلها بيت يحذر فيه الإنسان ألا يأمن إلى الحياة ، فدورة الأيام قاسية وانقلاب الحياة مريع ، ويصور في هذا البيت « أن الإنسان مهما يبلغ خياله فلن يدرك ما حدث ، فخيال الإنسان عاجز عن إدراك تلك الفظائع التي حدثت » (١) .

رابعاً — وفي قصيدة عربية يرثي فيها « المستعصم » أيضاً ، يعرض لتلك الفتنة التي اجتاحت العالم وتنقلت فيه من قطر إلى قطر ، تأخذ منها ما يصور هذه الحوادث .

نعوذ بعفو الله من نار فتنة تأجج من قطر البلاد إلى قطر
بدا وتعالى من خراسان قسطل فعاد ركاما لا يزول عن البدر
إلام تصاريف الزمان وجوره تكلفنا ما لا نطيق من الأصر (٢)

ولاية فارس بإيران الجنوبية وكيف صور المؤرخون صوامعها للغزو؟؟؟

كانت ولاية فارس — التي تقع إلى الجنوب الغربي من إيران — هي البلاد الإيرانية الهامة التي اجتازت هذه المحنة بسلام. ولا نعرض هنا لتاريخ هذه الولاية في هذا الفصل بالتفصيل ، فلا حاجة إليه ، وإنما نصور فقط أهم الأحداث التي حدثت ، وآراء المؤرخين فيها أثناء مجيء المغول إلى إيران ، ونرجى تفصيل تاريخها وحكامها وصلة الشاعر بهم إلى فصل آخر .

ونذكر هنا — في إيجاز — كيف اجتازت هذه الولاية تلك المحنة ، ونجت

(١) زينهار أزدورگيتي وانقلاب روزگار درخيال كس نيامد كانچنان گرددچنين كلييات سعدي . ننتر فروغى ص ٤٨٦
(٢) كلييات فروغى ص ٤١٣

من هول الغزو وبطش المغول ، ويبدو لنا أن مطامع القوم لم تكن تتحایل على الاستيلاء على الأقاليم التي تدخل في طاعتهم ، فلم يصطنعوا الحوادث من جانبهم لإدماج بعض الإمارات التي رُغبت أن تدخل في الولاء لهم .

وكان من حسن حظ تلك الإمارة أن تولى حكمها إبان الغزو أمير من أسرة « آل سلغر » التي بدأت حكمها على أنقاض حكومة السلاجقة في تلك الإمارة قبيل القرن السابع الهجري . ذلك الأمير هو الأتابك « سعد بن زنگی » .

رأى « سعد » الأمانة له بمقاومتهم ، وأنه إن فعل ، فلا بد من ضياعه ، وضياع ملكه كما ضاع ملك « السلطان محمد وابنه جلال الدين » ، فذهب يقدم فروض الولاء للمغول — عندما دنوا من ولايته — هو وغيره ممن كانوا على بعض الولايات الأخرى ، التي كانت تواجه الغزو بعد إمبراطورية « ملوك خوارزم » .

ويذكر صاحب « جامع التواريخ » ما قام به « سعد بن زنگی » وغيره في مواجهة المغول بقوله :

« چون خبر وصول رایات جهانگیر در اطراف شایع و مستفیض گشت ، سلاطین و ملوک هرملکتی از ممالک ایران به بندگی حضرت متوجه شدند ، از روم سلاطین عزالدین ، و رکن الدین ، و از فارس سعد پسر آتابک مظفر الدین (۱) » .

وبهذا رسم « سعد » الطريق لمن جاء بعده لأن يدخلوا في طاعتهم . فلما تول ابنه « أبو بكر » سار على تلك السياسة التي رسمها أبوه بل توسع في رضائهم فقدم بجيش لفتح بغداد (۲) تحت قيادة ابن أخيه « محمد شاه بن سلغر شاه » كما أرسل لهم البعث للتهاني بعد إتمام فتحها (۳) ، ودفع لهم ما التزمه من أتوات

(۱) جامع التواريخ ص ۱۰۰ . باريس نشر كاتومير .

(۲) الأستاذ قزويني — سعدی نامه ص ۱۰۰

(۳) حبيب السير ص ۱۳۰ طبعة بمبي .

وخراج وداوم على سياسة حسن المودة ، مما دل على بعد نظره وإصابة تدييره ، كما استحق — فى نظرهم — أن يلقب لقباً مغولياً هو « قتلغ خان^(١) » ومعناه « الملك المبارك^(٢) » وبهذا سلمت فارس من الحرب ، بل هيأت لها تلك السياسة الرشيدة حياة هادئة مكنتها من تنظيم أمورها ، فالتجأ إليها كثير من العلماء ، وتغنى الشعراء بعهداها .

ويذكر « بارتولد » فى كتابه « تاريخ الحضارة » « أن ولايات الجنوب بايران — فارس وكرمان — سلمتا من عادية الجيش المغولى ، ودامت الحياة القديمة فى المدن الكبرى ، وخاصة فى شيراز ، فلماذا اكتسبت فارس حظوة عظيمة لم تنلها من قبل — من حيث الحضارة الإيرانية — وقد حمت الأدب الفارسى الدولة « السلغرية » التى اجتازت فتوح المغول سليمة ، والدولة « المظفرية » التى حكمت نصف قرن بعد تفرق المغول . فبأولى الدولتين ، يرتبط اسم الشيخ سعدى شاعر القرن السابع الهجرى ، وبالتائنية حافظ الشيرازى^(٣) .

الشاعر وتصويره حالة فارس فى ذلك العهد :

أشرنا سابقاً إلى قطعة للشاعر فى مقدمة « گلستان » يذكر فيها كيف كان عهد فارس فى ظل أبى بكر حين عاد إليها من هجرته .

كذلك يشير الشاعر إلى ما فعله أبو بكر من مضانعه المغول وحفظ ولايته من الدمار حتى صارت الملاذ لكل إنسان . وذلك فى كتابه « بوستان » فى قطعة يمدح بها أبابكر بن سعد ويشبه فارس فيها بأنها « كالبيت العتيق » يأمن

(١) وصاف ص ١٥٦ طبعة تيمى

(٢) الأستاذ فزوينى — سعدى نامه — هامش ص ١٠٦

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية — ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٩٤

إليها اللاجيء ويقصدها الناس من كل فج عميق، ثم يقول إنه إذا كان «اسكندر» قد أقام سداً من الحديد والقطر بينه وبين يأجوج، فإن «أبا بكر» أقام بينه وبينهم سداً من الذهب، إشارة إلى ما كان يدفعه من أتاوة وخراج، وذلك في بعض أبيات ترجمها الدكتور عزام بك في فصل له عن «سعدى» في كتاب «قصة الأدب في العالم^(١)» وترجمتها .

فمن يبيع أمناً بهذى الفتن فليس له غير هذا الوطن
 فطوبى لباب كبيت العتيق حواليه من كل فج عميق
 لقد صد اسكندر بالحديد وبالقطر - يأجوج - يبنى السدود
 وقد فقت اسكندرا في النوب أقت ليأجوج سد الذهب^(٢)

المغول في أرضه الخروقة . تصوير الموقف بين هولاكو والخليفة

وقبل تصوير ماتم بين المغول والخلافة، لا بد أن نقف عند هولاكو وحده وقفة نظطر إليها . فهذا الاسم لا يزال وقعه يدوى في آذان العالم الإسلامي، نظراً لما حيك حول شخصيته من العنف والقسوة، وما انتهى إليه مصير الخليفة والخلافة، وما أصاب بغداد وسكانها في الحصار، وما قيل عن مصير دور العلم، وخزائن الكتب، من الإحراق، أو الإغراق، أو النهب . وتحقيق هذه المسائل

(١) النظر قصة الأدب في العالم ج ١ : القسم الثاني ص ٥٠٨ . للدكتورين أحمد أمين بك وزكى نجيب محمود

(٢) گراز فتنه آید کسی در پناه
 فطوبى لباب كبيت العتيق
 سكندر بديوار روئين وسستگ
 تراسد يأجوج كفر از زراست
 ندارد جز این كنسور آراسگاه
 حوالیه من كل فج عميق
 بگرد از جهان راه يأجوج تنگ
 نه روئين چو ديوار اسكندراست



صوره للقائد المغولي « هولكو » الذي قاد الجيوس في فتح
بغداد وأزال الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ
عن كتاب « العراق بين احملاين » للأساذ على العزاوى

بشيء من الاطمئنان لا شك يحتاج إلى جهد ووقت . ونحن في معرض الحديث عن المغول وسياساتهم في الفتح ، وقهر المدن من جانب ، ورغبة في تصحيح موقف المؤرخين عن هولاء كوا بالذات من جانب آخر . نمضى في تحقيق هذه المسائل في شيء من التحفظ ، ولعلنا نصحح بعض الأحداث التي صورها الذين غالوا في تصوير المغول .

ولا بد أن ندخل في تقديرنا عند الخوض في مناقشة هذه الحوادث مسألة شعورية تأتي من داخل الإحساس الباطني . وهذا العامل نفسه هو الذي سيطر ، ولعله لا يزال يسيطر كذلك ، على الكثيرين إذا ما استمعوا لهذه الحوادث دون النظر إلى تمحيصها أو إدراك نتائجها .

فالشعور العام في الموطن الإسلامي ، أن المغول كانوا قبل أن يسلموا ، قوما كفرة بالإضافة إلى ما وصفوا به من بربرية ووحشية وعنف .

فالمواطن المسلم في أى مكان حينما يستمع إلى مجرد أحداثهم العنيفة في البلاد الإسلامية ، والتي استنزمتها سياسة الفتح نفسه وحب الانتصار — حينما يستمع المواطن إلى ما أصيب به العالم الإسلامي مها قل — لا بد أن يتملكه شعور الألم والأسف والحزن العميق لما أصيبت به الجماعة الإسلامية في هذا العصر ، ولا بد أن يشارك أخاه — إن قريباً وإن بعيداً — هذا الشعور الحزين .

هذا بالإضافة إلى مركز بغداد نفسه الذي توارثته عن الأجيال خلال القرون الخمسة الماضية ، تتضاعف فيها منزلتها جيلا بعد جيل ، وقرنا إثر قرن . كذلك زاد شعور أبناء بغداد — في مختلف العصور — مرارة على مرارة بعد أن أبعد عنها مقر الحكم ، وبعد أن أصيبت بتلك الكوارث التي جعلت منها مدينة عادية ثانوية في البيئة الإسلامية ، وتجردت عن بهاء الملك وسطوة السلطان ، فأحس بالألم لها — ولا يزال يحسه — أبناء العالم الإسلامي وخاصة قوم العراق .

فأرصادي — الشاعر العراقي المعاصر — يقول في قصيدته رثاء الخليفة و بغداد :
وقد أئخنت بغداد من بعد قتله جروح بوار جاء بالحجج الشهب
وما اندملت تلك الجروح وإنما ببغداد منها اليوم ندب على ندب^(١)
هذه العوامل كلها عندما تزدهم في خواطر الناس في البيئة الإسلامية ،
لا بد أن يصيبهم الأسف العميق لتلك الأحداث التي أصابت العالم الإسلامي على
يد المغول ، و ضاعف من أسفه وألهب شعوره زوال حضارة حملتها بغداد عبر القرون الخمسة .
هذا هو الشأن عند ما صور المؤرخون والأدباء شخصية هولاء كو في أحداث
بغداد . ونحن لا نتحيز له أو عليه ولكننا نقدم النصوص والوثائق ونستخلص منها
النتائج التي تحتلها .

وأهم ما يمكن أن يدرس في هذا الموقف ، ويسند إلى هولاء كو أمور ثلاثة :
أولاً — هولاء كو وسياسته مع الخليفة .
ثانياً — هولاء كو وسياسته إزاء بغداد ورجالها .
ثالثاً — هولاء كو وسياسته إزاء مكنتبات بغداد ونهايتها .

أولاً — هولاء كو وسياسته مع الخليفة

ونحن على ضوء ما دونه المؤرخون المعاصرون لهذه الحوادث ، وما لسناه من
تصويرهم ، لا نستطيع أن نخلي الخليفة ورجال حكومته من مسئولية هذه الحوادث
بقدر ما صدر من سوء تصرفاتهم أو عدم تقديرهم للمسئولية .
فالعالم الإسلامي ملتهب في أتون حرب طاحنة في الشرق منه قبل سقوط

(١) العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٢٦—٢٢٧ تأليف الأستاذ عباس العزاوي .
طبعة بغداد .

بغداد بثلك قرن تقريباً ، وكلما خمدت جذوة اشتعلت أخرى ، وذلك في مملكة قوية واجهت المغول فيها جنود بواسل ، وامتدت رقعة أملاكهم أوسع مما كان له من السلطان .

ومع ذلك لم تنبه هذه الحوادث مشاعر الخليفة ، ولم توقظ غفلة رجاله ، حتى يستطيعوا أن يسلكوا سياسة أخرى غير تلك السياسة العقيمة التي وصفها المؤرخون والتي أدت إلى هذه النكبات ^(١) ، ولو تم لهم ذلك لتغير وجه التاريخ ولكن هكذا أراد الله .

وسنبين هنا أن سوء السياسة ، وسوء التدبير ، هما اللذان جريا هذه النكبات على الخلافة والخليفة ، وسنوضح أيضاً أن المغول لم تكن من سياستهم المرسومة ، ولا من سياسة هولاء كو نفسه ، أن يأخذ الخليفة والخلافة بالشدة التي صورها بعض المؤرخين ، وأن المسألة — من أساسها — لا تعدو شعوراً عدائياً نحو الفاتح المعتصب الكافر ، من جانب أولئك المؤرخين الذين لونوا هذه الحوادث ذلك التلوين القاتم .

فأما السياسة المرسومة إزاء الخليفة والخلافة فلم تكن سياسة إزالة وإفناء ، وإنما كانت سياسة مودة وسلام : وكانت هذه هي السياسة نفسها التي نهج المغول على منوالها إزاء كبار الشخصيات الإسلامية وكبار المواطنين ، فيعرف عنهم أنهم كانوا يكرمون رجال الدين أياً كان موطنهم وأياً كانت شخصيتهم ، فيذكر « الجويني » أنهم حال فتحهم سمرقند تركوا القاضي وشيخ الإسلام ، ومن تعلق بهم وقد بلغوا خمسين ألفاً ، عفوا عنهم جميعاً ^(٢) .

(١) انظر الفخرى لابن طباطبا ص ٢٤٦ . المطبعة الرحمانية والحوادث الجامعة لابن الفوطى ص ٣٢ . ووصاف ص ٣٤ وما بعدها وجامع التواريخ ص ٢٢٤ إلى ٢٢٨

(٢) جهانگشاى ص ٩٤

وكذلك كان الأمر مع كبار رجال العلم ، فقد ذكر صاحب « تليق الأخبار » أنهم طلبوا إلى « الشيخ نجم الدين كبرى » أن يخرج ولكنه أبى إلا الاستشهاد^(١) .

أما السياسة التي رسمت لهولا كوازاء الخليفة ، فتوضح مما دونه صاحب « جامع التواريخ » في تلك الخطة التي رسمها « منكوقا آن » وبعث بها إلى القائد هولا كوا ليلتزمها ، وترجمة هذه العبارة هي : « فإذا بادر خليفة بغداد بالطاعة فلا تتعرض له بأية حال من الأحوال ، فان تكبر وعصى فألقه بالآخرين . كذلك ينبغي أن تجعل راتذك — في جميع الأحوال — العقل الحكيم والرأى السديد ، وأن تكون في جميع الأمور يقظاً عاقلاً ، وأن تحثف على الرعية من التكاليف والمطالب الشاقة ، وأن ترفه عنهم . فأما الولايات التي يصيبها الخراب فعليك أن تعيد عمارتها في الحال^(٢) » .

التزم هولا كوا السير على هذا المرسوم الواضح ، ولو أدرك الخليفة هذه السياسة وما تؤديه من نتائج طيبة لاستجاب لها . ونحن نعتقد أن هولا كوا كان يبر بوعده لو أن الخليفة اصطنع سياسة مرنة ، كالسياسة التي اتبعها حاكم ولاية فارس مثلاً ، والتي أدت إلى الإبقاء على إمارته في نجوة من هذا الخضم العنيف الذي طوى في جوفه كل الحكومات التي واجهته ، والتي عارضته قبل مجيئه إلى أرض الخلافة . وبالرغم من أن هولا كوا أخذ الخليفة بالهدوء واللين ، والتزم سياسة الترفق

(١) تليق الأخبار ج ٢ ص ٢٣

(٢) جامع التواريخ ص ١٤٢ كاتومير ونص هذه العبارة « وأگر خليفة بغداد بخدست وطاعت مبادرت نماید ، اورا بهیچ وجه تعرض مرسان ، وأگر تکبر کند ودل وزیان رایک ندارد . اورا نیز بد یگران ملحق گردان ، وچنان باید که در همه أبواب عقل خرده بین و رای رزین را مقتدا و پیشوا سازی و در جميع أحوال بیدار وهو شیار باشی و رعایارا از تکلیفات و مسؤولات ناموجه آسوده و مرفه داری و ولايات خراب گشته را بحال عمارت باز آری » .

التي رسمها له «قاآن»، فان الخليفة لم يوفق إلى كسب هذه السياسة لجانبه ، وفشل في الوقت نفسه في أحكام سياسته ، وتدير أمره ، مما أدى إلى القضاء عليه وإزالة الخلافة .

فحين قدم هولاءكو منطقة قلاع « الاسماعيلية بالجبل » والتقى بهم ، وطال عليه الأمد ، ورأى في القضاء على تلك الطائفة مصلحة مشتركة بينه وبين الخلافة — وقد كانوا شوكة في ظهرها — طلب هولاءكو من الخليفة مدداً لينجز القضاء عليهم ، لكن الخليفة لم يستجب لهذا النداء ، وتحاذل عن المعونة ، وأفسد عليه الرأي جماعة من حاشيته ، ورجال دولته ، الذين لم يكونوا ليحسنوا سياسة أو تديرا^(١) .

ولما لم يسعف الخليفة هولاءكو بما طلب في القضاء على هذا العدو المشترك ، وتجاهل الأمر . بعث إليه هولاءكو خطاباً آخر يعتب فيه عليه ويحذره مغبة العداة والمناوأة ، ويطالبه بالاستماع لنصائحه إن رغب أن يظل رئيساً في دولته ، وإلا فسيرى نهايته^(٢) .

تملكت الخليفة حيرة ، واضطربت سياسته ، وتردد مشيروه ، وضيق هولاءكو الخناق عليه ، بعد أن انتهى وحده من القضاء على « الاسماعيلية » ، ولم ينفذ في إغرائه بذل المال سخياً ، أو إرسال الهدايا الثمينة . ثم كان أن أرسل الخليفة أخيراً — لما لم تجد هذه الوسائل جميعاً — بخطاب إلى هولاءكو ، رداً على خطابه ، يجمع فيه بين اصطناع القوة ، واتكاله على أمور لا يملك توجيهها . فالخلافة في نظره مؤيدة بنصر من عند الله يؤتية لها متى شاء .

(١) ابن العبري ص ٤٧١

(٢) العراق بين احتلالين ص ١٥٥ - ١٥٦

ويذكر صاحب كتاب «العراق بين احتلالين» نص هذا الخطاب نأخذ منه قوله «إننا مع علمنا أن هولاء كويتصد لنا السوء ، ولكنه يسأل من الواقفين على الأحوال بأنه ما من ملوك وسلطين قصدوا السلالة العباسية ودار السلام ، إلا كانت عاقبتهم وخيمة ، مع ما كان لهم من الصلابة والقوة ، لأن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى أبد الدهر^(١)» .

ثم يذكر طرفاً من ألوان الخلاف الذى وقع بين بعض الحكومات السابقة وبين رجال الخلافة الإسلامية فى مختلف العصور ، ويذكر انتصار الخلافة على من حاربوها وبقائها سليمة .

والواقع — كما تصوره حوادث التاريخ — لم تستقر الخلافة فى أى عهد من عهودها أو تعيش بعيدة عن التقلبات السياسية أو مطامع الملوك المجاورين لها .

فقد أصيبت الخلافة منذ عهودها الأولى بالكثير من الضعف ، أصابها فى ذاتها ، وأصابها فى مدى سيادتها ، وظلت خاضعة لموجات تتقاذفها تيارات مختلفة كان أشدها عليها ما حدث لها فى القرن الرابع الهجرى . فقد شهد هذا العصر أشد صراع عنيف واجه الخلافة العباسية ، بعد أن قامت دولة البويهيين الشيعيين ، وتمكن الأمر لهم وأخذوا ينفسون على العباسيين — أتباع المذهب السنى — حكومتهم فى بغداد ، واحتدم الخلاف بين البيتين إلى حد أدى فى النهاية إلى ذلك الشلل الذى أصاب الخليفة «المستكفى» فى تصرفاته ، وفى مملكته ، والاستهزاء به على صورة مزرية ، وإلى استباحة قصوره ونهبها ، بل أدى الأمر إلى أكثر من ذلك فسمات عيناه بأمر الخليفة الجديد «المطيع لله» .

ولما قوى نفوذ آل بويه تنازعوا السلطان فيما بينهم ، وأصيبت بغداد على

(١) العراق بين احتلالين ص ١٦٢ — ١٦٣ .

أيديهم بأكثر مما أصاب مدينة أخرى ، فاستبيحت ، ونهبت أموال الناس ، وكان مقدار ما غنموه من الأموال المعروفة عشرة آلاف ألف دينار ألف^(١) .

على أن ضعف الخلافة فيما بعد جعلها مطمئناً لكثير من الدول الأخرى التي جاءت بعد عهد آل بويه، إلى أن قدم غزو المغول فكان سيلاً طاماً جارفاً، ساعده ضعف الخليفة وتحاذله وعدم إحكام سياسته ، تلك السياسة العرجاء التي اتبعها ، وكان من بينها انصرافه إلى جمع المال وحبسه في أحواض بلغت من الاتساع حداً يصوره صاحب « تاريخ كزنده » في قوله « إن من جعلتها حوضاً بلغ خمسة أذرع في مثلها وزن كل قطعة فيه ثلاثمائة مثقال^(٢) » ذلك في الوقت الذي عاش فيه كزاً على الرعية ، وعلى الجند بصفة خاصة حتى منعهم أرزاقهم، وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض^(٣) ، وحتى آل أمرهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق وفي الجوامع ، الأمر الذي حدا بهولاً كوعندما وقع الخليفة في يده — كما تذكر الرواية — أن يتهكم عليه حين ألح الجوع به . إذ أمر بتقديم طبق مليء بالذهب ليأكل منه فلما أنكر الخليفة ذلك بقوله « كيف يمكن أن يؤكل الذهب ؟ » أجابه هولاً كوعند أن ترجمت له العبارة « إذا كنت تعرف أن الذهب لا يمكن أكله فلماذا لم تنفقه في إصلاح جيشك ورعيتك حتى تقتدي نفسك وأمتك^(٤) » .

هذه هي السياسة العرجاء التي كان يسلكها الخليفة مع هولاً كوعند رعيته . وبجانب هذا العرض التاريخي نذكر طرفاً من صفات الخليفة نفسه بما صورته

(١) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٣٤٥

(٢) تاريخ كزنده ص ٥٨٠

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠

(٤) وصف ص ٣٩

المؤرخون ونكتفي بما سجله «ابن طباطبا» في كتابه «الفخرى» «وابن العبري» في كتابه «مختصر الدول» ففيهما الكفاية في توضيح شخصيته ، بجانب إيضاح سياسته .
فيقول صاحب الفخرى « كان المستعصم رجلاً متديناً ، لين الجانب ، سهل العريكة سهل الأخلاق ، خفيف الوطأة » : ثم يستدرك بقوله « إلا أنه مستضعف الرأي ، ضعيف الظن ، قليل الخبرة ، بأمور المملكة ، مطموعاً فيه ، غير مهيب في النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور ، وكان زمانه ينقض أكثره بسمع الأغاني والتفرج على المساجرة ، وفي بعض الأوقات يجلس بمخزاة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة ، وكان أصحابه مستولين عليه ، وكلهم جهال من أراذل العوام^(١) . »

أما « ابن العبري^(٢) » فيقول وفي سنة أربعين وستمائة ببيع المستعصم يوم مات أبوه المستنصر وكان صاحب لهو وقصف ، شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء ، وكان ضعيف الرأي قليل العزم ، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول ، وكان إذا نبه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار. أما المداراة والدخول في طاعتهم وتوقى مرضاتهم ، أو تجيش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكثهم واستيلائهم على العراق — فكان يقول — أنا بغداد تكفيني ، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ، ولا أيضاً يهجمون على وأنا بها ، وهي بيتي ودار مقامي — فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب ، فأصيب بمكاره لم تخطر ببال^(٢) . »

هذه السياسة المستضعفة المتخاذلة هي التي أدت إلى تلك النهاية المحتومة فقصت عليه وانتهت بزوال الخلافة .

(١) الفخرى ص ٢٤٤

(٢) ابن العبري ص ٤٤٥

أما نهايته هو فلم يجمع فيها على أمر ويكفي أن تقول إنه كان من تقاليد المغول ألا يريقوا دمًا ملكياً^(١) . ويؤيد هذا ما أقر من فتوى أصدرها « الطوسي » في شأنه حين رغب هولاء أن يقتله فأفتى بقوله « يقتل ولا يراق دمه^(٢) » وهي الفتوى التي أشار إليها الشاعر « الرصافي » في قصيدته التي ذكرنا سابقاً بعض أبيات منها فيقول فيها :

هنالك والطوسي أفتى بقتله قروه بقتل آدب أنجع الأدب

والآراء متضاربة بين المؤرخين لا يدرك من خلالها على أى الصور قتل الخليفة أو مات ؟ وكثير من المؤرخين المعاصرين لهذه الحادثة لا يعينون نهاية أو يجمعون على رأى ، بل منهم من تضاربت آراؤه لا يستقر على واحد منها . وهكذا يقول « أبو الفداء » « ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله، فقيل خنق، وقيل وضع فى عدل ورفسوه حتى مات ، وقيل غرق فى دجله » ويختم العبارة بقوله : « والله أعلم بحقيقة ذلك^(٣) » .

« وابن طباطبا » لا يعين وجهاً فى مقتله ، ويكتفى بقوله . « ثم استشهد المستعصم فى رابع صفر سنة ٦٥٦ هـ^(٤) » .

ويذكر « ابن العبرى » أنه قتل مع ابنه الأوسط ليلاً عندما بدأ هولاء كوا فى أول رحلة من رحلاته بعد الفتح^(٥) .

والأمر كذلك بين مؤرخى الفارسية لا يجمعون على رأى . فيذكر صاحب

(١) هامش السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٤٠٩

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤

(٣) أبو الفداء ج ٣ ص ٢٠٣

(٤) الفخرى ص ٢٤٧

(٥) ابن العبرى ص ٤٧٥

« جامع التواريخ » أنه قتل مع ابنه الأكبر، وخمسة من خدمه كانوا يلازمونه ، وكان موتهم جميعاً في قرية تسمى « وقف ^(١) » .

أما « الوصاف » فيؤيد الخلاف الكثير في نهايته ، لكنه يذهب مذهب من قال إنهم أدرجوه في لبد تجنباً لسفك دمه بالسيف ، ثم قتلوه وهو في لبد ، وإن كان يخالف جميع المؤرخين مخالفة واضحة في السنة التي قتل فيها ، فيجعل الحادث في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٥ هـ ^(٢) .

وسواء أكان من تقاليد المغول ألا يسفكوا دماً ملكياً ، أو أن مركز الخليفة نفسه كان يستدعى أن يقتل على نوع مخصوص . فإننا لا نقرر رأياً بعينه في نهايته ما دمنا لم نجد وحدة في الرأي بين المؤرخين على الصورة التي انتهى عليها ، وكل ما يمكن هو أن نترك نهايته مبهمه ، كما تركها بعض المؤرخين ، إن كان قد سقط الخليفة أسيراً في أيديهم ولم يهلك في الغارة وضرب المدينة ، أو لم يغرق في دجلة إن كان قد طلب النجاة فراراً

* * *

الشاعر يرثي الخليفة ويمدح هولاءكو :

كانت إزالة الخلافة العباسية ، وسقوط بغداد ، ونهاية الخليفة ميداناً فسيحاً لكثير من الأدباء يدلون فيها كل بما يعرض له .

وقد ساهم الشاعر بنصبيه في ذلك ، فأفصح عن مشاعره بقصيدتين من غرر قصائده رثى فيهما « المستعصم » والخلافة و بغداد رثاء حاراً .

(١) جامع التواريخ ص ٣٠٤ كاترسير .

(٢) ورد هذا التاريخ في عبارة عربية بقوله : « وبه انتهت الخلافة العلية وذلك في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٥ هـ » . وصاف ص ٣٩ - ٤٠ . ولعله سهو من النساخ .

وإحدى القصيدتين فارسية تبلغ ثمانية وعشرين بيتاً تضعها «كليات فروغى»
تحت عنوان «در زوال خلافت بنى عباس» فى باب المراثى وهى قصيدة
نونية مطلعها :

آسمانرا حق بود گر خون بگرید بر زمین

(١)
بر زوال ملك مستعصم أمير المؤمنين

والقصيدة الثانية عربية من أطول قصائده ، بل لعلها أطولها على الإطلاق
سواء فى قصائده العربية أو الفارسية ، إذ تبلغ مائة واثنين وعشرين بيتاً .
ولعله رغب أن يشارك المسلمين كافة شعورهم فينشدهم قصيدة بلغتهم الدينية
المشتركة بينهم .

وتضع «كليات فروغى» هذه القصيدة تحت عنوان «فى مرثية أمير المؤمنين
المستعصم بالله وذكر واقعة بغداد» .

ومطلع هذه القصيدة :

حبست بجفنى المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطل على السكر (٢)

الشاعر يمدح هولاءكو :

وقبل أن نعرض لمدح الشاعر هولاءكو ، نذكر طرفاً مما سجله فيه بعض
المؤرخين ، ونخص بالذكر مؤرخاً معاصراً من الذين أرخوا بالعزبية ، وهو صاحب
«الحوادث الجامعة» يقول عنه : «كان على الهمة ، عظيم السياسة ، عارفاً بغوامض

(١) كليات فروغى ص ٤٨٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٤١١ .

الأمر وتدير الملك ، فاق على من تقدم بالرأى السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة ، وكان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويحزل صلاتهم ، ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم ، والتخفيف عنهم ، ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت به عادة الملوك من التكاليفات والتوزيعات وغير ذلك (١) .

ولعل هولاء كوكان — حقاً — على صفات قويمه جعلت شاعراً أخلاقياً كـ «سعدى الشيرازى» ، يعجب به ويمدحه أيضاً بعد ما ظهر له من حسن سياسته وحسن أخلاقه ، وفي نفس الزمن الذى عز عليه فيه نهاية الخليفة و بغداد فيرثيها في قصيدته السابقتين .

فنى مقال للأستاذ «محمد بن عبد الوهاب القزوينى» موضوعه «مدوحين شيخ سعدى شيرازى» يقسمه ثلاثة فصول يجعل الفصل الثالث منه بعنوان «در ذگر مدوحين شيخ از ملوك وأعيان خارج از مملكت فارس» ذكر فيه مرأى الشاعر في الخليفة و بغداد ثم ينتقل إلى الكلام على هولاء كو فيمدحه لا يرثيه .

ويقول الأستاذ عن القصيدة التى يتكلم فى شأنها إنها لا يمكن إلا أن تكون فى مدح هولاء كو نفسه . ومما يذهب إليه فى تدعيم رأيه أنها ترد فى نسخ أغلب الكليات تحت عنوان «در انتقال دولت از سلغريان بقوم ديگر» . وقد انتهى سلطان السلغريين سنة ٦٦٢ هـ بانتهاء حكم «سلجوقشاه» وزواج «ابش خاتون» من أحد أمراء المغول ودخول فارس تحت حكمهم . ويقول إن كل هذا تم فى عهد هولاء كو ثم يحتم رأيه بهذه العبارة القاطعة :

« پس أصلا وأبدا جاي هيچ شك وشبهه نيست كه مدوح شيخ در اين قصيده قطعاً وبدون أدنى تردیدی هولاء كو است ، نه آباقا ياتكو دار يا اورغون (٢) » .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٣

(٢) سعدى نامه ص ١٥٥

والقصيدة تبلغ أبياتها خمسة وأربعين بيتاً ، وتشترك مع القصيدة الفارسية التي رثى فيها « المستعصم » في القافية أيضاً . ويعرض لمدحه حتى في مطلعها في قوله :

إين سنتى برأهل زمين بود از آسمان وین رحمت جدای جهان بود بر جهان (١)
وترجمته : « هذه منة من السماء على أهل الأرض ، وتلك رحمة من الله على العالم »

ثانياً — هولاءكو وسياسته إزاء بغداد ورجالها

كانت بغداد في ظل حكم العباسيين من أكبر مدن الشرق قاطبة إن لم تكن أكبرها عامة ، فقد كانت حاضرة لعالم مترامى الأطراف يهجم إليها القاصي والداني . وكانت دار علوم كما كانت دار سياسة . ونحن نعتقد — ولعلنا لا نعدو الواقع — إذا قلنا إن منزلة بغداد التي حافظت عليها ، وما كان فيها من آثار علمية ودينية ، تجعل هولاءكو — في مثل الظروف التي قدم فيها — يتبع سياسة الترفق كثيراً في حصارها ، وفي المحافظة — بقدر الإمكان — على تراثها ومخلفاتها ، تقديراً لها ، واستجابة لشعور حاشيته من رجال المسلمين .

ولعل هولاءكو كان يقوم في نفسه تقدير شخصي لتلك المدينة العظيمة التي حملت لواء المدنية والحضارة زهاء خمسة قرون ، والتي جابت سمعتها أقطار المشرق والمغرب على ألسنة التجار الذين يجوبون ربوعه ، فيجعل منها قاعدة لحكمه الجديد في مملكته العريضة .

ويرى بعض المؤرخين أن بغداد — مع فداحة الكارثة التي حلت بها — لم تلق على يد التتار مثل الذي لقيته بلاد أخرى على أيديهم ، والسبب في ذلك هو

(١) كليات فروغى ص ٤٥٧

أن هولاء كانوا يريدون أن يحتفظوا ببغداد لنفسه ، وقد أمر فيما بعد بإصلاح بعض ما أفسدته جيوشه مثل إعادة بناء « جامع القصر » الذي كان من أكبر جوامع بغداد (١) .

على أن جهود هولاء كانوا في الإبقاء — بقدر المستطاع — على مظاهر الحضارة وخاصة في مدينة كِبغداد ، لا بد أن يحمله على أن يعمل لتنظيم الحياة سرّياً في تلك المدينة .

كذلك لم تكن له ميول دينية ظاهرة ، بل كان على العكس ، يستجيب لرغبات مستشاريه من الساميين ، ولعله — في ذلك — راعي أقصى ما يمكن أن يراعيه حاكم غالب في شعب مغلوب . كذلك راعي في سياسته بعد — أن استقرت ثورة الفتح — أن يبقى على نظام الإدارة الديني والمدني على الشكل الذي كانت عليه البلاد أيام الخلفاء .. فيذكر « ابن العبري » أن هولاء كانوا بعد أن انتهى من أمر الخليفة قوله « ثم فوض عمارة بغداد إلى صاحب الديوان والوزير وابن درنوش » (٢) . وفي « جامع التواريخ » أنه في نفس اليوم الذي استشهد فيه الخليفة أقيم على الوزارة الوزير « مؤيد الدين ابن العلقمي » وعلى وظيفة صاحب الديوان « نحر الدين الدامغانى » (٣) . ويذكر « الطوسي » في ملاحقه على « جهانگشاي » « في ذكر كيفية واقعة بغداد » أن هولاء كانوا رجل كذلك بعد أن انتهى من أمر الخليفة وأقام الوزير ، وصاحب الديوان ، وابن درنوش بأعمالهم في بغداد ، كل منهم في عمله الذي كان له (٤) .

(١) السلوك ج ١ ص ٤١٠ هامش .

(٢) ابن العبري ص ٤٧٥

(٣) جامع التواريخ ص ٣٠٦ كاتيرير .

(٤) جهانگشاي ج ٣ ص ٢٩٢

هذا من ناحية تنظيم العمل بالمدينة . فقد ظهر فيها كذلك مدى الروح التي قابل بها هولاء كوفتح مدينة بغداد ، ومعاملة رجالها بعد أن تم له الظفر .

أما أمر القتل وتقديرهم في بغداد فقد ظهر فيها المغالاة كثيراً عند المؤرخين حتى ذهب بعضهم إلى أنهم بلغوا ألف ألف وكسرا^(١) ، أو ألفي ألف^(٢) . لكن من المحقق أن هذا العدد مبالغ فيه إلى حد كبير جداً ، خصوصاً إذا لاحظنا أن هذه هي آراء المتأخرين من المؤرخين . أما الذين عاصروا هذه الحادثة فمنهم من لم يشر — قطعاً — إلى عدد القتلى كما لاحظنا في «جامع التواريخ» و«وصاف» من مؤرخي الفارسية أو عند «أبي الفداء» من مؤرخي العربية .

وأول من أشار إليها من الإيرانيين صاحب «تاريخ كزیده» إذ جعل عدد القتلى ثمانمائة ألف^(٣) . ذاهباً في هذا مذهب مؤرخ عربي آخر هو صاحب «الحوادث الجامعة»^(٤) .

وأرجح الآراء التي تؤيدها أن القتلى — كما ذهب إليه هذان المؤرخان — لم يصلوا إلى مليون . بل من المؤرخين من يجعل عدد القتلى أقل من مائة ألف فيذكر صاحب كتاب «العراق بين احتلالين» عبارة نصها «وعلى القول إنهم يبلغون ثمانين ألفاً ، كما في تاريخ «مصلح الدين اللارى» نقلاً عن «گلشن خلفا» . ثم يعقب عليها بقوله ، «ولاعبرة بقول من أبلغهم إلى ألفي ألف أو إلى ثلاثة آلاف ألف فالمبالغة ظاهرة جداً»^(٥) .

(١) الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٣٧٧

(٢) السلوك ج ١ ص ٤١٠

(٣) تاريخ كزیده ص ٥٨٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٣١

(٥) العراق بين احتلالين ص ٣٩٠

وعلى هذا فالذهاب بأن القتلى بلغوا مليوناً أو مليونين أو أكثر من ذلك هو إغراق في المبالغة ، ومزيد من تلوين التاريخ باللون الأسود القاتم ، استغلالاً لهذه الحادثة ، ومرضاة لمجاراة شعور العداة العام ضد هؤلاء الغزاة .

ثالثاً - هولاء كو وسياسته إزاء مكاتبات بغداد

وهذه مسألة أخرى توجب الكثير من الأهتمام والتحقيق ، فقد أراد المؤرخون أيضاً أن يضيفوا صورة جديدة من الصور البشعة ، يلوب تسجيلها حساسية كل إنسان ، ليشارك الناس شعور العداة نحو هؤلاء القوم ، فيعترف بعداوتهم للحضارة والعلوم ، على الوجه الذى صوروه هؤلاء المؤرخون فى مصير مكاتبات بغداد .

ونحن مع اعترافنا - إلى حد بعيد - بقسوة الأسلوب العسكرى الذى اتبع فى غزو المدن المستعصية فى مستهل أطوار الفتح الأولى ، ومع تقديرنا لآراء المؤرخين الذين عاصروهم واعتمدا عليهم فى تصوير غزوهم الأول أيام « چنگيزخان » على الصور التى عرضنا لها سابقاً . مع اعترافنا - بذلك وتقديرنا لهذا - يجب أن نفرق بين ما يستلزمه الغزو نفسه - من الوجهة العسكرية - من عنف وقسوة للوصول إلى الانتصار من أقرب الطرق وبأقل الخسائر ، وبين ما يسند إليهم من كراهية للمدنية أو الحضارة أو العلوم بشكل عام ، كراهية تؤدى بهم إلى إحراق الكتب عمداً بالنار ، أو إلقائها عمداً فى النهر ، على الصور التى ذهب إليها هؤلاء المؤرخون .

وسيدو انا - على الرغم مما يحاط به تاريخهم - أنهم كانوا يناصرون الحضارة مناصرة ساهم فيها كل فرد منهم بقدر ما امتد له السلطان ، أو طال به الحكم ، وبقدر ما اتسعت له ميوله المدنية .

ونحن هنا نعرض للتحقيق في شأن كتب مكنتبات بغداد . ومصير هذه
المكنتبات لا يعدو إحدى ثلاث .

إما أنها أحرقت عمداً أو عرضاً ، وإما أنها ألقيت كذلك في دجلة ،
وإما أنها نهبت .

ويجب — قبل أن نحوض في تحقيق هذه المسائل — أن يُعرف أننا إنما نقصد
تصحيح ما يسند للمغول فيها بدافع الفعل المتعمد المقصود لذاته ، لا الفعل الذي يقع
ولا اختيار لهم فيه ، الفعل الذي يمكن أن يسجله عليهم بعض المؤرخين .

وأول وثائق القضية — التي يستند عليها — يجب أن تؤخذ عن المؤرخين
المعاصرين أولاً ، أولئك المؤرخون الذين أرخوا لهذه الحوادث تاريخ مشاهدة
وعيان ، وتخير من هؤلاء ثلاثة من مؤرخي الفارسية ، وثلاثة من مؤرخي العربية
وكلهم ثقة عدول .

تخير من مؤرخي الفارسية ثلاثة في ترتيب زمني معاصرهم : « نصير الدين
الطوسي » في ذيله على « جهانگشاي » الذي أتمه سنة ٦٧٥ هـ في حياة « عطا ملك »
نفسه صاحب الكتاب ثم « رشيد الدين صاحب جامع التواريخ » الذي أتمه سنة ٧١٠ هـ
وقد أدرك الكثير من الحوادث أيضاً ، وكان له و« نصير الدين الطوسي » كما كان
« للجويني » من المكانة في الدولة ، والتقدير في نظر الحاكم والمحكوم ، والثقة
بهم حداً بعيداً . ثم نضم إلى هذين « وصاف الحضرة » صاحب التاريخ المشهور
« تاريخ وصاف » والذي أتمه سنة ٧٣٨ هـ .

وسيتبين من عرض أقوالهم في أحداث بغداد أنه لم يظهر فيها قطعاً نص يفيد
تدمير المكتب عمداً بالإحراق أو بالإغراق أو حتى بالنهب .

فأما « الطوسي » فلم يشر إلى شيء من ذلك قطعاً في الذيل المنسوب إليه ،

ولا نظن أن عبارته الموجزة هي التي استندت عدم الإلمام بذلك ، فاننا نعرف مدى اهتمامه باقتناء الكتب وتقويمها ، والسفر في طلبها ، والتفتيش على ما يتصل بالرصد خاصة (١) . وهو يبدأ العبارة في نهاية أمر بغداد بالإشارة إلى المفاوضات بين الخليفة وهولاكو ، ثم القبض على الخليفة وأولاده وأتباعه ، حتى يقول في بغداد والإغارة عليها .

« وبعد أن فرمود تاشهزغارت كردند » ثم ينتقل مباشرة إلى الحديث عن قصر الخلافة بقوله « وبادشاه بمطالعه خانة خليفه رفت » ثم يعرض لنهاية الخليفة ، وما جرى من الحديث بينه وبين هولاكو بما صورناه سابقاً حتى يقول : « چون ازغارت فارغ شدند . بعد آزيك هفته أهل شهر آمان دادند، وغنيمتها جمع كردند، وچهاردهم صفر پادشاه آذرشهر كوچ كرد، وخليقه را طلب فرمود » (٢) وترجمة هذه العبارة « حينما انتهوا من الإغارة أمنوا أهل المدينة بعد أسبوع، وجمعوا الغنائم، ثم رحل الملك في الرابع عشر من صفر من المدينة، وأرسل في طلب الخليفة ». فلم نبتين من هذا النص ما يشير — صراحة أو ضمناً — إلى ما أصيبت به مكاتب بغداد ، مع ما أسلفنا من الإشارة إلى قيمة الكتب في نظر هذا العالم .

أما صاحب « جامع التواريخ » فيفيض المقام هنا عن نقل كل النص الذي ورد في حصار بغداد ، لكنه يشير إشارة عامة إلى ما دمرته النار من الياص والأخضر مستثنياً من ذلك بيوتاً معدودة ، ثم يشارك « الطوسي » في قوله بذهاب هولاكو إلى بيت الخليفة ونص عبارته .

« وچهار شنبه هفتم صفر ابتداء قتل وغارت عام بود، ولشكر بيكار در شهر رفتند ، وتروخشك می سوختند ، مگرخانه معدودی » (٣)

وترجمة هذه العبارة: وفي الأربعاء السابع من شهر صفر ابتداء القتل والإغارة العامة

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

(٢) جهانگشای ج ٣ ص ٢٩٠

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩٨ . كاتيرير .

فع الجند في المدينة مرة واحدة ، وكانوا يحرقون الأخضر واليابس
بيوتاً معدودة » .

ونحن نلاحظ في هذه العبارة شيئين نشعر منهما مدى تحرى الدقة عند هذا
خ وهما :

(١) الانتقال في العبارة من الماضي المطلق إلى الماضي المستمر . الأول في فعل
تند ، أى اندفعوا . والثانى في فعل « مى سوختند » أى كانوا يحرقون .
(٢) في الاستثناء في قوله « مكرخانه معدودى » أى إلا بيوتاً معدودة .
ولكن لاندري كيف نجت هذه البيوت ؟ أ كان نجاتها قصداً أو أنها
ت من البعد بحيث لم تصب ؟

هذا التحفظ في التعبير أو التزام الدقة يشعر بيقظة المؤرخ واهتمامه بتسجيل
، ما وقع ، فلو قد أصيبت مكنتبات بغداد بشيء من هذا العرض له المؤرخ فيما
من الإحراق . كذلك يذكر في نهاية هذه العبارة التي تتصل بأحداث
د قوله :

« ويدشتر مواضع شريفه شهررا چون جامع خليفه ومشهد موسى جواد عليه الرحمة
نهاى خليفه سوخته شد^(١) » وترجمتها أى — « وأحرقت أكثر مواضع المدينة
ريفة كجامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة ومقابر الخلفاء » .

فهو هناك يذكر — استندراكا — ما نجا من الإحراق ، وهنا يخص بالذكر
، ما احترق ، فلم تكن مكنتبات بغداد ذات نص خاص ، بل هى مسكوت
مع ما لاحظناه من التزام الدقة في عبارته ، ولا ندري لم سكت عن الإشارة
ذلك ؟ ؟

(١) جامع التواريخ ص ٣٠٢ كاترمير .

ألأنها لم تكن من الخطورة بحيث تساوى البيوت التي قال عنها إنها نجت؟؟ أم أن الإشارة إليها— إن كانت قد احترقت— تسيء إلى سمعة المغول فتحرك الشعور ضدهم ، وقد أشار إلى ما مس الأماكن التي تعتبر مقدسة وهي جامع الخليفة ، ومشهد موسى الجواد ، ومقابر الخلفاء ؟؟

أما « الوصاف » فإنه يستطرد كثيراً على طريقته في الصناعة الشاقة ، وبالرغم من الإفاضة في كل ما عرض له ، لم نعر على نص خاص ، أو إشارة كذلك ، تلقى الضوء على هذه المسألة .

وفي عنوان له عن محاصرة بغداد وفتحها ونهاية الخليفة، يذكر أن الحصار حين امتد خمسين يوماً، واستعصت عليه المدينة، أقاموا المجانيق على المرتفعات وأعلى المنازل، وضربوها بالحجارة وقوارير النفط ، حتى صاح الأهالي بقولهم « لا طاقة لنا اليوم بمجالت وجنوده (١) » .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أمر الرسل بين الخليفة وهولاكو ، وعرض المصاهرة بين البيتين ، ولكن المصاهرة فشلت ، حتى كان يوم ٤ صفر سنة ٦٥٥ هـ (٢) فكان يوماً « عبوساً قطرياً يوماً كان شره مستطيراً (٣) » قبض فيه على الخليفة وأبنائه . ثم يشير إلى نهب المدينة ، ويفيض في تعداد ما نهب من مقتنيات الخليفة خاصة ، لكنه لا يذكر بين ما نهب شيئاً من المكتبات .

كذلك يذكر أن الجيش أصاب من هذا النهب الكثير من أدوات الترف والزينة في بيت الخليفة والنواب وأركان الحضرة ، والكثير من النقود وأصناف الحرير الأطلس والأكسون والمعتنق ، وكذلك من موارد الصين ومصر والروم ،

(١) ووصاف ص ٣٥

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن هذا التاريخ مغاير لما اتفق عليه .

(٣) من استشهاد المؤلف نفسه ص ٣٦

وخيول العرب وبغال الشام وغللمان الروم والقفجاق ، وسرارى الترك والخطا
والبربر مما لا يدخل تحت حصر .

وهكذا يمضي المؤلف في ذكر ما سلب من المدينة وقصور الخلافة ، مشيراً إلى
مع الحياة المترفة التي كان يعيش عليها في قصره ، ويجهد نفسه في تعداد الأصناف
التي سلبت دون الإشارة إلى ما أصاب مكنتبات بغداد ، كما لاحظنا عموم العبارة
التي تشير إلى استعمال قوارير النفط ، لكن لم نعرف ماذا أصيب بها ؟ ولو قد
أصيب بها المكنتبات أو تعرضت للنهب لعرض لذكرها بين ما نهب من نقد أو
حرير أو دواب أو غلمان .

وخلاصة هذه الآراء الثلاثة أنه لم يرد نص صريح عما أصيب به مكنتبات
بغداد لا عمداً ولا عرضاً ، وسكوت هؤلاء المؤرخين عن ذكر شيء يشير إلى نهاية
المكنتبات يعطينا — وحده — دليلاً سلبياً على أن المكنتبات بقيت حيث هي
لم تصب بسوء .

ومع ذلك — وكما قلنا سابقاً — تتخير أيضاً مع هؤلاء المؤرخين ، ثلاثة
غيرهم من مؤرخي العربية المعاصرين لهذه الحوادث : تتخير منهم « ابن العبري »
المتوفى سنة ٦٤٨ هـ وصاحب « الفخرى » المتوفى سنة ٧١٠ هـ وصاحب
« الحوادث الجامعة » المتوفى سنة ٧٢٣ هـ وهم أيضاً معاصرون لهذه الحوادث ،
وكتفى بأن نضع عباراتهم دون مناقشة فسنعرف منها أنها لم تعرض لأية إشارة
لما أصاب مكنتبات بغداد .

وعبارة ابن العبري « وشرع العساكر في نهب بغداد ودخل بنفسه
« هولاًكو » ليشاهد دار الخليفة ، وتقدم بإحضار الخليفة فأحضره ، ومثل بين
يديه ، وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ، ودرراً معبأة في أطباق » إلى أن يقول :

« وبقى النهب يعمل إلى سبعة أيام ثم رفعوا السيف وأبطلوا السبي »^(١).

وصاحب الفخرى يقول « وأحاط الجيش ببغداد من جميع جهاتها ، ثم شرعوا في استعمال أسباب الحصار ، وشرع العسكر الخليلي في المدافعة والمقاومة إلى يوم التاسع عشر محرم ، فلم يشعر الناس إلا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج يسمى « برج العجمى » — إلى أن يقول « وتقم العسكر السلطاني هجوماً ودخولاً ، فجرى من القتل الذريع ، والنهب العظيم ، والتمثيل البليغ ، ما يعظم سماعه جملة . فما الظن بتفاصيله ؟؟ »^(٢).

أما صاحب الحوادث الجامعة فيقول « ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، وما زالوا في قتل ونهب وأمر وتعذيب الناس بأنواع العذاب » إلى أن يقول في عبارة تشعر بما قاله صاحب جامع التواريخ في قوله « فلم يبق بين أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل ، كذلك نجت بعض بيوت منها بيوت النصارى ، وبيوت بعض التجار الذين تعرفوا على أمراء المغول أثناء غزوهم ، ودار الوزير ابن العلقمي ، ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني ، ودار حاجب الباب ابن الدواحي ، وما عدا هذا فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من كان في الآبار والقنوت ، وأحرق معظم البلد ، وجامع الخليفة ، وما يجاوره ، واستولى الخراب على البلد »^(٣).

هذه أيضاً هي النصوص التي وردت عند مؤرخي العربية في موضوع حصار بغداد وإصابة بعض بيوتها بالإحراق أو النهب . لم يرد فيها نص صريح عن مصير المكتبات إحراقاً أو إغراقاً أو نهباً .

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٤٧٥

(٢) الفخرى ص ٢٤٧

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩

أما تعميم النص عند بعض المؤرخين في قولهم «وأحرق الأخضر واليابس»^(١) أو «وأحرق معظم البلد»^(٢) فمع أنه لم يرد فيه ذكر لشأن المكتبات صراحة ، فلن يتسع النص لأن يفهم منه ذلك ضمناً، وقد كان لشأن المكتبات وتقديرها عند أمثال هؤلاء العلماء مكانة ملحوظة ، بل كان لدى الكثيرين منهم خزائن كتب شخصية ، تدل على مبلغ عنايتهم بالعلوم ، وحرصهم على جمع الكتب والاهتمام بها .

فلو تعرضت المكتبات لشيء من تلك النهايات التي أصيب بها كثير من بيوت بغداد لأمكن النص عليها صراحة ، كما نصوا على غيرها ، لأن يترك الأمر احتمالاً واستنتاجاً .

فمن أين جاءت المسألة إذن ؟

ومن أول من نص عليها ؟

ابن فهدويه أول من قال بإلقائها في الزهر

رأيه والرد عليه

لقد تشككت كثيراً وأنا أحمل هذا المؤرخ تبعة السبق في هذه المسألة ، وحملني هذا على أن أتمكن من قراءة ما بين يدي من النصوص وتفهمها ، ثم رجعت إلى غير واحد من المؤرخين المعاصرين من الإيرانيين والعرب كما مضى ، وتماديت في التحري وتتبع المسألة عند غير هؤلاء من المؤرخين حتى منتصف القرن العاشر

(١) في عبارة صاحب جامع التواريخ من مؤرخي الفارسية النظر ص ٣٩ من الرسالة .

(٢) في عبارة صاحب الحوادث من مؤرخي العربية في النص السابق .

المهجري ، لعل أجد سابقاً لابن خلدون أو معاصراً له ، ممن سبقوه بها أو جاروه فيها ، فلم أجد (١) .

ونحن نأخذ الآن في إثبات النص ومناقشته والرد عليه . وقد جاء هذا النص في موضعين ، مع خلاف في تقدير عدد القتلى (٢) .

يقول « وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعول في عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم ، ويقال أن الذي أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلثمائة ألف ، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يحصره العدد والضبط ، وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن . واعتزم هولاء كوا على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافق أهله مملكته » .

ونحن نناقش ابن خلدون ، ونرد عليه بما يأتي :

أولاً — لم يثبت من النصوص السابقة — المعاصرة والمواطنة — نص يعين نهاية المكتبة إحراقاً بالنار أو إلقاء في النهر ، أو حتى النهب . على أن مفهوم الإلقاء نفسه لم تحتمله أية عبارة وردت فيما عرضنا له من النصوص ، وقد سبق أن دللنا على أنها لم تصب بحريق . فانفراد ابن خلدون بهذا النص — مع بعده زمنياً وموطناً — وعدم مجاراته غيره من المعاصرين لهذه الحوادث ، كل هذا يحتاج منا إلى تحفظ في الأخذ برأيه .

(١) رجعت إلى أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ في المختصر والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ في السلوك ، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في أخبار الخلفاء والديار بكرى المتوفى سنة ٩٦٦ هـ في الخميس .

(٢) النص المأخوذ من جزء ٥ ص ٤٣ طبع بولاق في تاريخ هولاءكو . ويرد النص أيضاً في الجزء الثالث ص ٣٧ عند ذكر خلافة المستعصم . مع الخلاف في جعل عدد القتلى ألف ألف وستائة ألف .

ثانياً — يؤخذ من هذا النص أيضاً ، أنه فيما يتصل بنهاية الخليفة ، انفراده بجديد عن أسرنا إليهم وهو قوله « شذخ بالمعاول » أى ضرب . مع موافقته بعضهم فى أنهم وضعوه فى عدل . لكنهم لم يذهبوا فى ضربه بالمعاول مذهباً يمكن أن يستمد منه ابن خلدون النص على ذلك . فالمفهوم أنه فى هذه المسائل ناقل عن سبقه ، ولم يسبقه أيضاً من قال إنهم ضربوه بالمعاول . فانفراده بالنص على هذا النوع من النهاية ، دون الاستناد إلى رأى أقدم منه يجعل فى الأخذ برأيه تخرجاً .

ثالثاً — على أن ابن خلدون فى موضوع واحد، ومناسبة واحدة — مع اختلاف موضع العبارة فى كتابه — يضطرب فى تقدير عدد القتلى ، ولا يستقر على رأى واحد . فمرة يجعلهم ألفى ألف وثلثمائة ألف ، كما فى جزئه الخامس . ومرة يرفع هذا العدد إلى ألفى ألف وستائة ألف ، مع الاتفاق فى الموضوع نفسه ، بل فى نص العبارة نفسها، وذلك فى جزئه الثالث .

ولسنا ندرى أى التقديرين يقارب الصواب أو يجانبه ؟؟ ولا السبب الذى حدا به إلى هذا التناقض فى حادثة واحدة .

وقد بينا سابقاً مدى المغالاة فى تقدير عدد القتلى ، وكان ابن خلدون من أوائل الذين قالوا بهذا التقدير أيضاً ، مع ما فيه من المغالاة دون أن يدرك مبلغها . وهو ما أدركه « البستانى » فى دائرة معارفه ، إذ نقل نص ابن خلدون فى دائرته برمته عند الحديث عن بغداد ، ولكنه استدرك فى نهاية العبارة كثرة القتلى فقال « ولا يخفى ما فى ذلك من المبالغة الظاهرة » .

رابعاً — إن النص جاء مخالفاً لما كان متوقفاً فيما يتصل بالكتابة ، فلو قد أثبت أنها احترقت — ولو عمداً — لجاز ذلك أكثر من أن تلقى بنهر دجلة ، وهنا موضع غرابة عملية تظهر فى إتمام هذا الفعل .

أتحمل الكتب على الأكتاف والسواعد لتلقى في دجلة؟ أم تحمل على العربات فتساق ليقذف بها في النهر؟

ولو تم هذا الأمر على كلتا صورتين — بين أبصار الناس وأسماعهم — لكان حديثاً جرى في الآفاق، فكيف غاب ذلك عن المعاصرين من المؤرخين؟ وكيف امتنعوا عن ذكره؟ ولو قد حدث هذا — مع الإشارات التفصيلية التي فاضت بها كتبهم، إلى ما أحرق، وما نجا، وما نهب — وامتنعوا عن الإشارة إليه لعدوا كاتمين للوقائع المهمة التي لو حدثت في مدينة ك بغداد في مثل هذه الظروف، لأدركها كثير من الناس، وأدركها الخاصة والعامة، ولكان الحادث حديثاً جرى تداوله بين الأسماع.

خامساً — وأغرب من هذا وأمعن في الغرابة أن يتهم أمتين بهذا العمل. أمة المغول وأمة العرب، فيجعل المغول يعمدون إلى إلقاء المكتبات العربية بدجلة، تشفياً لما أصاب مكتبات المدائن الفارسية على أيدي العرب، فيصيب العرب والفرس معاً بإصابة تلك الحضارة المشتركة بينهما منذ خمسة قرون، من وقت أن دخلت العربية بينهم رسمياً، ومنذ أن كان أديبها هو الأدب الرسمي، ثم الأدب الديني.

وهل ثبت لدى ابن خلدون — وهو يؤرخ لهذه المسألة في القرن التاسع الهجري — أن العرب فعلوا هذا بمكتبات المدائن في القرن الأول الهجري، حتى يتجنى عليهم هذا التجنى أيضاً؟

سادساً — ثم هذا الاضطراب الموجود بالعبارة أيضاً. وكيف يكون ذلك؟ « واعترزم هولاً كو على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته » بعد أن سبقها عبارته « وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة » كيف يكون

هذا؟ وماذا يفيد هولاءكو — والفعل مسند إليه — من إحراقى بناء أصبح
بقاؤه — على هذا الوضع — لأمعنى له بغير ما وجد له ؟

وهل يقبل هولاءكو أن يبقى على المكان وحده بعد أن خلا من الكتب؟
لاشك أن هذا الوضع — لو تم بشقيه — لدل على بربرية ووحشية وسوء
تصرف ، وهذا ما لم يفهم عن هولاءكو نفسه . ثم لماذا لم يواقفه أهل مملكته على
إحراق المكان بعد أن خلا مما فيه . . . ؟؟ أقيمة المكان أغلى في نظرهم من قيمة
ما فيه . . . ؟؟ وأين كانوا وهولاءكو يأمر الجند بحملها وإلقائها في دجلة . ؟؟
وكيف إذا كان هولاءكو يذعن لآرائهم ويستجيب لرغباتهم فلم يفعل في إحراق
المكان ، كيف لا يهرعون إليه ويثنونه عن هذا الفعل الذى يصيبهم ويصيب
العالم أجمع في مدنيته ؟؟ . .

سابعاً — ومن كان أهل مملكته وحاشيته الذين يذعن لأمرهم لإشخصيتين
إسلاميتين هامتين من أجلة العلماء ، هما « عطا ملك الجويني ونصير الدين
الطوسي » اللذان كانا من أكبر الشخصيات ومن أقرب الناس إليه ، وأوثق الناس
به ، والذات بلغا من تقديره الشخصى لهما أن استجاب للأول في رغبته إيقاف
ضرب « قلاع الإسماعيلية » لينتقد مکتباتها ففعل^(١) ، وبسط للآخر في
الأمر فجعل له الإشراف على كل الأوقاف ، ليأخذ منها ما يشاء في سبيل القيام
بمهامه العلمية ، والذى أذن له في أن يجوب جميع البلاد ليجمع كتب الرصد
وغيرها مما يستفيدون منه^(٢)؟؟

ثامناً — على أننا نستطيع أن نضيف إلى هذا ما أدركه بعض المؤرخين
والنقاد في كتابات ابن خلدون التاريخية .

(١) مقدمة جهانگشای للاستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى ص . كز .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥ .

فالعروف أن مقدمة ابن خلدون هي خير إنتاجه ، وأروع ماصدر عنه ، وهي لاتزال حتى اليوم في الصفوف الأولى بين مؤلفات علم الاجتماع .

أما كتاباته التاريخية فلم تكن صحيحة المنهج ، مستقيمة الحوادث ، بل سلك فيها مسلك الجمع والاختصار أحياناً أو الإضافة أحياناً أخرى ، وقد صور الحوادث الماضية تصويراً كيفما اتفق ، وقد رأينا بعض مظاهر اضطرابه في تسجيل ظاهرة واحدة ، في مكانين مختلفين من كتابه . ومن هنا كانت مكانة تاريخه — بين كتب التاريخ — أقل من مكانة مقدمته بين كتب الاجتماع ، فبينما ترتفع المقدمة إلى الذروة ، ينخفض مؤلفه في التاريخ إلى حد يجعل الثقة به ضعيفة .

ومن هنا أيضاً كانت مكانة ابن خلدون بين علماء الاجتماع تفوق مكانته بين علماء التاريخ . والشيء الذي يمكن أن يعتمد فيه على تاريخ ابن خلدون — بشيء من الاطمئنان — هو ما كتبه عن دول المغرب في موطنه ، أو الأحداث المعاصرة له .

تاسعاً — ونستطيع أن نضيف إلى هذه الآراء مارآه بعض المؤرخين في كتابي ابن خلدون « المقدمة والتاريخ » .

يقول بارتولد في كتابه « تاريخ الحضارة الإسلامية » عن مقدمة ابن خلدون « ان المقدمة المشهورة التي وضعها لكتابه في التاريخ العام ابن خلدون الذي قام بأعمال الدولة في أفريقيا الشمالية ومصر في أواخر القرن الثامن ، لهي أول كتاب من نوعه في الأدب العربي ، وتجربة وحيدة لتخليص التاريخ من القصص » إلى أن يقول في تجنب ابن خلدون للآراء الحديثة التي جاء بها في مقدمته عند تطبيقها في كتابه « ولم يستطع ابن خلدون تطبيق نظريته على الأحداث التاريخية كما حدث لكثير من أصحاب النظريات في الأزمان القديمة والحديثة . » ثم يمضي في المقارنة بين المقدمة والكتاب .

مقدمة « ابن خلدون » كمقدمة «ديودورس» تشبه جداراً مزخرفاً لواجهة جميلة،
 فاذا أخرجنا المقدمة بقي كتابه مجموعة من حوادث . فهو كجميع جامعي القرون
 الوسطى ، ينقل روايات من سبقه من المؤرخين بدون تفسير في معظم الأوقات»^(١)
 عاشراً — ومع ذلك فهناك بعض المآخذ على ابن خلدون حتى في مقدمته ،
 ويبدو في بعض آرائه تعصبه ضد العرب ، ورأيه فيهم أنهم قوم هادمون للحضارة
 وهو الرأي الذي يأخذه عنه أيضاً بارتولد^(٢) ، ويرد عليه هذا الرأي الدكتور عزام بك
 بما ملخصه : أنه وضع العرب في جانب ، وبقية الأمم في جانب آخر ، وأقام
 المقارنة بينهم ، فلم تصلح المقارنة أساساً للمفاضلة . كذلك يرى أن ابن خلدون لم
 يلتزم السير على خطة واحدة حين نظر إلى البيئة وتأثيرها وإلى الجنس وتأثيره ،
 وخلط بين الإثنين في التأثير في الحضارة^(٣) .

هذه هي مناقشاتنا لآراء ابن خلدون والرد عليه.

والآن بعد أن حللنا الآراء التي عرض لها المؤرخون في إحراق المكتبات ، وناقشنا
 رأى ابن خلدون في إلقامها بدجلة ، لم يبق إلا أمر واحد محل افتراض . فلنناقشه:
 ذلك هو أن المكتبات ربما قد نهبت أو امتدت إليها يد السلب ، وهذا
 إن تم — لا يتم إلا في ظرف واحد — هو الظرف الذي اشتد فيه الحصار على المدينة،
 واختل نظام الأمن ، وأفلت الزمام من أيدي القابضين عليه ، وتنصل المشرفون
 على خزائن الكتب من تحمل تبعه المحافظة عليها ، حتى لا يدفعوا أرواحهم
 المعرضة للخطر ثمناً لها ، وفي هذا لا يخلو الناهبون لهذه المكتبات من أن يكونوا
 أحد نوعين :

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية. بارنولد . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٥٩ — ٦٠

(٢) المصدر نفسه ص ٦١

(٣) مقدمة المصدر السابق للدكتور عزام بك ص ٦ — ٧

١ - إما أنهم جماعة يفهمون قيمة الكتب ويدركون مكانتها ، وهؤلاء قد نقلوها في تلك الظروف ليستفيدوا منها - إن تمكنوا من سلبها - في أمان وهدوء ، فلا بد من المحافظة عليها بقدر الإمكان .

٢ - وإما جماعة من الرعاع والغوغاء الذين ينتهزون دائماً فرصة اختلال الأمن ، فيمدون أيديهم إلى سلب كل ما تصل إليه أيديهم ، وهؤلاء لا بد أن يتحسبوا بأنفسهم من يدركون قيمة ما امتدت إليه أيديهم ، فيدفعونها إليهم ولو بأبخس الأثمان .

وهكذا - في كلا الحالين - ينتهي الأمر إلى أن تؤول الكتب إلى أيدي عارفيها ومقدريها ، ولا تصاب الكتب نفسها بخسارة ما ، كما لا تتعرض الحضارة والعلوم بركود ، كالركود المتوقع من حرمان الانتفاع بها على الوجه الذي صوره المؤرخون إحراقاً بالنار، أو إغراقاً في النهر .

وأسلم الآراء عندي أن المكتبة - إن كانت قد تعرضت لشيء - فإنها قد توزعت أثناء الحصار، أو نقلت بعده طوعاً لرغبات المغول . وعلى أي الحالات لم يؤثر هذا أو ذاك - قليلاً أو كثيراً - في سير موكب الحضارة على الصورة التي يصورها المؤرخون .

الفصل الثاني

الحضارة والعلوم في إيران قبل عصر المغول
وأهم العوامل التي ساعدت على سيرها

على الرغم من تلك الأحداث التي صورناها سابقاً ، والتي توضح بشكل عام بعض الجوانب التي تكشف عن خططهم في الفتح . وعلى الرغم مما أصاب الأقاليم نفسها من التخريب والتدمير ، وما أصاب العلماء من التشريد والاعتزاز — على الرغم من هذا كله — كان يوجد لهؤلاء جانب لماع مشرق من الحضارة في إيران إبّان ذلك العصر .

فمن خلال النار والدمار التي خلقتها فتوحاتهم ، بزغت على العالم أنوار مشرقة في عهدهم وساهموا — بدورهم — بنصيب وافر في تأسيس الحضارة ، وعوضوا على العالم بعض ما أصابه من التدمير والتخريب . فأنشأوا الكثير من المؤسسات المدنية والاجتماعية ، وأعادوا تجديد ما اندثر منها أو تهدم ، أيا كان نوعه أو الغرض منه . كذلك أخذوا يشجعون العلماء ويرعونهم رعاية لعلهم أفاقوا فيها غيرهم ، وبخاصة من عاش منهم في إيران .

أما العوامل التي ساعدت على الحضارة والعلوم فهي ما يأتي :

أولاً — البيئة

ونحن إذا درسنا العوامل التي ساعدت على النهوض سريعاً من هذه الكبوة ، لانتسى أن نجعل في طبيعتها ما يتصل بالبيئة نفسها . فمن المؤكد أن إيران

—بطبيعة موقعها— كانت موضع تقدير ورعاية عند هؤلاء الفاتحين ، حتى أخذوا فيها عواصمهم دون غيرها . ومنذ القدم — وهذا الإقليم — يساهم بنصيب وافر في تأسيس الحضارة أو السير بها .

ولم تكن فتوحات المغول— على عنفها وقسوة مسلكها — لتغير كثيراً مما كان لطبيعة هذا الإقليم ، أو لما توارثه رجاله عبر القرون الطويلة ، والتي جعلت في مقدورهم هضم الحضارات المختلفة التي اتصلوا بها ، ثم وضعها في أثواب جديدة . وكثير من المؤرخين لا ينسون مبلغ الخدمات التي تؤديها طبائع الأقاليم في خدمة الحضارة أو في توجيهها . ويرى البعض أن هذا الإقليم كان من البقاع التي أمدت الإنسانية بكثير من العلوم والتي أفادت المدنية في بعض نواحيها ، كما كان لموقعه بالذات أثر في العلاقات بين الشرق والغرب .

ويذكر براون أن نظرة سريعة إلى خريطة هذا الإقليم تكفي لأن يفهم الإنسان أن تلك البقعة المتماسكة القديمة في مدينتها والتي تشغل المسافة بين الخليج الفارسي وبحر قزوين ، هي بمثابة الممر بين أوروبا وآسيا الصغرى من جانب ، وبين وسط آسيا وشرقها من جانب آخر ، مما جعل الغزاة يعبرون عليه من الشرق والغرب منذ أقدم العصور في طريقهم للفتح هنا أو هناك^(١) .

وهذه النظرة تثبت — على وجه عام — ما لهذا الإقليم من أثر في الحضارة بحكم موقعه ، فلا شك أنه استفاد وأفاد من ذلك فائدة كبيرة .

على أن سيل التتار بالرغم مما يوصف به من أنه كان طامياً جارفاً مدمراً ، فإنه لم يحرف كل الزرع والشجر في إيران ، ولم يذهب بالبذور كلها من هذه الأرض

الخصبة ، فنمت على الزمان بذور ، ونبتت بذور ولم تعدم إيران في عصر التتار
تقدماً في العلوم والحضارة والآداب^(١).

ثانياً - تشجيع المغول

وهناك أسباب أخرى دفعت تيار الحضارة كذلك في هذا العصر ، وشجعت
على المضي فيها ، وأهم هذه الأسباب ما يرجع إلى المغول أنفسهم.

وهنا يجب أن نفرق بين جانبين : أحدهما سياسى ، والآخر مدنى . ولأجل
أن تكون أحكامنا صحيحة على ظواهر عصر من العصور ، ينبغي أن نفصل دائماً
بين الأساليب العسكرية أو السياسية ، وما تستتبعه من عنف وقسوة تدعو لها
ضرورة الغزو ، ويدفع إليها حب الانتصار ، وبين السياسة التي توجه الحركات
العالمية أو الأدبية . فكم من العصور كانت ميداناً للتخريب والتدمير كما اقتضت
سياسة الفتح أو تثبيت السلطان ذلك . ولكنها - من جانب آخر - كانت خصبة
الإنتاج في النواحي العالمية أو في نواحي الحضارة بشكل عام.

ذلك لأن تيار الحضارة إنما يندفع في مجراه بالقوة الكامنة المتوارثة في الأمم
أو في الشعوب وطبيعة وضعها من جانب ، وبين ما ينطوى في طبائع حكماها
من جانب آخر .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الروح الكامنة في هؤلاء الفاتحين كانت - بوجه
عام - روحاً طموحة مشجعة تعمل على مساندة الحضارة ، أدركنا إلى حد
بعيد تفسير هذا التناقض الذي تبدو ظواهره في هذا العصر ، وذلك بوجود
كثير من مظاهر الحضارة بالرغم مما وصف به عصرهم بالتدمير والتخريب .

(١) مقال للدكتور عزام بك في كتاب قصة الأدب في العالم ج ٢ ص ٥٠٧

ومع ذلك فكثير من المؤرخين يردون هذا إلى عوامل مختلفة :

فيرى بارتولد « أن زعم المؤرخين بأن الحياة المدنية لم تدم إلا في البلاد التي نجت من هجمات المغول زعم خاطيء » . ثم يمضى فيقول « فتحت بلاد متحضرة بأيدي قوم لم يتجاوزوا بعد درجة تقديم الإنسان قرباناً ، وضرب — أحياناً — جميع الناس بالسيوف حين الاستيلاء على المدن ، ولم ينج من الموت إلا الصناع الذين يحتاج إليهم الفاتحون على أن يكونوا أسرى » . ثم يستطرد فيقول « فالذين شاهدوا أمثال هذه المشاهد الخيفة ظنوا بالطبع أن إصلاح تلك البلاد من جديد يحتاج إلى آلاف السنين » . ويعود فيعقب على هذا بقوله : « والحقيقة أن استيلاء المغول لم يكن شيئاً إلى هذا الحد ، وأول أسباب هذا ، أن الفاتحين لم يستوطنوا هذه البلاد ، وقد اصطحب ملوك المغول مع قواتهم العسكرية — التي لم تكن كبيرة العدد — مستشارين مدنيين للاستعانة بهم في الشؤون الادارية وفي التعمير^(١) »

على أن براون يذكّر لهم أيضاً جانباً آخر سلبياً أفادوا به الحضارة من طريق غير مباشر ، ذلك أنهم بهجتهم دفعوا بالأتراك العثمانيين من مجاهل خراسان إلى القسطنطينية فتحطمت الدولة البيزنطية وتشتت اليونان وحملوا كنوزهم إلى أوروبا . ثم أنهم باحتلالهم وفتوحاتهم ، فتحو الطريق عبر آسيا أمام السياح والرحالة أمثال « ماركو بولو » . فعرفت بذلك كل مجاهل آسيا إلى أوروبا^(٢) .

وبجانب مشاركته أيضاً مؤرخى الإسلام في قولهم إن المغول كان من سياستهم أن يبقوا على الصناع والعمال^(٣) ليستفيدوا من خبرتهم في بناء الحضارة .

(١) بارتولد . تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 442

Ibid

v. 2. p. 438 (٣)

فإنه أشار إلى مدى ما أحاط به هولاء كوعلماء عصره من الإجلال والتقدير فيقول :
«إن هولاء كونهرب بغداد وعدو الإسلام- إلى حد بعيد- كان مقصداً لاثنين
من كبار الكتاب الإيرانيين في عصره، وهما الفلكي «نصيرالدين الطوسي» والمؤرخ
«عظاملك الجويني» صاحب «جهانگشای» كما أنه في عصر «غازان» ظهر كذلك
مؤرخان شهيران هما «عبدالله فضل الله الشيرازي المعروف بوصاف الحضرة» و«الوزير
رشيدالدين فضل الله» ويعدان من أهم الكتاب الذين أرخوا بالفارسية في عصرهم^(١).

ثالثاً - عامل الزمن

ومن بين العوامل التي أدت إلى سير الحضارة العلمية في هذا العصر عامل
آخر يردده الدكتور «قاسم غني» في كتابه (تاريخ تصوف در إسلام) إلى الزمن .
فيرى أن استيلاء المغول ظهر تأثيره الكامل على سير الحضارة في القرون التي
أعقبت حركتهم ابتداء من القرن الثامن ، أما تأثير هذه الحوادث في نفس القرن
الذي ظهرت فيه - وهو القرن السابع - فلم تكن ذات خطر . فإنه كان خاتمة
لعصور النهضة التي سبقته ، ولم تنقطع فيه الحركة العلمية عن سيرها ، كما أن أعلام
الأدب والتاريخ في هذا العصر ، إنما هم ثمرة لمسير الحياة في القرون السابقة ، وعد
من بين هؤلاء الأعلام «مولانا جلال الدين الرومي ، والشيخ سعدى ، وعطا
ملك الجويني ، ورشيد الدين فضل الله ، ونصيرالدين الطوسي ، وياقوت الحموي
وابن الأثير ، ومحمداً المنشي النسوي»^(٢).

والدكتور «رضا زاده شفق» يوضح - في تفصيل - هذه الظاهرة ويردها
إلى عوامل مشتركة منها أن بذور الرقي العلمي والأدبي في إيران أخذت تنمو منذ
عهد السامانيين وبلغت بمضى الأيام مبلغ النضج والكمال ، وظهر في تلك المملكة

(١) G. Browne : A Literary History of Persia v. 2 p. 443

(٢) تاريخ تصوف در اسلام . للدكتور قاسم غني ص ٤٩٨

مئات من العلماء المبرزين في كل ناحية . فلما كانت حملة المغول نجت بعض الكتب اتفاقاً واحتفظ بمقدار منها في المدن بعيداً عن عبث الأيدي ، كما فر كثير من العلماء ولجأوا خصوصاً إلى الولايات الجنوبية من إيران وفر البعض إلى الهند وآسيا الصغرى .

كذلك يرى أن المغول كانوا حقيقة في بدء حركتهم يتعطشون لسفك الدماء لكنهم بعد أن توطنوا إيران واندمجوا في الناس ، وأخذوا يتقبلون أفكارهم ، تغيرت طبائعهم شيئاً فشيئاً ورجبوا — تدريجياً — في اعتناق المدينة الإسلامية والإيرانية^(١) .

ويكاد يلتقي مع هذا رأى آخر لصاحب كتاب « تليفيق الأخبار وتلقيح الآثار » فقد وفق هذا المؤرخ كذلك بين ما كانوا عليه من التخريب والقتل وبين التقدم العلمى الذى ظهر فى عهدهم فيذكر « أنهم كانوا يخربون ويقتلون أول ظهورهم ، لكن لم يؤخر ذلك فى انتقاص العلوم وطرد الخلل فى المعارف والفنون ، بل العلوم والمعارف جارية بعد ظهورهم على ما هى عليه قبل خروجهم ، فان خروجهم لم يكن لمعاداة الدين ولا لبغض الاسلام والمسلمين »^(٢) .

هذه الآراء المتعددة التى نظرت إلى ذلك العصر من زوايا مختلفة ، على تباين العصور والمواطن والشخصيات التى تناولتها ، تكاد تجمع كلها على فكرة واحدة وتلتقى عند رأى واحد ، ذلك أن عصر المغول — على ما كان فيه من أحداث جسام غيرت من وجه التاريخ — لم تهدم كل أسس الحضارة بل ظلت بذورها كامنة حتى إذا تهيأت لها الظروف والوسائل أثمرت وآتت أكلها . تلك الظروف التى استمد

(١) تاريخ أدبيات إيران — للدكتور رضا زاده شفق ص ٢٥٩ سنة ١٣٢١ هـ . ش طهران .

(٢) تليفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٣

منها جميعها بارتولد رأيه ، حين قال في حكمه على حضارة هذا العصر عبارته :
«وإذا كان في تاريخ إيران عهد وقف فيه الشعب الإيراني في الصف الأول
من حضارة العالم فهو العهد المغولي ، مع أن كثيراً من العلماء يذهبون إلى أن المغول
لم يعملوا في إيران غير تخريب الحضارة»^(١) .

ولعل بعض المؤرخين وقعوا في هذا الاضطراب من مقايستهم للحضارة والعلوم
مع الانقلابات التي تحدث في الأمم أو العصور ، وقيمون لهذا نظرية تكاد تكون
متسقة — في رأيهم — تلك النظرية التي تربط بين الحياتين السياسية والعلمية
ربطاً طردياً ، فكلمها وجدت ظروف تخريب وتدمير قاسوا عليها تأخير
الحضارة والعلوم .

لكن هذه النظرية ثبت فسادها بالقياس إلى هذا العصر . كما أن هناك ظاهرة
أخرى تؤدي إلى هدمها ، وهو ما ظهر في القرن الرابع الهجري في الأدب العربي .
وذلك فيما يشير إليه الدكتور عزام بك في قوله عند دراسته لعصر أبي الطيب
المتنبي : « لاريب أن العلوم والآداب تنمو وتزدهر في ظلال الأمن والرخاء
وفي رعاية الدول الرشيدة التي ترفع شأن العلماء والأدباء وتحرضهم على الجهد
والاستقصاء» . إلى أن يقول ، «ولكن نمو العلوم والآداب وازدهارها ثم ذبولها
وجفافها ، يتقلب في أطوار عديدة بطيئة لايسير الأطوار السياسية ، فإذا تمت
العلوم في أمة قوية لا تؤتي ثمارها إلا بعد زمن مديد ، وربما يوافق ازدهارها زمن
الضعف السياسي في الدولة التي تمت في ظلها» ثم ينتهي من هذا بقوله « فلا
ينبغي أن تقاس حال العلوم والآداب بالأحوال السياسية ، ولا يجوز أن تلتبس
في التاريخ مسامرة رقي العلوم وتدليلها للقوة السياسية والضعف^(٢) » .

(١) بارتولد — تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٨ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) ذكرى أبي الطيب المتنبي ص ٨—٩ للدكتور عزام بك .

هذه الشواهد في مختلف العصور ، وبين مختلف الأمم ، وتحت ظلال مختلف الحكومات ، في مختلف الأقاليم ، تهدم الرأي الذي يربط دائماً بين الحياتين السياسية والعلمية ويدعوننا لأن نحتاط في القياس على المساوية السياسية مساوية في الحياة العلمية كذلك .

وإذا كنا قد لمسنا من خلال ما تقدم بعض الظواهر التي لعبت دورها في سير الحضارة في هذا العصر . فإن هناك عاملاً آخر — عارضاً — لعب دوراً هاماً في توجيه الحضارة كذلك .

رابعاً — الانقلاب الديني وأثر الدين في توجيه الحضارة

هذه مسألة توجب الكثير من الاهتمام والعناية ، ودراستنا لأطوار تاريخهم في البيئة الإسلامية كشف لنا عن كثير من ميولهم الدينية ، تلك الميول التي تقلب بينها كثير من ملوكهم وأمرائهم .

فقد ثبت أنهم — منذ أيامهم الأولى — كانوا يحترمون رجال الدين ، وخاصة المسلمين منهم ، كما احترمو العلماء ومكفوا لهم في دولتهم ، وكثيراً ما كانوا يستجيبون لرغباتهم . فيشير صاحب «جهانگشای» أنهم عند فتحهم سمرقند في عهد چنگیزخان ، دخلوا المدينة وساقوا الرجال والنساء إلى الخارج وكانوا مليوناً إلا القاضى وشيخ الإسلام والقوم الذين تعلقوا بهم ، وقد بلغوا خمسين ألفاً عفوا عنهم جميعاً^(١) .

كذلك لم يتعرضوا لإغلاق معاهد العلم أو التدخل في التوجيه الديني ، فيذكر صاحب العراق بين احتلالين قوله « لما كان الفاتح لم يتعرض للمؤسسات الدينية أيام احتلاله كان من نتائج ذلك الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ، ومن أوضح

(١) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

ظواهرها المدارس الكبرى مثل المستنصرية والنظامية » إلى أن يقول « فصارت خيراً واسطة للشعث واستبقاء الحضارة^(١) ».

هناك إذن ظاهرة تسترعى أنظارنا هي أن المغول منذ فتوحاتهم الأولى لم يتملكهم شعور الغضب نحو المسامين أو المنشآت الإسلامية ، بل استجابوا سريعاً لإرضاء شعورهم باحترامهم وتقديرهم واتبعوا في سياستهم جانباً يرضيهم . فلم يتعصبوا لوثنيتهم أو ينتصروا للدين على دين - في طول مملكتهم وعرضها - بل أدى تسامحهم الديني إلى أن الأديان نفسها لعبت دوراً هاماً في اكتسابهم وتوجيه سياستهم ، حتى ظفر الدين الإسلامي أخيراً على تلك الأديان التي كانت تتجاذبهم .

وهذه مسألة تكاد تكون وحيدة في التاريخ العام ، ينفرد بها الدين الإسلامي وحده فلم يحدث في تاريخ الأديان أو السياسة أن انتصر دين المغلوب على دين الغالب . ويأتيام تلك الحركة كسب الإسلام كسباً جديداً عوض عليه ما أصابه ، بل أهم وأجدى من كل ما أصابه .

أما من حيث حياتهم الدينية الأولى فقد كان لهم ديانة وثنية تسمى الشامانية وكانوا مع اعترافهم بإله عظيم قاهر لا يؤدون له فروض العبادة ، وإنما كانوا يعبدون طائفة من الآلهة المنحطة وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التي كانوا يقدمون لها القرابين والضحايا ، لما كانوا يعتقدون فيها من السلطان والقدرة على الأذى ، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم^(٢) .

وبجانب ذلك وضع المغول لهم قانوناً يسمى « الياساق » أخذوا أنفسهم

(١) العراق بين احتلالين ص ٥٩٤

(٢) آرنولد. الدعوه إلى الاسلام ص ١٩١ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

بتعاليمه ، ومن ثم التزموا في معاملاتهم للأمم المغلوبة ما كان يقتضيه هذا القانون .
وفضلاً عن هذا كانت معاملاتهم لأهل الأديان تنطوي على التسامح وعدم
الفرقة بين دين ودين ، بل كان من مبادئ هذا القانون كما يشير « الجويني »
أن كل من لا يعصاهم يأمن سطوتهم ، وكانوا يباليغون في إكرام رجال الدين
فيعفونهم من الالتزامات المفروضة على غيرهم^(١) .

وهكذا كان شأن المغول منذ جنكزخان ، فقد كان يرمى في سياسته
— كما يقول براون — إلى المساواة بين كل العقائد ولا يستميل منها جانباً دون
آخر^(٢) .

على أنه مالبث أن امتدت حركة الفتح سريعاً ، وانضوى تحت لوأهم كثير
من الشعوب المختلفة ذات الديانات المتباينة من البوذيين والمسيحيين والمسلمين .
هنا نشأ صراع عنيف بين أتباع تلك الديانات وكلهم يعمل — جاهداً —
على أن يسبق غيره في اجتذاب هؤلاء إلى جانبه^(٣) .

وقد أفادت هذه الحركة كثيراً في تطور عقلية هؤلاء الحكام إلى حد كبير
وتطور روحهم الدينية على مدى الزمن ، ذلك أن بساطة دينهم — كما يرى
آرنولد — لم تجعله يقوى على أن يقاوم طويلاً جهود هذه الأديان الكثيرة
الأنواع والأصناف ذات اللاهوت المنظم الذي يملك قوة الإقناع وسد حاجة العقل .
ومن ثم كان لاتصالهم بتلك الشعوب المتباينة ذات الديانات المنظمة وصاحبة الأنواع
الأقوياء تأثير كبير في تطور هؤلاء ، فتأثروا بمدنيات تلك الشعوب ، وخرجوا عن

(١) جهانگشای ج ١ ص ١١

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2 p. 440

(٣) الدعوة إلى الاسلام ص ١٩١

بربرية بداوتهم الأولى ، حين وجدوا أنفسهم جنباً إلى جنب مع هذه الأجناس ذات الديانات الراقية^(١) .

البوذية ونشاطها :

ويظهر أن البوذية كانت أسبق الديانات المختلفة إلى أحضان هؤلاء القوم واكتسابهم إلى جانبها ، فقد كان دعاؤها من الشجاعة بحيث كانوا يجوبون ديارهم بل كانوا يقيمون المناظرات الدينية مع قساوسة الغول الشامانيين في حضرة چنگيزخان^(٢) .

وهكذا كان حكامهم الأول وقادتهم لا يمانعون في إقامة المناظرات الدينية ولو كان أتباع دينهم طرفاً في تلك المناظرة .

على أنهم مع ذلك كانوا لا يمانعون أن يؤلف جيشهم من أتباع ديانات مختلفة فيذكر صاحب كتاب أخبار الدول « أن عسكر چنگيزخان كان بين مسلمين ومشركين ويهود ولم يتعرض لأحد في دينه واعتقاده^(٣) » .

وقد أسرع بعض الحكام إلى الارتداد عن دين أجداده وآبائه واتخذوا ديناً غير دين قومهم ، وكان ذلك بطبيعة الحال راجعاً إلى جهود رجال الديانات المختلفة ، وقوة صلاتهم بالحكام ومكانتهم في المجتمع وكان أول شخص من تلك الأسرة خرج على دين آبائه واعتنق البوذية هو « قوبيلاي خان^(٤) » .

المسيحية ونشاطها :

أما المسيحية فلم تقل جهودها وجهود أتباعها عن جهود البوذية ورجالها ، بل

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ترجمه الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ص ١٩١

(٢) نفس المصدر ص ١٩١

(٣) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٤

(٤) G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 440

كانت جهود هؤلاء تتجه إلى اكتسابهم ليكونوا إلى جانبهم ضد المسلمين — العدو المشترك — وكثيراً ما كانوا يغرونهم بكل الوسائل لاكتسابهم .
واشترك المدنيون منهم مع رجال الدين في العمل سريعاً لانحيازهم للمسيحية .
فكان السياسيون يرسلون الفواكه والهدايا الثمينة من السفارات المسيحية المختلفة إلى بلاط المغول في قراقورم ، كما أن الرهبان والقسس واجهوا بشجاعة آلاف الخطاطر والمصاعب لكي يكسبوا أكبر نصر يمكن أن يعود على كنيستهم^(١) .
وسرعان ما وجد المغول أنفسهم في المسيحية شريكاً يعين في القضاء على القوة المضادة التي كانت تقاوم غزوهم .

ثم ظهر عامل جديد لعب دوراً هاماً في استمالة المغول إلى المسيحية ذلك هو نشاط الحرير في البلاط المغولي . وكان هولاء كواول مغولي تزوج مسيحية وكانت زوجته تدعى « ظفر خاتون »^(٢) . وكانت كما يقول آرنولد محببة إليه فعملت على استمالة زوجها نحو إخوانها في الدين^(٣) . كذلك تزوج ابنه « آباخان » من ابنة إمبراطور القسطنطينية .

على أن هولاء كواول ابنه آباخان لم يندفعا نحو النصرانية ، لكن نشاط الحرير ظل يسود البلاط الملكي بين المغول حتى أمكنهم إدخال أبنائهم في هذا الدين .
فيذكر براون أنه عقدت معاهدات بين المغول والمسيحيين اعترف فيها بعضهم بالمسيحية واعتنقها كثير منهم ، وبعضهم من العائلة المالكة . فهناك اثنان من خانات المغول هما « تكودار احمد وألجا يتوخدا بنده » كانا في أخريات حياتهما من المسلمين المتعصبين بينما عمدا في طفولتهما وسميا باسم نقولا^(٤) .

(١) G. Browne : A Literary History of Persia. v. 2. p. 441

(٢) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٣) آرنولد - الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٨٠ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

(٤) G. Browne : A Literary History of Persia. v. 2. p. 441

وبالرغم من أن المحاولات لاجتذاب المغول نحو المسيحية كانت مبكرة نشيطة متنوعة ، فإن هناك كثيراً من الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الجهود المتواصلة ، وأظهرت الأيام أن تلك الآمال لم تكن إلا سرايا خادعا^(١) كما يصورها آرنولد . ثم يتولى بسط الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الجهود ويرجع الكثير منها إلى الخلافات الكثيرة بين أتباع هذه الديانة من اللاتينيين والإغريق والنسطوريين والأرمن .

كذلك يرمي النسطوريين منهم — وهم الذين ظهروا أولاً في ذلك المضمار — بأنهم بلغوا درجة كبيرة من الانحطاط والجهل بكتب صلواتهم المدونة بالسريانية ، واتجارهم بالمناصب الدينية ، وعدم مبالاتهم بجمع الثروات من وراء تعليم الطقوس الكنسية ، وكانوا يؤثرون جمع المال على تعاليم الدين^(٢) .

وهكذا انتهت هذه الحركة ولم تنجح هذه التأثيرات المختلفة التي قام بها هؤلاء من التودد ، وإرسال الهدايا أو الزواج ، وامتلاء البلاط بالقسس والرهبان أو الاغراء بالعداوة المشتركة المسلمين ، من كل هذه الحركات الفتعلة التي جاءت إليهم من الخارج لا من طبيعتهم ولا من ميولهم الروحية .

الاسلام ونشاطه وكيف دخل المغول في الاسلام ؟؟

وفي تلك العبارة النزيهة التي سطرها آرنولد يبدو كيف أن الإسلام استطاع بعد كبوته أن ينهض تلك النهضة المباركة فيتغلب بتعاليمه على أولئك الفاتحين القساة في عبارته :

« ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته

(١) آرنولد. الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٨ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٣

الأولى ، وأطلال مجده التالد، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمناهضة منافسين قويين كانوا يحاولون إحراز قصب السبق في ذلك المضمار « ثم يمضى فيقول « وليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب ، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك القساة الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم ^(١) » .

ويبدو أن اضطراب المجتمع، وسطوة النساء، وبليلة الأفكار الدينية في نفس المغول، قد لعبت كلها دوراً خطيراً في هذه الحركة على العموم.

وكما تدخل حريم القصور اللأئي كن يذن بالدين المسيحي في توجيه أزواجهن أو تنصير أبنائهن ، كذلك قد لعبت المسلمات نفس الدور بل لعل المسلمات قد قمن بدور أهم وإن لم تكن في مراكز قوية تخول لهن فرض سلطانهن على المغول .

بدأت حركتهن في اجتذاب المغول إلى الإسلام منذ أن اتخذن سبايا للبلاد المغولى ، ومع ضعف موقفهن ، فانهن قمن بأدوار نبيلة شريفة كما يصفها آرنولد في قوله « لا يبعد أن تكون سبايا المسلمين قد قمن بدور هام في تحويل المغول إلى الإسلام، ويظهر أن المرأة شغلت مركزاً من مراكز الشرف والكرامة بين المغول، ويمكن أن نأتي بأمثلة كثيرة تؤيد أنه كان لها أثر ظاهر في الشؤون السياسية » .

وهكذا يمضى فيحدثنا عن قصة يبدو فيها مدى بليلة الأفكار، واضطراب العقيدة الدينية عندهم في الحادثة الآتية ، في قوله « ويحدثنا ولیم بروك أنه شاهد بنفسه

(١) آرنولد. الدعوة إلى الاسلام. ص ١٩١ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

تأثير إحدى النساء المسلمات وكيف وقف ذلك التأثير في سبيل نشر تعاليمه الدينية» ويورد عنه القصة الآتية: « وفي عيد العنصرة أتى أحد المسلمين ، عندما أخذ في شرح تعاليم الدين في أثناء حديثه معنا ، فلما سمع عن نعم الله على الناس وعن التجسد وبعث الموتى ويوم الحساب ومحو الخطايا عن طريق التعميد ، رغب في أن يعمد ، ولكن بينما كنا نعد العدة لتعميده ، امتطى صهوة جواده على حين غفلة ، قائلًا إنه لا بد من أن يذهب إلى داره لاستشارة زوجته^(١) . » .

ونحن لانستطيع أن نغض أبصارنا عن عامل آخر له أهميته بجانب ذلك . فالبيئة التي يسودها سلطان المغول إذ ذاك بيئة إسلامية ، تدب فيها روح الإسلام وتعم مبادئه بين أرجائها ، وترتبط العلاقات الاجتماعية والروحية بجانب العلاقات السياسية في تلك البيئة، ويأتلف أقوامها مع الحكام نتيجة للمعاملات العامة .

على أن المغول أنفسهم قد هيأوا لأهل تلك البيئة سلطاناً مدنياً وسياسياً بجانب ما كان لهم من النفوذ الروحي ، فرأينا كيف وفقوا في اختيار جماعة يلتقون إليهم زمام الأمور السياسية والإشراف على أقاليم بناتها ، وكيف اختاروا للمناصب الخطيرة في الدولة — وهو منصب الوزارة — أفراد أسرة إسلامية هي أسرة الجويني، يستوزرونهم ويقيمون منهم حكماً على أهم إقليم إسلامي في ذلك الوقت وهو العراق العربي، بعد زوال الخلافة تقديراً للشعور الإسلامي العام .

وقد نجحت هذه الأسرة في الفترة التي أشرفت فيها على الحكم والسلطان نجاحاً باهراً، وأدت خدمات جليلة للعالم الإسلامي وللحضارة الإسلامية بصفة خاصة لانستطيع أن ننساها ، كذلك خففوا من الأهوال التي لحقت بالعالم الإسلامي ، وفتحوا صدور الحكام على حب الرعية ، وهيأوا عقائدهم للدخول في الإسلام .

(١) آرولد الدعوه إلى الاسلام ص ٢٠١ هامش .

ومن بين ذلك لانتطيع أن ننسى جهود رجال الدين المسلمين الذين اتصلوا بالحكام، وتوثقت الصلة بينهم حتى أسسوا عقائدهم لتفهم الدين الإسلامي والدخول فيه فإتباعوا لهم بعد أن تبين أنه دين الطباع لادين الصنائع .

الأمير « تكودار » أول من أسلم

ظلت هذه العوامل تعمل في البيئة المغولية مجتمعة طوال حياتهم الأولى . وظل المغول أنفسهم في تلك البيئة الدينية القلقة تتبلبل أفكارهم، وتضطرب عقائدهم وتتجادبهم الموجات المختلفة، حتى انتهى الأمر أخيراً بأحد سلاطينهم إلى اختيار الدين الإسلامي . ذلك هو الأمير تكودار^(١) الذي تسمى بالسلطان أحمد .

ولم يطل العهد بعيداً حتى جعله غازان ديناً رسمياً للدولة في إيران — مقر حكومتهم — وإن كان ذلك بعد مدة أصابت الإسلام والمسلمين نكسة شديدة ، ما بين فترة السلطان أحمد وفترة غازان والتي بدأت بحكم أورغون .

أما كيف تم ذلك؟ فيمكن أن نلخصه فيما يأتي :

تجمعت في الفترة بين عهدي هولوكو والسلطان أحمد كل العوامل التي أدت إلى ارتداد السلطان أحمد عن دينه المسيحي واختياره الاسلام، بالرغم من أنه تنصر في طفولته وتعهد باسم « نقولا » .

وفي وثيقته إلى « قلاوون » سلطان مصر، يتضح كثير من البواعث التي حملته على اختيار هذا الدين . ونحن لانسجل هذه الوثيقة بتمامها فلا حاجة إليها هنا، ويمكن أن يرجع إليها في الكتب التي سجلتها^(٢)، ولكننا نكتفي فقط

(١) لايجمع المؤرخون على اسمه المغولي قبل الاسلام فيقول وصف بهذا الاسم ص ١٠٥ ويقول صاحب جامع التواريخ إن اسمه تاكودار ص ١٠٦ كاترمير بينما يشير أبو الفداء إلى أن اسمه بيكدارج ص ١٨
(٢) وصف ص ١٠٥

بتسجيل مقدماتها القيمة لنرى في استهلاكها كيف تخير السلطان أحمد الدين الإسلامي — وكيف استطاع رجال الدين الرسميين بمراكزهم الدينية وحسن تمثيلهم لهذه المراكز أن يكسبوا إلى جانبهم هؤلاء الحكام الذين تتجاذبهم الديانات المختلفة؟ .

تلك الوثيقة التي جعلت كتاب الغريبين أنفسهم يشعرون بمدى التغيير الظاهر الذي نشأ على طبيعة المغول فيذكر آرنولد مشيراً إلى ذلك .

« وإن من يدرك تاريخ المغول ليرتاح عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفه من الفظائع ، وما سفكوه من دماء ، إلى أسمى العواطف الانسانية ، وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية ، التي كتبها « تكودار أحمد » إلى سلطان المالك في مصر ، والتي يدعش الانسان لصدورها من مثل ذلك المغولي^(١) » .

وقد حمل هذه الرسالة إلى قلاوون أكبر شخصية قضائية في الدولة لدى السلطان أحمد وهو «قطب الدين الشيرازي» أفضى القضاة^(٢) وجعل معه رسولا آخر هو « الأتابك بهلوان » كما يبدو فيها مدى اعترافه بفضل شيخ الاسلام وتقديره له ، فإنه حبيه إلى هذا الدين . يقول في المقدمة :

« أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى بسوابق عنايته ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان انصبا ، وريعان الحدائث ، إلى الإقرار برؤيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة بصدق نبوته ، وحسن الاعتقاد في أوليائه والصالحين من عباده وبريته ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠٠

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٧ . ووصاف ص ١٠٥

للاسلام . فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور الاسلام والمسلمين ، إلى أن أفضى — من أئبنا الجيد وأخمينا الكبير — نوبة الملك إلينا ، فأفاض علينا من حلل أطفاه ولطائفه ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه، وجلي هدى المملكة علينا وأهدى عقيلتها إلينا .

هذه هى المقدمة ويبدو منها أن هدايته للاسلام كان بمحض العناية الإلهية ، وأن ذلك كان منذ ريعان حدائته ، كما كان يتجاوب فى نفسه قبل الإسلام الميل إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور الاسلام والمسلمين ، حتى تسلم مقاليد الأمور فكان ذلك من فيض الله عليه .

ثم يشير إلى الدور الذى قام به شيخ الإسلام بقوله « وقد عرضنا على مارأينا من دواعى الصلاح ، وتنفيذ ما ظهر لنا من وجه النجاح ، إذ كان شيخ الإسلام قدوة العارفين ، الذى هو نم العون لنا فى أمور الدين ، فأصدرنا هذا الكتاب رحمة من الله لمن وعاه، ونقمة على من أعرض وعصاه» .

وفى الخطاب جانب سياسى لاداعى للإفاضة بالحديث عنه ، ولكن الذى يعيننا الإشارة إليه هنا، أن هذا الخطاب لم يؤد الغرض منه بين السلطانين، فاستمرت الحرب بين الدولتين ، ولم يحسم الخلاف بينهما إلا الحديد والنار على الرغم من اشتراك الدولتين فى دين واحد .

وفى رد السلطان قلاوون على السلطان أحمد يتضح كيف فشلت بينهما الوسائل لإيقاف الحرب . وقد ناقش السلطان قلاوون فى رده وثيقة السلطان أحمد وعرض أغراضها الواحد تلو الآخر وأخذ يرد عليها ردوداً مفحمة .

يقول بعد المقدمة « فإنه ورد الكتاب الكريم المتلقى بالتركيم المشتمل على النبأ العظيم من دخوله فى الدين ، وخروجه عن خالف من العشرة الأقرين . ولما

فتح هذا الكتاب فاتح الخبر المعلم المعلم ، والحديث الذى صح عند أهل الاسلام وأصح الحديث ما روى عن مسلم . توجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى فى أن يثبتته على ذلك بالقول الثابت « ويمضى فى الخطاب إلى أن يقول « والحمد لله على أن شرح صدره للاسلام وألهمه شريف الالهام ، لحمدنا الله أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المحل العالى المقام وثبت أقدامنا فى كل موقف اجتهاد أو جهاد^(١) » .

وفى هذا الخطاب أيضاً ردود على الجوانب السياسية فى خطاب السلطان أحمد كشف عن سوء العلاقات بينهما ولم ينفد شيئاً فى إيقاف الحرب أو تخفيف أعبائها بل كان رده جذوة جديدة فى أتون تلك الحرب .

فقد تلقف السلطان قلاوون آخر عبارات خطاب السلطان أحمد وهى قوله إليه « وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة فيه، شكر الله مساعينا ومهد عذرنا . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . والله الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيمن على البلاد والعباد وحسبنا الله وحده » .

تلقف قلاوون هذه الخاتمة ورد عليها بما يشعر بمدى الغيظ فى نفسه، وذلك فى قوله « وأما الاستشهاد بقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فما على هذا النسق من الود ينسج ، ولا على هذا السبيل ينبج ، بل لفضل التقدم فى الدين حقوق تراعى وإفادات تستدعى » .

ثم يختم إليه خطابه بآية قرآنية أخرى تتقدمها عبارته « سمعنا المشافهة التى حثت لسان أفضى القضاة قطب الملة والدين ، وكان منها ما يناسب ما فى هذا الكتاب من دخوله فى الدين وانتظام عقده فى سلك المؤمنين ، وما بسطه من عدل

وإحسان وسيرة مشهورة بكل لسان ، فالمنة لله عليه في ذلك فلا يشينها ولا يشيها منه بامتنان ، وقد أنزل الله على رسوله في حق من امتن بإسلامه «قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين» .

وهكذا تغلبت الروح السياسية وحب التوسع على كل رغبة في وقف القتال ولم يستند العالم الإسلامي من انتقال أحد سلاطين المغول إلى الإسلام ، بل استمر حب التوسع الاستعماري يستولى على نفوسهم ولم يحسم ما بينهما من خلاف إلا الحديد والنار كما أسلفنا .

نكسة تصيب الإسلام والمسلمين

لم تمتد الحياة طويلاً بالسلطان أحمد فقتل بعد عامين من حكمه فقد تولى عام ٦٨١هـ وقتل عام ٦٨٣هـ ، وقد فشل في سياسته من جميع النواحي ، فلم يوفق في إيقاف الحرب بينه وبين المصريين مع هذا التحول الجديد ، ولم يفكر في بسط سلطان هذا الدين وجعله ديناً رسمياً ، وهي الحركة البارعة التي تمت — فيما بعد — على يد غازان ، فأمن بها التقلبات السياسية التي تستتر وراء الخلافات الدينية .

فكان إسلام السلطان أحمد وحده دون أن يحكم هذه الحركة أو ينميها باعثاً على الثورة عليه ، أضف إلى ذلك أن نظام تولية العرش عندهم لم يكن وراثياً بل كان لمن يقع عليه الاختيار من بينهم^(١) ، أو لمن يكتب له الظفر من بين العصاة .

فلما أعلن السلطان أحمد إسلامه استغل أورغون ابن أخيه هذه الحركة وآتمه بخيانة شريعة آباءه وسلوكه سبيل العرب الذين لم يعرفهم أحد من أسلافه^(٢) .

وانتهى الأمر بأن اتفق جماعة من الأمراء — وأبناءؤه من بينهم — مع أورغون خان وقتلوه^(٣) .

(١) كانت ولاية السلطان أحمد نفسه بالاختيار الذي تم بينهم — وصاف ص ١٠٥

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٥

(٣) وصاف . ص ١٣٥ وآرنولد ص ٢٠٠

عادت الأمور الدينية بعد قتل أحمد إلى ما كانت عليه قبل إسلامه، بل اشتط الملوك منهم في معاملتهم للمسلمين، وأصر خلفاؤه الثلاثة^(١) الذين تولوا الحكم بعده على وثنيهم، واتهز المسيحيون الفرصة ليلعبوا دوراً جديداً في صرف الأسرة الحاكمة عن الدين الإسلامي^(٢) واستؤنف الصراع العنيف بين الأديان الثلاثة وخاصة بين الدينين القويين الإسلام والمسيحية .

وامتد هذا النزاع طويلاً مدى عصر «أورغون وكيخانو وبيدو» وهو قرابة اثنتي عشرة سنة، استطاع الإسلام في خلالها— على الرغم من قسوة مآلقاته أبناءه— أن يصمد خلال تلك التيارات العنيفة، وانتهى هذا الصراع آخر عهد السلطان بيدو، وكانت رأسه ثمناً لكرهيته للإسلام وميله إلى المسيحية^(٣) .

أما أعنف هذه الفترات وأقساها على الإسلام وأشدها محنة لأبنائه، فهي فترة أورغون التي أصيب فيها المسلمون والعالم الإسلامي بنكسة عنيفة في خلال حكمه الذي امتد قرابة ثمانى سنوات .

فبعد أن استقر الأمر له وقتل السلطان أحمد، وتفرغ لتنظيم مملكته، غالى في الاستبداد وأقصى المسلمين عن المناصب التي يشغلونها في القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور في بلاطه^(٤)، ومنعهم من التدخل في أمور الجيش^(٥)،

(١) نذكر هنا ثبناً يبين سنى حكم ملوك المغول في إيران منذ هولاكوك حتى نهاية القرن

هولاكو	٦٥٦ - ٦٦٣ هـ	آبافا	٦٦٣ - ٦٨١ هـ
تكودار	٦٨١ - ٦٨٣ هـ	أورغون	٦٨٣ - ٦٩٠ هـ
كيخانو	٦٩٠ - ٦٩٤ هـ	بيدو	٦٩٤ - ٦٩٥ هـ
غازان	٦٩٥ - ٧٠٣ هـ	مجدخدا بنده	٧٠٣ - ٧١٦ هـ

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٣) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2. p. 444

(٤) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ١٩٦

(٥) و صاف ص ٢٤١

بل بالغ في مظاهر العنف والاستبداد فأطاح بأسرة الجويني — كباراً وصغاراً — على صورة بشعة، وأسرف في النكايّة وأمعن فيها، فولى إدارة الدولة رجلاً يهودياً هو « سعد الدولة اليهودي ». فأصابت القوم حسرة مريرة وانطوت نفوسهم على الكراهية والبغض لهذا العهد ، وذلك الانقلاب الشنيع ، وتمكنت الحفيظة من نفوسهم للحاكم ورجاله إلى حد كبير .

ولم تكن أسرة سعد الدولة هذا ذات أصل — بالإضافة إلى يهوديته — بل كان أبوه في مبدأ أمره دليلاً بسوق الصناعة بالموصل (١) .

وقد بسط أورغون يده في شئون الدولة حتى دون الرجوع إليه ، بعد أن وثق به فارتفع شأنه وعلا نجمه ، وأذعن لأمره جميع لأمرء والحكام ، وأدخل كثيراً من أفراد أسرته في إدارة حكومات الأقاليم فأسند إدارة مدينة دار السلام إلى أخيه فخر الدولة، الذي كان يضرب به المثل في الجهل ، وجعل فارس تحت إمرة أخيه شمس الدولة ، ولو لم تكن خراسان وبلاد الروم تحت إشراف أمراء المغول أنفسهم لطمع في أن يولى عليها بعض جهاله كما يذكر الوصاف (٢) .

ولم يقتصر الأمر على مد السلطة لأسرته، بل عمل على اتساع نفوذ طائفة من بني جلدته . فقد استغل اليهود مركز سعد الدولة وتغلغوا في الحكومة ، وتورطوا في ذلك إلى حد أحفظ الناس عليه .

وقد تنذر بعض فضلاء بغداد بذلك وأشار إلى هذه الأمور بقوله (٣) :

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٨ وانظر :

G. Browne : A Literary His. of Persia v. 3 p. 32

(٢) وصاف ص ٢٣٧

(٣) نفس المصدر ص ٢٣٨ . وانظر :

G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 3 p. 32

يهود هذا الزمان قد بلغوا مرتبة لا يناهها فلك
الملك فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يامعشر الناس قد نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك
فانتظروا صيحة العذاب لهم فعن قليل ترونهم هلكوا

ولم يسعد الحظ طويلا « سعد الدولة » فأصابته نكبة أودت بحياته سريعا
وشرب من الكأس التي طالما جرعها غيره ، فتوفي من أمد له في السلطان وهو
« أورغون » . وفي أعقاب وفاته قتل سعد الدولة .

وفي تلك النهاية يقول أحد الشعراء قصيدة على وزن القصيدة السابقة ورويها
يرد عليها . نظمها الإمام العادل زين الدين علي بن صاعد ^(١) الواعظ الدمشقي .
يقول في مطلعها :

نحمد من دار باسمه الفلك هذى اليهود القروذ قد هلكوا
وفي نهايتها يشير إلى تلك القطعة المتقدمة بقوله :

هجومهم أبتغى بهجوم جنان خلد يزينا البرك
رغماً لمن قال في قصيدته تهودوا قد تهود الفلك

جاءت فترة قصيرة بعد عهد أورغون تولى فيها « كيخاتو بن أباقا » وامتد
حكمه أربع سنوات ، ثم جاء بعده ابن عمه « بيدو » وقصر حكمه فلم يجاوز بضعة
أشهر ، وقد اجتاز العالم الإسلامي فترتيهما في أمن ودعة وخاصة فترة كيخاتو ،
إذ لم يكن له اتجاه ديني يرمى إليه ويسلك في سبيله سياسة عنيفة ، بل اشتهر بشيء
من العدل وحسن السياسة يفسره هذان البيتان اللذان قيلا تصويراً لعهده :

(١) وصاف . ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . وانظر :

G. Brown : A Literary His. of Persia v. 3 p. 34

فكأنما الجود الذي عم الورى لما تضاعف عدله لم يخلق
أعدى على أسد الشرى إنصافه يلتقى فرأسه بقلب مشفق^(١)

لكن القوم تأمروا عليه وقتلوه لأنه رمى بالفسق والفجور^(٢). فاذا جاء عهد
« بيدو » آثر الدين المسيحي . وجهد في وضع العقبات في سبيل انتشار الإسلام
بين المغول، فحرم على كل شخص أن يدعو لذلك الدين أو أن ينشر عقائده بينهم^(٣).
كانت هذه الفجوة التي حدثت بين عهد السلطان أحمد وعهد غازان الذي
تولى بعد « بيدو » ميدانا للصراع العنيف بين الديانات من جديد ، وكان الدين
في ذاته سبباً لأن يدفع القوم إلى التخلص من السلطان الحاكم ، فقد كان يرجع
إلى هذا السبب قتل السلطان أحمد بسبب غيرته على الإسلام وتحيزه إليه ، كما كان
قتل « بيدو » بعد ذلك باثنتي عشرة سنة بسبب كراهيته للإسلام وميله إلى المسيحية^(٤).

غازان يسلم ويعلن الإسلام ديناً رسمياً

حين أقدم حكم غازان، أشرق على العالم—من جديد—نور الإسلام إذ يمكن له
هذا الحاكم من عدوان بقية الأديان عليه أو منافستها له وجعله دين الدولة الرسمي .
أما كيف أسلم غازان ؟ وكيف يمكن لدينه ؟ وكيف جعله ديناً رسمياً ؟ فإننا
نفرد له كلمة فيما يأتي :

بالرغم من هذه الموجات المتعارضة لم تستقر الحياة الدينية على وضع خاص
حتى أيام غازان . ولم يكن غازان نفسه بمنأى عن هذه التيارات ، فأتجهت عقيدته
أيام شبابه إلى اختيار البوذية قبل اعتناقه الإسلام^(٥) ، وقد ولاه أبوه أورغون

(١) ووصاف . ص ٢٦٧

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٢ . ووصاف ص ٢٦٨

(٣) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٤) G. Browne: A Literary His. of Persia v. 2. p. 444.

(٥) آرنولد الدعوة إلى الإسلام . ص ٢٠٠

خان هو وأخاه « خر بنده^(١) » على خراسان وجعل مشيرها أميراً كبيراً هو الأمير « نوروز » .

وخلال إقامته بخراسان — أيام كان على دين الوثنية — عمل كثيراً على تشجيع ذلك الدين ، فشيّد عدة معابد للبوذية في خراسان ، وكان يسير كثيراً بمصاحبة الكهنة الذين ينتمون إلى هذا الدين ، والذين كانوا قد وفدوا إلى فارس في جماعة كبيرة منذ بسط المغول سلطانهم في هذه البلاد^(٢) .

فلما أسند العرش إلى « بيدو » احتدم النزاع بينه وبين غازان ، فجمع هذا قوماً ممن دخلوا في طاعته من أقربائه وسار إلى قتاله ، فلما بلغ بيدو ذلك سار للقائه . ولما التقى الجمعان أدرك غازان أن لا قبل له بمقاومته ، فرأسه واصطالحا ، وعاد غازان إلى خراسان^(٣) .

وخلال هذه الأحداث لعبت شخصية أخرى دوراً هاماً في السياسة والعقيدة ذلك الدور الذي مثله « نوروز » في تهيئة السبيل إلى اعتلاء غازان العرش ، والقضاء بمعونته على كل العقبات التي اعترضته ، وتهيئته من جانب آخر إلى اعتناق الإسلام^(٤) .

وقد مالاً نوروزُ غازانَ وناداه بلقب الأمير ، وتنبأ له بأنه سيظهر لحماية عقيدة الإسلام ، وإعادتها إلى سابق مجدها ، كما أعلن له أنه إذا اعتنق الإسلام أصبح حاكم بلاد الفرس^(٥) ، على أن هذا التأثير إن يكن قد جاءه من الخارج وبدافع سياسي ، فنحن لا نستطيع أن ننسى ما كان يتجاوب في نفسية هذا الأمير من

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٨

(٢) آر نولد . الدعوة إلى الإسلام . ص ٢٠٠

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٣

(٤) و صاف . ص ٣١٦

(٥) آر نولد — الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠١

القلق في عقيدته الدينية ، وأنه كان من الذين يفكرون دائماً في المسائل الدينية ، بل لم يكن من البساطة وسهولة الانقياد بحيث يتحول من دين إلى دين ، ومن عقيدة إلى عقيدة لجرد عامل خارجي أو دافع سياسي .

وبهذا يشير آرنولد في قوله « إن غازان كان بطبعه يميل إلى تقلب نظره في المسائل الدينية ، لأنه درس عقائد الأديان المختلفة المنتشرة في زمانه ، واعتاد أن يقيم مناظرات مع أئمة كل من هذه الأديان » ثم يمضي آرنولد في الرد على الذين اتهموا غازان أنه إنما دخل الدين الإسلامي استجابة لإلحاح بعض الأمراء والمشايخ وتوسلاتهم بهذا التساؤل الذي يليه .

« ويسأل من يتصدى للدفاع عن عقيدة غازان الوثنية . أى شعور خطير يمكن أن يثير اهتمام حاكم في مثل هذه القوة والنفوذ فيلهمه بتبديل دينه ؟ بل قل اهتمام أمير قام أسلافه الوثنيون بغزو العالم^(١) .»

على أنه ما كاد غازان يعلن إسلامه الرسمي في يوم مشهود، من أبصار الناس وأسماعهم، حتى اهتزت له من جديد أفئدة القوم، وأيد الله دينه بنصر من عنده، وأدخل فيه جنوده وأتباعه ومن رغب فيه . وقد بلغوا كما يذكر « وصابف » مائتي ألف^(٢) . ولسان حاله كما يتمثل « قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

وكان أول عمل لغازان بعد إسلامه أن وطد للعقيدة الإسلامية الجديدة بين قومه وشعبه ، فجعله الدين الرسمي للدولة . بحيث أصبح خلفاؤه من بعده يدينون كذلك بالإسلام .

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٢) وصابف ص ٣١٧

مظاهر الحضارة

في عصر المغول بإيران

ونحن لا نتبع كل ألوان الحضارة وآثارها في عصرهم ، بل يكفي أن نشير إلى اهتمامهم بنوعين منهما :

١ — الحضارة المعمارية . ٢ — الحضارة العلمية .

أولاً — الحضارة المعمارية

والشيء الذي يسترعى النظر ، ويسجل لهم بكثير من التقدير ، أنهم كانوا محبين للتعمير ، ويكاد يذهب القدماء والمحدثون إلى ذلك ، فقد رأينا الكثيرين من المؤرخين يقولون عنهم — منذ فتوحاتهم الأولى أيام چنغيزخان — إنهم أبقوا على الصناعات والفنانين ومهرة العمال الذين كانوا يجدونهم في المدن المفتوحة ، ثم يبعثون بهم إلى بلادهم الأصلية ليواصلوا هناك إنتاجهم تحت إشرافهم ورعايتهم .

لم يكن هذا قاصراً على شخص منهم دون شخص ، بل كان ذلك شبيه سياسة عامة ساروا عليها منذ عهدهم الأول .

ومع أن چنغيزخان — موحد أسرة المغول — لم يكن على ثقافة تشهد له بسابق الاطلاع على حضارات الأمم أو ثقافتها . لكنه — كما تشير الروايات — كان على حظ وافر من النبوع الفكري ، وسرعة الاستجابة لكل ما يستفاد منه .

فيذكر صاحب « أخبار الدول » عنه أنه « كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه أسس بفكره قواعد لو أدركه الاسكندر ودارا لما وسعهما إلا اقتفاء أثره ، كما اخترع لنفسه قواعد في الملك ، وأمر عقلاء مملكته أن يصنعوا له خطأً وقلماً فصنعوا له قلم المغول ، ورتبوا له كتاباً سماه الياسق الكبير ^(١) » .

ويظهر أن موطنهم الأصلي كان يستهويهم كثيراً إلى حد أنهم كانوا يشفقون على حياة الفنانين والصناع أو أرباب الحرف بوجه عام حتى لقد رحلوا عنهم إلى تلك البقاع النائية — حيث موطنهم الأصلي — مهما بلغ عددهم . فيذكر « سيد أمير علي » أنهم في مدينة سمرقند بعد أن أباحوها وقتلوا سكانها أبقوا على ثلاثين ألفاً من أمهر صناعها ^(٢) وأرسلهم جنكيز إلى أبنائه في الشمال والشرق . ثم يمضي فيوضح القصد من ذلك في قوله « وهو عنايتهم بتجميل مسقط رأس الغازي » .

وقد احتملت بلاد مملكة « خوارزم شاه » وخراسان كثيراً من هذا العناء ، فالذين نجوا من أبنائها حرموا من الحياة فيها . فيذكر « الجويني » أنهم حين قدموا مدينة خوارزم ، وتم لهم فتحها ، أرسلوا أرباب الحرف من بنينا إلى بلاد المشرق ، وهناك — كما يقول — مواضع كثيرة من تلك الجهات عامرة بأهل خوارزم ^(٣) . وكانت هذه الاتجاهات تسير لدى المغول وكأنما تتم في شكل سياسة عامة . فيذكر بروان أن المغول إذا أبقوا على حياة أحد من سكان مدينة أذعنتم لهم ، فإنما ليستفيدوا من مهارته ^(٤) أو ليستخدموه ضد أبناء جنسه في ميدان القتال .

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٤

(٢) سيد أمير علي — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي — ص ٣٣٧ ترجمة الأستاذ رياض رأفت .

(٣) جهانگشاي — ج ١ ص ١٠١

(٤) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2 p. 434

ومع هذا فقد أدت هذه الحركات العنيفة أيضاً إلى أن يفر — خوف الأسر وسوء المعاملة — كثير من الصناع والعلماء من وجه الغول إلى الجهات التي يمكن أن يحتتموا بها . فكما ذكرنا سابقاً لجأ بعضهم إلى الولايات الجنوبية من إيران واستظلوا بحكامها ، كذلك قد هرب كثيرون منهم إلى الأقطار التي تقع في الغرب من حركتهم ووفد إلى مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية كثير من الصناع والفنانين^(١) .

أما المنشآت التي يمكن أن تسند إليهم في مملكتهم أو داخل الممالك الإسلامية فنشير منها إلى ما عرض له بعض المؤرخين :

فيذكر صاحب «جهانگشای» — أن قآن حينما انتهى من حروبه مع الخطا شيد عاصمة له تعرف «بقرقورم» أحضر لها الصناع وأر باب الحرف من بلاد الخطا وبلاد الإسلام ، وجعل لها بضعة أبواب . أحدها خاص بالملك ، والثاني لأولاده والثالث للخواتين ، والرابع للعامة^(٢) .

وبجانب ذلك كانوا يشيدون بعض ما فيه مظاهر الترف والراحة لأنفسهم فقد طلب قآن أن تقام له عاصمة أخرى يأوى إليها في الربيع ، فشيدها له المهندسون السامون وأطلق عليها «قرشى سودى» يصفها الجوينى أنها ببناء جميل مرتفع ، زين بأنواع النقوش الجميلة ، وأعدت فيها الفرش ، وهي له فيها عرش ، وشقت إليها قنوات المياه^(٣) .

على أن حظ العائثر الإسلامية لم يكن بأقل من حظ العائثر الأخرى . بل اعل الاهتمام بها كان كثيراً ، فقد جدد ما اندرس منها أو أصابته يد التدمير ، كما

(١) الدكتور زكى محمد حسن — الفنون الإيرانية ص ٢٩ طبعة دار الكتب الثانية .

(٢) جهانگشای ج ١ ص ١٩٢

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٣

استحدثوا الكثير منها . فيذكر صاحب جامع التواريخ ، أن أورغون أعاد تجديد مكان يسمى « باغ منصوریه » بعد أن درست وعفت آثارها (۱) .

ويشير الجويني أنه بالغ في تجميلها حتى كانت الجنان تغير منها، وحتى كانت مضرب المثل في جمالها عند الشعراء فتغنوا بها (۲) .

على أن سياسة التعمير كانت في ميولهم حتى منذ وثبتهم الأولى ، ولم يفرقوا في هذه السياسة بين دين ودين ، فكانوا يبادرون بتجديد ماخر به أيديهم سواء أكان من العماير الدينية أو المنشآت العامة ، فيذكر الجويني وينقل عنه صاحب جامع التواريخ أن هولاء كو بلغ مكاناً يسمى « خبوشان » وكان عاصمة أصابها التخریب ، وتوقفت عنها موارد المياه ، وتهدمت جدر المسجد الجامع بها . ولما كانت من رغبات المللك — كما يقول الجويني — الليل إلى التعمير ، عرض عليه أمر هذه المدينة ، فأصغى لرأيه وأمر أن يعاد تجديدها وعمارها ، وإقامة الأسوار بها ، وخفض عيش الرعية ، كما أن كل ما أنفقه عليها كان من خزائنه الخاصة ، ولم تتحمل الرعية شيئاً منها، فعاد إليها أهلها بعد أن هجروها سنوات (۳) . وقد ساهمت السيدات أيضاً في إقامة المنشآت ، بل بالغن في تقدير شعور الرعية

(۱) جامع التواريخ ص ۱۸۲ . كاترير .

(۲) جهانگشای ج ۳ ص ۱۰۴ - ۱۰۵

(۳) جهانگشای ج ۳ ص ۱۰۵ . ولنص عبارته «واز آنجا کوچ بود، تا بخبوشان رسیدند وآن قصبه ایست که از اول خروج لشکر مغول تا این سال معطل وخراب مانده بود، وبنیه واماکن آن بیاب گشته، وتمامت کاریزها بی آب شده چنانکه بیرون دیوارهای مسجد جامع دیوار برپای نبود . و بیشتر از آن سکان و رعایای آن ربعی از آن قصبه را بیع کرده بودم . چون هوس و میل پادشاه بعمارت خرابیها مشاهده افتاد، قضیه این قصبه عرضه داشتم . پادشاه آن سخن را اصغافرمود ، وبتأسیس عمارت کاریز و رفع آببنیه و نصب بازار و خفض عیش رعایا و جمع ایشان یرلیغ داد . چنانکه هرچه در عمارت آن صرف می شد از خزانه نقد فرمود تا بر رعایا حمل نیفتد . . . »

فأمرن ببعض المنشآت العلمية والدينية . فيذكر عن أم هولاء كو ، وكانت تسمى «سرقنتى» أنها شيدت مدرسة عالية مشتملة على ثلاث طبقات ببخارى وقفت عليها أوفافا لاتعد ولا تحصى مع ميلها إلى النصرانية على ما قيل وفوضتها إلى الشيخ « سيف الدين البخارزى »^(١) .

أما المنشآت العامة فقد عني بها تجديداً أو إنشاء ، ففي دائرة المعارف الإسلامية مادة تبريز ، أنه أنشئ بها في عهدهم مسجد ومدرستان ، إحداها للشافعية والأخرى للحنفية ، وبيارستان ومرصد كالموجود بمراغة . ومكتبة ومكان للدواوين ، ومكان يسكن فيه المشرفون على هذه المنشآت ، وصهرميج لشرب المياه ، وحمامات مزودة بالماء الساخن ، وحسبت أوقاف تبلغ جملتها مائة تومان من الذهب للاتفاق منها على المنشآت^(٢) .

وهكذا كانوا يبذلون في إرضاء الناس ، وإرضاء أصحاب المذاهب المختلفة في العقيدة الإسلامية . كذلك يذكر عن السلطان « خدابنده » أنه عندما أسلم كان يأخذ في جميع أسفاره خيمتين يدرس في إحداهما على المذهب الحنفي والأخرى على المذهب الشافعي ، وتسميان بالمدرسة السيارة ، وكان طعام الطلبة ووظائفهم من مطبخه وخزائنه ، وكان يخدم بنفسه الشيخ علاء الدين السمناني^(٣) .

وقد اهتم الجويني كثيراً بالتخفيف على الرعية والمساهمة فيما يعود عليها من وسائل الترفيه والرعاية . ففي أحداث سنة ٦٧٠ هـ يذكر صاحب الحوادث الجامعة أن علاء الدين الجويني أمر بعمارة موضع في شهر جعفر من أعمال واسط سماه

(١) تفتيح الأخبار ج ٢ ص ٢٤

(٢) مادة تبريز ص ٥٤٥ من الترجمة .

(٣) تفتيح الأخبار ج ٢ ص ٢٤

« المأمّن » وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً ، وانتقل إليه خلق كثير . كذلك كانت زوجته تساهم في إنشاء العماير والمدارس ، فقد ذكر هذا المؤلف في حوادث سنة ٦٧١ هـ أن المدرسة التي أمرت بإنشائها قد تكاملت في تلك السنة ووقفها على الطوائف الأربع ^(١) .

على أنه إذا كان حظ المنشآت الدينية والمنشآت الاجتماعية — التي تعيد حياة المجتمع الإنسانى — كبيراً اهتم به كثير من ملوكهم ووزرائهم ، فإن المنشآت الأثرية والمنشآت العلمية لم يكن حظها بأقل من ذلك .

فقد كانت العماير الإسلامية تعرف بضخامتها وعظمتها ، ونالت القباب التي تحتوى الأضرحة كثيراً من عناية سلاطين الإسلام في مختلف الدول ومختلف العصور ، فقبرة محمود بن سبكتكين في غزنه والسلطان سنجر السلجوق في مرو قبل هذا العصر كانتا من أكبر العماير الإسلامية وأخفهما وأروعها .

فاذا امتد الزمن إلى عهد المغول فقد مكن لسلاطينها من بسطة الحياة والترف والرخاء ما جعلهم ينفقون بسخاء على تلك العماير والمنشآت .

فيذكر عن غازان أ. ه سنة ٦٩٩ هـ عقد العزم على أن يتخذ مدينة « شام » مقراً لراحته الأبدية ، فشيّد بها بناء أكثر ارتفاعاً من الكغنبند الذي ابتناه السلطان سنجر في مرو ، وكان يعتبر — حينذاك — أكثر الأبنية ارتفاعاً في العصر الإسلامى ^(٢) .

وننتهى من هذا إلى الإشارة بما ذكره الدكتور زكى محمد حسن فيما يتصل بحركة المغول وتأثيرها على فن العمارة بقوله :

(١) الحوادث الجامعة — ص ٣٧٢

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٥٥ من الترجمة .

« والواقع أن التخريب الذي ينسب إلى غارات المغول، بولغ في نتائج بعض المبالغة. فقد حدث حقيقة أن كسدت صناعة البناء وتهدمت عمائر كثيرة وهاجر الصناع والفنانون إلى آسيا الصغرى وإلى مصر» ويمضى في عبارته إلى أن يقول: «ولكن ما فعله المغول وتيمور وخلفاؤه في سبيل الفن وتشجيع الفنانين يجعلنا نعز الطرف عما حدث في حروبهم الأولى من تدمير واضطهاد^(١)» .

ثانياً - الحضارة العالمية

كانت حركة المغول في أولها - كما صورنا سابقاً - مثاراً لهجرة القوم من أوطانهم فراراً من هول الغزو وخشية أن يقعوا طعمة للسيف والقتل ، ورأينا أن هذه الحركة دفعت في طريقها كثيراً من العلماء والمحققين ورجال الأدب إلى الفرار من موطنهم والاتجاه إلى الدول التي يظنون الاحتماء بها .

كذلك قلنا إن بعض الولايات الإيرانية - وخاصة الجنوبية منها - حافظت على سيادتها ودخلت في طاعة الغزاة . وأمنت هول الغزو وشره ، وكانت بمثابة الحرم الآمن لجأ إليها الكثيرون من رجال العلم والأدب ، وكانت أهم هذه الولايات هي ولاية فارس التي كان على حكمها «سعد بن زنگي» واستخلفه عليها ابنه «أبو بكر» في طلائع تلك الحركة .

أما من حيث روح الغزاة أنفسهم بالنسبة لكبار الشخصيات والمبشرين في الدول التي فتحوها وخاصة بآيران ، فإنها كانت روح مسالمة ، سلكت في الإبقاء عليهم منهجاً سليماً لا غبار عليه ، وبهذا فتحو الطريق أمام موكب الحضارة

(١) السنون الابرائية - للدكتور زكي محمد حسن - ص ٣٠ طبعة دار الكتب .

ليسير في الاتجاه الذي رسمته له الظروف ، وكثيراً ما كانوا يستجيبون لرغبات كبار الشخصيات ، حتى في أخرج الظروف وأشق المواقف .
ومنذ أيامهم الأولى ، وهم يعملون على الاندماج في الجماعة الإسلامية ، ويتخيرون من بينهم رجالاً يقومون بتوجيه شئون الدولة .

فهذا « فآن » ولما تستتب الفتوحات بعد أو يستقر له الغزو ، نراه ينصح « أورغون خان » — وقد ولاء شئون الدولة — أن ينتخب جماعة لمعونه في تدير شئونها . فتم اختياره على ثلاثة هم ابنه المسمي « كراى ملك ، واحمد بيتكجى — الكاتب — والصاحب علاء الدين عطا ملك » (١) .

ثم تظهر مع الأيام شخصية علاء الدين ، ويبدو نفوذه عند الحكام والقادة فينصاعون لمشورته ويأخذون بأرائه ، فقد أذعن له هولاً كو عند فتح قلاع الاسماعيلية في إنقاذ المكتبات ، كما أسلفنا ، وقام بنواح كريمة للتخفيف عن الرعية وساهم بنصيبه في إذكاء الحياة العلمية .

وبالرغم مما أصيب به هذا العصر من أحداث ، شهد وفرة من أجلة العلماء الذين برعوا في مختلف العلوم والفنون ، سواء أ كانت من العلوم النظرية أو العملية أو المدنية ، وهذا يدل على أن البيئة نفسها ، وحسن معاملة الحكام للرعايا والعلماء بصفة خاصة ، كانت تهيء لهذه السكثرة التي نلاحظها ، طيب الحياة وحسن الإنتاج .
وبما لاشك فيه أن بعض العلوم قد نالت رعاية الحكام لها أسبق من غيرها ، وهي العلوم التي تتصل بالحياة العملية ، فقد اتجه همهم — بادىء ذى بدء — إلى التعمير والإنشاء ، وتشجيع العلوم التي تساعد عليها .

(١) جامع التواريخ ص ١٦٤ . كاتيرير .

ويذكر بارتولد أنهم لم يبالوا بالعلوم الدينية — بالطبع — قبل الاسلام ، ولكنهم اجتهدوا لإنهاض حياة المدن، وترقية الصناعة والتجارة، مراعين في ذلك منافعهم، الخاصة وقاموا بحماية العلوم ذات الخطورة العملية كالطب والرياضة والهيئة^(١) .

كما يجاريه في هذا الرأي تقريباً — مؤرخ شرقي آخر هو صاحب كتاب « تليق الأخبار » فيشير إلى أنهم كانوا منكمبين على العلوم والفنون خصوصاً الرياضيات منها ، وذلك قبل فراغهم من فتح البلدان^(٢) .

أما المنشآت العلمية التي تشير إلى هذا النوع من العلوم العملية ، والتي ظهرت مبكرة في عهد هذه الدولة ، فهو المرصد الإيلخاني الذي أنشأه هولاء كومدينة مراغه ، وذلك بمعونة العالم الرياضى « نصير الدين الطوسى » وجماعة معه^(٣) .

كان نصير الدين قبل التقائه بهولاء كويعمل لدى الاسماعيليه فى قلعة « آلموت » فى خدمة رجل من رجالهم ، فلما فتحت القلعة حضر بين يدى هولاء كوى ، وبذلك يشير صاحب « الحوادث الجامعة » بقوله « لما فتحت آلموت خرج نصير الدين محمد الطوسى وكان فى خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلى ، وحضر بين يدى هولاء كوى فخطب عنده وأنعم عليه ، فعمل الرصد بمراغه سنة ٦٥٧ هـ »^(٤) .

ويلتقى هذا المؤرخ مع صاحب « تاريخ كزیده » فى أن الرصد عمل بمعونة

(١) بارتولد — تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ . ترجمة الأستاذ هزة طاهر .

(٢) تليق الأخبار ص ٢٣ من الجزء الثانى .

(٣) تاريخ كزیده ص ٥٨١ . وعبارته . أز آثار هولاء كوى خان زيچ خانى است كه خواجه نصير الدين الطوسى ، باتفاق مؤيد الدين عروصى وفخر الدين اخلاطى وديبران قزوینى ساخته است .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٤١ .

بعض الشخصيات التي تنسب إلى جهات مختلفة ، ويتفقان كذلك على تسمية بعضها فيذكر في أحداث سنة ٦٥٧ هـ قوله « وفيها وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمرآه، وعين فيه جماعة منهم المؤيد العروضي من دمشق ، والفخر المراغي من الموصل والفخر الأخطاطي من تغليس ، والنجم ديران القزويني ، ومحيي الدين المغربي ، وكانوا يتولون عمله إلى أن انتحر في سنة ٦٧٢ هـ » (١) .

وقد امتدت سطوة هذا العالم ، ومكن له من القيام بعمله ووضعت تحت تصرفه أوقاف كثيرة كان يديرها بنفسه ، وأخذ يحوب البلاد ليجمع ما يفيد الرصد من الكتب . ففي حوادث سنة ٦٦٢ هـ يشير هذا المؤلف إلى أن نصير الدين وصل بغداد لتصفح الأحوال والنظر في أمور الوقوف ، والبحث عن الأجناد ، ثم انحدر إلى واسط والبصرة وجمع من الطرق كتباً كثيرة لأجل الرصد (٢) .

كذلك قام هذا العالم بكتابة ذيل على كتاب « جهانگشاي » للجويني ، ضمنه حوادث سقوط بغداد ونهاية الخليفة . وهو من خير ما يرجع إليه في تلك الحادثة ، نظراً لمعاصرته لها ، ولوجوده فيها ، ولمركزه العلمي والاجتماعي .

وبجانب ذلك نهض بعمل آخر يدل على براعته في الرياضة والعلوم ، فقد عمل مقابلة بين الشهور العربية والشهور المغولية ، وأثبتها في جدول قائم بذاته ابتداء من سنة ٥٩٩ هـ وهي سنة جلوس چنگيزخان حتى مائة سنة بعد ذلك مما جعل الأستاذ القزويني يشير إلى مبلغ أهميته وقيمه (٣) .

وقد برع هذا المؤلف بجانب ذلك في كثير من العلوم المختلفة ، في الإلهيات والطبيعات والمنطق والفلسفة والأخلاق . فيذكر ابن العبري هذا بقوله :

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤١ .

(٣) تعليقات جهانگشاي ج ١ ص ١٠٣ . للاستاذ القزويني .

« وفي هذا التاريخ (٦٧٥ هـ) توفي خواجه نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغه . حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة ، واجتمع إليه في الرصد جماعة من الفضلاء والمهندسين ، كان تحت حكمه جميع الأوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول ، وله تصانيف كثيرة منطقيات وطبيعيات وإلهيات أقليدس والمجسطي ، وله كتاب أخلاق بالفارسية في غاية ما يكون من الحسن ، جمع فيه نصوص أفلاطون وأرسطو في الحكمة العملية » .

ثم يمضى في هذا إلى أن يذكر بعضاً من فضلاء عصره بقوله « وكان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزويني ، منطقي عظيم صاحب كتاب العين ، ومؤيد الدين العروضي ، ونجرالدين المراغي ، وقطب الدين الشيرازي ، ومحيي الدين المغربي . ومن الأطباء المشهورين نجرالدين الأخطا ، وتقي الدين الحشائشي^(١) .

العناية بالعلوم التاريخية وأهم المؤلفات فيها

لحق علم التاريخ عناية كبيرة من الحكام ، وتفتحت الحياة لرجال التاريخ كما تفتحت صدور الحكام لهم ، وتقلب أغلبهم في كثير من المناصب الرفيعة ، وابتسم لهم الحظ ، ونال بعضهم مركز الوزارة ، وتمكن هؤلاء بحكم مناصبهم في الدولة أن يشاهدوا الأحداث ، وأن يلموا بها إلام عيان ، كما فتحت لهم أبواب خزائن الكتب وزودوا بكل ما يطلبون ليقوموا بأعمالهم العلمية على الوجه الذي يرتضيهم .

وهناك كثرة ملحوظة من الكتب القيمة التي ألفت في ذلك العصر — القرن السابع الهجري — والتي تعتبر عمدة المراجع التاريخية باللغة الفارسية فيما دار خلاله من حوادث ، وهي في ذاتها دليل فاطح على ما كان عليه سادة الحكم من رغبة صادقة في تشجيع العلم ، والتوسع على العلماء ، وإبلاغ بعضهم أسمى المناصب .

(١) ابن العبري ص ٥٠١

وقد أشار كثير من مؤرخي الآداب الذين عرضوا للحديث عن هذا العصر إلى هذه الظاهرة في معرض كلامهم على الحركة العالمية .

فيذكر الدكتور عزام بك في الفصل الذي كتبه عن حالة الأدب في عصر المغول عبارته « والذي يشير إعجاب المؤلف في هذه الحقبة . التأليف التاريخي وحده، فقد عنى التتار بتسجيل أخبارهم وتدوين مآثرهم وتعريف الناس بسير آبائهم ، فألفت كتب في التاريخ هي أحسن ما أنتجه عصر من عصور إيران » (١)

بل كانت هذه الظاهرة موضع غرابة كذلك عند الأستاذ القزويني . ففي مقدمته على جهانگشای يقول « ومن الغريب أن فن التاريخ في عهدهم نال رواجاً ملحوظاً، وارتقى رقيماً عظيماً، ودونت فيه أحسن الكتب التاريخية (٢) » .

وبمثل هذا يذهب الدكتور رضا زاده شفق في كتابه « تاريخ أدبيات إيران » في قوله « إن بعض فروع العلوم — وخاصة ما يتصل منها بفن التاريخ — قد كان لها شأن عظيم (٣) » .

وقد ذكر الأستاذ القزويني في مقدمته على « جهانگشای » أهم الكتب التاريخية التي ظهرت في هذا العهد، وجعل في مقدمتها ذلك الكتاب ، وكتاب « جامع التواريخ » وكتاب « وصال » وكتاب « تاريخ گزيده » وغيرها . ثم يخص بالذكر الثلاثة الأولى ويفاضل عليها كتاب تاريخ جهانگشای (٤) .

(١) قصة الأدب في العالم ج ٢ ص ٥١٣ . للدكتورين أحمد أمين بك وزكي نجيب

(٢) جهانگشای ج ١ ص د من المقدمة .

(٣) تاريخ أدبيات إيران . للدكتور رضا زاده شفق ص ٢٥٩ . سنة ١٣٢١ هـ . ش . طهران

(٤) مقدمة جهانگشای ج ١ ص ٥ .

وعبارته : « شك نيست كه مهمترين اين كتب على الاطلاق سه كتاب — يعني جهانگشای وجامع التواريخ ووصاف — وتاريخ جهانگشای برآندوی زمانا — وشايد رتبة — سمت تقدم دارد » .

ولما كان لهذا الكتاب — كما أشهد الأستاذ القزويني — مكانته العلمية بين مؤلفات هذا العصر . فإننا سنخصه بكلمة ، ونشير إلى شيء من تاريخ حياة صاحبه .

وليس يحملنا على هذا مكانة الكتاب بين غيره من الكتب فحسب ، بل هناك كثير من المزايا التي لم تتوفر لغيره من الكتب التي ألفت في ذلك العصر ، كما أن هناك كثيراً من الاعتبارات التي تحملنا على أن نفرّد كلمة لصاحبه وذلك لما يأتي :

١ — إن صاحبه — كما أشرنا — دخل في وظيفة المغول مبكراً وتنقل في مملكتهم بحكم مركزه ، وشارك في مشاهدة كثير من الوقائع ، والتقى بكثير من الشخصيات في رحلاته، وجمع الكثير من المعلومات عن تاريخهم .

٢ — يعتبر هذا الكتاب أنفس وأيسر الكتب التاريخية ، وهو خير مثال للأدب المنشور في ذلك العصر بجانب قيمته العلمية ، فمؤلفه أديب بارع جمع إلى مكانته العلمية، بساطة التعبير وسهولة الأداء ، والابتعاد عن الأسلوب المزخرف ، الذي أصيب به غيره من المتأخرين عنه أمثال الوصاف . ولهذا يعتبر ذلك الكتاب أهم نموذج للنثر في عصره .

٣ — لقد عاصر مؤلفه شاعرنا — سعدى الشيرازي — الذي نؤرخ له وتلاقيا ، كما كانت بينهما مودة مما سنعرض له . كذلك كان للشاعر مدائح فيه وفي أخيه شمس الدين .

ولهذا كان جديراً بأن نفرّد له ولمؤلفه كلمة دون غيره .

كتاب جهانگشای :

وهذا الكتاب نشره الأستاذ القزويني « في سلسلة هاجب » وقدم له، يقع

في ثلاثة مجلدات تشمل النواحي الآتية :

١ — المجلد الأول: وفيه ديباجة طويلة ، وفصل في عادات المغول وقوانينهم القديمة ، ثم فصل في القوانين التي وضعها جنكيز والتي تعرف باسم « الياسا » ثم يتحدث المؤلف عن تاريخ جنكيز وخروجه وفتوحاته في بلاد ما وراء النهر وإيران ، وإزالة مملكة خوارزمشاه وغيرها ، ثم فصل في تاريخ ابنه أوكتاي قا آن وابنه كيوك خان . وينتهي بفصلين مختصرين عن حياة جوجي وجفظاي ابني جنكيز

٢ — المجلد الثاني: ويشعر فيه مباشرة في تاريخ ملوك خوارزم ويبسط الكلام فيما يتصل بسلاطينهم الأخيرين ، وخلال هذا الفصل يأتي على شيء من تاريخ ملوك الترك الكفار في بلاد ما وراء النهر وتركستان ، وملوك الترك المسلمين ، وفي آخر هذا المجلد يعرض لتاريخ حكام المغول وولاتهم على إيران من عهد أوكتاي قا آن إلى مجيء هولاء .

٣ — أما المجلد الثالث فيبدأ بتاريخ منكو قا آن الذي تولى سنة ٦٤٩ هـ . ثم تفصيل حركة هولاء كو على بلاد إيران وقعه الاسماعيلية ثم يبسط الكلام في تاريخ اسماعيلية « آلموت » حتى انقراضهم على يد هولاء .

وهناك ملحق يتصل ببعض نسخ المجلد الثالث في شرح واقعة بغداد كتبه « نصير الدين الطوسي »

ولصاحب جهانگشاى رسائل أخرى — بالإضافة إلى كتابه المذكور — فله رسالة تسمى « تسلية الاخوان » ضمنها تصوير الحن التي أصابته من وشاية اصطنعها « مجد الدين اليزدى » ثم رسالة أخرى لا يعلم عنوانها ألفها بعد الرسالة الأولى ، وهي متممة لها .

ويذكر الأستاذ القزويني أن منها نسخة بالكتابة الأهلية بباريس وذلك في مقدمته على جهانگشاى .

وبالإضافة إلى هاتين الرسالتين له بعض مكاتبات ورسائل ضمن مجموعة من رسائل « منتخب الدين بديع » السكاتب الجويني .

قيمة هذا الكتاب بين المؤلفات ومدى الرجوع اليه

أثبت الأستاذ القزويني في مقدمته على جهانگشای كثيراً من الكتب العربية والفارسية التي رجعت إلى هذا الكتاب والتي استعانت به في كثير من موضوعاته وفصوله .

فمن نقلوا عنه من العرب « أبو الفرج غرغوريوس بن هرون الطيب المالطي المعروف بابن العبري » المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . وهو من النصارى اليعقوبيين المقيمين بمراغه، والذين كانوا معاصرين لعطا ملك الجويني، وله تاريخ عام مطول بالسريانية ويقول عن مؤلف جهانگشای إنه عديم النظير ، كما يذكر أن كل ما يتصل بتاريخ الخوارزمشاهيين والاسماعيلية والمغول — مما أثبتته في كتابه — مأخوذ من جهانگشای ، وكذلك في مؤلفه الآخر بالعربية المسمى « تاريخ مختصر الدول » الذي اختصره من مؤلفه الكبير السرياني .

ومن أخذوا عن جهانگشای من مؤلفي العربية « ابن طباطبا » الذي ألف كتابه « الفخرى » سنة ٧٠١ هـ واقتبس منه عدة فقرات في كتابه .

وهناك كتاب آخر بالعربية يقع في عشرين مجلداً « لشهاب الدين أحمد بن فضل الله السكاتب الدمشقي » المتوفى سنة ٧٤١ هـ . يسمى « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » نقل في الجزء الثالث منه عدة فصول من جهانگشای مترجمة إلى العربية ومنها فصل بعنوان « ذكر خروج چنگيزخان وابتدای انتقال دولت وممالكت ملوك جهان بدو » وفصل آخر بعنوان « ذكر أبناء چنگيزخان » مطابقان لما في مسالك الأبصار .

أما الكتب الفارسية فمنها كتاب « رشيد الدين فضل الله » وزير غازان وأولجايتو. المسمى « جامع التواريخ » وقد ضمنه محتويات الأجزاء الثلاثة من جهانگشای ، وبعض المواضع نقلها باختصار ، مثل تاريخ المغول في خراسان وإيران ، وأحياناً يبسط الكلام كما في تاريخ چنگيزخان منذ بدأت حياته حتى شرع في فتوح البلاد الغربية ، وتاريخ أولاده وأحفاده .

والكتاب الثاني الذي أخذ عن جهانگشای بالفارسية هو كتاب « الوصاف » مؤلفه « عبد الله بن فضل الله الشيرازي » نلخص في مجلداته الثلاثة كتاب جهانگشای من أوله إلى آخره ، وجعل الجزء الرابع من كتابه ملحقاً له ، ويصرح المؤلف نفسه في ديباجته أن كتابه ذيل لجهانگشای ، وقد شرع فيه حيث انتهى جهانگشای أي من سنة ٦٥٥ هـ وامتد حتى سنة ٧٢٨ هـ .

ويشيد « الوصاف » كثيراً في ديباجة كتابه بكتاب جهانگشای ومؤلفه ويقول في مقام التواضع :

وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنى صنفت ألف كتاب
كذلك يقول الأستاذ القزويني إن هناك بعض الكتب الأخرى التي أخذت
عن جهانگشای .

منها كتاب « البناكتي » المسمى « روضة أولى الألباب في تواريخ الأكاير والأنساب » ومؤلفه أبو سايمان داود بن أبي الفضل البناكتي ألف في حدود سنة ٧١٧ هـ .

ثم كتاب « روضة الصفا » ويقع في سبعة مجلدات ، وهو في تاريخ الإسلام وتاريخ إيران وخاصة تاريخ المغول والتموريين حتى أواخر عصر السلطان أبي الغازي حسين بيقرا ، ومؤلفه محمد بن خاوندشاه المعروف « بميرخواند » المتوفى سنة ٩٠٣ هـ .

كذلك أخذ عنه « غياث الدين خواندمير » صاحب « حبيب السير » الذى ألف فى عصر الدولة الصفوية ، وهو تاريخ عام مشهور ، سجل الحوادث من البدء حتى وفاة الشاه « اسماعيل الصفوى » ويقع فى ثلاثة مجلدات ، وتوفى المؤلف سنة ٩٤١ هـ .

حياة الجوينى وصند الشاعر به وبأخيه

اعتمدنا فى عرض حياة هذا المؤرخ الأديب على ما كتبه أيضاً الأستاذ القزوينى فى مقدمته على جهانگشای . بالإضافة إلى ما أمكن الرجوع إليه من المراجع التى سيرد ذكرها . ونحن ننتبع أهم الأحداث فى تاريخ حياته ، وتاريخ أسرته متجنبيين الاستطراد الذى لا يحتمله هذا الفصل .

كانت أسرة الجوينى إحدى الأسر القديمة المشهورة بایران . تناوبت الأعمال الهامة وتوارثتها ، فى دول السلاجقة وملوك خوارزم والمغول ، وأسندت وظيفة صاحب الديوان — وهى إدارة الشؤون المالية — إلى كثير من أفراد تلك الأسرة ، وبهذا عرف أغلب أفرادها بصاحب الديوان .

وقد ظفر بعض أعضاء هذه الأسرة بمناصب فى الدولة أعلى من ذلك ، كما كان الحال مع شمس الدين محمد ، أخى علاء الدين صاحب جهانگشای . فقد أسند إليه آباقا ابن هولاكو وظيفة (الوزير الأعظم) وجعله صاحب الكلمة المطلقة ، وكان أيسر أعماله ما يتصل بالديوان ، لكنه عرف أيضاً (بصاحب الديوان) .

وهكذا كان الشأن مع علاء الدين نفسه ، فانه بعد أن أسندت إليه إدارة حكومة العراق العربى عقب زوال الخلافة . كانت له — بطبيعة الحال — أعمال الديوان أيضاً فى تلك الولاية ، فاشتهر كذلك بصاحب الديوان .

أما نسب هذه الأسرة فيعود إلى الفضل بن الربيع — صاحب خلفاء
بني العباس — وكان هو وأبوه من قبل ، قد فوضت إليهما الحجابة والوزارة .

وأما أجداد الجويني فانهم اتصلوا بالملوك المعاصرين لهم من الخوارزمشاهيين
والسلاجقة . اتصل جده الثاني — لأبيه — بالسلطان تكش بن إيل أرسلان ،
وشاهد الحرب التي وقعت بينه وبين السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة
بولاية جوين .

كذلك اتصل خال جده هذا بالسلاجقة . وكان يسمى « منتخب الدين
بديع » كان من مشاهير كتاب عصره المقربين كثيراً للسلطان سنجر ، وجعله رئيس
ديوان الإنشاء في حكومته ، وكان له دالة على هذا السلطان ، يحضر معه مجالس
شرابه ويتندر وإياه كثيراً ، ويحكون من هذا أنه لما وقعت الحرب بين السلطان
سنجر وبين آتسز ، وقع الشاعر المشهور رشيد الدين الطواط شاعر آتسز في يد
رجال السلطان سنجر ، وكان الطواط قد هجاه هجاء لاذعاً ، فلما قبض عليه ورفع
الأمر إلى السلطان تعرض له خال الجويني هذا مستشفعاً .

وكان السلطان قد أقسم ليقطعن الطواط إلى سبعة أقسام ، فقال للسلطان
بهذه المناسبة ، إن الطواط طائر ضعيف لا يمكن تقطيعه إلى سبع قطع ، فلو تفضلت
فأصدرت أمرك بأن يقطع قطعتين ، ضحك السلطان سنجر وعفا عنه .

وكان جد الجويني — عطا ملك — يسمى شمس الدين محمداً . يشتغل أيضاً
في بلاط السلطان محمد الخوارزمشاهي ، وأسندت إليه أعمال الديوان في عهده ، وفي
عهد ابنه جلال الدين .

أما أبوه بهاء الدين محمد ، فكان ملازماً لحكام المغول وعمالمهم ، وأسندت إليه
أيضاً وظيفة صاحب الديوان ، وكثيراً ما كان ينوب عن حكام المغول في خراسان

وجميع البلاد الغربية عندما كانوا يذهبون لمقابلة الحاكم العام في موطنهم الأصلي وفي سنة ٦٣٣ هـ بعث في رسالة إلى أوكتاى قاآن، فأكرم وفادته وبالغ في احترامه وأسند إليه وظيفة صاحب الديوان في عموم المملكة .

وفي سنة ٦٥١ هـ بلغ بهاء الدين الستين من عمره ، فعزم على أن يقضى بقية حياته بعيداً عن أعمال الديوان . لكن لما كان الأمراء لم يرغبوا في اعتزاله العمل عزم على الذهاب إلى العراق ، فلما بلغ أصفهان توفى في تلك السنة .

أما عطا ملك صاحب جهانگشای . فقد ولد سنة ٦٢١ هـ ، وقد اضطلع بعمل الديوان والكتابة — كما يذكر عن نفسه — قبل أن يبلغ سن العشرين . ثم انتظم في سلك الكتاب الخصوصيين للأمير أورغون الذى تولى شئون الجانب الغربى قرابة خمسة عشر عاماً من سنة ٦٤١ هـ إلى سنة ٦٥٤ هـ وهى السنة التى قدم فيها هو لا كوا إلى إيران، وكان تحت قبضة حكمه كل البلاد التى فتحت غرب نهر جيحون . وكانت علاقة علاء الدين بالأمير أورغون فى مدة إدارته علاقة طيبة وكثيراً ما كان يصطحبه فى أسفاره أو فى ذهابه إلى حاضرة ملكهم ، وكان يقوم دائماً فى تلك الأسفار بعمل الكاتب الخاص .

وقد بكر فى اصطحابه له إلى عاصمة ملكهم بينما كان لا يزال فى السابعة عشرة من عمره ، وهناك فى « قراقورم » العاصمة أمضى عطا ملك عاماً ونصف عام فى بلاط منكو قاآن ، — وكما يقص عن نفسه — لقى من مشورة أصدقائه وتشجيعهم له أن ينهض بكتابة مؤلف يقيد فيه آثار المغول وتاريخهم ، ينسخ به آيات القياصرة ويمحو به روايات الأكاسرة^(١) .

ويبدو أن المؤلف أحجم عن القيام بهذا الموضوع ، ولكنه تحت مشورة أصدقائه وإلحاحهم نهض بهذا العبء ، خاصة بعد أن تهيأت له ظروف لم

(١) المقدمة ص كه .

تتكامل لغيره ، فإنه أمضى ما يقرب من عشرة أعوام بين بلاد المغول والممالك التي فتحوها ، ورأى بعيني رأسه كثيراً من الوقائع الهامة ، وتجمعت له — في الواقع — سبل التعرف على أخبارهم وحوادثهم سماعاً أو عياناً ، ولهذا بدأ يقيد معلوماته وملاحظاته ، وشرع في تأليف كتابه سنة ٦٥٠ هـ وانتهى منه سنة ٦٥٨ هـ .

أما في عهد هولاء فقد ظلت له أيضاً مكاتته ، وكثيراً ما كان يصاحبه في حركاته ، وينتقل معه خلال حروبه وخاصة حروبه ضد الاسماعيليين ، وكانت له أياد بيضاء في إنقاذ مكنتهم ، كما أنقذ ما فيها من آلات الرصد والآلات الأخرى .

وبعد أن أبقى على المصاحف النفيسة منها ، وبعض الكتب الهامة ، وما فيها من آلات علمية ، ترك بقية ما فيها من كتب الاسماعيلية التي تتصل بأصول مذهبهم أو فروعه عرضة للنهب أو التدمير . لكنه أنقذ منها كتاباً وحيداً هو الذي يتصل بتاريخ حسن الصباح نفسه المسمى « سرگذشت سيدنا » والذي أثبت المؤلف مختصره في كتابه المجلد الثالث ، ومنه خلاصة أكثر تفصيلاً في كتاب « جامع التواريخ » وضعها صاحبه في المجلد الثاني في تاريخ اسماعيلية « آلموت » وهذه الخلاصة التي اشتمل عليها الكتابان المذكوران لا نظير لها في غيرها من الكتب الأخرى .

كذلك صاحب هولاء كوفي فتح بغداد ، بعد أن فرغ من قلاع الاسماعيليين واتجه إليها سنة ٦٥٥ هـ . وفي سنة ٦٥٧ هـ فوضت إليه حكومة بغداد كما يصرح المؤلف في رسالته « تسليية الاخوان » وظل عطا ملك بقية مدة هولاء كوفي على حكومة بغداد . فلما توفي هولاء كوفي سنة ٦٦٣ هـ وتولى بعده أباقا جعل ممالك بغداد وفارس إلى « سوغونجاق أغا » من أمراء أسرتهم الكبار ، وجعل على بغداد علاء الدين الجويني نيابة عن « سوغونجاق » .

وخلال مدة حكم آباقا (٦٦٣ هـ - ٦٨٠ هـ) التي امتدت ثمانية عشر عاما كان علاء الدين يدير شؤون حكومة بغداد مستمداً سلطته من سوغو نجاك .

وجه علاء الدين جميع همته — خلال تلك الفترة — إلى تعمير البلاد ، وراحة الرعية ، وألقى عن كاهل الفلاحين والمزارعين كثيراً من الأعباء المالية ، وبذل جهداً مشكوراً في إنشاء القرى وإصلاح المزارع وشق القنوات ، ولم يمتد الخراب الذى أصاب بغداد والعراق العربى — بسبب حروب المغول — كثيراً . فسرعان ما دبت الحياة فيها من جديد ، وارتد إليها العمار ، واشتغل الناس بالزراعة وتضاعف دخل العراق ، وعمرت البلاد حتى صارت أكثر رخاء منها أيام الخلفاء .

وقد امتدت حكومة علاء الدين على بغداد أربعة وعشرين سنة ، أمضى ست سنوات منها في عهد هولاكو من سنة ٦٥٧ هـ إلى سنة ٦٦٣ هـ ، وقریباً من ثمانية عشر عاما في سلطنة آباقا حتى سنة ٦٨٠ هـ ، ثم قرابة عام واحد في عهد السلطان أحمد . وخلال هذه المدة وشى به كثير من أعدائه انتقاماً منه ، وقد آتت هذه الوشايات ثمارها فقضت على الكثيرين من أسرته .

نذكر من بين هذه الوشايات ما دبره صاحب الفخرى المعروف « بابن الطقطقي » . كان من مشاهير رجال المال بالعراق واستأجر بعض الأملاك بدون أجر ، فحصل بذلك على ثروة طائلة واتسع أمره شيئاً فشيئاً ، فأرسل خطاباً إلى آباقا خان يطلب عزل علاء الدين من حكومة بغداد . فأرسل « شمس الدين الجوينى » وزير المملكة الأعظم بهذا الخطاب إلى أخيه « علاء الدين » ببغداد وكتب له أيضاً خطاباً أرفقه معه ، أثبت فيه هذين البيتين :

كم لى أنبه منك مقلة نأتم يبدى سبانا كلى نهته
فكأنك الطفل الصغير بمهده يزداد نوما كلى حركته

أما الوشاية التي حيكت قبيل وفاته فقد كانت عنده من الأهمية بحيث ألف فيها رسالة خاصة سماها « تسلية الاخوان » . وعمل رسالة أخرى تعتبر ذيلًا للرسالة الأولى كتبها قبل أن تفجأه المنية بشهور .

دبر تلك الوشاية شخص يسمى « مجد الملك اليزدي » . كان من أهل يزد ، يعمل أبوه وزيراً لحكامها من الأتابكة الذين عرفوا بأتابكة يزد ، واتصل مجد الملك ببهاء الدين محمد بن شمس الدين الجويني في أصفهان فاختره لبعض الأعمال الهامة . لكن سرعان ما وقعت الواقعة بينه وبين أفراد هذه الأسرة وأخذ يوغر صدر المغول عليهم ، ولحق على علاء الدين أخباراً ، فأشاع عنه أنه اتصل بملوك مصر . لم تؤد هذه الوشائيات إلى النتيجة المطلوبة في نظر مجد الملك ، فافتعل مكيدة أخرى ، وأخذ يشيع عنه أنه يحصل من أموال بغداد كل سنة ما يقرب من مائتي ألف دينار لم يرسل شيئاً منها إلى الخزانة العامة .

لكن هذه المكيدة لم تؤت ثمارها أيضاً ، فأخذ يحيك غيرها كذلك ، وما زال مجد الملك يفتعل المكائد ويدبر المؤامرات لعلاء الدين وأسرته حتى أوقعه أخيراً سوء طويته فيما كان يدبره لهم من القتل فقتل ، ثم قطعوه إربا وأرسلوا بكل عضو من أعضائه إلى قطر من الأقطار كما يشير الوصاف إلى ذلك (١) .

كذلك يذكر صاحب «الحوادث الجامعة» في أحداث سنة ٦٨١هـ أن السلطان تكودار أحمد بعد أن جلس على العرش أعاد الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين إلى منصبيهما ، بعد أن أبعدا عنهما بتأثير وشاية مجد الملك ، وسلم هذا إلى الصاحب علاء الدين فقتله قتلة شنيعة ، إذ أرسلت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد (٢) .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤١٩

(١) وصاف ص ١٠٩

خاتمة حياة المصنف ومصير أسرته :

أما نهاية المصنف فإنه بعد جلوس السلطان أحمد بن هولاء كو وقع خلاف شديد بينه وبين ابن أخيه أورغون بن آباقا بن هولاء كو .
وكان شمس الدين وأخوه علاء الدين من أئزم الناس بالسلطان أحمد ومدبرى أمور مملكته ، ولهذا حنق عليهما أورغون ، وكثيراً ما كان ينسب وفاة أبيه آباقا إلى تدبير شمس الدين . إذ يقال إنه مات مسموماً ، وكان هذا أيضاً سبباً فى مضاعفة البغضاء عليهم .

وفى سنة ٦٨١ هـ قدم أورغون من خراسان إلى بغداد . فلما بلغها طلب جميع ما تحت يد علاء الدين ، وكان لهذا نائب يسمى « نجم الدين الأصغر » مات حديثاً فى بغداد ، فأصدر أورغون أمراً حتى يخرجوه من المقبرة ويلقوه فى الطريق .

فلما بلغ الخبر علاء الدين تألم كثيراً وأصابه صداع توفى به ، ودفن فى الرابع من ذى الحجة سنة ٦٨١ هـ فى بلدة تسمى « مغان » ثم جرى به إلى تبريز فوورى التراب فى مقبرة « جرنداب » وقد أسعفته المنية قبل أن يشارك بقية أفراد أسرته نهايتهم المشؤومة . فانهم شربوا كأساً مريرة فى نهاية محزنة بعد ذلك بقليل .
فأخوه شمس الدين — الوزير الأعظم — منذ أواخر عهد هولاء كو وابنيه آباقا وتكودار — أى ما يقرب من اثنين وعشرين عاما — لقي حتفه المشؤوم هو وأبنائه بأمر أورغون سنة ٦٨٣ هـ

كذلك قتل حفيده على بن بهاء الدين بن شمس الدين فى « كاشان » ، ويعتبر مدفنه مزاراً من المزارات التى تقصد ، وأصيب أخوه « على » بعلة الصرع فمات بها عندما سمع بتلك الكوارث ، كذلك قبضوا على منصور بن علاء الدين فى نفس السنة واستشهد على جسر بغداد .

وفي سنة ٦٩٣هـ وصل تبريز صاحب « تاريخ وصاف » ، وزار مقابر الأسرة في « جرنداب » مترحماً عليهم ، وأثبت في تاريخه وصفاً مؤثراً لخاتمة شمس الدين وأبنائه الأربعة يحيى وفرج الله ومسعود وأتابك ، وابن أخيه وبقية أفراد أسرهم وذلك في قصيدة ثبت منها ما يأتي :

يا جرنداب من مقابر تبريز	ز سقاك الحيا الملت الهامى
فلقد أطبقوا ثراك على	غر وجوه ، على حدود كرام
ضم شمساً مقرونة بعلاء	ونجوماً حكمت بدور التمام
سبعة قد بكت عليهم نجوم	سبعة في ضيائها والظلام
فرج الله ، ثم يحيى ، ومسعود	وهرون ، منجد المستضام
وأبوهم محمد ، قد تقضوا	وجميع قتلى بجد الحسام
وشجاني مشوى عطا ملك	صاحب ديوان ملك دارالسلام
فعلى تلکم القبور تحايا	مردفات من ربنا بالسلام ^(١)

ويتمثل وصاف كذلك بهذه الأبيات عندما مر بمقبرة علاء الدين .

عطفنا ، فحيتنا مساعيه إنهما	عظام المساعى ، لا العظام البواليا
مررنا به فاستوقفتنا رسومه	كما استوقف الروضُ الأطباء الجواريا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما	تكون على سؤم الغرام غواليا
ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق	عن الوجد إقلاعاً، عذرنا البواكيا ^(٢)

السعوى وأسرة الجوينى

كان الشاعر على صلوات قوية بالصاحبين ، علاء الدين وأخيه شمس الدين ، وهناك كثير من القصائد في مدحهما ، وبجانب ذلك يذكر الرواة قصصاً ترمى إلى صلواته بهما ومدى تقديرها له .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٢

(١) وصاف ص ١٤٣

فأما ما يدور حول قصته مع علاء الدين ، فإنه أرسل لعامله بشيراز عشرة آلاف دينار ليسامها للشيخ — وكان إذ ذاك في معتكفه بمدينة — فلما بلغ الرسول شيراز كان العامل قد قضى نحبه لعدة أيام مضت ، فعاد الرسول ثانية ، ويقال إن الشيخ بعث بأبيات إلى علاء الدين فهم منها أنه لم يسمع بأمر الرسول والمال ، وبلغ الخبر شمس الدين الجويني ، فبعث إلى أخيه علاء الدين ليرسل بخمسين ألف أخرى مشفوعة بالرجاء في قبولها ، لينفق منها الشيخ على ما يراه من وجوه الخير بشيراز .

تسلم الشيخ المال الذي أرسل إليه ، وجعل منه رباطا بقلعة قهندز (١) ومن هذا القبيل أيضاً قصة يسندها الرواة إلى شمس الدين نفسه ، فيقال إنه بعث إلى الشيخ بخمسة دینار مع غلام ، فاختلف الغلام منها خلال الطريق مائة وخمسين ، فأدرك الشيخ ذلك فكتب إلى شمس الدين يرمز إليه بقوله :

« خواجه تشریفم فرستادی و مال مالت فزون باد و خصمت ایمال
هر بدینساریت سالی عمر باد تا بمانی سیصد و پنجاه سسال »
ومعناها « بعث لي مولاي خلعة ومالا . فليزد الله في مالك ، ويهلك أعدائك
وليمد في عمرك بقدر دنائيرك ، فتعيش ثلثمائة وخمسين عاماً » .

أدرك شمس الدين أن المال الذي أرسل إل الشيخ قد نقص ، وعرف مقدار ما أخذ منه ، وتقول الرواية إنه ترضى الشيخ واعتذر له .

وقصة أخيرة تشير إلى تكريم الشيخ وإجلاله من الصاحبين معاً ، ذلك أن الشيخ حينما عاد من أحد أسفاره إلى الحج في طريقه إلى تبريز ، اتفق أن رأها قادمين في الطريق في صحبة آباقا ، فلما رأياه على بعد ، ترجلا في الحال ، وانحيا أمامه ، وقبلا يديه ورجليه ، كما أظهرها بالغ السرور بأقائه . تعجب آباقا من ذلك وسألهما .

(١) كليات فروغی ص ٤٢

من الشيخ؟ فأجاباه إنه أبوها، ولما كان قد عرف أن أباهما توفي أنكر عليهما ذلك، فقال له إنه أبوها وشيخهما «سعدى الشيرازى». فسأله آباقا نصيحة، فقال له الشيخ «إنك لا تستطيع أن تحمل من الدنيا إلى العقبى شيئاً سوى الثواب أو العقاب، وأنت مخير بين الأمرين، فطلب إليه آباقا نظم هذا المعنى شعراً، فنظم الشيخ في الحال بيتيه:

«شهى كه حفظ رعيت نگاه ميدارد حلال بادخرا جش كه مزد چو با نيبست
وگرته راعى خلق است زهر مارش باد كه هرچه ميخورد او جزيه مسلمانيبست»

ومعناها «إن المليك الذى يحافظ على الرعية، ليكن حلالاً له ما يأخذه من الخراج، فإن لم يكن راع لها، فليكن سماً زعافاً ما يأخذه من جزية المسلمين».

بكى آباقا حين سمع هذين البيتين، وسأل الشيخ عدة مرات، هل أنا راع أم لا؟ فيرد الشيخ إذا كنت راعياً فالبيت الأول، وإلا فالبيت الآخر.

ويذهب الأستاذ القزوينى إلى أن هذه القصص يبدو عليها أثر الوضع والانتحال، ولا تخلو في وقائعها من المبالغة الظاهرة.

وسواء أصحت القصص أم لم تصح، فإنها لم تغير شيئاً من وقائع صلته الشيخ بالصاحبين، فصلته بهما ثابتة قوية، إذ أسندت إليهما أكبر أعمال الدولة فى حكومة المغول، وعرفا بالعدل والإنصاف، وأقاما كثيراً من المنشآت الخيرية، واهتما بأمر الرعية اهتماماً بالغاً، وكانت مكانتهما فى البيئة الإسلامية فى المحيط الذى يعيشان فيه مكانة لا تدانيها مكانة، شهد بها الكثيرون ممن عاصروهم أو أروخوا لهم.

وصلة الشاعر بهما تبدو من مدائحهم فيهما، وهذه المدائح من غرر ما نظمه الشاعر فضلاً عن كثرتها كثيرة ملحوظة^(١).

(١) أنظر مدائحه «فى علاء الدين» فى الصفحات الآتية من كليات فروغى ٤٣١، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٦٠، فى قسم القصائد وص ٧٣٨ فى قسم البدائع وأنظر مدائحه فى شمس الدين فى الصفحات الآتية من النسخة المذكورة.

٤٤٤، ٤٦٥، ٨١٥

وأنظر سعدى نابه. قزوينى ص ١٥٥ - ١٦٠

الشاعر لم يرث أحداً من آل الجويني :
رأى هنرى ماسيه فى تعلييل هذه الظاهرة والرد عليه :

وهذا شىء يستلقت النظر إلى حد ما ، ويدعو إلى التساؤل . ذلك أن
الشاعر على مبلغ صلته بأسرة الجويني وحرصه على مدحهم ، ومع امتداد الحياة
به ، ومشاهدته ما حل بهم من تعذيب وتشريد وقتل ، مع كل هذا ، لم يثبت
للشاعر — قطعاً — شىء فى رثائهم .

ألم يدرك الشاعر هذه المسألة ؟ ألم تهز حادثتهم مشاعره ؟ ألم يؤثر له مرث
فى غيرهم أو مدائح بعد عهدهم ؟ .
كل هذا يدعو إلى التفكير .

وقد ذهب الأستاذ « هنرى ماسيه » فى تعليله لهذه الظاهرة مذهباً لآراء
معه . ونحن نعرضه ونناقشه .

يرى أن الشاعر إما توفى قبل وفاة عظاملك الجويني ونزول النكبة بأخيه
وأبنائه ، وإما كانت وفاته بعد هذه الحوادث بقليل ، تلك الحوادث التى حدثت
ما بين سنة ٥٦٨١ هـ وسنة ٥٦٨٣ هـ وبهذا يعلل سكوت الشاعر عن رثاء هذه الأسرة .
ونحن نثبت — أولاً — النص الذى ورد فيه هذا الرأى منقولاً عن دائرة
المعارف الإسلامية فى موضوع « سعدى الشيرازى » . ثم نرد عليه . ونأخذ بعد
ذلك فى تعلييل هذه الظاهرة بما يعن لنا . وبما يرتبط بحوادث العصر ، وتاريخ
الشاعر نفسه .

As in S'a di's works there is no allusion whatever to the tragical
death of both the brothers, D. Juwaini (1282 — 1283) Massé thinks that
the Poet have died before, or very shortly after these events.

ونحن نرد على هذا الرأى بالأمر الآتية :

أولاً — ثبت عند الرواة أن الشاعر توفى بعد نكبة الجوينيين . فعلاء الدين .

توفى سنة ٦٨١ هـ كما أسلفنا . وشمس الدين وأولاده وأبناء علاء الدين أصيبوا بالكارثة سنة ٦٨٣ هـ .

ثانياً — مع اختلاف الرواة في تحديد وفاة الشاعر ، فإنهم جعلوها بعد هذين التاريخين بثماني سنوات على أقل احتمال ، وبانثني عشرة سنة على أبعد احتمال ، ويشير إلى هذا الأستاذ عباس إقبال في قوله : « در خصوص أيام حیات سعدی امر محقق اینکه او در یکی از سنوات ٦٩٠ با ٦٩١ یا ٦٩٤ هـ فوت کرده » (١)

وسنرى فيما يأتى عند التعرض لحياة الشاعر نفسه ، أن هناك شبه اتفاق بين المؤرخين على الرأى الذى يقول بوفاة الشاعر سنة ٦٩١ هـ . وهو الرأى الذى قال به دولتشاه (٢) .

ثالثاً — ثبت من مدائح الشاعر أنه عرض فى إحداها المده أحد ولاية شيراز سنة ٦٨٦ هـ ذلك هو — كما يقول الأستاذ القزوينى — مجد الدين أسعد الرومى . والذى ظل فى منصبه حتى ٦٨٨ هـ . ويستمد هذا من عبارة لصاحب « شيرازنامه » . يقول الأستاذ القزوينى فى عبارته : « مجد الدين بن أسعد رومى بتصریح صاحب شيراز نامه (٣) ، در سنه ششصد و هشتاد و شش ، يعنى در اواسط عهد اورغون بچكوت شيراز منصوب شد ، و تا سنه ششصد و هشتاد و هشت در آن وظيفه باقى بود (٤) » .

يثبت من هذا أن الشاعر مدح أحد الحكام فى عهد اورغون خان وأن الحياة قد امتدت به حتى تلك السنة . وهذه القصيدة التى نظمها سعدى فى مجد الدين مطلعها :

« جهان برآب نهادست وزندگی برباد غلام همت آنم كه دل بدون نهاد »

(١) عباس اقبال — سعدى نامه ص ١٦

(٢) تذكرة الشعراء — دولتشاه ص ٢٠٩ . طبعة ليدن .

(٣) شيراز نامه ص ٧٢—٧٣ (٤) سعدى نامه ص ١٤٦

يثبت من هذا — في غير تردد — أن الشاعر توفي بعد هذه السنوات
كما رأينا، وكما ذكره الرواة، وجرت به وقائع حياة الشاعر .

تفسير هذه الظاهرة :

يمكن تحليلنا لهذه الظاهرة بالأمور الآتية ، مستمدة من منطق الحوادث ،
ومن طبيعة الشاعر نفسه .

أولاً — في هذا التاريخ ما بين سنة ٦٨٣ هـ و ٦٩٠ هـ وقع العالم تحت تأثير
تلك السياسة العنيفة التي اتبعها أورغون ورجال حكومته في الولايات الإسلامية ،
وعصفت بالعالم الإسلامي في ذلك المحيط تلك العواصف المريعة ، وأصيب بتلك
النكسة القاتلة التي أشرنا إليها سابقاً ، والتي بدأت بحكم أورغون في أعقاب مقتل
السلطان أحمد ، فكمت الأفواه ، واحتبست الأنفاس في الصدور ، وانطوت
القلوب على لوعة حرى .

فلم يتمكن الشاعر من أن يعرض إحساسه . ولم يجس المدامع بجفنيه بحسب
كما صور رثاءه للخليفة، ولكنه هنا حبس أنفاسه في صدره أيضاً ، ولم يستطع هو أو
غيره — تحت ظلال هذا الإرهاب — أن ينبس ببنت شفة في قوم قضى عليهم
الحاكم العام بمثل تلك النهاية ، وإلا كان معادياً للحكومة الرئيسية فيعرض نفسه
لشدائد لا طاقة له باحتمالها .

ثانياً — ويمكن بالإضافة إلى هذا العامل قولنا إن الشاعر كان في هذا الوقت
— من أخريات حياته — معتكفاً في شيراز لا يساهم بالكثير أو بالقليل في مجرى
السياسة العامة في الدولة وتصوير ما يجد فيها من الحوادث ، وكان موطن التوجيه
السياسي العام في غير شيراز ، بل في غير فارس نفسها ، فاعتكف الشاعر في تلك
الظروف ، ورضى أن يقبع في عقر داره ، يستمع للأحداث العامة في الدولة دون

أن يفصح عنها أو يعبر عن رأيه فيها ، وإن كان هذا لم يمنع من اتصاله الضيق ببعض الحكام الذين كانوا في فارس أو شيراز نفسها ، الذين رأى فيهم أنهم يؤدون خدمات جليلة لموطنه .

ثالثاً — يلاحظ كذلك أن الشاعر كان مقلاً في مدائحه ، وكان مقلاً أكثر من ذلك في مراثيه ، وكان المدح كما يقول الشاعر مخالفاً لطبعه . يقول عند ما أقدم على مدح حاكم شيراز « أبي بكر بن سعد » حاكم ولايته الذي هز مشاعره ، وقدم له كتابه البوستان مشيراً إلى أن المدح ليس من طبعه .

« مرا طبع أزين نوع خواهان نبود سر مدحت پادشاهان نبود »

ومعناه « ليس لي طبع الراغبين في هذا النوع ، وهو أن أمدح السادة الملوك » .

رابعاً — ونحن يمكن أن نقسم مراثيه — على قلتها — إلى نوعين :

نوع رثى فيه أشخاصاً داخل موطنه من رجال حكومة الأتابكة الذين عاصروهم ، أو من الولاة الذين تولوا أمرها من أبناء وطنه تحت إشراف حكومة المغول .

ونوع رثى فيه جماعة خارج موطنه ، في الموطن الإسلامي العام .

فمن النوع الأول رثاؤه لأبي بكر بن سعد ، وابنه سعد بن أبي بكر ، ووزيرها فخر الدين أبي بكر (١) ومرثية أخيرة لرجل من عطاء شيراز يسمى عز الدين أحمد بن يوسف (٢) .

هذه هي مراثي الشاعر في أشخاص حكموا شيراز أو كانوا ذوي صلة بحكومتها . أما مراثيه في أشخاص خارج شيراز فلم توجد له مرث — قطعاً — في غير الخليفة المستعصم في مرثيته اللتين أشرنا إليهما سابقاً .

ومن المعروف أن نهاية الخليفة طوت معها نهاية الخلافة أيضاً في حادثة هزت

(٢) المصدر نفسه ص ١٦١

(١) سعدى نامه ص ١٣٢—١٣٣

جوانب العالم الإسلامي كله ، فتناول الشعراء والأدباء—كل في موطنه—هذه الحادثة وأظهروا شعورهم نحوها بما فاقت به قراءتهم ، وكانت مساهمة « سعدى » في رثائه للخليفة مشاركة منه للشعور الإسلامي العام من جانب ، وإظهاراً لما يمكنه نحو الخلافة وموطنها بغداد من جانب آخر . فيبدو في هاتين المرثيتين مدى شعوره بالمرارة أيضاً على بغداد ، وفقدتها سطوة الملك وبهاء السلطان ، وهي المدينة التي كان لها في نفسه أكبر الذكريات حيث تناول فيها علومه الأولى .

وهكذا نرى الشاعر مقلاً في مرثيته ، فلا غرابة ألا يرثي أحداً خارج موطنه غير الخليفة ، ولا مبرر أن نلتبس لهذا بعض الأسباب التي تجانب الواقع ، إن كان لا بد لنا أن نعلل سكوت الشاعر عن رثائه لهذه الأسرة .

الفصل الثالث

ولاية فارس وعظمتها في القرن السابع الهجري

أصل التسمية وأقسامها :

تشمل هذه التسمية منطقة في إيران ، تقع إلى الجنوب الغربي منها فيما يجاور الخليج الفارسي ، وحوض الدجلة والفرات . وترجع هذه التسمية إلى عهد الدولة الأسطورية الأولى ، التي تسمى بالبيشداوية ، إذ يقال إنها أخذت من « فارس ابن طهمورث ^(١) » أحد ملوكها .

ومن المؤرخين من يرجعها إلى اسم « بهلون سام بن نوح ^(٢) » ثم استخدمت هذه الكلمة فيما بعد للدلالة على المملكة نفسها ^(٣) .

وكانت مملكة فارس قديماً ، تمتد من نهر جيحون حتى حوض نهر الدجلة والفرات ^(٤) ، ثم قصرت دالاتها على الولاية الجنوبية الغربية .

وكانت هذه الولاية تمتد مائة وخمسين فرسخاً في مثلها، بشكل مربع التكوين. يتأخر ركنها الشمالي أصفهان وكورها ، والشرقي كرمان وكورها ، والجنوبي المحيط الهندي ، والغربي خوزستان وكورها ^(٥)

وكان لهذا الإقليم مكانته منذ القدم ، ففيه نشأت الدولة الأولى ، وفيه

(١) حاشية الشاهنامه العربية ج ١ ص ٢٠ للدكتور عزام بك وانظر أحسن

التقسيم ص ٤٢١

(٣) فارس نامه ص ١١٩-١٢٠

(٢) شيراز نامه ص ١٤

(٥) فارس نامه ص ١٢١

(٤) شيراز نامه ص ١٥

ظهرت الحضارة القديمة ، وفيه اتخذت أول عاصمة وهي اصطخر فارس ، ولا تزال فيه حتى الآن معالم تلك الحضارة القديمة . وتطور الزمن بهذا الإقليم فحكته دول قبل الإسلام . كان آخرها دولة آل ساسان ، فلما جاء الإسلام أشاد به كثير من المؤرخين .

ويذكر « ابن البلخي » حديثاً عن النبي عليه السلام قوله « لو كان هذا العلم معلقاً بالثرى لنالته رجال من فارس^(١) » . ويروى صاحب شيرازنامه هذا الحديث على رواية أخرى بجعل كلمة الدين بدل العلم^(٢) .

ويورد صاحب « نزهة القلوب » قوله عليه السلام « إن الله خير بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا^(٣) » .

والأمر لا يقف عند هذا في تمجيد أبناء ذلك الإقليم ، بل يذهب بعض المفسرين إلى أن القرآن وردت فيه إشارات إليه وإلى أبنائه في مواضع مختلفة ، فالآية « بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد » يرى بعض المفسرين أنها تشير إلى اعتداء اليهود على سيدنا زكريا ويحيى بالقتل ، فأرسل الله عليهم « كودرز الأشكاني » من أبناء فارس . كما يرى بعضهم أيضاً في قوله تعالى « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » أن ذلك إشارة إلى أبناء فارس^(٤) .

ويذكر ابن البلخي عن النبي عليه السلام — وقد سئل — لماذا هلك عاد وثمود ومن جازهم سريعاً وامتد ملك الفرس مع عبادتهم للنار ؟ فقال « لأنهم عمروا البلاد وعدلوا في العباد^(٥) » .

(٢) شيرازنامه ص ١٥

(٤) شيرازنامه ص ١٥

(١) فارس نامه ص ٧

(٣) نزهة القلوب ص ١١٢

(٥) فارس نامه ص ٥

أما أقسامها فيذكر « البشارى » فى كتابه « أحسن التقاسيم » أنها تحتوى ست كور. هى — من ناحية خوزستان — فى حدها الغربى كما يأتى: « أرجان . أرد شیرخره . داراب جرد . شیراز . شاپور . اصطخر ^(١) » لكن ابن البلخى يجعلها خمس كور. هى: « اصطخر . دارابجرد . أرد شیرخوره . شاپور خوره . قباد خوره ^(٢) » ويأخذ عنه هذا التقسيم صاحب « شیرازنامه ^(٣) » وصاحب « نزهة القلوب ^(٤) ». هذه هى أقسام فارس وكورها التى ذهب إليها المؤرخون .

فارس فى ظل الاسلام :

منذ عهد الإسلام الأول وعيون المسلمين تتطلع إلى فتح هذا الإقليم ، كما كانوا يرسلون إليه الكثير من الناس للتعرف على أحواله . فى عهد الحجاج أرسل من قبله — حين كان على العراق — من ينقل إليه أخباره ، فلما عاد وصفه بقوله « جبال ورجال وفيه من كل بلد بلد ^(٥) » .

وكانت الجيوش العربية قبل أن تدخل فارس تعسكر فى موضعين : أحدهما بالكوفة شمالاً ، والآخر بالبصرة جنوباً ، ونفذت الجيوش التى كانت تعسكر فى البصرة إلى فتح البلاد المجاورة لها ، ففتحت البحرين وعمان ومكران وكرمان وفارس وخوزستان ، وكانت هذه البلاد من مضافات البصرة ^(٦) .

وبدخول الإسلام بلاد فارس أقيمت بها المساجد ، وهدمت أبنية الكفر ^(٧) ومهد الفتح أمام السياح والمؤرخين فدخلها كثير من المسلمين ، كما كانت نقطة ارتكاز اتسع منها الفتح شرقاً إلى الهند وأواسط آسيا .

ويشبهه « المقدسى » طبيعتها وجوها بإقليم الشام . إذ يقول عنها حين سئل

-
- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| (١) أحسن التقاسيم ص ٤٢١ | (٢) فارس نامه ص ١٢١ |
| (٣) شیراز نامه ص ١٥ | (٤) نزهة القلوب ص ١١٣ |
| (٥) فارس نامه ص ٤ | (٦) فارس نامه ص ١٢٠ |
| (٧) شیراز نامه ص ١٧ | |

كيف وجدّت فارس؟ . يجيب « وجدتها أشبه الأقاليم بالشام ، لأنها تجمع أضداد الثمار ، وبها جروم ، وسرود (١) ومعتدلات وجبال مشجرة عامرة ، وعسل وزيتون ، وبركات ، لم أرها بعد الشام إلا بفارس » ، ثم يمضى فيقول « إلا أنه معدن الجور والفساد ، حار الأطراف ، بارد السرود ، ورسوم المجوس به ظاهرة ، وأكثر الضياع مقطّعة (٢) » .

شيراز :

في هذا الإقليم الجنوبي الغربي قامت — وسطه تقريباً — مدينة جديدة إسلامية ، نقلت إليها دفة الملك بعد العاصمة القديمة اصطخر ، تلك العاصمة التي ظلت حاضرة الإقليم حقبة طويلة من الزمن .

ففي عهد عبد الملك بن مروان — حين كان الحجاج عامله على العراق — جعل أخاه محمداً بن يوسف نائباً عنه في إدارة هذا الإقليم ، فأسس مدينة شيراز (٣) ومن الآراء ما يجعل هذه المدينة أقدم في تاريخها من ذلك ، إذ يقال إن « شيراز ابن فارس » هو الذي بناها قديماً ، وإنما مصرها المسلمون حين فتحوا الإقليم واستطابها الملوك فنزلوا بها (٤) .

ويذكر صاحب « شيرازنامه » أن ملوك العجم القدماء كانوا يظنون مكانها صومعة سليمان ، ومن هذا كانوا يتفاءلون بها (٥) .

ويزعم بعض المؤرخين أن السبب الذي دفع « محمداً بن يوسف الثقفي » إلى بنائها أنه رأى في المنام جماعة من أهل الكرامة تهبط في مكانها ، وقالوا له سيظهر فيها آلاف من رجال التصوف ، وستكون منبعاً للحكمة والطهارة ، كذلك يقال إنه

(١) الكلمة معربة عن گرم بالفارسية بمعنى حار . وسرد بمعنى بارد .

(٢) أحسن التقاسيم ص ٤٢١ (٣) فارس نامه ص ١٣٢

(٤) أحسن التقاسيم ص ٤٢٣ (٥) شيراز نامه ص ٢٠

رأى فى منامه يخطط دائرة فى مكانها ، ولهذا استدعى المهندسين وأمرهم أن يقيموا بناء شيراز (١) . ومن الآراء ما يجعل عمارتها قد جددت على يد « محمد بن القاسم ابن عقيل » ابن عم محمد بن يوسف الثقفى سنة ٧٤ هـ (٢) .

وظلت عمارت هذه المدينة تزيد على الزمن، وفى عهد عمر بن عبد العزيز أنشئ بها بعض المساجد ، وأسس بها عمر بن الليث مسجداً سماه المسجد العتيق (٣) .

فلما انتقل ملك المدينة إلى الديلمة زادت عمارتها كثيراً ، وأول من غلب عليها ، « على بن بويه » فلما توفى تولى بعده ابن أخيه « عضد الدولة » الذى تبناه من قبل (٤) ، وفى عهده ذاع صيتها وانتشر خبر رفاهية الحياة بها فى جميع الأقطار فقصدها كثير من الناس ، وجلب إليها كثيراً من رجال الجيش وأقامهم بها حتى ضاق اتساعها ، فأنشأ خارجها مكاناً سماه « گردفناخسرو » (٥) يصفه صاحب شيرازنامه « أنه كان مدينة كبيرة أقام وسطها سوقاً بلغ ما يحصل منه سنوياً ستة عشر ألف دينار ، كانت ترسل إلى ديوان عضد الدولة » ، ولم يبق من ذلك المكان حتى عهد صاحب شيرازنامه — شيئاً ، وكان العامة يطلقون على مكانه « سوق الأمير » (٦) .

وفى عهد « صمصام الدولة بن عضد الدولة (٧) » رأى أن يقيم عليها سوراً ، لكن صاحب « مراصد الاطلاع » يقول إن الذى بنى هذا السور هو « أبوكاليجار » ويجعل طوله اثنى عشر ألف ذراع وعرض حائطه ثمانية أذرع (٨) .

أما أحسن أبنيتها ، فدار شيدها عضد الدولة يصفها « المقدسى » وصفاً يدل على مقدار عظمتها ، يقول : « وبنى بشيراز داراً لم أر فى شرق ولا فى غرب مثلها ، ما دخلها عامى إلا افتتن بها ، ولا عارف إلا استدلل بها على نعمة الجنة وطيبها ،

- | | |
|-----------------------|-----------------------------|
| (١) شيرازنامه ص ٢١ | (٢) نزهة القلوب ص ١١٤ |
| (٣) شيرازنامه ص ٢٤ | (٤) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩ |
| (٥) فارس نامه ص ١٣٢ | (٦) شيراز نامه ص ٢٥ |
| (٧) نزهة القلوب ص ١١٤ | (٨) مراصد الاطلاع ج ٢ ص ١٣٩ |

وخرق فيها الأنهار ، ونصب عليها القباب ، وأحاطها بالبساتين والأشجار ، وحفر فيها الحياض ، وجمع فيها المرافق والعدد ، وسمعت رئيس القراشين يقول « فيها ثلثمائة وستون حجرة ودارا » .

ثم يصف خزانة الكتب التي بها بقوله « وخزانة الكتب على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنف إلى وقته - من أنواع العلوم كلها - إلا وحصله فيها . . والدفاتر فيها منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرسات ، فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجبه ، وطُفَّت في هذه الدار كلها أسفلها وعلوها » ، وهكذا يمضي « المقدسى » في عبارته إلى أن يختتمها بقوله : « وأظنه بناها على ما سمع من أخبار اللجنة » (١) . ثم تناوب شيراز الضعف وأصبحت - آخر عهد الديلمة - بأحداث جسام قضت على رونقها وبهاؤها (٢) ، وأدت إلى تخريب كثير من عمائرها (٣) .

فإذا انتقلت الولاية إلى حكم السلاجقة ، ظلت كذلك عاصمة الإقليم نفسه ، وقد بدأ هؤلاء حكمهم فيها سنة ٤٥٨ هـ . وبقيت تحت حوزتهم خمسة وثمانين عاما ، حتى تولى أمرها « الأتابكة الساغريون » فاستقلوا بالولاية ، وأقاموا حكومتهم في عاصمتها .

ولما حل السلاجقة أعادوا تجديد ما خرب منها ، كما وجهوا عنايتهم أيضاً إلى الإنشاء ، فأقاموا المدارس ، وأوقفوا عليها كثيراً من الخيرات (٤) .

فاما انتقلت هذه الولاية إلى حكم الأتابكة سنة ٥٤٣ هـ ، أخذ شأنها في عهدهم يعلو شيئاً فشيئاً ، وبلغت ذروتها في عهد « أبي بكر بن سعد »

(٢) فارس نامه ص ١٣٣

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩

(٤) شيراز نامه ص ٢٤

(٣) شيراز نامه ص ٢٦

وسنعرض إلى الكلام على مكانتها العامية في عهد هذا الأمير ، ومدى ما كانت عليه من الرخاء وسعة العيش وأمن الحياة ، بالإضافة إلى ما بيناه سابقاً — من وصف الشاعر لها في عهده ، ووصفه هذا الوطن بالحرم الآمن يحج إليه الناس من كل فج عميق .

ونضيف إلى هذا ما قاله فيها صاحب « شيراز نامه » شعراً^(١) :

بها يسكن الطبع النفور ويفتدى بآنس من قلب المقيم قريعها
يحن إليها كل قلب كأنها يشاد برنات القلوب ربوعها
فكل ليالى عيشها زمن الصبا وكل فصول الدهر فيها ربيعها

فارس قبيل حكومة الأتابكة

انتقلت فارس إلى أيدي السلاجقة منتصف القرن الخامس ، بعد أن كانت تابعة لحكومة آل بويه ، إذ انتزعها منهم السلطان « ألب أرسلان السلجوقي » سنة ٤٥٨ هـ^(٢) . وبقيت فارس يتولى شؤونها نواب عن السلطان الحقيقي مدى خمسة وثمانين عاماً ، تقلد الحكم فيها ستة حكام هم : « فضلوويه شبانكاره ، وركن الدين خمارتگين ، والأتابك جاولي ، والأتابك قراچه ، والأتابك منكويرس ، والأتابك بزابه »^(٣) .

وكان « فضلوويه » حاكماً معيناً من قبل الديلمة ، فلما انتقل حكم فارس إلى السلاجقة أقر على البقاء في الولاية ، حاكماً عليها في عهد السلطان « ألب أرسلان السلجوقي » . ولكن سرعان ما اضطرت الأمور بينهما ، فسار إليه نظام الملك

(٢) و صاف ص ١٤٨

(١) شيراز نامه ص ٢٢

(٣) حبيب السير ص ١٢٧

ليرده عن عصيانه ، فتحصن فضلويه بقلعة اصطخر ، فحاصره بها نظام الملك وقتله فيها . وفي هذا يقول الشاعر :

فضل من الله العزيز ونعمة كُفَّت فضول البغى من فضلون^(١)
وبانقضاء أيامه على فارس انتهت سلطة الديلمة وبدأ سلطان السلاجقة .

فلما انتقل الملك إلى هؤلاء ، تخيروا جماعة — ممن كانوا يقومون في بلاطهم ببعض الوظائف — إلى إدارة الأقاليم التي دخلت في حوزتهم ، وكان من بين هؤلاء رئيس أسرة الخوارز مشاهيين المسمى « أنوشتهكين » فقد كان تركي الأصل يعيش في بلاط السلاجقة ، ولاء ملكشاه ولاية خوارزم ، ومنه تأسست أسرة « ملوك خوارزم^(٢) » ومنهم أيضاً « تغ تگين » مملوك تكش السلجوقي مؤسس أسرة الأتابكة في دمشق^(٣) .

ويلاحظ أن أغلبية ولاية السلاجقة على فارس كانوا يلقبون « بالأتابك » ابتداء من جلال الدين الجالوى . فهو أول من لقب به من نوابهم^(٤) ، وكل من خلفه على الحكم من النواب تمتع به كذلك .

فما معناه ؟ وهل له علاقة بتلك الأعمال الإدارية ؟ وكيف اتسع حتى سمعنا عن انتشاره بين حكام الولايات المختلفة في طول إمبراطورية السلاجقة وعرضها ؟ .
الكلمة تركية الأصل « أنا » بمعنى الجد أو الأب . وكلمة « بك أو بيك » لقب أو رتبة . ويفسر ابن الأثير هذه الكلمة « بالأمير الوالد » ومن عبارته في « نظام الملك » على لسان « ملكشاه » قد رددت الأمور كلها ، كبيرها وصغيرها

(١) . شيراز نامه ص ٣١٩ (٢) تاريخ گزيده ص ٤٨٦

(٣) مقدمة شيراز نامه — ص . ل .

(٤) و صاف ص ١٣٨ و حبيب السير ص ١٢٧

إليك ، فأنت الوالد ، وحلف له وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك ، وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملتها « أتابك » ومعناه « الأمير الوالد»^(١) ، فظهر من كفايته، وشجاعته ، وحسن سيرته، ماهو مشهور».

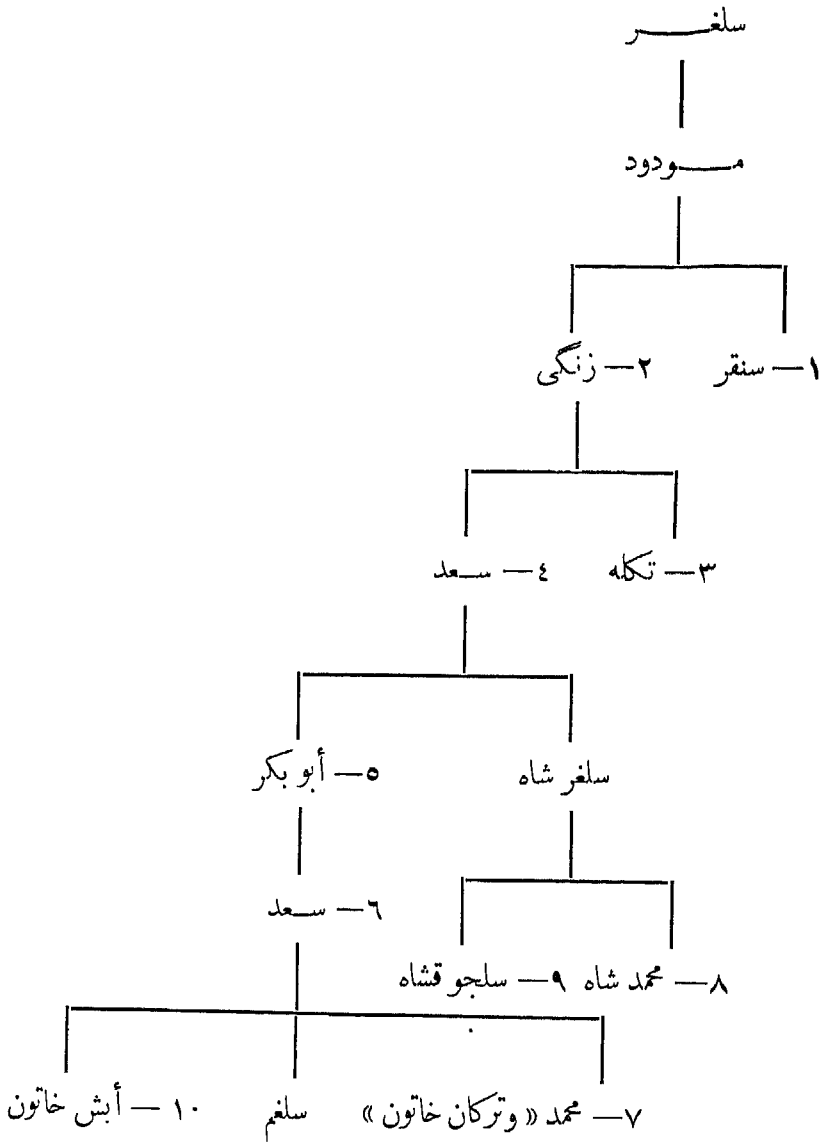
واستعملها المؤرخون المحدثون من الإيرانيين بمعنى «نائب السلطنة» فيذكر الأستاذ «بهمن كرمي» في مقدمته على كتاب « شيراز نامه » أن السلاجقة لم تكن لهم حراية بالأمر الإدارية . وإنما كانوا يوصفون بالشجاعة والقوة لا بحسن السياسة ، وذلك راجع إلى حياتهم البدوية . فاختر كل واحد منهم في إدارة شئون مملكته جماعة ممن يطمئنون إليهم ، من مماليكهم الأوفياء ، وأغلب هؤلاء المماليك كانوا ممن وفدوا من بلاد القفجاق . ثم يمضى فيقول :

«فلما زال عصر السلاجقة الكبار ، وضعف ولاة العهد بعدهم عن إدارة شئون الدولة ، وجزئت دولتهم ، رفع مماليك السلاجقة كل واحد من الأمراء إلى كرسى السلطنة ، وجعلوا يديرون دفة الأمور عنهم باسم « نائب السلطنة » أو باسم « أتابك » . وبعد مدة ، تقلص حكم السلاجقة ، فاستولوا هم على السلطان واستقلوا في ولاياتهم»^(٢) .

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٣٣ . المطبعة الأزهرية . (٢) مقدمة شيراز نامه ص ل .

أُتَابِكَةُ فَارِس

نستطيع أن نصور أعضاء بيت الأتابكة — الذين نعرفهم تاريخياً —
بهذه الشجرة . وندل على ترتيب من حكم منهم .



من بلاد القفجاق ، ترجع إلى قبائل تركمانية الأصل .
٥٠٠ : حينما أدركها الضعف والانحلال (١) . ويجعل
٥١ : التركمانين خمسين ألفاً ، تفرقوا في
ملغر « وأبناؤه وأتباعه . نزلوا بخراسان ، ونشروا
والاضطراب ، حتى اضطر السلاجقة أن يضموه
صب الحجابة ، ثم نزع هو وأولاده وأتباعه إلى إقليم

كان بين ابنه « مودود » وبين الأتابك « بزابة » صداقة . رغب هذا في
الرحيل إلى أصفهان ، فاستدعى « مودودا » ليقبمه على فارس مكانه ، ولكن « بزابة »
لقي حنقه بعيداً عن فارس . فطمع هذا في الملك وشجعه عليه ضعف السلاجقة .
وانتهى الأمر بأن حوّل السلطان لأسرته (٢) .

١ — سنقر بن مودود : ٥٤٣ — ٥٥٨ هـ

تولى الحكم سنة ٥٤٣ هـ وارتفع شأنه ، وهو أول من وضع تاج السلطنة على
رأسه من أعضاء هذه الأسرة (٣) ، وسار في الرعية بالعدل والإنصاف ، ووقعت
بينه وبين حاكم خوزستان مصادمات عنيفة انتهت بانتصاره عليه . وكان من
منشأته بشيراز رباط سمي باسمه . وكذلك شيد مسجداً يعد من أهم مساجد شيراز (٥)
يعتبره صاحب تاريخ كزیده من مساجد الجمع (٦) . وكانت وفاته سنة ٥٥٨ هـ
وامتدت حكومته أربعة عشر عاماً .

(٢) حبيب السير ص ١٢٧

(٤) ووصاف ص ١٤٩

(٦) تاريخ كزیده ص ٥٠٥

(١) ووصاف ص ١٤٨

(٣) شيراز نامه ص ٤٨

(٥) شيراز نامه ص ٥٠

٢ — زنگي بن مودود: ٥٥٨ — ٥٥٧١

ما كاد يستولى على العرش حتى ائتمر به بعض رجال أسرته ، لإقصائه عن الملك ، وتتويج أحدهم المسمى « ألب أرسلان (١) » .

لكن المؤامرة افتضح أمرها قبل أن يتمكنوا من تنفيذها ، فراسل « أرسلان ابن طغرل » وطلب منه النجدة ، فأسعفه بها ، وسأله أن يقره على البقاء في الملك فأجابه إلى ذلك (٢) .

وكان من منشأته بشيراز ، تجديد مزار الشيخ « أبي عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازي » ، وأقام بجانبه رباطاً أوقف عليه أوقافاً كثيرة ، وامتد حكمه أربعة عشر عاماً ، وتوفي سنة ٥٧١ هـ (٣) .

٣ — تكله بن زنگي: ٥٧١ — ٥٥٩١

تولى العرش بعد أبيه ، عقب وفاته ، وثار عليه أحد أتاكبة آزر بيجان المسمى « جهان بهلوان » إذ انتهز فرصة خلو شيراز من الجيش ، فاتجه نحوها وأعمل القتل في أهلها. لكن الأتابك « تكله » تغلب عليه وهزمه (٤) . كذلك خرج عليه ابن عمه « طغرل بن سنقر » وجمع جيشاً ، وقدم به شيراز ، لكن الحرب لم تدم طويلاً بينهما ، فأسره « تكله » وقضى على ثورته (٥) .

ويقال إنه تخير شخصية عظيمة من رجال فارس ليسند إليها منصب الوزارة ، ذلك هو « أمين الدولة الكازروني (٥) » ، وأطلق يده في تدبير شئون الدولة . كان هذا الرجل مشهوراً بالتقوى والصلاح ، فأنشأ رباطاً ومدرسة اشتهرت بمدرسة « أميني » (٦) أقامها قرب المسجد العتيق .

(٢) تاريخ گزیده ص ٥٠٥

(٤) وصال ص ١٥٠

(٦) حبيب السير ص ١٢٨

(١) شيراز نامه ص ٥١

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

(٥) شيراز نامه ص ٥١

وقد بسط تكله العدل في ولايته ، حتى امتدحه أحد الشعراء المسمى
« عز الدين السحرة » بقصيدة جاء فيها :

لعمر المعالي إن « تكله » قد حوى من الملك ما لم يحو منه أعاجبه
فأين أنوشروان منه وعدله وأين سليمان النبي وخاتمه
تفرد بالآفاق « تكله » شاهنا فلا من يحاربه ، ولا من يقاومه^(١)
وكانت وفاة تكله بن زنگي سنة ٥٩١ هـ ، وامتد حكمه عشرين عاماً .

٤ — سعد بن زنگي : ٥٩١ — ٦٢٣ هـ

كان سعد من الشجاعة ، والقوة ، وسعة الخيلة ، والمران السياسي ، ما جعله
يمكن لدولته الناشئة ، بل يمد نفوذه ، وفتوحاته إلى غيرها . تولى شؤون الدولة
وهي مقبلة على قحط ألم بها ، لم تشهد له مثيلاً من قبل ، حتى اضطر الناس أن
يأكلوا كل ما يمكن أكله ، ثم أعقبه وباء كبير أهلك كثيراً من الناس^(٢) .

وقد واجهته أحداث خارجية ، اضطر لأن يخوض غمارها لينقذ إمارته من
هولها . ففي سنة ٦٠٠ هـ أغار عليه الأتابك « أزيك بن بهلوان » مع شخص
آخر يسمى « كلجه »^(٣) . وقصدا شيراز ، وأعمالاً فيها غارة شعواء ، وفتكا
بأهلها . وفي هذا يقول الشاعر « عز الدين بنجره » :

ألا هات السلاف ولا تشججه فقد زج الأسي في القلب زجه
وضاق عليّ من أسف إهابي لعمرى ! طرت لو صادفت فرجه
لعلّي ان طربت ذهب غما تعال الناس من فتكات كلجه
أطال غلابنا وجني أذانا وأتلف مالنا من غير حجة

(٢) تاريخ كزیده ص ١٠٦

(١) شيراز نامه ص ٥١

(٣) وصف ص ١٥٢

وقائلة إلام يكون نحسى فقلت إلى بلوغ السعد برجه (١)
على أنه لم تكد فارس تنففس من هول هذه الغارة ، حتى فوجئت بغارة
أخرى سنة ٦٠٢ هـ ، شنّها عليها السلطان « غياث الدين بن السلطان محمد
خوارزمشاه » . كان أبوه قد ولاء « كرمان » في حياته فاشتهر بسلطان كرمان ،
ثم ذهب أول عهده إلى العراق وانضم إليه جماعة من أتباع أبيه هناك ، واتفق
معهم على حرب « الأتابك سعد » واتجهوا نحو فارس ، وهزم الأتابك ، وعانت
إمارته من تخريب « غياث الدين » الأمرين ، ثم عاد عنها (٢) .

حروبه وسياسته الخارجية :

يعد أن اجتازت إمارته تلك الحن ، التي واجهته في مستهل توليته العرش ،
وجه عنايته إلى تدبير شئونه ، ثم أخذ يمهّد للفتوحات الخارجية ، فاستخلص
« كرمان وسيرجان » ونصب على حكومتها ابن أخيه « عماد الدين زيدان (٣) » .
ولما انتهى من ذلك ، اتجه أيضاً نحو العراق ، واستولى على أصفهان ، لكنه
التقى في تلك الجهة بشخصية مارست الخطوب وعركتها . ذلك هو السلطان
« محمد خوارزمشاه » ووقعت بين الإثنين مصادمات قوية ، أبدى فيها
« سعد بن زنگي » من البسالة وضروب الشجاعة ما جعل السلطان محمداً يعجب به
أيما إعجاب .

وفي إحدى الحروب — سنة ٦١٤ هـ — عزم الأتابك على لقاء جيش
« السلطان محمد » بنفسه ، فاتجه نحو الري على رأس سبعائة فارس ، فانهزم
جيش السلطان ، وفي تلك الحرب أبدى « سعد » من الأقدام والجرأة ما أدهش
« السلطان محمداً » ، فأمر جيشه ألا يصيبه بسوء — إن تمكنوا منه — وإنما يحملونه

(١) وصاف ص ١٥٣ (٢) حبيب السير ص ٨٨

(٣) شیراز نامه ص ٥٢ ويذكره وصاف باسم محمد بن زيدان ص ١٥١

إليه أسيراً ، فلما وقع في أيديهم ، حملوه إلى « السلطان محمد » ، فأكرم وفادته ، وأعز جانبه ، ورحب بمقدمه (١) .

وانتهى الأمر بين الجانبين ، بأن طلب السلطان عقد الصلح بينهما ، ويتزوج ابنه « جلال الدين » من ابنة سعد « ملك خاتون » (٢) ويدفع ثلثي خراج فارس إلى السلطان ، فأجابه سعد إلى ذلك (٣) .

لكن هذه الأمور لم ترض ابنه « أبا بكر » فدبر الأمر في غيبة أبيه ، مع جماعة ممن التفوا حوله ، من الأعيان والأمراء ، فألبهم على أبيه ، وطلب منهم البيعة فبايعوه ، فلما أحس سعد بذلك ، عاد إلى فارس يؤازره جيش من الخوارزمشاهيين — حلفائه الجدد — فامتنع الابن من تسليم البلاد إلى أبيه وجمع المساكر ، وخرج للقائه . فلما تراءى الجمعان ، انحازت عساكر فارس إلى صاحبهم ، « الأتابك سعد » وتركوا ابنه في خاصته ، ومع ذلك حمل على أبيه ، فلما رآه أبوه ، ظن أنه لم يعرفه . فقال له أنا فلان ! فقال — إياك أردت (٤) ! وانتهى الأمر بهزيمة أبي بكر ، وأخذ أسيراً ، فزج به في قلعة « سفيد » (٥) كما يذهب إلى ذلك صاحب « شيراز نامه » ، وفي قلعة « اصطخر » كما يذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ و صاف » (٦) .

فلما قضى الأمر وقى « سعد » بعهد « السلطان محمد » (٧) ، ولسان حاله — كما يقول و صاف — « إذا قلت في شيء نعم ! فآتمه فإن نعم دین علی المرء واجب » (٨) .

أما سياسته نحو المغول ، فأهم ما قام به أنه جنب إمارته ذلك السيل الجارف ، الذي بدأ يظهر من ناحية المشرق ، في زحفهم نحو الغرب ، فحين تراءى إلى

(٢) شيراز نامه ص ٥٢

(٤) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٤٦

(٦) و ص صاف ص ١٥٤

(٨) و ص صاف ص ١٥٤

(١) و ص صاف ص ١٥٣

(٣) و ص صاف ص ١٥٤

(٥) شيراز نامه ص ٥٣

(٧) حبيب السير ص ١٢٩

أسماع الناس خبر قدومهم مظفرين ، سارع هو إلى إعلان الطاعة مع بعض أمراء الولايات الأخرى . وهذا ما ذكره صاحب « جامع التواريخ »^(١) « وأشرنا إليه سابقاً »^(٢) في تصويرنا لحالة فارس، وكيف واجهت غزو المغول، وذلك في الفصل الأول.

اصلاحاته الداخلية :

على الرغم من الحروب الخارجية ، والفتن الداخلية ، التي منيت بها فارس في عهده ، فانه وجه همه كثيراً إلى تنظيم الأمور الداخلية ، فاختار لإدارة البلاد معه وزيرين هما « ركن الدولة صلاح الكرمانى وأبو نصر أسعد »^(٣) . وكان الأخير ممن يجيدون قرض الشعر بالعربية والفارسية. وكثيراً ما كان «سعد» يرسله على رأس بعثات سياسية بينه وبين السلطان محمد الخوارزمشاهى ، فكان هذا يكرم وفادته ويجله ، كما كان يقارضه الشعر^(٤) . كذلك وجه الأتابك همه نحو التعبير ، فأنشأ كثيراً من العماير الدينية ، والعسكرية ، والمدنية .

أنشأ الجامع الجديد بشيراز ، وهو المشهور بـ « جامع نو » ، ويقال عنه إنه لم يكن في جميع بلاد فارس والعراق وأغلب الأقاليم ، مسجد أوسع منه ، فانه كان يعد أكبر من مسجد الكوفة ، الذى أسسه الإمام على ، والمشهور أنه أكبر المساجد بالبلاد العربية^(٥) في ذلك العصر . كذلك أقام الأسواق العامة ، وشيد الحوانيت ، وبنى — على الطريق إلى تبريز — رباطا يسمى رباط « شهر الله » وأوقف عليه القرى والمزارع والبساتين والحمامات^(٦) .

كذلك احتاط للناحية العسكرية ، فأنشأ سوراً عظيماً يحيط بشيراز مكان السور الذى أنشأه « جلال الدين الجاولى » والذى كان قد تهدم^(٧) .

(١) جامع التواريخ ص ١٥٠ كاترير

(٢) انظر ص ١٨ سابقاً

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

(٤) ووصاف ص ١٥٠-١٥١

(٥) شيراز نامه ص ٥٤

(٦) ووصاف ص ١٥٥

(٧) شيراز نامه ص ٥٤

الاضطراب في سنة وفاته وتحديدها :

وهناك خلاف بين المؤرخين في تحديد سنة وفاة سعد ، يشير إليه الأستاذ القزويني في مقاله «ممدوحين شيخ سعدى شيرازي» ، ويناقش الآراء التي عرضت لهذا . وهو يأخذ بالرأى القائل بأن وفاته كانت سنة ٦٢٣ هـ لا سنة ٦٢٨ هـ .

ونحن نلخص رأيه فيما يقول — توفي « سعد بن زنگي » سنة ٦٢٣ هـ ، كما يذهب إلى ذلك صاحب « جامع التواريخ ، والوصاف ، وروضة الصفا ، وحييب السير » ، وليست وفاته سنة ٦٢٨ هـ كما يذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ كزیده » ويتبعه صاحب « لب التواريخ » و« جهان آرا » — وهنا يشير الأستاذ القزويني إلى أنه كان قد جاراهم في هذا الرأى ، في مقدمته لكتاب « المعجم في معاير أشعار العجم » ، ولكنه يجعل ذلك من قبيل السهو ، وهذا في عبارته :

« ومايز در كتاب المعجم في معاير أشعار العجم بمتابعت ایشان همين قول را نقل کرده بودیم ، بدون شك سهو واضح است » .

ثم يرمى رأى صاحب « تاريخ كزیده » بالفساد والبطلان ، بما سنعرض له فيما بعد ، ونواصل هنا مناقشته لهذا الرأى ، وتدليله على عدم صحته بقوله :

١ — إن ابن الأثير أثبت في حوادث سنة ٦٢٥ هـ أن صاحب بلاد فارس وقد عينه بالاسم وهو الأتابك « أبو بكر بن سعد » قد عاون « جلال الدين منكبرتي » في حربه مع المغول . وذلك دليل على أن « سعدا » كان قد توفي قبل ذلك .

٢ — يصرح الوصاف أن « عميد الدين أسعداً الأبرزي » وزير « سعد ابن زنگي » وصاحب القصيدة المشهورة « بالشكنوانيه » والتي مطلعها :

من يبلغن حمامات ببطحاء ممتعات بساسال وخضراء

قد زج به أبو بكر في السجن ، هو وابنه ، بعد وفاة « سعد » ، وقد توفي « عميد الدين » المذكور سنة ٦٣٤ هـ . وهذا دليل كذلك على وفاة « سعد » قبل هذا العام .

٣ — يصرح الوصاف أيضاً، أن أبا بكر فتح جزيرة « كيش » وقتل آخر ملوكها يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ هـ ، و بديهي أن هذه الحادثة — التي عينت باليوم والشهر والسنة — برهان واضح على أن هذه السنة، هي إحدى سنوات حكم « أبي بكر » . فكيف يكون أبوه قد توفى سنة ٦٢٨ هـ . كما ذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ كزیده » ؟^(١) .

انتهى تلخيص رأى الأستاذ القزويني ، ورده على صاحب « تاريخ كزیده » وبهذا يمكن التأكد من وفاة « سعد بن زنگي » في سنة ٦٢٣ هـ ، كما ذهب إليه صاحب « جامع التواريخ » و « وصاف » . وهما — من حيث الزمن — أسبق من صاحب « تاريخ كزیده » وكذلك — من حيث الثقة — أحق بالاطمئنان . وسنعود لمناقشة رأى آخر جاء به صاحب « تاريخ كزیده » في موضع — تخلص الشاعر — والذي اعتمد عليه أيضاً الأستاذ القزويني ، وذلك في دراستنا لحياة الشاعر في الباب الثاني .

وقد اتخذ « سعد بن زنگي » طرته هذه العبارة « وارث ملك سليمان ، مظفر الدنيا والدين سعد بن أتاك زنگي » وكان توقيعه « الله بس (٢) » . ويرى صاحب حبيب السير أن « تخلص الشاعر » مأخوذ من اسم هذا الأمير (٣) .

لماذا لم يمدح الشاعر هذا الأمير مدحاً مستقلاً ؟

كانت حياة الشاعر الأولى ، في عهد هذا الحاكم ، فقد تفتحت عيناه على حكم يبسطه « سعد بن زنگي » على فارس . وفي شيراز ، أخذ يدرج الشاعر إلى الحياة العامة ، يتناول من أساليب المعارف الموجودة في عصره ، ما قدر له تناوله ، بين

(١) سعدى نامه ص ١٠٢-١٠٣ (٢) وصصاف ص ١٥٥

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

أهله ومعالميه . وشاء القدر أن يموت أبوه ، وهو لا يزال فتى صغيراً غض الأهاب .
وتشير بعض الروايات ^(١) ، إلى أن أباه كان في رعاية هذا الحاكم ، الذى أظل الفتى
برعايته كذلك بعد وفاة أبيه .

فلما تفتحت الحياة للشاعر ، وتناول من التحصيل والمعارف ، قدرأ يمكنه من
قرض الشعر ، كانت نفسه أعز عليه من أن يجعل شعره وسيلة للارتزاق ،
أو التزلف فيتقرب للملوك والحكام من طريق الشعر .

وعلى الرغم من أن الشاعر لم يبكر فى إنشاد القصائد ، التى يمدح بها الناس ،
أو لم تمكنه الحياة أن يكون شاعر مدح ، فإن هذا لايعنى ألا يكون الشاعر مبكراً
فى ألوان الشعر الأخرى ، أو فى نظم الشعر بوجه عام . فكلياته تجمع الكثير من
ألوان الشعر ، وهى — فى مجموعها ، وموضوعها ، وكثرتها — تدل دلالة واضحة على
أن الشاعر بكر فى النظم منذ وقت يسمح له بإنشاد هذا القدر الضخم من الشعر .
ومع ذلك فلم يعرض الشاعر — قصداً — لمدح «سعد بن زنگى» — حاكم فارس —
فى صدر حياته الأولى ، وإن كان قد مدحه — عرضاً — فى المواضع التى
سنعرض له .

ولا يصعب علينا تفسير هذه الظاهرة ، إذا لاحظنا هذه الاعتبارات الآتية :

١ — نلاحظ أنه لم ينشد شيئاً من القصائد فى لونه المدح أو الرثاء ، حتى
حدود الخمسين من عمره تقريباً . فإنه كان يزهد فى هذا النوع . كما أشرنا
إلى ذلك سابقاً . وكانت أول مدائحه ، ما قاله يمدح فيها «أبا بكر بن سعد» فى
مقدمة كتابه «بوستان» .

وأول مرثيه مارثى فيها الخليفة «المستعصم وبعداد» وكان تاريخ تقديمه
«البوستان» سنة ٦٥٥ هـ وقصائده فى الخليفة سنة ٦٥٦ هـ .

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ طبعة ليدن .

٢ - كذلك يمكن أن يقال ، إنه في الوقت الذي تفتحت فيه حاسته الشعرية ، في عهد « سعد بن زنگي » قد عاف الحياة المضطربة في فارس ، ورحل عنها إلى غيرها ، يخفف عن نفسه ، كما سنعرض إلى ذلك . فحتى موطنه الذي درج فيه لم يربط نفسه به ، ولم يعبأ بكثير أو قليل مما يدور فيه ، وقد بدأت رحلاته في أواخر عهد هذا الأمير .

٣ - يرى الأستاذ القزويني أن « سعدى » في سنة ٦٢٣ هـ - وهي السنة التي توفي فيها سعد بن زنگي - كان لا يزال شاباً في حدود العشرين أو فوقها بقليل ، ومن البديهي - في رأيه - أنه في تلك السن لم ينضج شعره ، كذلك لم يكن من الشهرة بحيث يستطيع معايشرة الملوك والكبراء ^(١) .

هذا ما يفسر لنا - إلى حد ما - تلك الظاهرة ، وهي عدم وجود مدائح للشاعر في « سعد بن زنگي » مستقلة . وهي الظاهرة التي أخذ منها بعض رجال الأدب أن « سعدى » لم يتخلص باسم هذا الأمير ، وإنما كان تخلصه مأخوذاً من اسم حفيده « سعد بن أبي بكر » وسنشير إلى ذلك عند الكلام على تخلصه . ومع ذلك فهناك بعض المواضع التي عرض فيها الشاعر لمدح هذا الأمير ، لكنها تجيء في ثنايا مدائحه لابنه « أبي بكر بن سعد » ^(٢) .

٥ - أبو بكر بن سعد : ٦٢٣ - ٦٥٨ هـ

لأردنا تمثيل حياة هذه الأسرة ، لكانت أشبه بخط ، يكون مثلثاً . تبدأ إحدى نقط القاعدة عند أول حاكم منها ، وهو « سنقر » ثم يأخذ هذا الخط في الارتفاع - تدريجياً - حتى يبلغ القمة في عهد « أبي بكر » . إذ يعتبر عصره

(١) سعدى نامه ص ١٠٤

(٢) انظر كليات فروغی ص ٢٤٢ ، ٣٠٥ وسعدی نامه ص ١٠٢ - ١٠٥

في الحقيقة العصر الذهبي لهذه الأسرة . ثم يأخذ شأنها في الانخفاض ، حتى تنتهي إلى عهد « أبش خاتون » وهي النقطة التي ينتهي عندها الخط الذي تصور به حياة تلك الأسرة .

والواقع أن هذا الأمير — كما قدمته معظم الكتب — يعتبر على قمة أمراء الأتابكة من حيث طول الحكم ، واستقرار النظام ، واتساع نطاق الفتوحات ، وتشجيع العلماء ، وكثرة المنشآت .

ونحن نشير إلى طرف مما سجله بعض المؤرخين في التعريف به . فصاحب « شيراز نامه » يقول :

« أتاك أبو بكر چراغ دودمان سلغروواسطه قلاده سلطنت بود ، بحكم وراثت واستحقاق على الاطلاق در خطه فارس مالك تاج وتخت گشت . وكوكب دولت در عهد او باوج ارتقاء واقتران يافت . »

إلى أن يقول :

فالدين مستبشر ، والمجد مبتهج والعرف منهمر ، والملك مفتخر^(١)

ويذكره « محمد بن قيس » في كتابه « المعجم في معايير أشعار العجم » بعبارة مستفيضة ثبت منها ما يأتي :

« خدواند پادشاه معظم ، خاقان أعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والعجم ، أعدل ولاية العالم ، أكمل رعاة بني آدم ، مظفر الدنيا والدين ، غياث الاسلام والمسلمين » إلى أن يقول : « وارث ملك سليمان السلطان الأعظم أتاك أبو بكر بن سعد (٢) » .

ويرى الأستاذ القزويني أن كلمة « أبا بكر » اسم له وليست كنية^(٣) . كذلك يذكر « الوصاف » أنه لقب بلقب « قتلغ خان » وهو لقب تركي ، استحققه

(٢) المعجم في معايير أشعار العجم ص ٨

(١) شيراز نامه ص ٥٥

(٣) سعدى نامه ص ١٠٦

من « فا آخان » حين نخل في طاعة المغول ، ودفع ما التزمه اليهم ، وعبارته « والتزام خراج وأتاوات نمود ، قا آن سيورغاميشي را يرليغ بالقب قتلغ خان أرزاني داشت » (١) .

ومعنى « قتلغ خان » كما يفسرها الأستاذ القزويني « قتلغ بمعنى مبارك وسعيد » « و خان بمعنى ملك » فعناها « الملك السعيد » (٢) . ويسجل بعض المؤرخين اسمه مقروناً بهذا اللقب . فيؤرخ له صاحب « شيرازنامه » تحت عنوان « ذكر أتابك مظفر الدين قتلغ خان أبو بكر بن سعد بن زنگي بن مودود السلفري » (٣) .

أما كلمة « مظفر الدين » فهي لقب عرف به جميع ملوك السلفريين ، من أولهم حتى آخرهم ما عدا أش خاتون (٤) .

كيف تولى أبو بكر الحكم ؟

عرفنا سابقاً أن أبا بكر — حين رأى أباه قد انهزم في حرب به مع السلطان محمد الخوارزمشاهي ، وتنازله عن ثلثي خراج فارس ، وقبوله زواج ابنته من جلال الدين — حين رأى ذلك ، عقد العزم على الخروج على أبيه ، في جمع من حاشيته ، وخواصه لكن الأمر انتهى بانتصار أبيه عليه ، وزجه في السجن ، فأمضى فيه سبع سنوات (٥) .

فلما دنا الأجل من أبيه ، فكر فيمن يخلفه على الأمر ، فأرسل في طلب ابنه « أبي بكر » فمك إيساره ، وجيء به ، فتولى شئون فارس ، كما يذكر صاحب « شيرازنامه » .

(١) ووصاف ١٥٦ (٢) سعدى نامه ص ١٠٦

(٣) شيراز نامه ص ٥٥ — ووصاف ص ١٥٥

(٤) سعدى نامه ص ١٠١ (٥) شيراز نامه ص ٥٥

ولكن مؤرخاً آخر، هو صاحب « جامع التواريخ » ويأخذ برأيه الأستاذ « القزويني » يذكر أنه كان بين وفاة أبيه وتوليته بضعة شهور، وأنه ظل حبيساً في قلعة « سبيد »، فلما قضى « سعد بن زنگي »، أخفى أمر وفاته، وزيره « غياث الدين اليزدي »، وبعث سراً من أطلق أبا بكر من سجنه، وجرى به بين يدي الأمراء، والجيش، فأعلن لهم أن « الأتابك سعدا ». قد مات، وأنه استخلف على الولاية، ولى عهده « أبا بكر » فرضح هؤلاء للأمر، وأعلنت امارته (١).

أما تاريخ ولادته، فلم يعلم على وجه التحديد، لكن لما كان قد بلغ السابعة والستين عام وفاته، كما يصرح بذلك « رشيد الدين » (٢) وكانت وفاته في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ، كما يذهب إلى ذلك أيضاً نفس هذا المؤرخ وغيره (٣)، فلا بد أن يكون مولده في حدود سنة ٥٩١ هـ.

ولما كان عهد « أبي بكر » هو أزهى العصور وأطولها، إذ يبلغ ستة وثلاثين عاماً، وعاش في عهده الشاعر، واستنزل برعايته، بعد أن عاد إلى موطنه، فإننا نورد كلمة لمظاهر الحياة في عهده، ونقسم الكلام فيها إلى ما يأتي:

- ١ — السياسة الخارجية .
- ٢ — السياسة الداخلية .
- ٣ — الحركة العلمية .

(١) سعدى نامه ص ١٠٧

(٢) جامع التواريخ ص ٣٣ طبع بلوشه وسعدى نامه ص ١٠٧

(٣) شميراز نامه ص ٦١ — ويجعل وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ. وهذا يذهب صاحب « تاريخ گزيده » أيضاً وإن لم يذكر الشهر. ص ٥٠٨

أولاً - السياسة الخارجية

كان « سعد بن زنگي » قد صانع الخوارز مشاهيين ، والمغول من بعدهم ، وأدرك - بعد نظره - ألا حيلة له لمقاومة هذا الطغيان ، فدخل في طاعتهم ، وقبل أن يتمتع بالاستقلال الذاتي - داخلياً - وأن يدفع لهم الجزية ، إبقاء على إمارته ، وبهذا سلمت الإمارة من غارة المغول ، كما رسم بهذه الخطة الطريق لابنه من بعده ، فسار عليها ، وبهذا ظل عرشه في يأمن من تقلب الأحداث ، ووجه همه إلى الإصلاح الداخلي ، الذي كانت ولايته محتاجة إليه أشد الاحتياج نظراً لما قاسته من أهوال الحروب والتخرب في الفتن المتتالية ، التي اتت بالولاية بأجمعها ، وخاصة في الحرب التي نشبت بين أبيه وبين « أذربك بهلوان » وبينه وبين « السلطان محمد وابنه غياث الدين^(١) » . وهي الحروب التي أسلفنا الإشارة إليها في عهد أبيه .

وكان دخوله كذلك في تحالف مع المغول ، خطوة موفقة ، أمنته على إمارته ، ووطدت له الحكم ، قهياً لوجه الإصلاح الأخرى ، التي تطلبها ولايته . ويشير المؤرخون إلى أن تصافيه مع المغول ، كان حركة بارعة ، دلت على بعد نظر وإصابة رأى . فيذكر «وصاف»^(٢) :

« وير كمال عافيت أندشني ، واصابت تدبير أو إين نكنه دلبلي قاطع أست ، كه چون با دشاه گیتی ستان چنگيزخان برملوك وممالك مالك شد ، وعالميانرا آثار بأس وسطوت لشكر تثار معلوم گشت ، اظهار ايلي كرد وتنسقات وعرضات درصحت برادر زاده خود تهمتن ، ببندگی قا آن فرسستاد ، والتزام خراج وأتاوات نمود . قا آن سيور غاميش را يرليغ بالقب قتلغ خاني أرزاني داشت ، وسلطنت ممالك سوروث بروى مقرر فرمود . »

(١) شيراز نامه ص ٥٦

(٢) وصاف ص ١٥٦

على أن الأمر لم يقف « بأبي بكر » في مصانعة المغول إلى هذا الحد ، بل نراه يبالغ في ذلك مبالغة ملحوظة . فقد أمد جيش المغول حين حصاره بغداد بجيش من قبله — وهو الأمير المسلم ، السني المذهب ، المتفق مع الخليفة الإسلامي ، في دينه ومذهبه — أرسل جيشاً تحت امره ابن أخيه « محمد شاه ابن سلغر شاه ^(١) » فلما تم الفتح لهولاءكو ، عاد فأرسل ابنه « الأمير سعداً ابن أبي بكر لتمنيته ^(٢) » .

لكن هذه السياسة ، التي رسمها سعد ، وانتهجها أبو بكر ، ومضى عليها خلفاؤه من بعده ، إن كانت قد أمتهم على البقاء في الحكم ، إلا أنها فتحت الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي الذي أصابها من المغول في توجيه السياسة العليا للولاية . فشعر الأمراء من بعده أن المغول لا بد من اعترافهم بمن يتولى شأن الإمارة ، وستبدو هذه الظاهرة فيمن خلفه ، فإن الذين جاؤا بعده كانوا ولاية ضعافا ، قصر عهدهم ، وطال نزاعهم ، مما أدى إلى التدخل الفعلي من المغول ، وتوجيه السياسة حسب ما تلميه رغباتهم ، إلى أن قضى نهائياً على سلطان الأتابكة أيام « أبش خاتون » .

وبعد أن مكن « الأتابك أبو بكر » لإمارته في الداخل ، واستتب له الأمر ، وصانع المغول ، وأمن غائلهم ، وجه همه نحو توسيع رقعة بلاده ، وكان الجانب الغربي من ولايته مطمح أنظاره . ذلك أن الجانب الشمالي كان يجاور مملكة الخوارز مشاهيين ، وقد بدأ يدخلها المغول من الشمال ، منحدرين من الشرق ، والجانب الجنوبي منها ، يحيط به ساحل المحيط الهندي ، والجانب الغربي بلاد العرب ، لا يفصلها عنها إلا ذلك الخليج الضيق خليج فارس .

كان بهذا الخليج عدة جزر متناثرة ، على القرب من شاطئيه ، ذات غلات

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(١) سعدى نامه ص ١٠٥

قيمة ، يتولى شئون الجزء الشرقى منها ، أسرة قديمة تعرف بأسرة « بنى قيصر »
ويتولى الجانب الغربى بعض أمراء العرب .

رغب « أبو بكر » فى ضم هذه الجزر إلى إمارته ، وامتدت مطامعه إلى
عبور الخليج الفارسى ، والاستيلاء على البحرين ، وعلى بعض الجزر القريبة منها .
فبدأ فتوحاته بالتوجه إلى جزر الجانب الشرقى ، فى الخليج الفارسى ، وكانت أسرة
« بنى قيصر » تشرف على إدارة جزيرة قرب الشاطيء تدعى جزيرة
« قيس (١) » وكانوا يتولون أمورها منذ أيام الديلمة . فإذا كان عصر الأتابكة
بفارس ، كان حكامها على وفاق ، وحسن جوار ، مع أمراء تلك
الأسرة . ففي عهد « سنقر بن مودود » بدأوا يرسلون الرسل من قبلهم لتقديم
فروض الولاء .

فإذا كان عهد « أبى بكر » أسند أمر هذه الجزيرة إلى رجل منهم يدعى
« ملك سلطان بن قوام الدين بن تاج الدين بن شاه بن جمشيد » . لم يرض
بالإذعان لأبى بكر ، وشق عصما الطاعة عليه ، فجرد أبو بكر جيشاً ، واستولى
على الجزيرة بأكملها ، فأضيفت إلى ممتلكات فارس (٢) .

كان هذا إيذاناً بفتح بقية الجزر الموجودة بالشاطيء الشرقى ، فلما سقطت
جزيرة قيس ، وجه فتوحاته إلى جزيرة أخرى تدعى « كيش » ، وقتل آخر ملوك
أسرة « بنى قيصر » المسمى « ملك سلطان » واعمل القتل والتنكيل فى أتباعه ،
وقد سقطت هذه الجزيرة فى الثانى عشر من جمادى الآخر سنة ٦٢٦ هـ (٣) .

لكن القائد الذى تولى فتحها وكان يسمى « سيف الدين أبا نصر علياً بن

(٢) وصاب ص ١٧٥

(١) وصاب ص ١٧٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٥

تباد « أراد اغتصاب الملك لنفسه ، فى تلك الجزيرة ، فأعلن العصيان على الأتابك ، إلا أنه لم يظفر بذلك . وتم الأمر لأبى بكر على هاتين الجزيرتين ، بل على جميع بلاد الساحل الشرقى فى سنة ٦٢٨ هـ .

لم تقف مطامع أبى بكر عند استيلائه على جزر الجانب الشرقى ، من الخليج الفارسى ، بل امتدت مطامعه إلى الاستيلاء على جزر الجانب الغربى كذلك ، وكانت هذه الجزر تابعة لأمرأء من العرب .

بدأ بفتح جزيرة تسمى « أوال » وتشتهر « بالبحرين » ، وقضى على أميرها المسمى « محمداً بن محمد بن أبى ماجد (١) » ثم فتح « القطيف » وتم له ذلك فى يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة سنة ٦٣٣ هـ (٢) . ولما انتهى من فتحها أفام عليها أميرين عربيين هما « عصفور بن راشد بن عمير ومانع بن على بن ماجد ابن عمير » وقبلاً أن يؤديا الجزية له سنوياً ، وبلغ مقدارها اثنى عشر ألف دينار مصرية (٣) .

شغلت هذه الفتوحات كثيراً من حكم « أبى بكر » فقد بدأت سنة ٦٢٦ هـ وانتهت سنة ٦٣٣ هـ . وقد أدى فتح هذه الجزر إلى علو منزله ، وارتفاع شأنه ، وتناقل الناس سطوته على امتداد المحيط الهندى من خليج البصرة ، حتى سواحل الهند ، كما يقول « وصاب » .

بل يقول « صاحب حبيب السير » إن بعض بلاد الهند كانت تذكر اسمه فى الخطبة (٤) ، وبهذا تشير طرة توقيعه التى أثبتتها « الوصاب » كما يأتى « وارت ملك سليمان ، عادل جهان ، سلطان البر والبحر ، مظفر الدنيا والدين أبو بكر » وكان توقيعه « الحكيم لله (٥) » .

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٤) حبيب السير ص ١٣٠

(١) وصاب ص ١٧٩

(٣) وصاب ص ١٧٩

(٥) وصاب ص ١٧٨

ثانياً - السياسة الداخلية

اشتهر «أبو بكر» باليقظة، والحذر، وحسن اختيار الناس، وبلغ من حرصه على الإشراف بنفسه على أمور الدولة، أن كلف وزراءه وعماله الرجوع إليه . في كل الأمور - صغيرها وكبيرها - وكان يحاسبهم بنفسه ، في أوقات فراغه ، وكل من ثبت إهماله في عمله رفعه منه ^(١) .

كان أبوه في عهد حكمه قد استوزر رجلا يسمى «ركن الدين صلاحا الكرمانى» لكن لم تطل وزارته كثيراً، إذ ضعفت الثقة به ، فعزل ^(٢) فولى بعده «الصاحب السعيد عميد الدين أسعداً الأبرزى» . فلما انتقل الحكم إلى أبي بكر ، أبعده عن الوزارة ، إذ أحاطت به الشكوك والتهم ، وثبت عايبه أنه كان متصلاً مع خصوم أبيه ، وهو السلطان «محمد خوارزمشاه» . كما سمع عن قصيدة له مدح فيها السلطان على خلعة نالها من أمير المؤمنين ، جاء فيها قوله :

وقيت الردى ، يامن بأفعاله غدا
وأضحى به روض الشرائع ناضراً
صوارمك البيض البواتر غادرت
غدا لمعاليك الزمان مواليا
وجاءتك من دار الخلافة ، خلعة
كذا القطرات النازلات من السما
لواء المعالى والحامد عاليا
وأسمى به صدر الممالك حاليا
ديار الأعادى ، مققرات خواليا
مطيعاً ، وأبناء الزمان ، مواليا
بعلياك ، نالت مفخراً ، ومعاليا
إذا ما حللن البحر ، صرن لآليا ^(٣)

أحس «أبو بكر» من خلال تلك القصيدة أن الشاعر في إشارته للخوارزمشاهى ، يسيء إلى أولياء نعمته . فإذا عرفنا أن الحرب كانت بين الأسرنيين وأن أبا بكر غضب على أبيه ، بسبب قبوله شروط الصالح الفادحة ، وأنه نفر من

(٢) حبيب السير ص ١٢٩

(١) وصاف ص ١٥٧

(٣) وصاف ص ١٥٦

تنفيذها ، وشق عصا الطاعة على أبيه ، حتى ألقى في غياهب السجن ومكث به
سبع سنوات

إذا عرفنا كل ذلك ، أدركنا — إلى أى حد — كان مبلغ تأثير هذه
القصيدة في نفس أبي بكر ، وخاصة في مثل عبارته «غدا لمعاليك» فاحتمد الغضب
بنفس أبي بكر ، ولم يجد بداً من أن يزج بهذا الوزير في السجن ، ومعه ابنه «تاج
الدين محمد» في قلعة «شكنوان» . فنظم في ذلك رباعية بعث بها إلى «أبي بكر» ،
كى يخلصه من هذا السجن هي :

« اى وارث تاج وملكت وأفسر سعد بخشای خدای راجان وسر سعد
بر من كه چونام خویشتن تا هستم همچون ألف ایستاده ام بر سر سعد» (١)

فلما استقر في السجن ، أنشد قصيدة عربية مشهورة مطلعها .

من يبلغنّ حمامات بيطحاء ممتعات بسلسال وخضراء

وتعرف هذه القصيدة « بالشكنوانية » نسبة إلى القلعة التي حبس فيها ، فلما
تمذر عليه الورق والمداد لكتابتها ، أملاها على ابنه ، فنقشها على الحائط حتى حفظها ،
وظل الوزير بالسجن حتى توفي سنة ٦٢٤ هـ ، وبعد وفاته ، أخرج ابنه ، فروى
القصيدة على « صفي الدين أبي الخير بن أبي الفتح السيرافي » ابن خال صاحب
السعيد الوزير (٢) .

أما وزراؤه الذين عينهم بنفسه فكثيرون ، يذكر صاحب « شيرازنامه » أن
أشهر هؤلاء الوزراء هو الأمير « مقرب الدين أبو المفاخر مسعود » والأمير « فخر
الدين أبو بكر » ، وكان « أبو المفاخر مسعود » محل تقدير واحترام من مشايخ
عصره ، ومن أشهر آثاره مدرسة عالية ، أقامها بالسوق ، واشتهرت « بمدرسة مقرب »

(٢) ووصاف ص ١٥٦

(١) شيرازنامه ص ٥٧

ثم أقام بالقرب منها ، رباطا متصلا بالمسجد العتيق بشيراز ، وأنشأ بجوار الرباط ، داراً للحديث ، وأخرى للعلاج . كما شيد سبيلا للشراب ، لم يكن له مثيل في شيراز علواً واتساعاً ، ووقف على تلك المنشآت أوقافاً كثيرة (١) .

ويذكر صاحب « تاريخ كزیده » أنه كان رجلاً حسن الطوية ، خبيراً ، لم يبلغ شخص آخر ما بلغه من المنزلة في عهده ، وكل إليه « أبو بكر » تربية أولاده وخواتينه . (٢) .

أما الوزير الأمير « فخر الدين أبو بكر » فقد أمضى عهده كذلك ، في إقامة المنشآت الهامة ، فابتنى على مقربة من باب قصر الأتابك ، مسجداً جامعاً ، وأقام بجواره رباطاً ، وداراً للحديث وداراً للعلاج (٣) ، وجعل الجميع في مكان واحد .

ويشير الأستاذ القرويني إلى اسمه كاملاً في قوله « الأمير فخر الدين أبو بكر ابن أبي نصر الحوایجی » ويقول عنه إنه كان أول أمره ممن تخيرهم « أبو بكر » لتدبير شئون مأكله ، ومن هذا كانت نسبه « الحوایجی » ثم ابتسم له الحظ ، وارتقى حتى نال الوزارة (٤) .

وهذا الوزير هو الذي مدحه الشاعر « سعدی » في مقدمته على « الكستان » بعبارة جاء فيها

(أمير كبير ، عالم عادل ، مؤيد مظفر منصور ، ظهير سرير سلطنت ، وبشير تدبير مملکت ، كهف الفقراء ، ملاذ الغرباء ، سربى القضاء ، محب الأتقياء ، افتخار آل فارس يمين الملك ...) (٥) .

كذلك يقال إنه رثاه بقصيدته التي مطلعها .

« وجود عاربتی دل در نشاید بسمت همانکه مرهم جان بوددل بنیش نجست » (٦)

(١) شیراز نامه ص ٥٩ . (٢) تاریخ کزیده ٥٠٧ .

(٣) وصفان ص ١٦٠-١٦١ . (٤) سعدی نامه ص ١٣١ .

(٥) کلیات فروغی ص ٧٨ . (٦) سعدی نامه ص ١٣٢ .

أما الأتابك « أبو بكر » نفسه ، فيجمع المؤرخون على أنه لم يترك وجهاً من وجوه الإصلاح ، إلا نهض به ، فقد وجه همه في الإصلاح الداخلي ، إلى جميع نواحي الحياة ، سواء ما كان يتصل منها بالحياة الدينية ، أو العلمية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية . فابتنى المساجد ، وشيد المدارس وأقام المستشفيات ، وأصلح القرى ، وبغرس الحدائق العامة ، واعتنى بالمزارع ، وأقام الطواحين ، وشيد الأربطة ، كل ذلك في جميع نواحي فارس ، وحبس عليها الأوقاف الكثيرة لينفق منها^(١) .

ثالثاً — الحركة العلمية في شيراز في عهد أبي بكر

يبدو أن الروح الدينية كانت متغلغلة في نفس هذا الأمير إلى حد كبير ، فبالرغم من أنه أتى في السجن وزيراً استوزره أبوه من قبل ، وألحق به ابنه كذلك ، فإن هذا التصرف كان لما رآه فيهما من خصلة النفاق الوضيعة ، ولأن تدير أمور الدولة يحتاج إلى الاستعانة بمن يخلص له النصيح ، ويصدق المشورة ، فكان هذا هو الباعث الذي حدا به إلى إلقاء الرجل وابنه في السجن .

وقد بالغ « أبو بكر » في احترامه لرجال الدين إلى حد الإسراف ، بل إلى حد كراهيته للعالم الأخرى المنطقية والفلسفية ، وكراهيته لرجالها كذلك . وسنفسر هذه الظاهرة في نفسية هذا الأمير ، لعلنا ندرك منها كيف تكيفت حياته الشخصية ، بل الحياة العامة في شيراز عاصمة ملكه ؟ بل لعلنا ندرك أخيراً — كيف أوحت هذه الحياة الدينية ، التي طمح إليها « أبو بكر » — إلى شاعر مثل « السعدي » أن يساهم فيها ، فينظم هذا النوع من شعره الأخلاقي التعليمي . لعل فيه ما يسد هذه الرغبات الطموحة إلى هذا التوجيه ، ولعل فيه كذلك ما يعالج هذه الأوضاع الاجتماعية ، التي آلت إليها الحياة العامة في ذلك العصر ؟ .

(١) وصصاف ص ١٥٧ وتاريخ كزیده ص ٥٠٨ وحبيب السير ص ١٢٩

وشيراز نامه ص ٦٠

أما تربية « أبا بكر » الأولى فإنها كانت بين أحضان رجال الدين ، وقد حُبب إليه أبوه معاشرته هذه الطائفة ، واحترامها ، بل كان يحضر به — وهو لا يزال يافعاً — مجالس العلماء . وكانت فارس — إذ ذاك — تزخر بالكثير من العلماء الدينيين ، والمتصوفة على الإطلاق ، وظهر فيها — بوجه خاص — في هذا العهد طائفة كبيرة من هاتين الجماعتين ، وكان رجالها محل تقدير الحكام ، وملتقى رعايتهم وإكرامهم .

وكانت فارس في عهد أبيه « سعد بن زنگي » تحتضن كثيراً من الشخصيات العلمية ، وكانت شیراز خاصة قبلة أنظارهم ؛ ومن كبار العلماء الذين كان يحلهم ويحضر مجالسهم ، مصطحباً ابنه « أبا بكر » معه العارف العالم « روزبهان » المتوفى سنة ٦٠٦ هـ يذكره صاحب « شیراز نامه » بعبارة كلها تقدير وإجلال ، مشيراً إلى احترام « سعد وابنه أبا بكر » له . وحضورهما مجالسه .

« شيخ شيوخ الزمان ، سيد جلساء الرحمن ، شطاح فارس ميدان ، أبو محمد روزبهان . ابن أبي نصر البجلي ، مقتداي أرباب طريقت ، وپيشواي أصحاب حقيقت بود ، درفتون . علوم نظير ندانتست » إلى أن يقول :

« وأتابك سعد وأتابك أبو بكر بن سعد كه درآن عصر بسطنت وایالت مملكت فارس اختصاص داشتند ، بمحاورت ومعارضت آن حضرت مستبشر ومفتخر بودندي » (١)

فإذا عرفنا أن « أبا بكر » ولد في حدود سنة ٥٩١ هـ وأن هذا الشيخ توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وأنه خلال هذا الزمن ، لم يتجاوز الخامسة عشر ، أدركنا مبلغ حرص أبيه على توجيهه إلى تلك الناحية ، وأدركنا كذلك مبلغ حبه لطائفة رجال الدين بوجه خاص .

لازمته هذه الروح الطيبة ، نحو طائفة رجال الدين مدى حياته . ففي

(١) شیراز نامه ص ١١٦

سنة ٦٢٢ هـ حينما كان في السجن ، على إثر الخلاف بينه وبين أبيه ، أرسل خطابا إلى الشيخ « عز الدين زر كوب » يلتمس الدعاء له . كما طلب إليه أن يبلغ قدوة الأبدال « نجيب الدين » ليكتب إليه دعاء . فكتب الدعاء المطلوب ، وختمه بتلك العبارة « يا لطيف أدركنا بلطفك الخفي » وقد طلب إليه أن يكررها في اليوم ألف مرة (١) .

فلما تولى شئون فارس ، واستوى على العرش بعد أبيه ، جعل احترام طائفة رجال الدين نصب عينيه ، واجتهد — كما يقول صاحب « حبيب السير » — في نصرته الدين الحق ، وإحياء علوم الدين ، وبذل جهداً في ذلك لم يجعل لعلوم الحكمة والفلسفة في أيامه شأنًا ، وفضل العباد والمتصوفة ، على غيرهم من رجال العلم ورجال الافتاء والمدرسين (٢) .

كذلك يشير « الوصاف » إلى أنه بالغ في رعاية الدين الإسلامي ، واطهار شعائره ، وإحاطة رجاله ، إلى حد أربأ أصحاب العلوم الطبيعية والفلسفية وعبارته . « وتاحدى در تقويت دين مهدى ، واطهار شعار اسلام مبالغت نمود ، كه در زمان او هيچ آفريده ، بظاهر در علم حكيمات وجدليات ومنطق ، كه ميزان معي است شروع نيا راست كردن » (٣) .

بل لعله بالغ في ذلك إلى حد كبير ، فأساء معاملة الموجودين منهم ، في عصره وأكرههم على الهجرة من شيراز ، في قول « الوصاف » أيضاً .

« لا جرم چند افراد از ائمه نامدار وعلما بزرگوار بواسطت نسبت علم حكمت لزجاج كرد ، وقهرا وجبرا از شيراز إخراج ، از آن جمله امام صدر الدين محمود الأشنهي ، والامام العلامة توده پشتي ، ومولانا عز الدين ابراهيم القيسى (٤) »

ويؤيد هذا ما ذهب إليه أيضاً صاحب « شيرازنامه » ، في الفصل الذي

(٢) حبيب السير ص ١٢٩

(١) شيرازنامه ص ٥٩

(٤) وصاف ص ١٥٨-١٥٩

(٣) وصاف ص ١٥٦

كتبه عن الأئمة والعلماء الذين عاصروا أبا بكر، يذكر من بينهم «خواجه
أمام الدين جارى المكنى بأبي نصر» وكان أستاذاً «لأبي بكر» لا نظيره
في العلوم الشرعية، ماهراً في العربية إلى أن يقول.

«وبنا بر آنچه غالب فن أو علوم شرعى بوده، در خاطر أتابك أبو بكر نشانده
بود، كه گروهى علما كه بعلوم حكمت وأصول بهارتى دارند، بخلاف سنت
وجامعت درس ودور ایشان مى گذرد، وعوام شیراز را اضلال میکنند، أتابك
أبو بكر باخراج ایشان از شیراز حكم فرمود. از آن جمله صدر الدين أنشهى استحضار
واستبصاراً وبكليات علوم عقلی، چون بياض نهار از افامت بمنت استفنادانت ودد علم
إلهيات وطبيعيات وهندسة وهيئة وجدليات وأدييات سعى فرموده بود، واين جمله
درس گسفتى، واسام شهاب الدين توده بشتى، وبولانا عز الدين قيسى وجمعى از ائمه
ديگر هم از اين مقدمات از شیراز تبعيد فرمود» (۱).

ومن كبار الشخصيات الدينية التي عاصرت «أبا بكر» ونالت إعجابها،
وتقديره القاضي «جمال الدين أبو بكر بن يوسف بن أبي نعيم المصري». تخيره
أبو بكر ليتولى منصب قاضي القضاة بفارس كلها، وكان من تصانيفه شرح
مقامات الحريري. يقول عنه صاحب «شیراز نامه».

«أتابك أبو بكر عظيم معتقد سيرت حسنه وآداب وأخلاق مرضيه أو گشت .
وچون فضائل وكمالات باطريق أخلاق حميده جمع داشت، منصب قاضي القضاة
فارس را بر او مسلم فرمودند» (۲).

وقد مدح بعض الشعراء هذا القاضي بقوله:

بضاعتي المزجاة مولاي فأقبلن فأنت عزيز المصر بل أوحد العصر
وأوف لنا كيل العناية مفضلا يزدلك ربي بسطة الجاه والقدر (۳)

يتضح من هذا أن فارس في عهد الأمير «أبي بكر» كانت تغلب عليها روح
دينية صوفية، وقد مكن لرجال الدين، والصوفيين في حياته، وبالغ في إكرامهم

(۱) شیراز نامه ص ۵۷-۵۸ (۲) شیراز نامه ص ۱۲۶

(۳) ووصاف ص ۱۵۸

وتقديرهم ، فكان يحضر دروسهم ، وكان يطلب دعاءهم ويسأل رضاهم . بل بالغ في احترامهم وتقديرهم إلى حد جعله يصفى لمشورتهم ويبعد غيرهم من رجال العلوم النظرية .

تحديد السنوات التاريخية في حياة أبي بكر

يهيئنا هنا ، في تدوين عصر هذا الأمير ، أن نشير — بقدر الإمكان — إلى تحديد السنوات التاريخية لأهم المسائل في حياته ، لنعرف مدى ارتباط الشاعر به .

عاصر الشاعر عهد هذا الأمير كله ، وأدرك السنوات الأخيرة من عهد أبيه « سعد بن زنگي » كما عاصر ابنه « سعداً بن أبي بكر » وسندرك من هذا التحقيق ، بعض المسائل الغامضة في حياة الشاعر نفسه ، مما سنضطر إلى الكلام عليها في موضعه .

ويبدفنا إلى هذا ما نلاحظه من الاضطراب الذي يتصل بحياة الشاعر وصلته بهؤلاء الأمراء مما وقع فيه المؤرخون قديماً وحديثاً . وأخص هذا الاضطراب ما يدور حول تحديد مولده ، وتعيين تخلصه ، وهل كان مأخوذاً من « سعد ابن زنگي » أو من حفيده « سعد بن أبي بكر » ؟ .

والسنوات التي أثبتها المؤرخون « لأبي بكر » — على قلتها — يمكن أن يستمد منها باقى تواريخ الأحداث الهامة في عصره ، والتي لم يسجل تاريخها .

وليس هناك كبير خلاف بين المؤرخين فيما ذهبوا إليه من التحديد لبعض المسائل ، اللهم إلا ما يتصل بزمن توليته ، وقد أشرنا إلى ذلك الخلاف سابقاً . وانتهينا إلى الأخذ بالرأى الذى قال بأنه تولى سنة ٦٢٣ هـ ، وهو الرأى الذى اعتمده أيضاً الأستاذ القزوينى عند الكلام على سنة وفاة أبيه ، وتجنينا الرأى

القائل بأن وفاته كانت سنة ٦٢٨هـ للأسباب التي بسطها الأستاذ القزويني نفسه .
ولكن يبدو أن هناك خلافاً آخر في سنة وفاته ، وإن كان هذا الخلاف
هيناً عن الخلاف في سنة ولايته، ذلك أنه لا يعدو من الفرق الزمنى عاماً واحداً .
فيجعل صاحب « شيرازنامه » وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٥٨^(١) ، بينما يجعل
« وصال » هذا التاريخ سنة ٦٥٩ هـ^(٢) دون تحديد للشهر ، وإن كانا يلتقيان
بعد ذلك ، في تحديد مدة حكمه وسنه حين أدركته المنية ، فيجمعان على أن حكمه
امتد ستاً وثلاثين عاماً ، وأنه توفي في سن السبعين .

« ورشيد الدين » وهو معاصر له ، يلتقى مع صاحب « شيرازنامه » في سنة
وفاته ، ويختلف عنه فقط ، في تحديد الشهر ، فيجعله جمادى الآخر من العام
نفسه^(٣) . ولكنه يذهب في مدة توليته السلطان مذهباً مخالفاً للثلاثين ، فهو يرى
في شيء من دقة التحديد ، أن مدة سلطنته هي أربعة وثلاثين عاماً وستة أشهر
واثنا عشر يوماً^(٤) . فكان وقت جلوسه على العرش كان في أحد الجُماد بين
سنة ٦٢٣ هـ .

أما سنه وقت وفاته ، فإن « رشيد الدين » يخالف كذلك ماذهب إليه
« وصال » وتبعه في الرأي صاحب « شيرازنامه » . فبينما يجعلان وفاته في سن
السبعين يجعل « رشيد الدين » سنة وفاته في السابعة والستين .

ونحن — من جانبنا — نميل إلى الأخذ برأى « رشيد الدين » فإنه معاصر

(١) شيرازنامه ص ٦١

(٢) وصال ص ١٨٠ . ويشهر الأستاذ القزويني إلى أن ساورد في نسخة «بمي»
مخالف لبعض النسخ الخطية من كتاب وصال . ويرى أن ذلك من سهو النساخ .
فإن أغلب المؤرخين يجمعون على أن سنة وفاته هي ٦٥٨ هـ . أنظر تعليقات ص ١٠٧
من سعدى نامه .

(٣) سعدى نامه ص ١٠٧ (٤) نفس المصدر ص ١٠٦

تماماً لعهد أبي بكر، مما ساعده على تحرى الدقة في التحديد الزمني ، باليوم والشهر والسنة .

وانستطيع بهذا أن نستخلص سنة ولادته على وجه قريب من الدقة . فإنه لما كان قد توفي سنة ٦٥٨ هـ في سن السابعة والستين فإن سنة ولادته تكون سنة ٥٩١ هـ .

وبجانب هذه السنوات—التي أشار إليها المؤرخون— نستطيع أن نستخلص السنوات التي وقعت فيها بعض الأحداث الهامة في عصره ولم يشر المؤرخون إلى تحديدها . ونحن نعرف أنه كان سجيناً حتى سنة ٦٢٣ هـ حين وفاة أبيه ، وكان قد أمضى في هذا السجن — كما يقال — سبع سنوات ، فكان القبض عليه حدث سنة ٦١٦ هـ . ولما كان هذا الأمير قد ولد سنة ٥٩١ هـ فكأنه قاد تلك الثورة ، وهو في سن الشباب الطموح ، الذي يأبى على نفسه قبول الهزيمة والاستكانة . وعلى ذلك يكون وقت قيادته لتلك الثورة في حدود الخامسة والعشرين ، وهو نفس السن المناسب لإدراك خطورة المؤامرة التي ذررها ، كما أنه السن التي يستطيع فيها أن يستحوذ على ثقة رجال الدولة والأمة معاً ، وخاصة في مثل هذه المواقف التي تحتاج إلى رفع علم العصيان وإلى المغامرة والكفاح .

الشاعر وأبو بكر بن سعد

أهم شخصية اتصل بها الشاعر ، وارتبطت حياته بحياته ، في كثير من مراحلها . وقد امتدت مدة حكمه بفارس إلى ما فوق الثلاثين عاماً . والشاعر قد عاصر هذا الأمير ، واكتملت له حاسته الشعرية في عهده ، وانقاد له العنان ، فنضج شعره ، وسرى في الآفاق ، حتى وصف نفسه بأنه حاز قصب السبق في البلاغة ، في عهد «أبي بكر» .

« كه سعدى كه كوى بلاغت ربود در أيام بو بكر بن سعد بود
والقطعة التي يمتدح فيها هذا الأمير ترد في « البوستان » تبلغ سبعة وأربعين

بيتاً كما في كليات فروغى . وقد تضمنت هذه القطعة عدة أغراض هامة ، تنقل
فيها الشاعر من غرض إلى غرض ، ومن وصف إلى وصف .

ويجدر بنا أن نلم بها ، فنحللها ونشير إلى أغراضها . وترد هذه القطعة بعد
مقدمة في مدح الذات الإلهية ، وقطعة في مدح الرسول عليه السلام ، وأخرى
في سبب نظم الكتاب .

وفي مطلع القطعة يذكر الشاعر أن طبيعته لم تألف هذا النوع من مدائح
الملوك والوقوف بأبوابهم . لكن إن كان ذلك المدح على غير طبيعته ، فإنما
اندفع إليه لغرض آخر ، هو تأريخ حياته الشخصية مع حياة الأمير الذى كان
معاصراً له .

وإذا كانت الحياة قد جمعت بينهما ، في بلد واحد ، وعصر واحد ، فلا أقل
من أن يذكره الشاعر حتى يدرك الناس أن « سعدى » — وقد حاز قصب السبق
في البلاغة — كان في عهد الأمير « أبى بكر بن سعد » . هذه هي أغراض الأبيات
الثلاثة الأولى من المطلع .

« مرا طبع أزين نوع خواهان نبود	سرسدحت پادشاهان نبود
ولى نظم كردم بنام فلان	مگر باز گویند صاحب دلان
که سعدى که کوی بلاغت ربود	در أيام بو بکر بن سعید بود »

وفي ثنايا هذه القطعة كثير من الأوصاف ، وكثير من الأغراض . يتنقل
فيها الشاعر من وصف إلى وصف ، ومن غرض إلى غرض . وأحياناً توجد
مناسبة لهذا الانتقال ، وأحياناً لا توجد ، وكثيراً ما يعود الشاعر إلى غرض سبق
الكلام عليه .

وسنعالج الكلام عليها من حيث الوحدة بينها في الغرض ، لا من حيث
ترتيب الأبيات فيها .

والشاعر نفسه يدرك أن صفات الأمير متعددة بحيث لا يحتمل كتابه هذا احتواءها أو يتسع لها ، بل لعل الأمر — لو عرض له بما يليق — لاحتاج إلى كتاب آخر بجوار هذا الكتاب . يبدو ذلك من بيتيه :

« برون بينم أوصاف شاه أز حساب نكنجد درين تنگ ميدان كتاب
گر آنجمله را سعدى إنشا كند مگر دقترى ديگر املا كند »

ونحن نستطيع بعد ذلك أن نقسم — بوجه عام — الأوصاف التي عرض لها الشاعر إلى ثلاثة :

١ — أوصاف سياسية تعرض سياسة هذا الأمير في إدارته لدفة الحكم ، وحسن تدبيره لها ، وما كان لهذه السياسة من أثر ظاهر ، في داخل مملكته وخارجها ، حتى استقر فيها النظام ، وساد الأمن بين ربوعها ، وانتشر فيها العدل .

٢ — أوصاف اجتماعية كمنّت في طوايا الأمير ، ونشئ عليها ، وكان لها أثرها الظاهر في حياته الشخصية ، وحياة الذين أحاطوا به في قصره أو إمارته .

٣ — أوصاف عامة ودعاء لهذا الأمير في ختام القطعة بأن يؤيد الله ملكه ويثبت قواعده ، ثم مدح لأبيه ، وترحم عليه .

ولنأخذ الآن في عرض ما تقدم على النحو الذي ذهبنا إليه في التقسيم وعلى نفس الترتيب :

١ — الأوصاف السياسية

ويظهر أن سياسة الرعية — بنشئ من العدل والمطف ، والنظر في شؤونها بما يحفظ الحياة بينها هادئة مطمئنة — كان ذلك أمنية من الأمانى التي تعتلج في النفوس القلقة المضطربة ، يرد لها طمأنينتها ، ويسكن من خواطرها على ماتلق من خشونة الحياة وعنف السياسة .

كانت هذه أمنية النفوس في تلك الأيام التي سادت فيها المحنة من جراء الغزوات المتتالية بفارس ، ومحنة الغزو المرير الذي منيت به الجماعة الإسلامية عامة في هجوم المغول .

ولعل ما فطر عليه هذا الأمير من حب الرعية وسياستها بما يطمئنها كان دافعاً لهذا الشاعر أن تتحرك مشاعره . فينشد هذه القطعة وغيرها في هذا الأمير ، وكلها تموج بأوصاف العدل، والقضاء على الظلم، والعمل بقدر ما في وسعه لإراحة الرعية. ولعل الشاعر لم تفته هذه اللفتة الطيبة، في أن يضرب المثل بشخصية إسلامية كبيرة اشتهرت بالعدل بين الرعية ، ذلك هو سيدنا «عمر بن الخطاب» بل كانت منه لمحة لطيفة في التقابل بين «أبي بكر الأمير» «وعمر الخليفة» في هذا البيت ، مشيراً إلى عدله وحسن رعايته .

«جهانبان دين پرورداد گر نیاسد چو بوبکر بعسد از مر»

فإذا ما نل «عمر بن الخطاب» في عدله ورعايته للدين . يأخذ بعد ذلك في التحدث عن مظاهر هذا العدل ، في مواضع مختلفة من القطعة . لا يكاد يشعر بالمناسبة إلا وينفذ منها، للتحدث عن هذا العدل، وفي صورة جديدة .

وهو يصور عدله أولاً تصويراً عاماً ، بأن الإنسان لا يرى في عهده محنة وليس من يشكو ظلم القوة :

«نبینی در آیام او رنجسه ای که نالد زبیداد سر بنجه ای»

بل لعل العدل في عهده عدل لا نظير له ، عدل يستقر فيه الأمن . وتهدأ فيه النفوس الجازعة ، وتسكن الخواطر الملهعة ، أفلا يكفي أن يكون العدل مبسوطاً ، حتى لو ضل الابن — في هذه الولاية — بعيداً عن أبيه ، لا طمأن كل منهما على نفسه ، وبعد الخوف عنه ؟.

« چنان سایه گسترده بر عالمی که زالی نیندیشد از رستمی » (۱)

وبهذا يتغنى الشاعر بعدل الأمير، غناء يدفعه، بل يدفع كل من يستطيع الحديث، إلى التحدث عنه، وإلا فليعدم لسانه.

« زبان آوری کاندربین أمن و داد سیاست نگوید زبانش مباد »

فهو بهذا يشهد بنفسه على ما في تلك الولاية من العدل بالرعية، والأمن في ربوعها، بل ينكر على من يستطيع الكلام ولا يتكلم بأن يجرمه الله نعمة الكلام.

وبجانب صفة العدل — التي تغنى بها الشاعر — وصّفه أيضاً بحسن التدبير، وبعد النظر. وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يجد القياس في مماثلته في صفة العدل « بعمر بن الخطاب » فإنه كذلك استطاع أن يعقد مشابهة له، في هذه الصفة بما فعله « الإسكندر الأكبر » في قوله مشبهاً له في سياسته مع المغول:

« سکندر به دیوار رویین و سنگت بکرد از جهان راه یاجوج تنگت
ترا سد یاجوج کفر از ست نه رویین چو دیوار اسکندر ست » (۲)

هذا بعض ما يصور به الشاعر عدل الأمير، وحسن تدبيره، وذلك من الصفات السياسية.

۳ - الأوصاف الاجتماعية

أما صفاته الاجتماعية، فنحن نقدم منها — أولاً — صفة عامة. يذكره فيها بقوله إن العالم لا يذكر مثله عاقلاً، عريق الأصل، منذ كان الوجود.

چنوئی خردسنسد فرخ نرشاد ندارد جهان تاجهانست یاد

(۱) ضرب الشاعر مشبلاً الأب « زال » ومثل الابن « رستم » وكلاهما بطل من أبطال الإيرانيين القدماء كناية عن مطلق أب وابن.

(۲) يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى قصة بأجوج وبأجوج في سورة الكهف « قالوا ياذا القرنين إن بأجوج وبأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ؟ »

وإذا كان يوصف بذلك الأصل النبيل ، فقد بلغ — مع هذا — حداً من التواضع يشيد به الشاعر إشادة طيبة . فمع أن تاجه ، يكاد يلمس السماء ، في علو ورفعة ، فإن رأسه لا تزال — من التواضع — على الأرض .

«كله كوتسه برآسمان برين هنوز آز تواضع سرش برزمسين»
. و بجانب ما يذكر له من التواضع ، فإنه كذلك بار بالضعفاء والمعوزين . لم يعرض له مهموم في حياته ، إلا خفف آلامه ، وسكن خواطره ، وهو في هذا مدفوع بحبه للخير . لا ينبغي جزاء ولا شكورا .

«نديدم چنين گنج وملك وسرير . كه وقفت بر طفل ودرويش وپير
نيامد برش دردناك از نغمي كه نهاد بر خاطرش سرهمي»
وهكذا كان للأمير من حذبه على الضعفاء ، ورعايته للمعوزين ، ذكر جميل يسرى في الآفاق ، لا تخفى عنه خافية ، وينتشر صيت كرمه في الحياة الدنيا .

«نه ذكر جهيلش نهان ميروود كه صيت كرم درجهان ميروود»
هذا الكرم الذي حدا بالشاعر أن يفاخر به ، ويشيد بمآثر الأمير ، حتى كأنه بحر في العطاء ، وكنز في السخاء . . . لا ! بل إن البحر والكنز يستمدان وجودهما من وجوده .

«زهي بحسب بخشايش و كان جود كه مستظهر ند آز وجودت وجود»
وهناك صفة أخرى استلزمها الظروف العامة ، التي كان يجتازها العالم الإسلامي إذ ذاك ، فكثير من الناس كانوا يفتشون عن مأوى يلجأون إليه ، ويأمنون فيه على أنفسهم وأرواحهم ، من تلك النكبات التي واجهتهم في حرب المغول .

فإذا كان الأمير باراً برعيته ، كريماً على أهلها ، عطوفاً عليهم ، فلن ينسيه ذلك أن يحمي ذمار اللاجئين إليه . وهكذا وجدوا فيه وفي إمارته ، الأمان والنجاة

والملاذ . بل وجدوا فيها الحرم الآمن . وهو في هذه الصفة لا ينسى المقايسة أيضاً
بين تلك الأمانة وعاصمتها « شيراز » وبين « البيت العتيق » :

« گرازفته آید کسی در بنسسه
ندارد جز این کشور آرا سگاه
فطوی بساب کبیت العتیق حسوالبه من کل فج عمیق »

٢ - الأوصاف العامة والدعاء للأمير :

وفي ختامها . يعرض الشاعر — إجمالاً — بيتاً ، يذكر فيه أن هذه الإمارة
بلغت حظاً من حسن الإدارة . وترتيب أمورها واستقرار نظامها ، مما لا نظير له
في غيرها — حديثاً وقديماً — حتى مملكة « فريدون » التي كان يضرب بها
المثل ، فيما سارت عليه من العظمة والقوة والجلال .

وهكذا يمضي الشاعر في تعداد عظمة هذا الأمير ، وبيان نواحيه الطيبة ،
ويعرض لنا صوراً مختلفة مما كان عليه ، من عدل وحسن تدبير ، ومن تواضع
وكرم ، وحسن رعاية لمن يقصده من اللاجئين .

والشاعر يعمد إلى تقوية هذه الصور التي يوردها ، بضرب الأمثلة المتكررة
في كل ما يعرض له من المعاني . وفي ختام هذه القطعة يسند الشاعر إلى نفسه
العجز والتقصير على أنه مهما أوتي من فصاحة أو بيان ، فلن يستطيع أن يوفيه
شكراً على ما بدا من سياسته العادلة ، ومكارمه الكثيرة .

ولهذا لم يبق أمام الشاعر — أخيراً — إلا أن يختمها برفع أ كف الضراعة
لله وحده ، فهو الذي يستطيع أن يوفيه ما هو أهل له من جزاء ، فليكن الله معيناً
له وراعياً . . .

« فر وماندم از شکر چندین کرم همان به که دست دعا گسترم
جهانت بکام و فلک یار باد جهان آفرینت نگهدار بساد »

وبهذا يمضي الشاعر في الدعاء للأمير استجابة لعجزه عن الوفاء بما يستحقه
من شكر ومن تقدير .

وأخيراً ينتقل الشاعر — من هذا كله — إلى مدح والد الأمير ، والترحم عليه . هذا الوالد الذي لم تذهب ذكراه من الدنيا ، لأنه أنجب ولداً هو خير الأبناء وأحسنهم .

«نرفت أزجهان سعد زنگی ببرد که چون تو خلف نامبردار کرد»
وبعد أن يترحم على والد الأمير، في بيتين آخرين يجد الشاعر الفرصة مناسبة للانتقال ، إلى مدح الخفيد ، وهو « سعد بن أبي بكر » في قوله :
«گراز سعد زنگی مثل ماند وباد فک یاور سعد بن بویکر باد»
هذه هي القطعة التي يقدم بها الشاعر هذا الأمير للناس ، والتي أخذ منها بعض رجال الأدب أن الشاعر قدم كتابه « البوستان » لهذا الأمير .

وفي الكتاب عامة يردد الشاعر — في مواضع مختلفة منه — أوصافاً لهذا الأمير ، تدور حول العدل ، والكرم أيضاً . تأتي في بعض قطعه من بابي العدل ، والإحسان في ذلك الكتاب^(١) .

وهناك بجانب هذا مواضع وردت في كتابه الآخر «الگلستان» عرض فيها لذكر هذا الأمير^(٢) .

أما القصائد التي نظمها الشاعر فقد ورد فيها قصيدتان في رثائه خاصة^(٣) كما ورد ذكره عرضاً في قصيدتي رثاء الخليفة^(٤) .

٦ — سعد بن أبي بكر ١٨ يوماً من سنة ٦٥٨ هـ

رأينا كيف صور المؤرخون عهد أبيه من قبل ، وأن عصره — بإجماعهم — كان أزهى العصور . بلغت الدولة القمة في عهده ، من حيث الاستقرار ،

(١) كليات فروغی . بوستان ص ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٣٨٦

(٢) كليات فروغی ص ٧٥ ، ١٩٣ ، ٧٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ٤٨٣ ، ٤٨٥

(٤) المصدر نفسه ٤١٤ ، ٤٨٦ وانظر سعدی نامه — قزوینی ص ١٠٥ — ١١٠

والإتساع ، والإنشاء ، والتعمير . ومن حيث الحياة العلمية ، حتى عد عصره بحق العصر الذهبي .

والواقع أنه ما كاد يموت « أبو بكر » حتى حل الضعف والانحلال بالدولة ووقف الإنشاء والتعمير . بل وقف النمو في جميع نواحي الحياة ، وأخذت الحياة السياسية وغيرها ، تتدهور بعد عهد « أبي بكر »

وكان مرد هذه الأمور راجع — في كثير من الأحيان — إلى قصر عهد أمرائها ، من جانب ، وإلى الفتن الداخلية — التي نشبت بين الأمراء وأولياء العهد للوثوب إلى كرسى الإمارة — من جانب آخر ، بل إن بعض الأمراء كان من صغر السن ، والضعف بحيث تدخلت السيدات في الولاية عليهم ، وإدارة شئون الإمارة بأيديهم .

وبجانب هذه العوامل لاننسى أن نذكر أن السياسة التي رسمها المغول في شئون هذه الإمارة ، بدأت قبل هذا . لكن نفوذهم أخذ يقوى في الإمارة على حساب ضعف حكامها ، ومد هؤلاء أيديهم للمغول ، يلتمسون السلطة ، وتثبيت العرش .

وكما ضعف نفوذ الأمراء ، قوى نفوذ المغول ، حتى انتهى الأمر أخيراً بانتقال الحكم إلى أيديهم أيام « أبش خانون » . فولوه بعض أمرائهم ، أو بعض من يتوسمون فيه حسن الإدارة ، وصدق الإخلاص لهم .

وسيتضح ذلك مما سيأتى ، ابتداء من عهد هذا الأمير . وهذا ما تصور عبارة « وصاب » .

« وأزان تاريخ تا إروز روزن بلا فراخ تر ميشود ، وعقده أسور مشكل سيگردد »

و يتمثل بهذا البيت في تصوير تلك الحالة .

«لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان وانحل الشياطين»^(١)
ونلاحظ أنه بعد أن تولى «سعد بن زنگى» عرش الإمارة بعد أخيه «تكلة»
جعل تولية العرش ورثة تقليدية في بيته ، فاستحضر ابنه «أبا بكر» وفك إيساره
من السجن ، وجاء به ليتولى عرش الإمارة بعد أن كان قد سجنه تأديباً له على
خروجه عليه .

وسواء أكانت شخصية «أبي بكر» ساعدت على توليته العرش ، فوثب
إليه بجدارة ، أو أنه لم يكن له مزاحم قوى ينافسه السلطان ، فإنه تولى العرش
بعد أبيه ، وكان عليه — هو أيضاً — أن يمهد الأمر لابنه «سعد بن أبي بكر»
ولهذا أخذ يعده إعداداً يفتح له الطريق للوصول إلى العرش والجيء به إليه ،
إن فاجأته المنية ، دون أن يرتب له الأمر .

كان أبو بكر يسير على سياسة حسن الجوار مع المغول ، منذ تولى عرش
الإمارة ، وكان كثيراً ما يرسل الجيوش ، أو الوفود تلو الوفود ، وعلى رأسها أحد
أمراء البيت ، لتساهم في الفتوح ، أو في تقديم فروض الولاء للفاطميين . ورأينا أنه
أرسل ابن أخيه «محمد شاه بن سلفر شاه» لمساعدة هولاء كوفى ففتح بغداد .

وقد بكر أبو بكر في توجيه ابنه كذلك نحو هذه السياسة ، ولعله انتظر عليه
— فقط — حتى يمكن أن يتوسم فيه القيام بمثل هذه المهام ، فيجعله على رأس
الوفود لتقديم التهاني ، أو إظهار الولاء لهؤلاء كوفى .

وأول مرة ظهر فيها سعد على مسرح الحوادث ، كان في تهيئة أبيه له ، بعد
أن اجتاز عهد الصبا ، وافتتح عهد الشباب ، فأرسله على رأس وفد إلى هولاء كوفى
ليهنئه على فتح آخر قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ^(٢)

(١) وصاف ص ١٨١

(٢) سعدى نامه — الأستاذ القزوينى — ص ١١٢

ومنذ ذلك العام — وكلما دعت المناسبة — كان أبوه يرسله إلى بلاط المغول
لتمثيله في تقديم التهاني ، أو مزوداً بالمال المتفق عليه أتاوة عن إمارته . فلما انتهى
هولاًكو من فتح بغداد، أرسله أبوه في السابع من شعبان سنة ٦٥٦ هـ ليمثله
في تهنئته بهذا الفتح^(١) ، فاستقبله هولاًكو ، استقبلاً حسناً ، وأعز جانبه
وأكرم وفادته . فلما تم الأمر لهولاًكو واتجه نحو الغرب يواصل فتوحه ، وبلغ
بلاد اللور وأتم فتحها سنة ٦٥٨ هـ كان سعد قد أرسل — من قبل أبيه أيضاً —
على رأس وفد تهنئة هولاًكو ، مزوداً كذلك بالهدايا النفيسة التي بعث
بها أبوه^(٢) .

وفي أثناء عودته بالطريق سمع ب وفاة أبيه ، وانتقال مقاليد الأمور إليه ،
ولكن القدر لم يمهله بعد وفاة أبيه أكثر من ثمانية عشر يوماً^(٣) ، إذ مرض وهو
في الطريق . أصيب بزحاف واستسقاء ففضى نحوه ، دون أن يصل حتى إلى
« شيراز » نفسها ، وكانت نهايته بمدينة تسمى « طبرتو » من أعمال آزر بيجان .
كان أبوه وهو في حياته قد بادر بزواجه مبكراً ، فعقد له على فتاة من بيت
ملكي آخر هي « ترکان خاتون » ابنة أتابك يزد « قطب الدين محمود شاه »
وكانت كما توصف سيدة ذات سياسة وتذبير ، لم تكذب تسمع ب وفاة زوجها ، حتى
عملت على نقل جثته إلى « شيراز » ودفنته بالمدرسة العضدية التي أنشأها .

وينقل صاحب شيراز نامه عن « ابن الجوزي والثعالبي » أن الحاكم السادس
في الدولة الإسلامية ، ليس له نصيب وافر من الحكم . ويوردون من هذا القبيل
« الحسن بن علي » في الخلفاء ، « ومحمداً الأمين » في حكم آل عباس ، ويجعل هو

(١) جامع التواريخ — ص ٣٢٢ — كاترير

(٢) شيراز نامه ص ٦١ وسعدى نامه ص ١١٢

(٣) و صاف ١٨١ ويذكر صاحب تاريخ كزبده أنها اثناعشر يوماً ص ٥٠٨

على هذا القياس حكم « سعد بن أبي بكر^(١) » فإنه لم يظفر بأكثر من أيام محدودة ويقال إنه بالرغم من هذا قد ضربت السكة باسمه^(٢) بمجرد وفاة أبيه ، ونودي به في المساجد أميراً ، في المدة القصيرة التي أعقبت أباه، وقبل حضوره إلى شيراز. لكن هذه أعمال تقليدية تمت في غيبته بحكم التقاليد الموروثة .

متى ولد هذا الأمير ؟

والتحقيق التاريخي في حياته القصيرة ، نعتمد فيه على ما سجله المؤرخون . وعلى ضوءه نفترض بقية التواريخ للأحداث الهامة في حياته ، كي نحدد — بقدر الإمكان — تاريخ مولده، ومدى حياته بالتقريب، لنذكر منها هل يمكن أن ترتبط حياته بحياة الشاعر نفسه؟ وهل بلغ سنًا يمكن أن يحمل رجلاً في سن الشاعر ومنزلته بحيث يجعل تخلصه مأخوذاً من اسم هذا الأمير ؟؟

ويمكننا بالرجوع إلى بعض التواريخ ، التي حدثت في حياة أبيه ، أن نذكر منها التواريخ الهامة في حياته الشخصية ، فقد ذكرنا سابقاً أن المؤرخين في شبه اتفاق جعلوا وفاة أبيه ، في أحد الجماديين سنة ٦٥٨ هـ ، وأنه توفي بعد أبيه بثمانية عشر يوماً ، فالفرق بين تاريخ وفاة الابن ووفاة الأب لاتعدو أياماً قصاراً .

والمؤرخون كذلك يقولون إنه أنجب من زواجه ولداً هو « محمد بن سعد » وكان لا يزال صبيغاً ، لايمكن من إدارة دفة الأمور بنفسه ، فأشرفت عليه أمه « ترکان خاتون^(٣) » . وكانت ذات ذكاء وفطنة ، يصفها وصاف بقوله :

« زنى راى زن بافطنت و فن بود ، بنظم ملك پادشاه و مصالح قيام نمود .
و رعایت رعیت را در کنف راحت و رفاهیت بدانشته ، و اطراف بروجبر رابدين صنعت
آز ضيعت و اتلاف مأمون الساحة گردانيد^(٤) » .

(٢) شيراز نامه ص ٦١

(٤) ووصاف ص ١٨١

(١) شيراز نامه ص ٦٢

(٣) سعدى نامه ص ١١٣

ولسنا نستطيع أن ندرك كم من الزمن عاش هذا الصبي ، وإن كنا قد عرفنا أنه لم يبلغ سن الرشد بعد ليستطيع تولى العرش بنفسه ، ولكن الأستاذ القزويني ، يذكر أنه حين وفاة «سعد» كان ابنه «محمد» في الثانية عشرة . وكان له أيضا ابنتان — كبرى وتسمى «سلغم» وصغرى وتسمى «أبش خاتون» — ولكنه لا يميلنا على المصدر الذي استقى منه هذا القول وإن كنا نأخذ بهذا الرأي أيضا فهو في السن التي لم تمكنه من القيام بشئون الدولة دون الإشراف عليه .

وهناك بجانب هذا ، تاريخ آخر عرض له المؤرخون في مجرى حياته ، وهو إرساله لأول مرة على رأس بعث إلى هولاء كولينهته ، نيابة عن أبيه بعد فتح آخر قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ .

ونستطيع أن نفترض بعض الوقائع وأن نقيس عليها الزمن المناسب لها فلعلنا نصل إلى شيء في معرفة سنة ولادته ، وبالتالي مدى حياته ، ولننظر للمسألة من الوجوه الآتية :

أولا — رأينا أن أول سنة ظهر فيها على مسرح الحوادث كانت سنة ٦٥٤ هـ فإذا يمكن أن يكون قد بلغ من السن في ذلك الوقت . . . ؟ يمكن أن نقدر سنه إذ ذاك في حدود الخمسة والعشرين عاما . وهي السن اللاتقة للقيام بمثل هذه المهمة في مثل بلاط « هولاء كو » فيكون مولده — حسب هذا التقدير في حدود سنة ٦٣٠ هـ . وسنه عند وفاته سنة ٦٥٨ هـ لا تتجاوز الثلاثين .

ثانياً — وهذا تقدير مناسب ، إذا لاحظنا أيضا تقدير المؤرخين لسنه ، فينقل الأستاذ القزويني عن صاحب « مزارات شيراز » في ترجمة حياة هذا الأمير أنه كان في عنفوان شبابه عند وفاته ، إذ يعلق على عبارة هذا المؤرخ « وكان ملكا شابا جميلا » بقوله :

« واضح ميسود كه وي در عنفوان جوانی (١) »

(١) سعدى نامه ص ١١٣

وهذا ما يقربنا من صحة الافتراض السابق الذى انتهينا فيه إلى أن هذا الأمير قد توفى وهو فى حدود الثلاثين . وأن ميلاده كان فى حدود سنة ٦٣٠ هـ .
 ثالثاً — يضاف إلى هذا ما يؤخذ أيضاً من أوصاف الشاعر له ، فى مدحه حال حياته ، وورثائه له عند وفاته ، فإنه لم يتخط فى كلا الناحيتين مرحلة الشباب .
 فأما وصفه فى « البوستان » فيرد فى قطعة تحت عنوان « مدح سعد بن أبى بكر بن سعد » . ترى « كلييات فروغى » وبعض نسخ « البوستان » أنها فى مدح هذا الأمير . وترى غيرها أنها فى مدح ابنه « محمد شاه » . لكن كثيراً من الوقائع تؤيد أنها فى الأب وليست فى الابن . وسنعرض لذلك عند مدائح الشاعر فى ابنه « محمد شاه » .

ومطلع هذه القطعة بيت يوصف فيه بالشباب السعيد الحظ المشرق الضمير :
 جوان جوانبخت روشن ضمير بدولت جوان ويتديير پير « (١) »
 ونحن نعرف أن البوستان قدم لأبى بكر سنة ٦٥٥ هـ . وعند وفاته ، قد رثاه الشاعر أيضاً بقصيدة وصفه فيها بالشباب كذلك فى بيته الآتى :
 « پس ازسرك جوانان گل مماناد . پس ازگل درچن بلبل نخواناد » (٢)
 فهو فى نظر الشاعر نفسه لم يتخط سن الشباب حين وفاته سنة ٦٥٨ هـ .
 وعلى ذلك يكون تقديرنا لسنة الثلاثين عند وفاته تقدير مقارب للحقيقة .

مدائح الشاعر ومراثيه فى هذا الأمير :

كان نصيب هذا الأمير من ذكر الشاعر له نصيباً لا بأس به ، وإن لم يبلغ نصيب أبيه ، ولعل أهم ما خلد به الشاعر اسم هذا الأمير هو كتابه « الكداستان » الذى قدمه له فى حدود سنة ٦٥٦ هـ بعد أن قدم « البوستان » لأبيه فى العام الذى سبق .

(١) كلييات فروغى ص ٢٢٥ (٢) كلييات فروغى ص ٤٨١

ويشير الشاعر — في مقدمته لهذا الكتاب — إلى ذلك بعد عبارة منشورة بقوله البيت الآتي :

«على الخصوص كه ديباجهٗ هما يوتش بنام سعد أبوبكر سعد بن زنگيست^(١)»
هذا هو الموضوع الذي ورد فيه ذكر لهذا الأمير من كتاب «الگلستان».

وقد أشرنا سابقاً إلى أن هناك قطعة في الكتاب الثاني «البوستان» يختلف فيها الرواة . فيقول بعضهم إنها في مدح الأمير «سعد بن أبي بكر» ولي العهد ، بينما يجعلها الآخرون في مدح «محمد بن سعد» . وقلنا إن القطعة في مدح الأب وليست في مدح الابن .

وبجانب المواضع التي عرض فيها لمدحه في كتابيه «البوستان والگلستان» هناك مواضع أخرى ينتقل فيها إلى الحديث عنه ، وذلك في مرثيتين من مرثي أبيه^(٢) .

أما مرثيته الخاصة فرثيتان : إحداهما تقع في باب المرثي ، والأخرى في باب الترجمات من كليات فروغی^(٣) .

٧ — محمد بن سعد وأمه ترکان خاتون : ٦٥٨ — ٦٦١ هـ

تلقت أمه وحدها هول الصدمة في أبيه ، ونفذت إلى الحكم وصية على ابنها الذي لم يتجاوز الثانية عشرة ، كما أسلفنا ، وكان أول عمل أتجه إليه ذهنها ، أن بعثت إلى «هولاكو» بالوزير «نظام الدين أبي بكر» لتقديم فروض الطاعة والولاء^(٤) . ليقرأها على تصرفها في توريث ابنها عرش الإمارة بعد أبيه تحت إشرافها .

(١) كليات فروغی ص ٧٨ (٢) كليات فروغی ص ٢٠٦، ٤٨٦، ٤٨٣
(٣) كليات فروغی ص ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٥، وسعدی نامه. قزوینی ص ١١٠، ١١٥
(٤) وصال ص ١٨١

ويبدو أن أهالي شيراز لم يستقبلوا هذا الوضع من جانبهم بالرضا والقبول ، فتشاءموا من ذلك^(١) . وكانت سياسة «هولاكو» نفسها ترمي إلى إقرار السياسة التي يتفق عليها مادامت لم تؤد إلى قلاقل ، أو اضطرابات ذات خطورة . وكان أن أقرها على ما فعلت ، وسمح لها أن تصرف شؤون الدولة وصية على ابنها .

ويذهب صاحب « حبيب السير » مذهباً مناقضاً تمام المناقضة ، لما ذهب إليه « الوصاف » في الناحيتين . فيرى أن الاختيار تم بين أكابر « شيراز » على تولية ابنها العرش تحت وصايتها ، وأقر « هولاكو » ذلك ، كما يرى أن الوزير « نظام الدين أبا بكر » أراد إفساد الأمر عليها لدى « هولاكو » ، فتوجه من نفسه بالهدايا وإعلان الطاعة—طمعاً في الملك — لكنه لم يفلح فيما ذهب إليه^(٢) . وسواء أكان الأمر هذا أو ذلك ، فإنها تولت الحكم مباشرة ، بعد وفاة زوجها في نفس الشهر . ومن المصادفات أنه في الشهر نفسه خطب لثلاثة من حكام الأناطقة . خطب في أوله « لأبي بكر » ، فلما توفي خطب لابنه « سعد » فلما توفي خطب لابنه « محمد » .

وكأنما خلقت « ترکان خاتون » لتواجه النكبات في زوجها وابنها ، بل في حياتها شخصياً ، فلم تمتد حياة ابنها طويلاً . فما كادت تمهد له الأمر ، ويستقر الحكم في أيديها ، حتى توفي وهو لا يزال صبيّاً إثر سقوطه من سطح القصر في شهور سنة ٦٦١ هـ^(٣) بعد سنتين وسبعة أشهر من تاريخ ولايته ، فدفتته أمه بجوار أبيه ، وهي تتمثل بهذا البيت :

«إين چه باداست كزو غنچه نشگفته بريخت

وين چه سيل است كه بر كند زين شمشاد(٤) ،

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٤) شيراز نامه ص ٦٧

(١) وصاف ص ١٨٢

(٣) وصاف ص ١٨٢

الشاعر ومحمد بن سعد

نشير هنا إلى خلاف بين نسخ من « البوستان والسكليات » عامة في قطعة يسندها بعض الرواة إلى الشاعر في مدح « سعد بن أبي بكر » . ويسندها الآخرون إليه في مدح « محمد بن سعد » .

وتتفق النسخ جميعها ، في أن نهاية القطعة السابقة لها والتي قالها الشاعر في مدح « أبي بكر بن سعد » هو هذا البيت :

« گر از سعد زنگی مثل ماند و یاد فک یاور سعسد بو بکر باد »

ثم يأتي الخلاف في عنوان القطعة وفي مطلعها .

فأما الذين ذهبوا إلى أن القطعة في مدح « سعد بن أبي بكر بن سعد » فقد

جعلوا مطلعها :

« جوان جوانبخت روشن ضمیر بدولت جوان وبتد بیر بیر (۱) »

وأما الذين أثبتوها في مدح « محمد بن سعد » فقد جعلوا مطلعها :

« آتابک مجد شهی نیک بخت خداوند تاج و خداوند بخت (۲) »

ثم كان البيت التالي ، لهذا البيت ، هو الذي تقدم ، والذي أثبتته بعض النسخ مطالعاً للقطعة . وتمضى بقية القطعة في مجموع النسخ ، على رواية واحدة ، فبالخلاف فقط في العنوان ، وفي بيت المطلع .

ومن الحق هنا ، أن نقف للفصل في هذه المسألة بما يعن لنا . ونحن نميل إلى أن نجعل هذه القطعة في مدح الأمير « سعد بن أبي بكر » . وليست في مدح ابنه « محمد بن سعد » وذلك للأسباب الآتية :

١ — أن جميع النسخ تجمع على أن نهاية القطعة التي امتدح فيها الشاعر « أبا بكر بن سعد » هو هذا البيت :

(١) كليات فروغی ص ٢٢٤ (٢) بوستان Graff ص ٢٥

« گراز سعد زنگی مثل ماند و یاد فلك ياور ساعد بو بكر باد »

وفي نظرنا ، أن الشاعر أراد أن يهيب الذهن للحديث عن هذا الأمير ، فمن المناسب أن يكون الانتقال إلى مدحه ، لا إلى مدح ابنه .

٢ — لو كانت هذه القطعة في مدح الأمير « محمد » لكان الانتقال إليه بعد مدح جده الثاني « سعد بن زنگی » وجده الأول « أبي بكر » فيه تجاهل لأبيه « سعد بن أبي بكر » . والمقام هنا أنسب لأن يكون الانتقال في المدح إلى « سعد » الابن لا إلى « محمد » الخفيد .

٣ — أن الوصف الذي ورد في مطلع هذه القطعة وخلالها ، مناسب لأن يكون في « سعد » من أن يكون في « محمد » . فان الأوصاف التي وردت في المطلع ، تدل على أنه شاب سعيد الحظ ، مشرق الضمير ، فتى في الدولة ، وشيخ في التدبير . هذا هو تفسير البيت الأول الذي عرض لوصف الأمير مطلقاً ، دون أن يشير إلى من هو هذا الأمير . ؟؟ سوى أن بعض النسخ تجعل عنوان القطعة في مدح « سعد » وفي الأخرى يمدح « محمداً بن سعد » مع إضافة البيت الذي يشير إلى اسمه .

ونلاحظ أن هذه الأوصاف التي وردت في مختلف النسخ ، تناسب — إلى حد بعيد — أن تكون في « سعد » لا في ابنه « محمد » . فانه كان فتى ، عهد له أبوه بالقيام بالكثير من المهام ، ومنها سفارته إلى بلاط المغول . وأنه كان في تلك السن ، قد بلغ مبلغ الرجال ، فأشرف على الثلاثين ، لا مبلغ الفتيان فحسب . في الوقت الذي لم يكن فيه « محمد » — حين إنشاد البوستان — على فرض أنه تم إنشاده دفعة واحدة وانتهى سنة ٦٥٥ هـ — لم تكن سن « محمد » إذ ذلك تتجاوز السابعة ، فانه قد توفي سنة ٦٦١ هـ وهو في سن الثانية عشرة ، فلم يبلغ مبلغ الفتوة ،

حتى ولا مبلغ من يتولى شؤون الإمارة بنفسه بعد وفاة أبيه ، وبالتالي لم يأت عملاً يستحق المدح .

رأى الأستاذ القزويني والرد عليه

على أن الأستاذ القزويني ، يذهب إلى تأييد الرأي القائل ، بأن هذه القطعة في مدح « محمد بن سعد » وذلك — في نظره — للأسباب الآتية :

١ — إن الشاعر بعد أن أتم « البوستان » سنة ٦٥٥ هـ أضاف إلى ذلك الموضوع ، هذه الأبيات في عهد سلطنة « الأتابك محمد ٦٥٨ هـ — ٦٦١ هـ ^(١) » .

٢ — كما يرى أن عنوان هذه القطعة ، في نسخة شاهدها — يؤرخ نسخها سنة ٧٦٧ هـ — تحت هذا العنوان « ستايش أتابك محمد بن سعد بن أبي بكر » ويذكر استطراداً أنه في جميع النسخ الأخرى ، يكتب عنوانها أيضاً بنفس هذه العبارة ، أو بمضمونها .

٣ — ثم يذهب في تأييد هذا الرأي كذلك إلى أن البيتين الآتين صريحان في مدح الأتابك « محمد » نفسه وهما .

« صدف را كه بينی زدر دانه بر نه آن قدر دارد كه يك دانه در
تو آن در مكنون يك دانسه كه پيرايسه سلطنت خانه »

ومعناها « إن الصدف الذي تراه ممتلئاً بحب الدر ، ليست له تلك القيمة ، التي تحتويها حبة واحدة . وأنت تلك الحبة الوحيدة ، التي هي كالدر المكنون ، زينة لبنت السلطنة » .

فيرى الأستاذ أن هذين البيتين ، إشارة إلى الابن الوحيد لأبيه ، حيث أنه في الواقع — كان محمد هو الغلام الوحيد لسعد بن أبي بكر

(١) سعدى نامه ص ١١٦

ونستطيع بعد إجمال آراء الأستاذ أن نرد عليها — بالإضافة إلى ما أوردناه سابقاً — بالأمور الآتية :

١ — يرى الأستاذ أن الشاعر أضاف بنفسه، عدة أبيات — بعد أن أتم «البوستان» سنة ٥٦٥٥هـ — في عهده سلطنة «محمد شاه» التي انتهت سنة ٥٦٦١هـ. ومع تسليمنا بإمكان الإضافة على النسخة التي تمت في عهد «أبي بكر» أبياناً أو قطعاً أخرى، وبالتالي بأن «البوستان» تم على دفتين. فإن الخلاف الذي بين النسخة التي أخذ عنها الأستاذ وغيرها من النسخ الأخرى، التي جعلت القطعة في مدح «سعد بن أبي بكر» ليس في الأبيات جميعها، لكنه في بيت واحد هو الذي جعل في مطلع القطعة، مشيراً إلى اسم الأمير «محمد».

والقطعة كلها تبلغ ثمانية أبيات — كما أوردها الأستاذ القزويني — يتردد فيها وصف لأمير يصح أن ينصب على «سعد بن أبي بكر» أو على «ابنه عماد». فالخلاف بين النسخ ليس في القطعة كلها، ولكن في البيت الأول، وليست الإضافة التي أضيفت، في مطلع القطعة، يقع غيرها في عموم الأبيات، وليس بين النسخ خلاف في هذا.

٢ — إن النسخة التي اعتمد عليها الأستاذ القزويني في تأييد رأيه، لا يقوى الاعتماد عليها أنها تؤرخ سنة ٥٧٦٧هـ. فهي نسخة متأخرة — من حيث الزمن — عن النسخة التي عثر عليها مخطوطة بخط «علي بن أحمد بن أبي بكر البيهقوني» والتي كان تاريخها سنة ٥٧٢٦هـ^(١).

فهذه النسخة أسبق من النسخة التي اعتمد عليها الأستاذ القزويني. كما يقال

(١) انظر بدايع شيخ سعدى. طبعة كاوياني نشر. ت. إيراني. سنة ١٣٠٥ هـ ص ٥٥.

ومقدمة كليات فروغى ص ٨.

إنها عن نسخة بخط الشاعر نفسه . وهذه النسخة هي التي نشرت بايران أخيراً ،
وقام بنشرها الأستاذ فروغى .

٣ — البيتان اللذان ذهب الأستاذ القزوينى فى تأييد رأيه عليهما ، واللذان
أشرنا إليهما سابقاً ، لا ينصان صراحة على الأمير « محمد » . فمن الممكن أن
ينصب معناهما على أبيه كذلك ، فهو أيضاً درة وحيدة فى بيت السلطنة . وإذا كان
الأمير « محمد » يعتبر وحيداً فإن أباه كذلك يعتبر وحيداً أيضاً ، ولم تشر كتب
التاريخ ، أو التراجم إلى أن « سعداً » كان له إخوة آخرون من أبيه « أبى بكر » .
ولو قد كان له ، لأمكن أن ينازع السلطان لهذا الحفيد الصغير الضعيف ، الذى
أسرعت أمه فى احتضانه ، والوصاية عليه .

فالبيتان صالحان كذلك لأن يكونا فى « سعد » نفسه لا فى « محمد » الأمير .

٤ — وبجانب هذه المناقشة — إذا نظرنا إلى البيت الذى يشير إلى اسم
محمد — لأحسنا بأنه قلق فى موضعه ، مقحم بين موضعين ، مضطرب الصلة
بما قبله وبعده ، يشعر معناه بالافتعال كذلك .

ويبدو هذا الاضطراب ، فى الانتقال المفاجئ من مدح الجسد إلى مدح
الحفيد ، وفى عدم انسجام معنى البيت الذى بعده على الأمير محمد . فهو يقول .

« جوان جوانبخت روشن ضمير بدولت جوان وبتديير پير »

كيف ينسجم هذا الوصف فى فتى لم يبلغ الحلم بعد ؟؟؟ وكيف يكون هو
نفسه شيئاً فى التدبير ، بينما لاتزال الوصاية جائمة على صدره ، لا يفارق قصره
إلا فى رعاية الرائدین ؟؟؟

فالمسألة من هذه الوجوه جميعاً ، تؤيد صحة القطعة فى « سعد بن أبى بكر »
وليست فى « ابنه محمد » .

أما تفسير مجيء بعض النسخ بهذا البيت في طليعة القطعة ، فأمر سهل رده .

ولسنا نسلم بأن الشاعر بنفسه هو الذى وضع هذه القطعة ، ولا هذا البيت وحده ، ولكننا نسند ذلك إلى عبث الرواة ، وتلاعب النساخ . وأنهم ليعانى الأدب والعلم من أمرهم الشيء الكثير !

ونشير إلى ما ورد عن هذا الأمر فى مقدمة « كليات فروغى » . فهو يقول ، « إنه فى مدى السبعائة سنة التى مضت بعد وفاة الشاعر ، ظهرت نسخ كثيرة من الكليات ثبت فيها أغلاط كثيرة ، إما من طريق السهو ، أو من طريق التصرف ، الذى كثيراً ما كان يقع عمداً ^(١) » .

الشاعر وتركان خاتون

مع هذه الأدوار العظيمة ، التى لعبتها فى توجيه سياسة الإمارة ، وفى إدارة دفة الأمور ، فان حظها من مدائح الشاعر ، لم يكن كثيراً ، كما أنه تجاهل وفاتها أيضاً فلم يكن له مرات فيها .

ونشير — بجانب ذلك — إلى أن الشاعر كان يتحرج كثيراً فى ذكر اسمها ، أو حتى وضع عنوان صريح لقصائده فيها ، وإنما كان يؤخذ من مفهوم العبارة أنها فى مدحها . وليس يصعب علينا تفسير هذه الظاهرة .

وقد أشار الأستاذ القزوينى إلى أن صمت الشاعر عن ذكر اسمها لم يكن

(١) كليات فروغى ص ٣ وانظر مدائحه الأخرى فى كليات فروغى ص ٤٧٠،٥٥٤ -

وانظر سعدى نامة قزوينى ص ١١٥-١١٩

اتفاقاً ، بل كان قصداً ، اقتضاه موقف التحدث عنها ، تمشياً مع قواعد اللياقة والاحترام ، مع سيدة السلطنة في ذلك العصر .

فكما أن العادة جرت على أن تكنّ مستورات بأشخاصهن عن العيون ، فكذلك ينبغي أن تكون أسماءهن ، مستورة عن الأسماع كذلك .

ولهذا نجد الشاعر يعمد إلى وصفها بأوصاف لائقة تشير إليها ، ولا تفصح عنها . ولعل ذلك هو الذي أوحى أيضاً إلى بعض النساخ والرواة ، أن يضعوا لها العناوين اللائقة .

فأما الشاعر فكان يكتفي عنها ، بوصف رقيق لائق ، وهو كلمة « حرم » وفي المواضع التي رغب في التحدث عنها ، كان يشير إليها مستخدماً هذه الكلمة ، مسبوقة بالإضافة كما في « أهل حرم ^(١) » أو متبوعة بصفة كما في « حرم عفت وعصمت ^(٢) » .

وقد أوحى الكناية عنها الرواة والنساخ أن يضعوا عناوين مناسبة كمثل « وله في الحرم المعصوم » أو « وله في الستر العالى ^(٣) » أو ما حول ذلك .

٨ — محمد شاه بن سلغرشاه : ٨ أشهر من سنة ٦٦١ هـ

لعل السياسة التي سلكها هذا الشاب — مع ما كان له من التقدير العظيم في نظر أبي بكر أيام حياته ، وحتى في نظر هولاء كو ، لما كان يبديه من البسالة والشجاعة في مساعدتهم في الحرب — ولعل سلوكه الشخصي ، وانحرافه عن الدين وتجنبه ، سياسة المسالمة ، التي كان ينبغي أن يأخذ بها « ترکان خانون » . لعل مسلكه في كل ذلك ، أدى إلى قصر حكمه ، وبالتالي إلى القبض عليه وإرساله ، إلى بلاط « هولاء كو » على النحو الذي سنورده .

(١) كلييات فروغى ص ٤٨٥ (٢) نفس المصدر ص ٦٤٧

(٣) انظر سعدى نامه . قزوینی ص ١٢٤، ١١٩

أخذت « ترکان خاتون » تتدخل في توجيه شؤون الإمارة، وتلعب دوراً هاماً في تدبير الأمور، وتشرف بنفسها على معالجة الحوادث، التي تواجه الدولة. فدبرت الأمر بينها وبين رجال الدولة، بعد وفاة ابنها على تولية « محمد شاه بن سلغرشاه»^(١). وكانت قبل ذلك قد زوجته كبرى بناتها «سلغم»^(٢). وكان عمه « أبو بكر » يلهج فيه كذلك الرجولة والهمة. فعرفنا أنه قد دبر له جيشاً، ومضى به ليسانع « هولاكو » في فتح بغداد، فأبدى في تلك الموقعة، شجاعة وقوة مراس، أعجبت « هولاكو » إلى حد بعيد^(٣).

لكن يبدو أنه ركب رأسه، وامتلأ غروراً، حين قبض على زمام الأمور بنفسه، وانصرف عن تدبير شؤون الدولة، وصرف وقته بين اللهو واللعب، وأسرف في ذلك إلى حد أغضب أمراء الدولة، وعلى رأسهم « ترکان خاتون » نفسها التي كان لها الفضل الأكبر، في وصوله إلى العرش.

ثم حدث أن طلقت منه ابنتها « سلغم » وزوجتها من ابن خالها الأتابك « يوسف شاه بن علاء الدولة » أتابك يزد^(٤). وهكذا وقع هذا الشاب في خطاين عظيمين، خطأ شخصي في مجونه، وتجنبه روح الدين، وتظاهره بذلك. وخطأً سياسياً، في تجاهله شخصية ترکان خاتون، فلم يظفر بتأييد الشعب، أو أبناء البيت المالك على السواء، بالرغم من ماضيه المجيد.

ولهذا دبرت « ترکان خاتون » الأمر مع بقية الأمراء، وقادت ضده حركة محكمة، أدت إلى القبض عليه، وخلعه عن العرش، وإرساله إلى « هولاكو ». أسيراً، وظل في أسره حتى توفي في نفس السنة التي تولى فيها وهي سنة ٦٦١ هـ. وكانت مدة حكمه لا تزيد على ثمانية أشهر^(٥).

(٢) سعدى نامه ص ١١٩

(٤) سعدى نامه ص ١١٩

(١) وصاب ص ١٨٣

(٣) وصاب ص ١٨٣

(٥) حبيب السبر ص ١٣١

وهكذا انتهى بعيداً عن موطنه محروماً من تقدير الشعب له ، ومحروماً كذلك من تقدير الشاعر ، فلم يكن له فيه قصائد مدح أو ثناء .

٩. — سلجوق شاه بن سلغر شاه : ٧ أشهر من سنة ٦٦٢ هـ

كان سلجوق شاه — كما يصوره التاريخ أيضاً — شاباً طموحاً ، ولكنه ضل الطريق كذلك ، كما ضل أخ له من قبل . هو « محمد شاه » وإن كانت أساليب الضلال مختلفة بعض الاختلاف ، فالأول تجنب سياسة المصانعة مع ترکان ، والثاني رأى أن يأمن غدرها فابتنى بها أولاً ، ثم غدر بها أخيراً .

والأول ارتكب سياسة الجون والاستهتار ، فنفر منه الشعب ، وثار ضده حتى قبض عليه ، وأرسل إلى هولاء كواسيراً ، ففضى نجبه هناك . والثاني صانع المغول ، كما صانع ترکان ، ولكن على دخل وضلال ، فكما فضى على « ترکان » ركب رأسه كذلك ، وسار في الطريق حتى النهاية ، فتخلص من عمال المغول ، ورعاياهم في « شيراز » قتلاً وغدراً مما نفرهم منه ، وجعلهم يعلنون الحرب عليه ، حتى وقع آخر الأمر أسيراً ، ولم يدم حكمه أكثر من بضعة أشهر كأخيه .

هذا مجمل لقصته ، أما تفاصيل حياته ، فيقال إن أمه ، من بيت ملكي آخر هو بيت السلاجقة^(١) ، ولعل في اختيار هذا الاسم ما يشعر بذلك ، وكان أكبر من أخيه « محمد » بعام واحد^(٢) . وفي أيام « محمد بن سعد » كان قد زح في السجن بقلعة اصطخر^(٣) . فلما تولى أخوه أمور الدولة ، انتهز هو هذه الفرصة ، وبعث إليه برباعية يسترضيه بها ، ويذكره بحالهما ، وما بينهما من فروق ، ويطلب إليه أن يفكه من سجنه ، في رباعيته الآتية .

(٢) سعدى نامه ص ١٢٤

(١) حبيب السير ص ١٣١

(٣) حبيب السير ص ١٣١

« درد وغم وبنده من درازی دارد عیش و طرب تو سر فرازی دارد (۱) »
برهردوسکن تکیه که دوران فلک دربرده هزار گونه بازی دارد (۲) »

كانت شخصية « ترکان خاتون » لا تزال هي المسيطرة على الموقف ،
والقابضة على زمام الأمور ، خلال تلك الأحداث التي حلت بفارس . فقد
شغلت حياتها جزءاً من حياة « سعد بن أبي بكر » بعد زواجها به ، وظلت مشرفة
بنفسها على إدارة شؤون الدولة ، أيام ابنه « محمد » ، وتشارك في توجيه السياسة
العليا أيام « محمد شاه » .

فلما آل الحكم إلى « سلجوق شاه » بعد فكه من السجن ، قدم إلى
شيراز ، فاستبشر أهاليها بقدمه ، وتوليته ، وكان أول عمل قام به رغبته أن
يأمن جانب « ترکان خاتون » ، فتزوجها (۳) لكن عهده — على قصره — كان
مليئاً بالأحداث الهامة في حياة هذه الدولة . لم يطل الوفاق بينه وبين زوجته ،
فعمل على التخلص منها ، فقتلت واحتزت رأسها (۴) ، لكن هذه الحادثة جرت
عليه نكبات أخرى من الداخل ومن الخارج .

غضب عليه بعض الأعيان فأجهز عليهم (۵) ، وغضب عليه أهل ترکان
— أمراء يزد — وشكوه إلى هولاءكو (۶) ، فلما أحس بغضبه عليه ، ركب رأسه
وأعلن العصيان ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل جمع رجال المغول بشيراز ،
 وقتلهم جميعاً مع زوجاتهم ، وأتباعهم ، وأحرق دورهم (۷) .

عندئذ أعد « هولاءكو » جيشاً كثيفاً لتأديبه ، وأمر عليه « التاجو

(۱) في شيرازنامه كلمة دنوازی بدل سرفرازی ص ۶۲ .

(۲) وصف ص ۱۸۳ (۳) نفس المصدر ص ۱۸۴

(۴) شيرازنامه ص ۶۳ (۵) حبيب السير ص ۱۳۱

(۶) شيرازنامه ص ۶۳ (۷) سعدی نامه . قزوینی . ص ۱۲۴-۱۲۵

وتيمور^(١)» ولحق بهما أمراء الأطراف كذلك^(٢) . وتكون جيش عام من المغول ، والمسلمين ، من نفس بلاد فارس وتوابعها ، فكان هذا الجيش يمثل جهات مختلفة من أصفهان وبلاد اللوز ويزد وكرمان^(٣) .

أعد « سلجوق شاه » من جانبه العدة للقاء هذا الجيش ، ولكي يأمن على ثروته وأمواله ، حمل كل ما في خزائنه^(٤) ، لتكون تحت متناول يده إذا اقتضى الأمر .

وكأنما أحس أن لا طاقة له بالمقاومة ففر إلى ساحل عمان^(٥) ، ونزل ببلدة تسمى « خورشيف^(٦) » وأعد العدة للهرب بالسفن ، لكن « التاجو » تبعه حتى اضطره أن يعود إلى « كازرون » . فلما التقى الجمعان ، اعتصم « سلجوق شاه » بمسجد الشيخ « أبي اسحق الكازروني^(٧) » ، ولجأ معه في هذا المسجد ، جيش كشيف من بني خوولتة - أتراك السلاحقة - كما انضم إليه أهالي كازرون^(٨) . أحاط المغول بالمسجد ، وقذفوه بالحجارة ، والسهم ، وقطع الأخشاب . وكان بين رجال « سلجوق شاه » أحد القواد الأبطال المسمى « مينكلي بيك » . كان من خواصه ، شجاعاً قوياً . ضرب الأمر بينه وبين « سلجوق شاه » ليهجما بشدة على المغول ، فلعلمهم يرتدون عن هذا الحصار ، لكن « سلجوق شاه » مانع في الأمر ، بدعوى أنه لا يملك القدرة على سرعة الحركة لبدانته^(٩) .

عندئذ جمع « مينكلي بيك » ما استطاع حمله ، من الخزانة وانقض على المغول ، هو وأبناؤه ، وبعض أتباعه ، انقضاض الأسود ، حتى فتحوا في جبهتهم

(١) ووصاف ص ١٨٦

(٣) ووصاف ص ١٨٦

(٥) حبيب السير ص ١٣١

(٧) نفس المصدر ص ١٣٢

(٩) حبيب السير ص ١٣٢

(٢) شيراز نامه ص ٦٣

(٤) سعدى نامه . قزويني ص ١٢٥

(٦) ووصاف ص ١٨٦

(٨) ووصاف ص ١٨٩

ثغرة ، نفذوا منها إلى الخارج . لكن أتابك يزد « علاء الدولة أبا ترکان خاتون »
تعقبه . فلما أدركه ارتد إليه « مينكلي بيك » وطلب إليه أن يعود ، وإلا عرض
نفسه ، ورجاله للهلاك . لكن الأتابك اغتر بكثرة ما لديه من الرجال والأعوان
فلم يستمع لهذا النصح ، فعطف عليه « مينكلي » وقذفه بسهم ألقاه على الأرض ،
وفر هو غائماً إلى البصرة ومنها إلى مصر . وأمضى بها بقية عمره (١) .

أما مصير « سلجوق شاه » فقد اقتحم المغول عليه المسجد ، وأعملوا في رجاله
السيف ، حتى قبضوا عليه ، وحملوه إلى قلعة « سفيد » فزج فيها ، حتى توفي
سنة ٦٦٢ هـ (٢) بعد حكم لم يدم أكثر من سبعة أشهر ، انطوت خلالها هذه
الأحداث الجسام .

وقد كان — لشجاعته و بسالته — محل تقدير عند الشاعر فمدحه بقصائد
كثيرة (٣) .

١٠ — أبش خاتون : ٦٦٢ — ٦٨٥ هـ

كانت الأحوال بعد سلجوق شاه ، تؤذن بغروب شمس هذه الأسرة ، فإلى
جانب الأحداث الهامة ، التي أدت إلى القتل والسفك ، والتي انتهت بالحرب
— كما صورنا — كانت هناك عوامل أخرى ، أدت إلى كثرة تغلغل نفوذ المغول
عن ذى قبل .

انتهت بانتها « سلجون شاه » أفراد هذه الأسرة من الرجال ، الذين
يتولون العرش ، ولم يبق من سلالة الأتابكة ، إلا « سلغم وأبش » ابنتا سعد
ابن أبي بكر من زوجته « ترکان خانون » وكانت سلغم الكبرى قد تزوجت من

(١) حبيب السير ص ١٣٢ (٢) شيراز نامه ص ٦٤

(٣) كليات فروغى ص ١٤١، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤١٦ وانظر سعدى نامه قزوینی ١٢٤-١٢٧

« محمد شاه بن سلغر شاه » كما أسلفنا ثم انتقلت بعده إلى ابن خالها ، فاتجهت
أنظار المغول إلى أختها « أبش خاتون » . وكان قلب « منكو تيمور بن
هولاكو » يرنو إليها .

ويقع الخلاف بين المؤرخين في الوقت الذي زفت إليه فيه ، ويعرض صاحب
« حبيب السير » إلى هذا الخلاف ، فيذكر عن صاحب « روضة الصفا » أنها
حين انتهاء عهد « سلجوق شاه » كانت تحتة فعلا . كما يذكر عن صاحب
« تاريخ كزیده » أنها زفت إليه سنة ٦٦٣ هـ بعد سنة من حكمها (١) .

ويؤيد الأستاذ القزويني الرأي القائل بأنها كانت قد زفت إليه قبل توليتها
العرش (٢) ، فلما أعلنت ولايتها ، خطب لها ، وضربت السكة باسمها كذلك (٣) .
ويشير « الوصاف » إلى أن الحكم كان — منذ ذلك الوقت — اسمياً في
أيدي الأتابكة وواقعياً في أيدي المغول .

ولكن يرى أن المدة التي أمضتها بشيراز ، قبل زواجها ، كانت مدة طويلة
ما بين سنة ٦٦٢ هـ وسنة ٦٧٢ هـ أشرفت فيها على دفة الحكم ، وهي بقاعدة الدولة
ولم تذهب إلى بلاط المغول إلا في حدود سنة ٦٧٢ هـ في صحبة الأمير
« سوغونجاك » لتتصل بزوجها « منكو تيمور بن هولاكو » (٤) .

وسواء أذهبت مبكرة إلى بلاط المغول ، أم بقيت تدير دفة الدولة بشيراز ،
فإن الأمور — في حقيقتها — كانت بأيدي عمال المغول وموظفيهم . وقد امتد
حكمها مدى اثنين وعشرين عاماً من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٨٥ هـ . ومن المحقق
أنها أمضت المدة ما بين سنة ٦٧٢ هـ إلى سنة ٦٨٢ هـ بأزر بيجان في بلاط المغول .

(٢) سعدى ناسه ص ١٢٧

(١) حبيب السير ص ١٣٢

(٤) وصاف ص ١٩٧

(٣) شيرز نامه ٦٤

اجتازت في تلك الفترة بقية عهد حكومة « هولوكو » وابنيه « أباقا وتكودار »
وقدرا من حكم « أورغون خان » تقلبت عليها ، وعلى دولتها ، فيها أحداث
جسام وخطوب .

ففي مطلع حكمها ، ثار عليها رجل يسمى « سيد شرف الدين ابراهيم » ادعى
أنه من الأشراف ، واغترب بعض حياته ، في نواحي خراسان ، ولكن شيراز
استهوته فجمع طائفة من التركانيين ، وائتمر معهم على نزاعها السلطان ، والاستيلاء
على الدولة ، واتجه بهم نحوها ، لكن جيش المغول ترصد له ، حتى إذا أشرف
على شيراز أوقع الهزيمة به ، في مكان يسمى « بل كوار ^(١) » وانتهت تلك
المؤامرة سنة ٦٦٦ هـ .

وفي سنة ٦٨٠ هـ فجعت في زوجها « منكوتيمور » ^(٢) . أصابته ضربة قاتلة ،
تلقها من المصريين الذين التحم بهم في أرض الشام ، فلما توفي زوجها ، أذن لها
« تكودار أحمد » الذي كان إذ ذاك على عرش المغول ، في العودة إلى بلادها ،
فعدت إليها في حدود سنة ٦٨٢ هـ .

فلما أشرفت على المدينة ، فرح أهاليها بعودة أميرتهم إليهم ، فهرعوا جميعاً
لاستقبالها ، وعطلت الأسواق ، وأقفلت الحوانيت وانتشر المطربون في شوارع
شيراز ، يغنون القوم ويطربونهم ، وأمضت شيراز شهراً كاملاً وهي غارقة في
مظاهر البهجة والسرور ^(٣) .

لكن أيام السعادة لم تطل بها وبقومها ، فلم تسكد تعود إلى موطنها ، حتى
أخذت توجه بنفسها أمور الدولة ، متناسية وجود ممثلي المغول في إمارتها . فأغضب

(٢) سعدى نامه ص ١٢٨

(١) شيراز نامه ص ٦٤

(٣) سعدى نامه ص ١٢٨

ذلك أولى الأمر وأحفظهم عليها . أضف إلى ذلك أن السياسة العليا في دولة المغول ، قد تغيرت عندما آل الأمر إلى « أرغون خان » بعد عهد « تكودار » القصير . والذي ساد فيه الاستبداد ، والظلم ، واضطهاد الناس ، وتشريد رجال الدولة ، وقتل كبارها ، كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك .

فتغيرت — تبعاً لهذا — سياسة الدولة العليا مع الولايات الخاضعة لها ، ونصب « أورغون » حاكماً جديداً لفارس يدعى « السيد عماد الدين أبو يعلى » إذ كان من المقربين إليه ، فلما قدم فارس ، لم يكثر « بأبش خاتون » فوَقعت الخصومة بينه وبينها ، فأسرت العداة له مع جماعة من خواصها حتى انتهى الأمر أخيراً بأن قتلته بعض مماليكها ، في سوق شيراز سنة ٦٨٣ هـ ونهبوا قصره^(١)

فلما سمع « أورغون » بذلك أرسل الرسل والأعوان في طلبها ، مع خواصها وحملوها عنوة إلى معسكره مهانة ذليلة ، وقتل من ثبت الجرم عليهم ، فلما أمضت « أبش » سنة وبضعة أشهر ، بين يدي المغول ، توفيت هناك سنة ٦٨٥ هـ ودفنت في « جرنداب » بتبريز^(٢) . وبعد مدة أحضرت جثتها ابنتها من « منكوتيمور » التي تدعى « كردوجين » ودفنتها بالمدرسة العضدية التي كانت قد أنشأتها أمها من قبل ، والتي كان فيها مدفن أبيها وأخيها محمد . وبموتها انتهت أسرة السلغريين بفارس ، وانتقلت فارس من مملكة يدير شؤونها حكام من أبنائها إلى مجرد ولاية تابعة ، يعين لها حاكم وموظفون من قبل المغول .

الشاعر وأبش خاتون

كان حظ أبش من مدائح « سعدى » أقل بكثير من حظ أمها « ترکان خاتون » . وإذا كان « سعدى » قد تخرج في التصريح باسم أمها ، فإنه أيضاً

(٢) و صاف ص ٢٢٢

(١) سعدى نامه ص ١٢٩

تخرج في ذكر اسم ابنتها ، ولعل الشاعر — مع ذلك — لم يجد لها ما تستحق أن تتمدح به فيكثر من مدحها كما أكثر من مدح أمها .

فبالرغم من أن السلطان امتد في يدها ، أو بقيت هي تمثل السلطان مدى اثنين وعشرين عاماً . وأصبحت فارس بالكثير من الأحداث في عهدها ، وكانت بطبيعتها تدفع الشاعر إلى الحديث عنها ، فانه — مع هذا — صمت ولم يذكر شيئاً . وكل ما يعرف من هذا الموضوع غزلية لم تعرف فيها شخصية الممدوح ، ولم تتضح صفاته أو أعماله ، حتى يمكن الحكم عليها فيمن قيلت .

وكل ما يدل على أنها قيلت في « أبش خاتون » عنوان وضع لها في بعض النسخ « وله في مدح أبش بنت سعد » وفي بعضها الآخر بعنوان « ذكر باد شاه إسلام إليك أبش عليه الرحمة (١) » .

وهذا العنوان الأخير مأخوذ مع القطعة بالتصوير الشمسي وأثبت النص الأستاذ القزويني في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى شيرازي » في مواجهة صفحة ١٣٠ من « سعدى نامه » . ويدل هذا العنوان إلى حد بعيد على عبث النساخ وعدم تدقيقهم حتى اضطر الأستاذ القزويني أن يشير إلى ذلك ويصححه (٢) .

* * *

فارس تحت حكم المفلح

الأمير أنكيانو أول مندوب لادارتها

عرفنا — سابقاً — أنه بعد وفاة «سليحوق شاه» آخر أمراء الأتابكة ، لم يوجد من تلك الأسرة سوى « أبش خاتون ابنة سعد بن أبي بكر » . فوليت العرش سنة ٦٦٢ هـ و بقيت حتى سنة ٦٨٥ هـ .

(١) سعدى نامه . قزويني ص. ١٣٠ (٢) نفس المصدر ص ١٣٢

وكانت فارس في عهدها خاضعة — بالاسم — للأتابكة، وبالفعل تحت نفوذ المغول، فتولى إدارة شئونها من قبلهم بمض نوابهم، ودخلت فارس بعد موت « أبش » تحت حكم هؤلاء النواب، إلى أن انقضى عهد المغول نهائياً في إيران. كان أول من تولى من أمراء المغول إدارة هذه الولاية، الأمير « أنكيانو » عهد إليه بالأمر « أبا قاخان بن هولاكو »، ونصبه — على جميع فارس سنة ٦٦٧ هـ. وكانت فارس — إذ ذاك — تضرب الفوضى في أطناها، ففسدت الأمور، واختل نظام الأمن، وعاث اللصوص وقطاع الطرق في البلاد.

وكان الظروف أوحث إلى من بيدهم الأمر إلى اختيار الأمير « أنكيانو » فكان يجمع بين الهيبة والقوة، مع عدل وذكاء وكياسة. فرد الأمن إلى نصابه، وقضى على أيدي الطامعين المعتدين (١).

لكن شدة بطشه، وسطوته، وأوغرت صدور جماعة من أكابر فارس. فلجأوا إلى « آباقا » ورفعوا إليه شكايتهم، مقرونة بالكثير من الوشايات المحكرة. إذ أسندوا إليه أنه يسلك في حكمه سياسة غير رشيدة من التبذير والتخريب، ولم يكتفوا بذلك، بل بالغوا في الأمر، وكان الفرصة قد واتتهم فاغتموها، ودبروا وشاية محكمة.

ذلك أنهم رفعوا إلى الحاكم العام أن حب السلطان قد استهوى « أنكيانو » وتمكن من نفسه، ووجدوا الدليل على ذلك بين أيديهم.

كان الأمير « أنكيانو » قد ضرب السكة في عهده على ولاية فارس، ونقش عليها — تحت اسم المليك — علامة تشير إليه، فرفعوا قطعة منها إلى الحاكم العام، فعزله وبعث به — بعيداً — في سفارة طويلة شاقة، إلى بلادهم أواسط آسيا (٢).

(١) سعدى نامه. قزوینی ص ١٣٤ (٢) نفس المصدر ص ١٣٤

ولا يعلم على التحقيق مدة حكومته بفارس . لكن تاريخ محب خلفه إلى شيراز كان سنة ٦٧٠ هـ (١) . فكان حكومته على فارس كانت حوالى أربع سنوات من سنة ٦٦٧ هـ إلى سنة ٦٧٠ هـ .

الشاعر والأمير أنكيانو

ولم تنقطع صلوات الشاعر بحكام فارس ، وعملها بعد أسرة الأتابكة ، فقد اتصل بالكثيرين منهم ، وبخاصة من كان في نظره محل تقدير وإعجاب .

والشاعر في قصائده ، التي يمتدح بها هذا الأمير ، يجعلها ميداناً يعرض فيه الكثير من النصائح ، والمواعظ ، وعدم الاعتماد على الدنيا . فهو فيها — كما في غيرها — من القصائد الأخرى ، التي كان يمتدح فيها الملوك أو الحكام ، يقيم من نفسه مرشداً هادياً ، وناصحاً أميناً ، لم ينزلق إلى التزلف ، أو المدح المزيف . ولعل الظروف نفسها ، التي انصل فيها بهذا الحاكم ، كانت توحى إليه بهذا المسلك أكثر من ذى قبل . فقد تبدلت الأمور ، وزالت دولة ، وحلت محلها دولة أخرى . زالت دولة إسلامية ، وخضعت البلاد لحكم أجنبي ، وولى شئون البلاد حكام غير مواطنين ، وغير إسلاميين كذلك .

فلا أقل من أن يعرض الشاعر مدائح ، في ثوب جديد ، يطوى خلاله النصيحة والموعظة ، وخاصة أنه في ذلك الوقت ، كان قد عمّر وبلغ مرتبة تحول له أن يكون الناصح الواعظ أكثر من ذى قبل .

أما المواضع التي ردد الشاعر ذكره فيها فهي أربعة . أحدها نثر في مقدمة الكليات^(٢) ، وثلاث أخرى وردت شعراً في بعض قصائده^(٣)

(١) شيراز نامه ص ٦٥ وانظر وصاف سن ص ١٩٣—١٩٥

(٢) كليات فروغى ص ٦٥ (٣) نفس المصدر ص ٤٤٨ . ٤٤٥ ، ٤٨٨

الأمير سوغونجاق

تولى بعد الأمير أنكيانو، وهو أيضاً من مشاهير أمراء المغول، قد انتدب للإشراف على شئونها سنة ٦٧٠هـ، لكن سرعان ما ترك الأمر لغيره بعد أن دبر أمور المملكة. فوزع الإدارة بين ثلاثة: اثنان من أمراء المغول، هما «بولغان وتونياق»، وآخر من رجال شيراز نفسها، هو من عرف — بعد — بالأمير «محمد بك»^(١). ولقد استمر هذا يقوم بنصيبه في تدبير ما أسند إليه من شئون الإمارة مدى سبع سنوات، حتى سنة ٦٧٧هـ إذ قتل في الحرب التي وقعت بين الشيرازيين وجيش «تكودار أحمد» فكان بين القتلى.

ويلاحظ أن الشاعر بعد عهد الأمير «أنكيانو» بفارس لم يمدح أحداً من حكام المغول سواء من الذين تولوا شئون الإمارة أو كانوا من الحكام الكبار، فلم يظفر بمدائحهم من رجالهم سوى «هولاكو وأنكيانو».

وكل من عرض الشاعر لمدحهم كانوا من الذين يتخيرون لإدارة بعض الأعمال بشيراز من قبل المغول. أو من الذين كانوا من أعيان الإمارة^(٢) لانبجاجة إلى ذكركم، ونحيل القارىء على ما كتبه الأستاذ القزويني بشأنهم^(٣)

حكومة فارس في آخر القرن السابع الهجرى

امتد حكم سوغونجاق ومن تخيرهم لإدارة شئون إمارة فارس حتى نهاية عهد أورغون خان سنة ٦٩٠هـ.

وابتداء من هذا التاريخ، حتى نهاية عهد المغول بإيران، ولى الأمر بحكومة فارس — من قبل آخر ملوكهم — رجل يعرف «بالمملك السعيد جمال الدين إبراهيم الطيبي»^(٤)

(١) شيراز نامه ص ٦٥ (٢) نفس المصدر ص ٦٥

(٣) انظر سعد نامه ص ١٣٨ وما بعدها (٤) شيراز نامه ص ٧٣

تولى شئون الحكومة ابتداء من سنة ٦٩١ هـ في مستهل عهد كيخاتو ،
وأقصى هو وأولاده من بعده ، مدة في حكم ولاية فارس من قبل المغول ، تنتهى
سنة ٧٢٥ هـ .

وكما كانت الأحوال آخر عهد ملوك المغول بإيران ، تؤذن بأفول نجم هذه
الأسرة ، كذلك كانت الأحوال بإمارة فارس تؤذن بأفول نجمها كذلك ، فقد
تبدلت الأحوال كثيراً بهذه الإمارة ، وإن كان «جمال الدين» قد أبدى كثيراً
من القوة في تصريف شئونها ، وامتدت سلطته ، فكان يتخير من قبله بعض
النواب لإدارة شئونها .

ولما توفى سنة ٧٠٦ هـ كان قد ترك خلفه أولاداً . من أقوام شخصية الملك
الأعدل « عز الدين عبد العزيز » .

ولى الحكم بعد وفاة أبيه ، واستمر فيه حتى عهد «أبى سعيد» ، وقد ظهرت
خلال حكمه بعض ثورات ، كانت ترمى إلى إبعاده عن الإمارة ، لكنه تغلب
عليها وختمت حياته سنة ٧٢٥ هـ ، إذ قتل أثناء وجوده بتبريز ، فنجى به إلى
شيراز ، ودفن بجوار أبيه .

توزع الملك بعده جماعة من إخوته ، كان أظهرهم « شمس الدين محمد^(١) »
لكن أيامه لم تطل كثيراً ، فاستولى كل واحد من بقية الأخوة على ناحية من
نواحي فارس ، وتبادلوا أمور الولاية بينهم حتى ضعفت سلطتهم . وبهذا انتهت
الأيام الأخيرة في حكومة فارس سنة ٧٢٥ هـ كما تقدم .

ولم يظهر في ذلك العهد القصير شيء يذكر من العائر أو الآثار ، وهكذا
قضى على تلك الإمارة التي لمع تاريخها في عهد أسرة السلغريين .

(١) شيرازنامه ص ٧٥

البَابُ الثَّانِي

الفِصْلُ الأوَّلُ

أسرة الشاعر والفورمه الذى يحيط بجاءه

لم يُقدَّر لشخص من الأشخاص — حين يولد — أن اسمه سيلمع أو سينخفض ، وأن حظه فى الحياة سيكون ذا شأن أو لا شأن له ، وأن توفيقه فى الإنتاج سيكون ذا خطورة أو لا قيمة له .

ولم تكن وسائل تقييد الحوادث فى تلك العصور — مما يتعلق بكثير من الأفراد — من الدقة والنظام بحيث يمكن الاطمئنان إليها . على أنه بجانب ذلك لم تخل حياة أبناء الكبراء من اهتمام وعناية ، فدونت كثير من حوادثهم الهامة ، وبهذا أمكن التعرف على بعض تواريخ تتصل بحياة الذين يرتبطون بهم أو يعاصرونهم .

لكن — مع ذلك — تبقى كثير من الحوادث مبهمه غامضة مرهونه بالظروف التى تحيط بها ، كما أن النتائج التى ينتهى إليها — من تلك الناحية — ليست حاسمة فى تاريخ الأشخاص ، بل لعل الكثير من النتائج التى ينتهى إليها — مع ما يبذل فيها — ضلال عن الحقيقة ، ومجافاة عن الصواب .

وليس إلا السبيل الوحيد ، وهو أن تلتقط حياة الأشخاص من آثارهم التى يتركونها ، أو مما يكتب عنهم بعد عصرهم .

فاذا أضفنا إلى ذلك أن وسائل الكتابة والنسخ في العهود السابقة ليست هينة ، ظهرت لنا مشكلة أخرى . فالكثير من التصحيف ، والكثير من الرواية يبعثان على الكثير من الضلال كذلك في الذهاب إلى رأى دون رأى ، أو تأييد وجهة نظر دون أخرى .

وشخصية « سعدى الشيرازى » بالرغم من خطورتها في الحياة الأدبية والاجتماعية ، وبالرغم من المركز الجليل الذى شغلته—منذ اندمجت في الحياة العامة ودخلت في الجماعة الأدبية— بالرغم من هذا ، لم تنج من كثير من الصعوبات ، بل لعل حياتها أحيطت بصعوبات تفوق ما أحاط بغيرها ممن على شاكاتها .

تبدو هذه الصعوبات الكثيرة فيما ورد عنها من مختلف الآراء ، لا في مذهبها في الحياة ، ولا في آرائها التى تلقيت عنها ، بل كذلك فيما يدور حول ما كان يمكن الفصل فيه ، مثل مولده ونشأته وبعض ألوان حياته

يبدو هذا الخلاف حول مولده ، أكان قبل القرن السابع الهجرى أو فى مستهله ؟ كذلك يقع خلاف آخر حول اسمه شخصياً ، أهو « مشرف الدين » أو « مصلح الدين » أو غير هذا وذاك ؟ كذلك يقع الخلاف كثيراً حول تخلصه ، أينسب إلى « سعد بن زنگى » أم إلى « سعد بن أبى بكر » ؟ .

كذلك يقع الخلاف فى قصصه ، ورحلاته ، والأشخاص الذين اتصل بهم ، والأما كن التى رحل إليها .

أقصصه واقعية فى موضوعها وأشخاصها وأما كتبها ؟ أم خيالية أريد بها استخراج عبرة أخرى خافية غير مكشوفة . . . ؟ أم هى خليط بين هذا وذاك .. ؟ كل هذه الأمور التى كان يمكن الفصل فيها بسهولة ، لاتزال — حتى الآن — منار خلاف وجدال كبير بين الكثيرين من رجال الأدب والنقد قديماً وحديثاً مما سنعرض له فى موضعه .

والذين درسوا الشاعر دراسة تقوم على النقد والتحليل واجهوا هذه المشاكل وأحسوا بها وسجلوها .

فالأستاذ « عبد العظيم خان الكرگانی » الذى نشر « الكلستان » كتب فى مقدمته أن تاريخ الشاعر مجهول مشكوك فيه ، ولا يمكن بطريق التحقيق ، أن نعلم عن حياته وأيام تحصيله ، وأسفاره الطويلة ، والأشخاص الذين اتصل بهم شيئاً صحيحاً^(١) . وليس ذلك إلا لأن ما كتب عن الشاعر ، فى كتب التذكار والتاريخ — على ما يذهب إليه الأستاذ — مشكوك فيه ومحل شبهة^(٢) .

على أن الغربيين ، ممن عرضوا لدراسة الشاعر ، يرون كذلك المشاركة فى هذا رأى الذى ذهب إليه « الكرگانی » .

فقد ذكر الأستاذ « آربرى Arbery » أن الثقة ضعيفة بالأخبار التى ترتبط بالشاعر، رغم تعدد أخباره ، وكثرة ما ترجم له ، وخاصة فيما يتصل باسمه وحياته^(٣) .

والقصص — نفسها — التى تدور عليها كتبه — كما يرى « الكرگانی » بعضها موضوع لا يتصل بالواقع ، وكذلك أحداث حياته ، كانت أيضاً مبهمه ومجهولة ، والشاعر نفسه لم يتحدث عن حياته ، بطريق كامل أو بشكل واف^(٤) .

وعلى ذلك نسير فى طريقنا نستخلص حياة الشاعر من بين تلك الآثار المتباينة المتضاربة . فان قدر لنا أن نرسم حياة صحيحة كاملة ، فذلك أمر نرجوه ونسعى إليه ، وإلا فنحن لانزال فى طريق الاجتهاد .

ولنمض الآن فى عرض تاريخ أسرته مما بين أيدينا من المراجع التى أمكن الوصول إليها .

(١) الكرگانی — مقدمة الكلستان . ص كج .

(٢) الكرگانی — مقدمة الكلستان ص . كد

(٣) Arbery : Kings and Beggars p. 6.

(٤) الكرگانی — مقدمة الكلستان ص — يه

أسرة الشاعر :

وأول صعوبة تواجهنا في تحقيق شخصية الشاعر ، هي معرفة أسرته ، التي انحدر منها معرفة دقيقة ، ومع أن رجال التذاكر والمؤرخين ، اجتهدوا كثيراً في التحدث عما يدور حول حياته ، إلا أنهم لم يلتفتوا إلى الحديث عن أسرته ، بشيء هام . بل كان حديثهم عنها لماما .

ولقد أدى ذلك إلى خلاف كبير في تحقيق شخصية الشاعر نفسه ، ومعرفة أخبار أسرته .

ونحن نعرض للحديث عن أخبار أسرته عامة من أجداده إلى أولاده ، قبل أن ندخل في تفاصيل حياته الشخصية .

أجداده

والظاهر أن الشاعر كان ينحدر من أسرة دينية ، يثبت ذلك من أقواله شخصياً ، ومن بعض ما ذكره عنه أصحاب التذاكر .

فهو يقول عن قبيلته ، إنه كانت جميعاً من رجال الدين ، وأنه شب كذلك ولم ينحرف به الطريق عن أن يكون رجل دين كأسرته ، إلا هوايته الصوفية ، التي صرفته إلى قرص الشعر في العشق الصوفي ، إذ يقول .

«همه قبيلة من رجال دين بودند مرا معلم عشق تو شاعری آموخت»^(١)

ويتسق مع هذا ما نقله الأستاذ «السكرگانی» عن صاحب كتاب «سلم السموات» من أن أمه كانت تنحدر من أسرة دينية كأسرة أبيه^(٢) .

أبوه

ويشير صاحب كتاب «تذكرة الشعراء» في ترجمته للشاعر أن أباه كان في خدمة الأتابك «سعد بن زنگی» ، كما يشير إلى أنه اتخذ تخلصه كذلك من هذا الأمير^(٣) .

(١) تاريخ أدبيات إيران ٢٦٤ - طبع طهران سنة ١٣٢٠ ش للدكتور رضا زاده

(٢) السكرگانی - مقدمة السكلسفان - ص - ج

(٣) دولتشاه - تذكرة الشعراء - ص ٢٠٢ طبعة ليدن

ولعل ذلك تؤيده قطعة من الشاعر ترد في الكليات في قسم «الصاحبيات»
يشير إلى هذه العلاقة في قوله ، منها .

بدرم بنده^١ قديم توبســـــود عمر در بندگی بسربرده است
بنده زاده چو در وجود آمد هم بروی تودیده بر کرده است
خدمت دیگری نخواست همد کرد که ورا نعمت توپرو رده است(١)

ومعنى هذه الأبيات .

« إن أبى خادمك منذ القدم ، أمضى العمر فى خدمتك . . .
حين رأى ابنه باب الوجود ، تفتحت عيناه على وجهك . . .
إنه لا يبغي أن يكون فى خدمته غيرك ، فانه ريب نعمتك » .

وليس لهذه القطعة عنوان يفهم منه فيمن قيلت ؟ وليس من خلال كلماتها
إشارة إلى اسم الذى قيلت فيه ، وهى كما نرى يرد فيها فقط ضمائر المتكلم
والمخاطب والغائب .

وكما يبدو من معنى هذه القطعة ، أن المخاطب كان فيها بمنزلة الحاكم ، وأن
ضمير المتكلم والغائب ، يشيران إلى والد وابنه ، وأن الأب كان فى خدمة هذا
الحاكم ، وحين أشرف الابن على الحياة ، تفتحت عيناه على وجه هذا الحاكم .
ثم عاد الشاعر فى البيت الأخير ، ليدل على نوع هذه العلاقة بين الحاكم
وبين الأب والابن ، وأنها كانت إما خدمة عامة فى الدولة ، أو وظيفة فى البلاط .
وعلى كل حال يتبين منها ذلك الاعتراف . فانه كان لا يبغي أن يدخل
فى خدمة غيره ، وأنه كان ريب نعمته .

وهذه الأبيات ثابتة من كليات الشاعر . لا يستطيع أن ننفي نسبتها إليه ،
وضمير المتكلم فى هذه الأبيات هو مفتاح المسألة فان ثبت أنه « السعدى » فقد
حل بهذا المفتاح كثير من المشاكل ، وأهمها مشكلة تخلصه .

(١) كليات فروغى ص ٨١٧

ولا تعرض لهذه المسألة الآن فإننا سنتحدث عنها في موضعها ، ولكننا نحاول
— فقط — أن نثبت مرجع الضمائر إلى من تعود . . . ؟؟؟؟

وصحة نسبة الأبيات إلى الشاعر لم تكن محل خلاف ، ومطلع القطعة — كما
رأينا — كلمة أب ، مضافة إلى ضمير المتكلم . والمتكلم هنا ، من يكون سوى
سعدى نفسه؟ . فالكلام لا ينتجه إلى العموم ، بل هو كلام خاص ، في موضوع
خاص ، يبين حالة خاصة ، يعترف فيها بيد أسدت إليه نعمة .

وتؤيد هذه القطعة — إلى حد بعيد — ما ورد في بعض كتب التذكار ،
من أن أباه كان فعلاً في خدمة الأتابك « سعد بن زنگي^(١) » وأنه — بهذا —
اتخذ تخلصه ، كما تشير بعض الروايات إلى أن الشاعر نفسه ، كان متصلاً
أيضاً بهذا الحاكم ، ومن أجل ذلك جعل تخلصه باسمه^(٢) .

على أن صلة الشاعر بهذا الحاكم ، لم تكن فاصرة على عهد أبيه فحسب ، بل
امتدت كذلك بعد وفاته ، فيرى « براون » أن الشاعر كان على صلة بهذا
الحاكم ، وأنه اتخذ تخلصه منه ، وأرسله ليتم دراسته بالمدرسة « النظامية » ببغداد^(٣) .
والشاعر نفسه يشير إلى أنه كان يتلقى العلوم في تلك المدرسة ، وأنه كان
كذلك يتلقى إدراراً .

« سرا در نظاميه إدرار بود سب وروز تلقين وتكرار بود »^(٤)
ومن الممكن افتراض أن يكون هذا الإدرار قد جاءه من ذلك الأمير ، وأنه
ولى الإنفاق عليه وخاصة بعد وفاة أبيه .

ولعل الشاعر لم يطل به المقام كثيراً في بغداد ، فعاد إلى شيراز ، وظل بها

(١) دولنشاہ— تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) رضاقلی خان . رياض العارفين ص ١٤٤

(٣) G Browne : A Literary His, of Persia v. 2. P. 527

(٤) الكرگانی — مقدمة الكملستان . ص . لب

حتى سنة ٦٢٣ هـ ، وهي السنة التي توفى فيها «سعد بن زنگي» وكانت فارس قد أصيبت بما أصيبت به من الثورات ، والاضطرابات المتتالية ، فضاقت صدر الشاعر عن الإقامة فيها ، وخاصة بعد موت ولي نعمته^(١) ، كما يشير إلى ذلك الأستاذ «الكرگاني» فتركها راحلا .

متى مات أبوه ؟ وإلى أي سن بلغ الشاعر حين وفاته ؟

يشير الشاعر إلى أنه افتقد أباه صغيراً في سن الطفولة ، فيقول في باب الإحسان ، من كتابه «البوستان» مشيراً إلى ذلك .

« مرابا شد آزدرد طفلان خسبر كه در طفلى آزر بر فتم پدر (٢) »
ولكننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط متى مات أبوه ؟؟؟ وليس بين أيدينا ما يشير إلى ذلك ، إلا بعض إشارات قليلة في كتابيه «البوستان» و«الگلستان»
تحدد حوادث له في حياة أبيه ، وتثبت — إلى حد ما — السن التي بلغها الطفل في حياة أبيه ، وهي ثلاث قطع .

١ — قطعة في «البوستان» يشير فيها إلى طفولته ، وإلى بعض الأحداث التي وقعت له في عهد أبيه . يذكر فيها أنه خرج معه أحد أيام الأعياد — التي يخرج فيها الشيرازيون عادة إلى ظاهر مدينتهم للترويح والتسلية — فضل الطريق عن أبيه ، وتشاغل عنه باللعب ، وافتقده أبوه في كثرة الزحام . فلما وجده قرصه بأذنه موجهاً إليه اللوم .

« همی یادم آمد زعهد صسغر كه عیدی برون آسدم با پدر
ببازیچه مشغول مردم شسسدم در آشوب خلقی آزدردگم شسدم
برآوردم آزهول ودهشت خروش پدر ناگهاتم بمالید گوش » (٣)

(١) الکرگانی . مقدمة الگلستان — ص . ی . (٢) کلیات فروغی — باب الاحسان ص ٢٧ (٣) نفس المصدر — باب النوبة ص ٣٩٩

ويبدو أن سنه في تلك الحادثة ، لم تكن تتجاوز السادسة أو ما حولها .
 ٢ — قطعة أخرى يشير فيها إلى حياة أبيه أيضاً ، ومن الممكن أن يكون
 وقها في حدود التاسعة أو العاشرة ، وهي أيضاً في « البوستان » الباب التاسع
 « باب التوبة ^(١) » يقول فيها إنه يذكر عن عهد أبيه ، أنه اشترى له لوحاً
 ودفترًا وخاتماً ، وقد باع خاتمه بثمان زهيد ، لقاء بضع بلحات .

« زعهد پندر يادم آمد همی که باران رحمت بر او هر همی
 که در خریدیم لوح و دفتر خرید زهرم یکی خاتم زر خرید
 پدر کرد ناگه یکی مستری بخر سا ئی از دستم انگستری »

٣ — والقطعة الأخيرة تشير إلى سن أبعد من ذلك ، وإلى أن أباه كان
 لا يزال حياً ، وأنه في تلك السن كان يأخذ نفسه بعبادة شاقة ، إذ يقم الليل
 ويژهد ويتقشف ، وأنه — ذات ليلة — كان يسهر على خدمة أبيه .

ونضع بص هذه العبارة ، ثم نستخلص منها ما تذهب إليه ، وهذه القطعة
 ترد في « الكاستان » في الباب الثاني « أخلاق الدراويش » يقول فيها

« یاد دارم که در أيام طفولیت منعبد بودم ، و شب خیز مولع زهد
 و پرهیز ؛ شی در خدمت پدر رحمة الله عليه نشته بودم ؛ وهمه شب دیده برهم نیسته
 و بصحف عزیز برگسار گرفته ، و طایفه گرد ما خفته ، پدر را گفتم . از اینان
 یکی سر بر نمی دارد . . . الخ ^(٢) . »

ويستخلص من هذه العبارة أمور منها :

أولاً — أنه كان مبكراً في حياة الزهد والتقشف ، بينما كان لا يزال في
 أيام الطفولة .

ثانياً — أنه في إحدى الليالي ، لم تغفل عيناه عن خدمة أبيه ، والمصحف

(١) کلیات فروغی ص ٣٩٦ . (٢) نفس المصدر — گلستان ص ١١٣ .

الكريم محمول معه ، وأن بعض الذين كانوا معهما ، ناموا من حولها ، فأنكر ذلك عليهم ، لأنهم لم يمضوا بعض الوقت في العبادة .

ثالثاً — كما يمكن أن يستنتج من هذا ، أن طفلاً يقوم بالعبادة ، ويلتزم مسالك الزهاد والمتقشفين الذين يحفظون القرآن ، لاتقل سنه عن الثانية عشرة ، وهذا ماذهب إليه بعض المؤرخين ، فيرى الأستاذ « الكركاني » أن سنه — في هذه المناسبة — لاتقل عن الثانية عشرة^(١) ، كما يؤيد هذا الرأي أيضاً ما ذهب إليه الأستاذ « سعيد نفيسي »^(٢) .

لم يشر الشاعر — بعد هذا — إلى حياة أبيه في عهد أبعد من هذه السن ، ويبدو أن الشاعر أرسل إلى النظامية بعد وفاة أبيه ، وبعد أن استكمل الدروس الأولى ، التي كان يتلقاها في شيراز على والده ومعلميه .
على أنه في سن إرساله إلى بغداد ، لابد أن يكون قد اجتاز الثانية عشرة ، بل لعله أدرك الخامسة عشرة من عمره ، حتى يتهيأ نموه العلمي للتمكن من التحصيل في جامعة « كالنظامية » تضم بين جدرانها أركان العلم ، وأعلام الأدب ، وهي دروس في المرحلة الثانية بعد مراحل التحضير .

أمه

والإشارة إلى والدته — في كتب التذكار — قليلة ، وحظها كذلك من ذكر ابنها لها قليل أيضاً . وكل ما ظفرنا به من الإشارة إليها في كتب التذكار ، ماورد عنها في سياق الحديث عن أسرته عامة . وقد سبق أن أشرنا إلى ما أورده صاحب كتاب « سلم السموات » وأنها كانت من « كازرون » وأن أباه يدعى « مسعود الكازروني » وأن هذه الأسرة كانت من الأسر الدينية .

(١) الكركاني — مقدمة الكلكستان ص. ل .

(٢) نفيسي — بجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الخامس . ص ٤٤٦ .

ونص عبارة صاحب كتاب «سلم السموات» التي نقلها الأستاذ الكركاني هي
« شيخ سعدى پدر و سادرش هر دو از نژاد علما و فضلا بودند (١) » .
وترجمتها إن « والد سعدى وأمه كانا من سلالة العلماء والفضلاء » .

وللساعر عبارة تتصل بأمه في كتاب « الكلستان » وهي تصور حادثة له
معها . ولعلها — إذا ذاك — كانت قد بلغت سنًا كبيرة . تشير القطعة إلى أنه
أغلظ لها القول مرة ، وأنه أساءها في خشونة وقسوة ، وأنها كانت مسنة ضعيفة
بينما كان هو لا يزال شابًا . والقطعة ترد كأغلب قطع « الكلستان » بين
النثر والشعر .

« وقى بجهل جوانى بانگ بر سادر زدم ، دل آزرده بکنجى نشست ، وگریان
همی گفتم ، مگر خردی فراموش کردی ، که درشتی بیکی .

چه خوش گفتم زالی بفرزند خویش چو دیدش بآنک افکند و پیلن
گر از عهد خردیت یاد آسیدی که بیچاره بودی در آغوش من
نکردی در این روز بر من جفا که توشیر مردی و من پیرزن (٢)»

وترجمة القطعة « أغلظت القول يوماً في والدتي ، وقد تملكني جهل الشباب
فتحسر قلبها ، وانطوت إلى ناحية تبكي قائلة . لعلك نسيت صغرك فأغلظت لي القول !
مأحسن قول سيدة عجوز إلى ابنتها ! حين رأته في مقدوره صراع الوحوش
الضواري . لو أنك تذكرت عهد صغرك ، وأنت العاجز الضعيف بين أحضاني ،
لما جفوتني اليوم ، وأنا سيدة ضعيفة ، وأنت قوى كالأسد » .

يؤخذ من هذه القطعة ، أن أمه قد عاشت حتى وقت متأخر — على فرض
أن حوادث القطعة من قبيل الواقع — وأنها بلغت مبلغ الشيخوخة ، في قوله على
لسانها « پیرزن » .

(١) الكركاني — مقدمة الكلستان . ص . ج . (٢) كليات فروغی . الكلستان
الباب السادس « در ضعف و پیری » القصة السادسة ص ١٧٧ :

وبعد هذا ، لا نجد مكانا آخر يشير فيه إلى أمه . لكن تبقى ظاهرة لا بد من تحليلها . وهي أنه لم يؤثر له شعر في رثاء أبيه أو أمه .

ويبدو أن أباه كان قد قضى نحبه قبل أن تتمكن له موهبة الشعر ، ولعل أمه قد ماتت أثناء رحلاته ، فلم يعلم بوفاها إلا حين عودته إلى شيراز . والمفهوم كذلك أن الشاعر ، كان مقلا في مراثيه ، وأنه لم يبدأ هذا اللون إلا بعد عودته إلى شيراز فلم يؤثر له مرث في موطنه قبل سنة ٦٥٨ هـ وهي السنة التي توفي فيها « أبو بكر ابن سعد وابنه سعد بن أبي بكر » ومراثيه في الخليفة و بغداد التي كانت سنة ٦٥٦ هـ

إخوته .

لم يعرف عن إخوته إلا أخ واحد . وترد قصته في الرسالة السادسة من رسائل الشاعر في مقدمة الكليات في قسمها الثالث تحت عنوان « حكاية شمس الدين تازيكو » .

وماخص تلك الحكاية أن « شمس الدين تازيكو » كان يقوم على شؤون التجارة العامة بالدولة ، ففرضت على التجار بضاعة بأسعار مرتفعة ، ولم يعرف « تازيكو » بهذا الأمر . وقد تسلم أخو الشيخ — بصفته أحد التجار — بعض أنواع تلك التجارة ، فلما رأى الأمر في غير طاقته ، ذهب يرفع الشكوى إلى أخيه ، وكان معتكفاً في خلوة الشيخ « أبي عبد الله الخفيف » .

فتألم لهذا الأمر وفكر في دفع هذا الأذى — لا عن أخيه فحسب — ولكن عن كافة التجار تخفيفاً عليهم ، وعلى فقراء المدينة بشكل عام .

وتمضى القصة فتقول ، وفي الحال تناول الشيخ رقعة وكتب عليها بضعة أبيات جعل في طليعتها هذا البيت .

« زأحوال براد دم بتحقيق دائم كه ترا خپر نباشد »

يشير إلى أنه كان يقوم بتجارة البلح ، وقد ساء حظه فيها وذلك في قوله .
« خرابای بطرح من دهندش بخت بد آزاين بترنباشد »
ويذكر فيها كذلك مدى ما كان عليه المحصل ، من شدة وقسوة ،
وأنه لم يكن أسوأ منه .

« وآنگه تو محصلی فرستی تری که از او بتر نباشد »
تناول شمس الدين هذه الرقعة وضحك ، وفي الحال أمر بمناد ينادى أن كل
من ابتاع له بلح ، فليحضر .

اجتمع التجار لديه وسألهم عن أمرهم ، ورد لهم ما أخذ منهم من مال ، إن
كانوا قد دفعوا الثمن ، فإن كان منهم من لم يدفع أخذ البضاعة دون مقابل .
ثم تمضى القصة فتقول إن « تازيكو » قدم إلى الشيخ بنفسه واعتذر له
وطيب خاطره (١) .

ويبدو أن القصة غير موضوعة ، فقد أثبتتها كليات الشاعر المختلفة ، وأشار
إليها الكثيرون ممن كتبوا عن الشاعر ، وإن كان يعارضها بعض المحدثين دون
أن يبدى سبباً للاعتراض عليها (٢) .

زوجاته وأولاده

تتم الكلام هنا — في هذا الفصل — عن بقية أسرة الشاعر الذين كانوا
ذا صلة به من زوجات أو أولاد ويبدو أن في هذا الوضع من — سبق الكلام
عن الزوجات والأولاد — قبل الكلام عن الشاعر ، شيئاً من الخروج عن المألوف
المنطقي ، لكننا بصدد الحديث عن أسرته العامة ، تم الكلام فيما يتصل بزواجه
وأولاده ، سواء أكان من أحاديث الرواة ، أو من أحاديث الشاعر نفسه .

(١) كليات فروغى ص ٦٩ .

(٢) سعيد نفيسى — مجلة مهر — العدد السادس — السنة الخامسة ص ٥٦١ .

لم تكن حياة الشاعر — على الوضع الذى سارت عليه — حياة إقامة واستقرار ، تدعو إلى تكوين أسرة بالمعنى المرفوف . فهو رجل مطواف ، جعل العالم كله وطناً له ، لا يحل في مكان إلا وسرعان ما يرحل عنه ، حسبما تشتهي نفسه وترغب ، والركون إلى الزواج ركون إلى الهدوء والاستقرار .

ومع ذلك فإن الشاعر قد صادفته في حياته ظروف ، لعلها فرضت عليه أن يتزوج . ولستنا ندري من أمر هذه الظروف إلا القليل النادر الذى يحيط به الغموض كذلك .

والمواضع التى عرض فيها الشاعر لذكر زوجته أو أولاده لبست كثيرة ، بل هى في موضعين اثنين . أشار في أحدهما إلى زوجة له ، وأشار في الثانى إلى ابن له . فالموضع الذى أشار فيه إلى زوجته ، يرد في قطعه من « الككستان . باب أخلاق الدراويش » يتكلم فيها عن إحدى رحلاته إلى الشام ، وأنه وقع أسيراً في يد الفرنجة ، في الحروب الصليبية . فحمّله ليعمل في خنادقهم ، فرآه أحد أعيان حلب وكان له به سابق صحبة ومعرفة ، فافتداه منهم بعشرة دنانير ، ورافقه إلى بيته ، ثم زوجه من ابنته بمائة دينار ، لكنه أحس في معاملتها أنه استبدل أسراً بأسراً ، إذ أخشنت له الحياة فطلقها^(١) .

والقطعة الأخرى التى يشير فيها إلى ابنه ترد في « البوستان » في الباب التاسع « باب التوبة » يشير إلى أن له ابناً توفى بمدينة « صنعاء » باليمن . وهو — بطبيعة الحال — كان من زوجة أخرى ، تزوجها في إحدى رحلاته ، والشاعر يرثى هذا الابن رثاء حاراً ، في قطعة من قطع ذلك الباب تبلغ أربعة عشر بيتاً ، ويدور مغزها حول معنى القضاء والقدر^(٢) . ولا اعتراض لنا على وقائع القصتين .

(١) تدل القصة على سرعة بديهة الشاعر وروحه التهكمية اللاذعة . قالت له زوجته . أُلست أنت من اشتراك أبى بعشرة دنانير . . . ؟ فقال نعم ؟ ولكنه باعنى لك بمائة دينار . (٢) كليبات فروغى . بوستان . باب النوبة . ص ٤٠٣ .

الفصل الثاني

مولد الشاعر

بالرغم من الدراسة الطويلة المستفيضة ، لم يتحقق حتى الآن تاريخ مولد سعدى ، ولا تزال كل دراسة جديدة ، تحاول أن تذهب مذهباً جديداً ، وإلى الآن لم يجمع المحدثون على رأى قاطع فى مولد الشاعر .

ولست هناك شخصية — فيما أعتقد — ابتعدت فيها الفروض بعضها عن بعض — إلى حد كبير — بمثل ما ظهر حول ميلاد الشاعر . فلا يتصور مدى الفرق الزمنى بين أبعد تاريخ افتراض لميلاده ، وأقرب تاريخ . وهل يتصور أن يمتد الفرق عند المؤرخين بين أبعد تاريخ وأقرب به إلى خمسة وأربعين عاماً . . . ؟ وإنها لعمر آخر ! ! ! ! .

فأبعد زمن افتراض فيه ميلاد الشاعر كان سنة ٥٧١ هـ^(١) ، وأقرب زمن افتراض ميلاده كان سنة ٦١٥ هـ^(٢) .

والواقع أن تحديد وقت بعينه ، لشخصية من الشخصيات ، فى تاريخ مولدها — دون الرجوع إلى وثائق ثابتة ، أو نص معترف بصحته ، ومعاصرته لنفس الشخص — أمر من الأمور الصعبة . وكل ما يصل إليه الباحث فى هذه الناحية ، هو مجرد افتراض أو تخمين .

(١) الطاف حسين . فى كتابه حيات سعدى ص ٧ . طبع طهران وقد أثار بهذا الرأى أيضاً الأستاذ السكركانى ص ١٠٠ من مقدمة السكركانى .
(٢) عباس اقبال — سعدى نامه ص ٢٥ .

ونحن — من جانبنا — سنعرض لهذه المسألة ، وطريق الوصول فيها إلى رأى قاطع أمر نرجوه ، وهو أيضاً افتراض نفترضه ، ونذهب فى تأييده بما يعن لنا من الآراء . .

وقبل أن نعرض — شخصياً — للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، نحب أن نستعرض الآراء التى أشارت لهذه الناحية ، وهى فى الواقع لاتعدو ناحيتين .

أولاً — ناحية يذهب إليها القدماء .

ثانياً — ناحية يذهب إليها المحدثون .

أما الناحية الأولى — ناحية القدماء — فلا تتعرض لأمر الميلاد بكثير أو نذكر فقط سنة الوفاة ، وهى — مع ذلك أيضاً — تعرض للأمر وكأما تقطع بما ذهبت إليه .

الأخرى — التى يسلكها المحدثون — هى الطريق المعتمد على

النقد ، وتأييد الرأى بالحجج والأدلة .

وسنأخذ فى بحث المسألة عند كلا الطرفين ، ولعلنا نهتدى فى النهاية إلى

نتائج نظمتن إليها .

عرض آراء القدماء ونتائجهم :

ولنسلك مع القدماء أولاً طريقهم ، ونأخذ الموضوع من نهايته ، وهى تحديد

سنة وفاة الشاعر ، لعلنا نصل إلى بداية حياته .

وبين أيدينا من القدماء جماعة من رجال التاريخ ، وأخرى من رجال

الطبقات ، ومن أوائل من أرخ له من رجال التاريخ « حمد الله المستوفى »

فى كتابه « تاريخ كزیده » الذى أتمه فى حدود سنة ٧٣٠ هـ . وهو ينص على

أن وفاته كانت فى سابع عشر ذى الحجة سنة ٦٩٠ هـ (١) .

(١) تاريخ كزیده ص ٨٢٠

ثم يأتي بعده مؤرخ آخر هو صاحب « حبيب السير » المتوفى سنة ٩٤١ هـ . وهو يتردد بين اختيار تاريخين ذهب إلى أحدهما صاحب « تاريخ كزیده » السابق الإشارة إليه . وأخذ الآخر عن « عبد الرحمن الجاهلي » المتوفى سنة ٨٩٨ هـ في كتابه « نفحات الأنس » وهو شوال سنة ٦٩١ هـ^(١) دون أن يؤيد أحد الرأيين . أما كتب الطبقات ، فبين أيدينا منها الكثير ، وقد ترجم له كثيرون منهم ، ومن المتقدمين من هؤلاء صاحب كتاب « تذكرة الشعراء » المتوفى سنة ٨٩٢ هـ وقد ترجم للشاعر في إفاضة — كما دته لتراجمه في مشاهير الشعراء — وكتابه خاص بالتراجم لهم ، فهو من هذه الناحية ، كالتخصص في موضوعه ، وليس كصاحب « تاريخ كزیده » .

وهو يذكر تاريخ الوفاة في شيء من التحديد باليوم والشهر والسنة . بل يشته نظماً في نصين مسبوقين بكلمة « وعزیزی » على عادته في عدم التصريح بالناظم يقول في أحدهما :

« وعزیزی تاریخ وفاة آن بزرگوار برین نوع گوید .
 شب آدینه بود و ماه سسوال ز تاریخ عرب « خ ص أ » سال
 همای روح پاک شیخ سسعدی بیفشاند از غبارتن بر و بال^(٢)
 وترجمة هذين البيتين إجمالاً « أن تاريخ وفاة سعدی ، كان في ليلة الجمعة ،
 من شهر شوال من التاريخ العربي ، الذي يقابل في مجموعه ، ما يقابل حروف
 كلمة « خاص » من حساب « الجمل » . والخطأ في هذا الحساب ، تقابل أرقم
 — ٩٠ — والألف تقابل الرقم — ١ — والصاد تقابل الرقم — ٦٠٠ —
 فالمجموع = ٦٩١ .

ونظمه الآخر يؤدي — في جملته — إلى هذا المعنى .
 ونحن وإن لم تكن من أنصار هذا النوع ، من التحديد الزمى ، في مثل

(١) حبيب السير ص ١٣٠ (٢) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٩

هذه التواريخ باليوم والشهر والسنة ، على هذا الوضع من جعل العبارة موزونة ، إلا أن ذلك لم يمنع من اطمئناننا إلى الأخذ بهذا الرأي .

وليس من العسير إخضاع النظم ليأتلّف منه هذا التاريخ إجمالاً ، حتى يمكن أن يقال إن الشاعر ، إنما اصطنع التاريخ اصطناعاً ليسهل عليه الوزن ، فإن أداء المعنى أمكن صياغته في قالبين مختلفين .

ولو كان التاريخ بغير هذا لأمكن صياغته أيضاً ، على وضع مناسب ، متضمن للعدد المراد ، لكن من ناحية أخرى نسي الشاعر أن يذكر لنا كم من الأيام مضت من شوال ؟؟

وليس يعنينا اليوم بذاته ، ولا عدد الأيام التي مضت من شوال ، لكن يعنينا أن الكثرة من المؤرخين ورجال الطبقات ، أخذت بهذا الرأي في جملته وإن لم يذهبوا إليه تفصيلاً ، فقد رأينا أيضاً صاحب « حبيب السير » ينقل عن « جامي » في « نفحات الأنس » أنه توفي في شوال سنة ٦٩١ هـ .

وكذلك من الذين أروحو للشاعر بالعربية ، من رجال الطبقات ، صاحب « مزارات شيراز » وقد جعل وفاته سنة ٦٩١ (١) .

ومن رجال الطبقات المتأخرين صاحب « رياض العارفين » — رضاقلی خان المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ قال بوفاته أيضاً سنة ٦٩١ هـ (٢) . وهكذا يكاد يتفق معظم المؤرخين على وفاته في ذلك التاريخ .

لم يكن الأمر في حاجة إلى التدليل على هذه المسألة بعرض هذه الآراء المختلفة ، لكننا ذهبنا هذا المذهب لأمرين .

أولاً — لنكون رأياً شبه متفق عليه ، بين كثرة من المؤرخين ، وقد رأينا

(١) السگرگانی — مقدمة الگلسستان ص . ط (٢) رياض العارفين ص ١٤٤

أن الكثرة تكاد تجمع على وفاته سنة ٦٩١ هـ ، وأن بعضها يذهب في التحديد فيذكر الشهر واليوم ، وعمدة هذه الآراء وأولها رأى « دولتشاه » .

ثانياً — لنبين الخلاف بين أكثر الآراء ، وبين رأى صاحب « تاريخ كزیده » فالفرق الزمني — وإن لم يكن بعيداً بين الرأيين — إلا أن رأيه في هذه العزلة ، يجعله ضعيفاً لا يؤخذ به ، وسنعرض لضعف رأى آخر له عند الحديث على تخلص الشاعر .

وبالإضافة إلى ما ذهب إليه صاحب « تذكرة الشعراء » من تحديد وفاته فإنه ذكر أن الشاعر عمر مائة واثنين من السنين . وجعل هذه السنوات الطويلة موزعة كالاتي : ثلاثين سنة في التحصيل ، وثلاثين أخرى في السياحة والتنقل بين أقطار ربع المسكونة ، وثلاثين أخيرة ، انقطع فيها للعبادة والطاعة ، والاثنتي عشرة سنة الباقية ، في مساعدة الناس وإسداء المعونة لأصحاب الطريق ^(١) .

والرأى الذى ذهب إليه « دولتشاه » في هذا التقسيم أخذه عنه بعض المؤرخين من الإيرانيين ومن الغربيين . فأخذ به صاحب « رياض العارفين — رضاقلی خان » وإن كان قد جعل السنوات الاثنتي عشرة في مقدمة السنوات التي عاشها ، وجعلها تقضى في تربيته الأولى ^(٢) . ويبدأ التقسيم بعدها ثلاثين سنة بالتساوي . على النحو الذى ذهب إليه « دولتشاه » . وكذلك يأخذ عنه هذا التقسيم صاحب « آتشكده » ^(٣) لطف على بيك المتخلص بأذر المتوفى سنة ١١٣٤ هـ .

ولعل ذلك هو الذى أوحى إلى الغربيين ، أن يذهبوا هذا المذهب ، في تقسيم حياة الشاعر الطويلة . فأخذ بفسكرة التقسيم كثير منهم « براون » ^(٤) كما أخذت

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) رياض العارفين ص ١٤٣

(٣) آتشكده — شعراء اقليم فارس — طبعة الهند :

(٤) G. Brown : A Literary History of Per v. 2 p. 527

به كذلك « دائرة المعارف الإسلامية » في ترجمتها للشاعر .
ونحن لا يعني أن تكون هذه الأقسام متساوية إلى هذا الحد ، أو أن تكون
السنوات الباقية من هذه المقادير المتعادلة ، أمضاها الشاعر قبل أن تمتد حياته ،
فتتسع لهذا القدر الطويل أو أنها كانت خاتمة حياته .
لكن مما يلحظ أن الشاعر كان معمرأ ، وأنه عاش مدة طويلة على ما يذهب
إليه المؤرخون—ونحن إذا اعتمدنا السن التي أخذ بها القدماء من المؤرخين ، وهو
الرأى الذى ذهب إليه صاحب « تذكرة الشعراء » فى تاريخ وفاته — وهو سنة
٦٩١ هـ — واستقطعنا منه هذه السنين الطويلة التى عاشها . أمكنا أن نعرف تاريخ
مولد الشاعر (٦٩١ — ١٠٢ = ٤٨٩ هـ) . وهذا هو أحد الفروض فى
تاريخ ميلاده .

ومع هذه السن الطويلة ، نلحظ كذلك أن بعض المؤرخين ، يمعن فى المغالاة
أكثر من هذا ، وبطيل حياة الشاعر إلى المائة والعشرين سنة . ويذهب فى
تقسيمها أيضاً مذهباً هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . فيجعل حياته أربعة
أقسام ، كل قسم منها ثلاثون عاماً على التساوى ، أمضاها كما يأتى : فى التحصيل ،
والارتحال ، والتصنيف ، والاعتكاف^(١) . وهو رأى يجعل ميلاد الشاعر
سنة ٥٧١ هـ .

وهذا التقدير لا يخلو من مبالغة لا دليل عليها ، كما أن هذا المذهب فى التقسيم
المتساوى يشعر بالافتعال .

والغريبون — بجانبهم — يذهبون فى آرائهم إلى أن حياة الشاعر ، تبدأ
على العموم قبل مطلع القرن السابع الهجرى ، فيجعله « براون » سنة ٥٨١ هـ^(٢)

(١) أظاف حسين فى كتابه حيات سعدى ص ٧ . طبعه طهران

(٢) G. Browne : A Literary History of Pers v. 2 p. 526

١١٨٥ م. وتجعله دائرة المعارف الإسلامية سنة ٥٨٠ هـ. ويشير الأستاذ السمرقاني إلى الاختلاف بين هذه الآراء دون أن يغلب رأياً على رأي^(١).

هذه هي مجمل الآراء التي ذكرها القدماء ومن تبعهم .

عرض آراء المحدثين ونتائجه :

وأول ما يبدو على هذه الآراء ، أنها لم تسلم بآراء القدماء — على علاقتها — بل بحثت الموضوع بحثاً معتمداً على النقد والمقارنة . تحاول أن تستمد الأدلة ، وتعللها ، وإن كانت أيضاً قد اعتمدت على مجرد فروض .

وأهم ما يواجهنا من هذه الآراء ، ثلاثة : هي رأى الأستاذ إقبال ، والأستاذ القزويني ، والأستاذ نفيسي . والأول قصد عرضاً لدراسة هذا الموضوع بمناسبة العيد السبعائوي لإنشاء باكستان . وذلك في مقاله الذي سماه :

« زمان تولد و اوایل زندگانی سعدی » أي زمن ولادة الشاعر وأوائل حياته .

والثاني : مقال في هذه المناسبة أيضاً ، أشرنا إليه سابقاً ، يدور حول من مدحهم الشاعر ، ويعرض — استطراداً — للحديث عن ميلاده ، بما يجعله في حدود سنة ٦٠٠ هـ^(٢) أو فوقها بقليل . إذ يجعل عمره وقت وفاة « سعد ابن زنگي سنة ٦٢٣ هـ » في حدود العشرين أو أكثر قليلاً ، دون أن يعرض للتدليل أو المناقشة . وعبارته .

« بنا بر این بس شیخ در وقت وفات سعد بن زنگی در حد سنه ٦٢٣ هـ ظاهراً جوانی بوده است ، در حدود بیست و اندساله » .

والثالث : بحث عام عن « سعدی » نشر تبعاً في مجلة « مهر » في السنة

(١) السمرقاني — مقدمة الكلكستان . ص . د

(٢) سعدی نامه — قزوينی . ص ١٠٤

الخامسة منها ، من العدد الأول حتى السابع ، ويذهب في رأيه ، إلى أن مولد الشاعر ، كان أيضاً في حدود سنة ٦٠٠ هـ إلى سنة ٦٠٦ هـ وذلك في قوله .

« چون عقیده که بصواب نزد بکتر است آنست ، که سعدی در حدود سنة ٦٠ هـ تا سنة ٦٠٦ هـ ولادت یافته است » (١)

عرض لرأى الأستاذ اقبال :

وهو كما يتبين من عنوانه في صميم الموضوع . وفي الواقع قد عرض الأستاذ في إفاضة لهذه المسألة ، وناقش الآراء التي تقدمته ، ودلل على ما يذهب إليه .

فقاله من هذه الناحية جدير بأن نقف عنده ، وأن ندرس ردوده وآراءه . والأستاذ يعترف مقدماً بصعوبة البحث في هذه الناحية كذلك ، وأن مولد الشاعر ليس معلوماً ، وحتى الآن لم نصل إلى دليل قطعي ، ونص عبارته .

« سال تولد سعدی معلوم نیست ، و تاکنون در هیچ سندی معتبر بنظر نرسیده است » (٢) .

ونأخذ الآن في إجمال رأى الأستاذ ومناقشته .

يشير الأستاذ إلى أن السنوات التي عرض لها الشاعر في كتاباته — تحدد حوادث معينة — قليلة ، لا تعدو ثلاثاً . هي تاريخ تأليفه « البوستان » . وتأليف « الكگلستان » الأول سنة ٦٥٥ هـ والثاني سنة ٦٥٦ هـ . ثم قصيدة أخرى أشدها في أحد ممدوحيه سنة ٦٨٠ هـ حين أسند إليه عمل من الأعمال الإدارية في فارس .

وغير هذه السنوات لم يعرض الشاعر لشيء يعين تاريخاً في مجرى حياته . ثم يرد الأستاذ على أصحاب التذاكر ، ومن جارهم من المستشرقين ، ما ذهبوا إليه في تحديد سنوات حياته . ويرى أن كل ما كتب في هذا الموضوع ، إنما هي فروض لا أدلة عليها ولا سند لها (٣) .

(١) نفیسی — مجله مهر — العدد الثاني — السنة الخامسة ص ١٤٣ .

(٢) سعدی نامه — اقبال . ص ١٦ (٣) المصدر السابق ص ١٦

ثم يناقش أهم هذه الفروض بعد أن يعرضها في قوله :
« أما استنباطي كه بعضى از محققين از بيتى از أشعار سعدى مذکور در گستان
راجع بشماره سنين او کرده اند ، يعنى بيت ذيل .

ای كه پنجاه رفت و در خسوايى مگر اين پنج روزه در يايى
كه بر حسب آن شيخ با يسى در حدود ۶۵۶ - ۵۰ = ۶۰۶ منولد سده باشد نيز
بنظر نگارنده نمیتواند »

ومعنى العبارة « أما الاستنتاج الذى استتمده بعض المحققين من بيت يرد فى
أشعار سعدى فى الـگستان يوضح سنه . وهو

بامن مضت بك خمسون عاماً ولا زلت لاهيا . لعلك تدرك هذه الأيام الخمسة
وينبغى على حسب هذا البيت أن يكون الشاعر قد ولد فى حدود سنة ۶۰۶ هـ
فلا يمكن أن يوافق وجهة نظرى » .

ثم أخذ الأستاذ يورد اعتراضه على هذا الرأى من ثلاثة وجوه .
أولاً — أنه لم يثبت — بأى وجه — أن الخطاب فى هذا البيت للشاعر ،
ولكنه من نوع الخطاب العام .

ثانياً — أن هذا البيت ، ورد مطالعاً لإحدى قصائد سعدى ، وثابت فى جميع
كلياته . ثم أدرجه فى كتابه « الـگستان » على مجرى عاداته فى الاقتباس .

ثالثاً — أننا لو جعلنا هذا الخطاب المبهم هو طريق التحقيق ، لأرغمنا على
التسليم كذلك ، بأن الشاعر فى وقت نظمه « لبوستان » — أى قبل « الـگستان »
بعام واحد — كان يبلغ السبعين من عمره ، وذلك من بيت يرد فيه أيضاً يقول :

« ألا أى كه عمرت بهفتاد رفب مگر خفته بودى كه برباد رفت » (۱)
« يامن بلغت السبعين من عمرك ، لعلك كنت نائماً فان العمر قد ولى بك »
وهذا البيت بوضعه الراهن يتناقض — فى رأيه — الاستشهاد السابق . ثم يختم

(۱) سعدى نامه — اقبال ص ۲۳

الأستاذ هذه المناقشة بتعجبه، من أن البعض يذهب مذهب البيت الأول ، والبعض يذهب مذهب البيت الآخر ، وكل جماعة تفضي بهيئها ، عن مدلول البيت الثاني إلى أن يقول :

« وحق إينست كه هيچيك از این گونه خطابه‌ای عام شاعر را كه أبدا راجع بشخص أونست ، برای بیان أحوال أو مناط اعتبار قرار ندهيم » .
ومعنى العبارة « والحق أن هذا النوع من المحاطبات العامة للشاعر ، لا يعود على شخصه ولا نعتد بها فى بيان أحواله » .

أما رأى الأستاذ — شخصياً — فى تحديد مولد الشاعر ، فهو يقوم كذلك على مجرد الافتراض ، فى مسألة يشعر الأستاذ « إقبال » نفسه — كما يشاركه فيها غيره — أنها مضطربة محتاجة إلى التصحيح ، تلك هى حادثه اتصال الشاعر « ابن الجوزى » والتلقى عليه ، وثبتت عبارته فيما يلى :

«سهمترين إشاره اى كه در کلیات سعدى راجع بیدابت أحوال أو در دست أوست ، وأن برای تعیین زمان تخمینی تولد و شروع کار سعدى أوثق مصادر شمرده مى شود ، إشاره أوست در گلستان بئشيخ أجل « أبو الفرج بن جوزى » دريكى از حكایات باب دوم ، كه در آنجا سعدى « أبو الفرج بن جوزى » را در عنفوان شباب خود مری وشيخ خویش میخواند و میگوید » .

ثم ينقل عبارة «الگلستان» التى تشير إلى هذه الحادثة من تلك القصة وهى:

چندانكه مرا شيخ أجل « أبو الفرج بن جوزى رحمة الله عليه » ترك سماع فربه ودى وعزلت إشارات كردى ، عنفوان شبابم غالب آمدى وهو او هوس طالب ناجار بخلاف رأى مری قدمى رفتى ، وأز سماع و مجالست حظى بر گرفتى ، و چون نصيحت شيخم ياد آمدى گفتمى .

قاضى أربا ما نشيند برفشانده دست را محاسب گرمى خورد معذور دارد مست(۱) را

ثم يأخذ فى تصحيح شخصية « ابن الجوزى » المقصودة من هذه العبارة ، والتى تتفق مع سن الشاعر وحالته .

(۱) سعدى نامه — إقبال ص ۲۳

ويرى — ومعه الأستاذ القزويني^(١) أيضاً — أن هناك شخصين يشتركان معاً في الإسم والكنية واللقب والوظيفة ، وبينهما قدر من الزمن ، أحدهما « ابن الجوزي » الجد المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . والثاني — ابن الجوزي — الحفيد الذي يجتمع معه في الاسم والكنية واللقب والوظيفة أيضاً ، والذي مات هو وأبوه وأخوته في حوادث بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ويقوم افتراض الأستاذ على أن قصد الشاعر من أبي الفرج المذكور في « الكگلستان » هو الحفيد لا الجد . وهو الذي أسند إليه التدريس في المدرسة « المستنصرية » ببغداد نيابة عن أبيه ، ومنذ سنة ٦٣٣ هـ حتى مقتله ، كان يشغل وظيفة الحسبة .

ويستطرد الأستاذ في قوله بما معناه — ولما كان الشاعر يتلقى عليه وهو في عنفوان شبابه ، كان عمره سنة ٦٣٣ هـ في حوالي العشرين أو أقل من ذلك ، حتى يتمشى هذا مع تعبيره عن نفسه ، « عنفوان الشباب » ، وحتى يكون في سن يحتاج فيها إلى النصح والإرشاد كما يقول .

ثم يخرج الأستاذ من هذا الافتراض بقوله :

« أگر این استنباط و تقدیر ، که ظاهراً عیبی در آن دیده نمی شود صحیح باشد ، تولد آن سخنگوی استاد در حدود سنه ٦١٠ — ٦١٥ هـ اتفاق افتاده . و بنا بر این سن او در موقع نظم بوستان و إنشاء گلستان ما بین چهل و چهل و پنج بوده است

ومعنى العبارة :

« لو صح هذا الاستنتاج الذى لا يرى فيه عيب ظاهر . فإن مولد الشاعر في حدود سنة ٦١٠ — ٦١٥ هـ . وبناء على ذلك ، فسنة وقت تأليف « البوستان والگلستان » ، ما بين الأربعين والخامسة والأربعين .

(١) قزوينى . في حاشيته على جهانگشاى ح ٣ ص ٤٦٣ — ٤٦٦

ثم يذهب الأستاذ أيضاً ، مذهباً آخر ، في تأييد هذا الرأي من جانب آخر
ولكن بعبارة شبيهة بنفس العبارة التي استمد منها استنتاجه الأول . تقوم أيضاً
على مجرد افتراض وتخمين .

فيعتمد على أن الشاعر يشير في « البوستان » إلى أن من شيوخه « شهاب
الدين أبا حفص عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ » وذلك من قوله
« برا شيخ دانای سرشدد شهاب دواندرز فرمود بر روى آب »

ويرى من مفهوم هذه العبارة ، أن الشاعر كان في عهد شبابه ببغداد ، يتلقى العلم
على شيوخ عصره ، وأنه — حتى سنة ٦٣٢ هـ — كان لا يزال شاباً يتقبل
نصائح مرشديه (١) .
مناقشة آرائه :

هذه هي مجمل آراء الأستاذ اقبال التي عرض لها ، وهي كما رأينا تنقسم إلى
قسمين أساسيين .

أولاً — مناقشته لآراء الذين افترضوا مولد الشاعر من بيته الذي يرد فيه أنه
حين إنشاء « الكستان » كان في سن الحسين ، وأن مولده — تبعاً لذلك —
كان في حدود سنة ٦٠٦ هـ .

ثانياً — افتراضه الذي ذهب إليه ، من واقعتي تلمقى الشاعر على « ابن الجوزي
والسهروردي » خارجاً من افتراضه في هاتين الحادثتين إلى أن مولد الشاعر كان
ما بين سنة ٦١٠ و ٦١٥ هـ .

ونحن بدورنا نناقش كلا الرأيين لعلمنا بصل إلى إحدى اثنتين : إما أن نقبل
أحدهما دون الآخر ، أو نرفضهما ، ونذهب مذهباً جديداً .

وإعود فنعرض هنا إجمالاً ما ذهب إليه الأستاذ في رد الرأى الأول وآراؤه
لا تعدو ثلاثاً .

(١) اقبال — سعدى نامه ص ٢٥

١ — إن الخطاب في البيت ، القصد به العموم ، لا الشاعر نفسه .

٢ — إن هذا البيت ، ورد مطلعاً لإحدى قصائد الشاعر ، ثم نقله إلى «الگلستان» على طريقه في الاقتباس والاستشهاد .

٣ — إن البيت يناقضه بيت «البوستان» الذي يجعل سن الشاعر وقت إنشاده في السبعين ، مع أن إنشاده كان قبل «الگلستان» بعام واحد .
ونحن نناقش هذه الآراء بما يأتي .

أولاً — إن البيت — موضع المناقشة — لم يكن للعموم بوجه من الوجوه ، وإنما هو لخطاب الشاعر نفسه ، وتحسره على أيامه الماضية التي أتلفها دون فائدة . والبيت موضوع بين عبارتين ، تصوران حالة .

ونحن نضع العبارة أمامنا ، كي يتحقق مدى انطباقها على الشاعر . يقول في ديباجة «الگلستان» .

« يکنب ناسل أيام گنشته میگردم ، وبر عمر تلفن کرده تأسف میخوردم ،
وسن سراجہ دل بالماس آب دیدہ می ستم ، واین بتها مناسب حال خود میگفتم »
ثم يذكر قطعة من الشعر تبلغ إثني عشر بيتاً ، يرد البيت — موضوع الحديث — الثاني منها ، ومطلع هذه القطعة .

« هر دم از عمر میروود نفسی چون نگه میکی مانسد بسی
ای که پنجاه رفت ود خوابی مگر این پنج روزه در یابی » (١)

فكما نرى ، يشير الشاعر في مقدمة هذه العبارة المنشورة إلى نفسه في ضمير المتكلم « تأملت أيامي الماضية ذات ليلة ، وتأسفت على تلف عمري » وفي آخر العبارة يقول « وأقول هذه الأبيات في شرح حالي » ثم يوردها .

أما الغرض من انتقال الشاعر من ضمير المتكلم — في عبارته المنشورة —

(١) کلیات فروغی ص ٧٥ — ٧٦

إلى ضمير المخاطب — في عبارته الشعرية — فإنما يجرى ذلك ، مع بعض مذاهب الشعراء في استحضر الغير ، أو الإشارة إليه ، في مقام التحسر نيابة عن المتحدث نفسه .

وهذه ظاهرة موجودة في مختلف الآداب ، يذهب إليها كثير من الشعراء في التماس مخاطب عام ، لمشاركته فيما يعرض من المعاني العامة ، التي يشترك فيها كل الناس ، ولبس المقصود بها شخص آخر غيره ، فالمقصود هو المتكلم .
على أن الذي يزيد في تأييد هذا الرأي أن الشاعر بعد أن فرغ من القطعة المنظومة عاد من جديد . يوجه الكلام إلى نفسه في قوله :

« بعد أرتأمل إين معنی ، مصلحت آن ديدم كه در نشيمن عزلت نشيتم »

أى بعد أن تأمات هذا المعنى ، رأيت من المصلحة إن اعتكف في خلوة الاعتزال
ثانياً — إن وجود البيت مطلعاً لإحدى قصائده : لا ينهض دليلاً على أنه أنشده قبل ذلك في مناسبة ، ثم نقله حين إنشاء « الكگلستان » على طريقته في الاقتباس . فمن المعروف المؤكد أن الشاعر أتم كتابه « الكگلستان » سنة ٦٥٦ هـ في الوقت الذي لا نعلم فيه — بالضبط — تاريخ هذه القصيدة التي يرد فيها هذا البيت .

لكننا نعلم أن قصائد الشاعر — في بابي المدح والثناء — لم تكن أسبق من سنة ٦٥٥ وهي السنة التي مدح فيها « أبا بكر » حين قدم له « البوستان » .
هذا فيما يتصل بقصائد الشاعر التي تتصل بالمدح ، وأما قصائده في الرثاء ، فلم تكن أسبق من سنة ٦٥٦ هـ وهي السنة التي قتل فيها الخليفة ، وتحول الحكم عن بغداد بعد فتح المغول .

وقد وردت القطعة التي جاء بها هذا البيت ، بين مجموع قصائد الشاعر في بابي للمدح والثناء من كلياته، وتضع لها نسخة « فروغی » عنوان « پند » أى بصيحة .

وحقيقة يرد الخطاب فيها للعموم ، ولكنه للمشاركة ، واستحضار الذهن عند القارئ أو المخاطب، ولمن تكون النصيحة إذ لم يوجه الخطاب فيها إلى الغير؟؟؟ على أنها تشعر في الوقت نفسه بمكانة الشاعر في المجتمع ، فأخذ يسديه نصائح التي لم يمتنع عن توجيهها — حتى للملوك — وجدير بهذه النصيحة أن تصدر عن الشاعر في سن متأخرة ، لا يبعد أن تكون بعد تقديمه « الغكستان » .

على أننا — بجانب ذلك كله — نجد فيها بيتاً لعله يجعل المسألة في صفنا أكثر من ذلك ، وهذا البيت ينتقل فيه الشاعر إلى خطاب نفسه إذ يقول :
«سعديا راستى زخلقى مجسوى جون تودر نفس خودمى يابى» (١)
ومعناه :

« يا سعدى لا تطلب الاستقامة من الناس حين لا تجدها أنت في نفسك » .
فهو هنا — أيضاً — يتحسر على نفسه أنه أضاع عمره هباء ، وأنه يرسم طريق الرشاد للناس ، ولكنه يأس من ذلك . ثم يعزى نفسه بأنه مهما فعل من الخير قليل ، ومادام لم يجد في نفسه الاستقامة ، فلن يطلبها من الناس .
ثالثاً — وأما وجود التعارض بين معنى بيتي « الغكستان والبوستان » إذ أنه في الأول يبلغ الحسين ، وفي الثاني يبلغ السبعين ، وأن الفارق بينهما عشرون عاماً ، بينما كان إنشاء « الغكستان » بعد « البوستان » بعام واحد .
فأمر نستطيع رده كذلك بما يأتي :

١ — أنه لا يلزم في بيت « البوستان » أن يكون الخطاب فيه للشاعر نفسه ، فالموقف هنا مخالف تمام المخالفة لما هو موجود في « الغكستان » فالبيت في هذا الأخير يرد في قطعة محاطة بالتحديث عن الشاعر نفسه وعن شئونه ، والكلام متسق بعضه مع بعض لا يؤثر فيه التنقل بين الضمائر .

(١) كلييات فروغى ص ٤٧٣

بينما هو في « البوستان » مطلع لقطعة ، بل مطلع لباب بعينه ، هو الباب التاسع وموضوعه « في التوبة وطريق الصواب »^(١) .

والخطاب فيه للعموم ، وهذه هي طريق الشاعر في طلائع معظم أبواب هذا الكتاب ، وطلائع كثير من قطعه ، يعمد فيها إلى التحدث مع المخاطب ، ومشاركته إياه ، ثم يتخير مطلعاً مناسباً للباب أو القطعة التي يتحدث عنها ، وبوجه الكلام فيه للمخاطب : يقول في الباب الأول — باب العدل .

« چه حاجت كه نه كرسی آسمان نهی زیر پای فسزل ارسلان »

وفي الباب الثاني « باب الإحسان » يقول في المطلع .

« أگر هو شمندی بمعنی گسرای كه معنی بماند ز صورت بجای »

وفي الباب الثالث يقول في مطلعته .

« ترا عشق همچون خودی زآب و گل ربايد همی صسبر وآرام دل »

وهكذا في بقية الأبواب ، وفي الكثير من حكاياته ، يفتتحها باستحضار المخاطب ، ترد فيها الإشارة إليه ، كما وردت في مطلع الباب التاسع بالبيت الذي نتحدث عنه .

٢ — إن هذا الباب — كما نرى — في التوبة وطريق الرشاد ، ومن المناسب أن يتخير لها سناً كبيرة ، تناسب من يطلب إليه أن يثوب إلى رشده ، بعد طول حياة ، فيعمد إلى طلب التوبة ، والرغبة في انتهاج طريق الصواب .

٣ — ومع ذلك فمن الآراء ما يجعل « البوستان » عمل على دفتين^(٢) تمت إحداها في عهد « أبي بكر » وقدمت إليه . والأخرى بعد هذا العهد . وهذا يفسر بعض الخلافات الموجودة بين نسخ الكتاب .

٤ — على أن هناك رواية أخرى ، تروى لبيت « البوستان » الذي يشير

(١) كليات فروغی — بوستان ص ٣٨٨ (٢) قزوینی — سعدی نامه ص ١١٦

إلى زمن تأليفه لو صحت ، فإنها تتسق في المعنى مع البيت الآخر الذي ورد في « الغلستان » وهذه الرواية .

• زششصد فزون بود هفتاد و پنج که پردرند این نامبر دار گنج (۱) ،
وذلك بدل روايته على الوضع الآتى :

زششصد فزون بود بنجاه و پنج . البيت

والمعنى فى الأول أنه تم سنة ٦٧٥ هـ وفى الثانى تم سنة ٦٥٥ هـ .

ونعتقد — من جانبنا — أن الروائين صحيحتان تشير الأولى إلى إتمام « البوستان » نهائياً ، كما تدل على أن « البوستان » عمل على دفعتين ، أو أن بعضاً منه قدم سنة ٦٥٥ هـ « لأبى بكر » . فاذا تم إنشاده وتنظيمه ، كان ذلك فى وقت متأخر ، لعله يدرك هذا العهد . وبهذا تقرب من القول الذى يذهب بأن الشاعر حين تم إنشاد « البوستان » كان فى سن السبعين مأخوذاً من بيته الموجود فيه .

ألا أيكه عمرت بهفتاد رفقت البيت

لو صح أن الإشارة فيه للشاعر نفسه .

وبهذا — أيضاً — نصل إلى نتيجة واحدة من طريقتين مختلفين غير متعارضين . وهى أن سن الشاعر — وقت إتمام « البوستان » نهائياً سنة ٦٧٥ هـ — كان سبعين عاماً من هذا البيت .

وكان وقت إتمامه « الغلستان » سنة ٦٥٦ هـ يتجاوز الخمسين قليلاً

فالنتيجة فى التقدير الأول هى : $٦٧٥ - ٧٠ = ٦٠٥$

وهى فى التقدير الثانى : $٦٥٦ - ٥٠ = ٦٠٦$

وهما زمانان يتفقان مع بعضهما لافرق بينهما فى أمر كهذه المسألة .

(١) نفيسى — مجلة مهر — العدد السادس — السنة الخامسة ص ٥٦٤ .

هذه هي مجمل الآراء التي ترد بها اعتراضات الأستاذ « إقبال » على من ذهب بالقول إن مولد الشاعر كان في حدود سنة ٦٠٦ مأخوذاً من بيت « السكلسان »

الرد على رأى الأستاذ إقبال

وأول ما يواجهنا في رأيه أنه — أيضاً — جعله افتراضاً وتخميناً ، ونحن لا نغلب فرضاً على فرض دون دليل قوى ، وحتى الفرض الذى ذهب إليه ، يدور حول أمر تقديرى بحت لم يأخذ الشاهد فيه من أقوال الشاعر نفسه ، أو يستمد الدليل عليه من آرائه، وإنما استمد فرضه هذا من مقايضة بين سن الشاعر وسن شيوخه الذين اتصل بهم فى دراسته .

وهذه مسألة اعتبارية بحتة . فالثابت أن الشاعر امتدت صلته بأساتذته زمنياً طويلاً ، ومع ذلك فلم يعرف — حتى الآن — على وجه التحديد ، متى بدأت صلته بأساتذته ؟ ومتى انتهت ؟

والنقاد — كما رأينا — مضطربون فى تحديد شخصية « ابن الجوزى » التى دار حولها رأى الأستاذ إقبال . أهو الجدل المتوفى سنة ٥٩٧ هـ أم الحفيد المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

ومع تسليمنا بأنه ابن الجوزى الثانى — كما ذهب إليه الأستاذ إقبال — فإن وظيفة الحسبة التى بدأت لابن الجوزى سنة ٦٣٣ هـ كانت قياساً لسن العشرين للشاعر عند الأستاذ إقبال . فعلى أى أساس نفترض هذا السن . ؟ ؟ ؟

ومن المؤكد أن الشاعر اتصل « بابن الجوزى » قبيل أن يصل إلى تلك الوظيفة فعلاً ، وباعتراف الأستاذ « إقبال » نفسه أن « ابن الجوزى » هذا انتقل إلى التدريس بالمستنصرية سنة ٦٣١ هـ . ولم يثبت أن الشاعر اتصل فى دراسته بهذه المدرسة . بل يقول — كما يقول الرواة أيضاً — إنه تعلم فى المدرسة النظامية

والشاعر يحدثنا أنه كان يتقاضى ادراارا أيام وجوده بالمدرسة النظامية . فإذا ثبت أن « ابن الجوزى » هذا كان من شيوخه في التعليم فلا بد أن تكون صلته به أيام كان بالنظامية أى قبل سنة ٦٣١ هـ .

فالقول بأن سن الشاعر كان فى العشرين فى الوقت الذى انتقل فيه « ابن الجوزى » إلى وظيفة الحسبة سنة ٦٣٣ هـ هو مجرد فرض تقديرى لا سند له .

كذلك جعل الأستاذ نهاية حياة « السهروردى » المتوفى سنة ٦٣٢ هـ تحديداً لسن العشرين عند الشاعر فى حين أن السهروردى شغل منصب التدريس قبل وفاته بمدة طويلة ، من حياة طويلة ، بلغت ما يقرب من مائة عام تقريباً . « ٥٣٩ — ٦٣٢ » هـ (١) .

ولاندري — على وجه التحديد — متى بدأت صلته بهذا الأستاذ؟ أكانت فى أخريات حياته أم قبلها . ؟ وهل كان يستطيع « السهروردى » حتى آخر عمره الطويل أن يظل أستاذاً بالنظامية . . . ؟ وعلى أى أساس نربط سن العشرين عند الشاعر بسنة وفاة أستاذه . . . ؟ .

فالذهاب إلى أن الشاعر كان فى حدود العشرين عند ما توفى « السهروردى » هو أيضاً فرض لا نستطيع أن نجد الدليل عليه .

ونحن بعد ذلك نخلص من هذه المناقشة إلى افتراض سن الشاعر فى مطلع القرن السابع الهجرى . وعمدنا فى هذا الرأى هو بيت « الكگلستان » الذى ألف سنة ٦٥٦ هـ ، والذى يبنى عليه المؤرخون افتراض مولده بالقياس إلى هذا البيت سنة ٦٠٦ هـ . وهو رأى اقترب منه الأستاذ « القزوينى » ، والأستاذ « نفيسى » ممن عرضنا إلى آرائهم فى هذه المسألة، ونضم إليهما الأستاذ « الكرگانى » فى مقدمته

(١) إقبال . سعدى نامه ص ٢٥

على « الكلستان » . فيجعل مولده ما بين سنتي ٦٠٠ - ٦٠٦ هـ^(١) .
وإني أميل إلى الذهاب بأن مولد الشاعر كان - على أصح الفروض -
سنة ٦٠٠ هـ

وفي تأييد هذا الرأي - بالإضافة إلى ما مضى - أذكر ما يأتي :
إننا لو رجعنا إلى البيت الذي جعلناه مصدر هذا التحديد وهو بيت
« الكلستان » الذي اعتمدنا عليه في تاريخ مولده سنة ٦٠٦ هـ . لوجدنا مضمون
عبارة تحتل أن يكون سنه قد جاوز الخمسين بسنوات .
« اي كه پنجاه رفت ودرخوابي سگراين پنج روزه دريساي »
الخمسين قد مضت ، وأنه تجاوزها في قوله « پنجاه رفت » أي
أو تجاوزته الخمسون .

ومحتمل إلى أن نجعل هذا التجاوز ، لا يعدو منتصف العقد السادس بكثير
وعلى ذلك فيلاده كان في مشرق القرن السابع الهجري أي سنة ٦٠٠ هـ تقريباً
وعلى أصح الفروض .

(١) السگراي - مقدمة الكلستان ص - كج .

الفصل الثالث

اسم الشاعر وتحفيوه ما بور مور

وهذه مشكلة أخرى لا تقل صعوبة عما واجهنا أو يواجهنا من المشاكل ،
ولعل من المؤرخين من رأى أنها أول المشاكل التي تواجه الباحث .

فيذكر الأستاذ « نفيسى » أن اسمه ونسبه هما أول إشكال يواجهه الباحثين ،
وقد وقع المؤرخون — قديماً وحديثاً — في خلاف كبير حول تحديد اسمه ونسبه ،
وحتى الذين كانوا قريباً من عصره ، لم يعطونا رأياً صائباً نعتد على صحته ، فمع
أن « حمد الله المستوفى » كان قريباً من عصره ، فإنه لم يعطنا رأياً قاطعاً^(١) .

تعددت الآراء القديمة في هذه المسألة وكل رأى ذهب مذهباً مخالفاً ، دون أن
يجد سنداً من نص صحيح ، أو إشارة قاطعة تفيد اليقين والاطمئنان .

ويثبت الأستاذ الكركاني كثيراً من هذه الآراء^(٢) في مقدمة كتابه ،
مشيراً إلى تضاربها تضارباً قوياً ، ونحن نضع بين أيدينا آراء الذين تحدثوا عن
الشاعر من المؤرخين أو رجال التذاكر ، وسنرى منها أنه لا يوجد بينهم اتفاق عام .

١ — فمن المؤرخين صاحب « تاريخ كزیده^(٣) » الذي ألف سنة ٧٣٠ هـ

يقول عنه .

« مشرف الدين مصلح الشيرازى » .

وصاحب « حبيب السير^(٤) » الذي ألف سنة ٩١٤ هـ يقول في توسع .

(١) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول ص ٤٦

(٢) الكركاني — مقدمة الكلكسان — ص. ج . (٣) تاريخ كزیده ص ٨٢٠

(٤) حبيب السير ص ١٣٢

« الشيخ شرف الدين بن مصلح الدين سعدى الشيرازى » .
٢ — ومن أصحاب التذاكر « دولتشاه » فى كتابه « تذكرة الشعراء »
الذى ألف ٨٩٢ هـ .

يقول : « شيخ مصلح الدين سعدى ^(١) » .

« والجامى » صاحب « نفحات الأنس » الذى ألف سنة ٨٩٨ هـ يقول .
« مصلح الدين سعدى الشيرازى » .

« وآذر » صاحب « آتشكده » الذى ألف سنة ١١٧٤ ^(٢) هـ يقول .

« شيخ مصلح الدين المتخاص بسعدى » .

« ورضاقل خان » صاحب « رياض العارفين » الذى ألف سنة ١٢٨٨ هـ يقول .

« شيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله » . ويشير إلى أن البعض يقول

إنه « مصلح الدين » أيضاً ^(٣) .

ونحن لانستطيع أن نتبين من خلال هذه الآراء رأياً نطمئن إليه . ونستطيع

أن نجعلها جميعاً تحت ناحيتين .

أولاً — ناحية المؤرخين . وأصحاب هذا الرأى كما شاهدنا صاحب « تاريخ

گزیده » وىجارىه صاحب « حبيب السير » . وعبارة الأول لا يتضح فيها

مكان كلمة « مشرف الدين » من الاسم كله — أهى لقب أم اسم ؟ . بينما حدد

وضعها صاحب « حبيب السير » فجعلها الاسم دون اللقب . وجعل « مصلح

الدين » اسم أبيضه وإن كان قد خالف الأول فيجعلها « شرف الدين » بدل

« مشرف الدين » .

(١) تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) آتشكده آذر فى شعراء اقليم فارس .

(٣) رضاقلخان — رباعى العاوين — ص ١٤٣

ثانياً — والرأى الثانى هو ما ذهب إليه أصحاب التذاكر . ويكادون يلتقون عند رأى واحد . فهى كلها — وعلى رأسها صاحب « تذكرة الشعراء » — يذكر أنه « شيخ مصلح الدين » دون أن يذكر اسم أبيه . ولعل من جاء أخيراً من رجال الطبقات نقلوا عنه . فهم متفقون معه — جميعاً — فى الاسم وأنه « مصلح الدين » .

ويأتى آخر هؤلاء وهو صاحب « رياض العارفين » فيجمع بين الرأيين . يتفق مع أصحاب التذاكر فى قوله « ويقول البعض إنه مصلح الدين » وإن كان يترجم له بعبارة لا يتفق فيها مع غيره من المؤرخين فى قوله .

« هو الشيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله » فيتفق مع صاحب « حبيب السير » فى كلمة « شرف الدين » وإن كان يجعلها فى مقام اللقب . ويجعل اسمه « مصلح » وأبوه « عبد الله » بينما يجعل صاحب « حبيب السير » « شرف الدين » اسم الشاعر « ومصلح الدين » اسم أبيه .

نخرج من هذا العرض إلى أن المؤرخين ، ورجال الطبقات وقعوا فى اضطراب فى تحديد اسم الشاعر ، واسم أبيه ولقبه وكنيته .

ومن هنا كانت الإشارة التى ساقها الأستاذ « نفيسى »^(١) وأيدها الأستاذ الكركمانى^(٢) فى أن التناقض واسع بين المؤرخين فى اسم الشاعر ونسبه .

ولا سبيل لنا — من بعدهم — إلى تأييد رأى دون رأى ، أو تغليب رأى على آخر . ولا اعتماد لنا على ما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » مع تقدمه وأسبقته ، ولا الذى ذهب إليه رجال الطبقات جميعاً .

(١) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول ص ٤٥
(٢) الكركمانى — مقدمة الكلكستان . ص ج (٣) المصدر نفسه ص . كد

وسينتج مما ظهر من العبارات القاطعة في تصحيح نسبه واسمه إن كلا الرأيين
جانب الصواب .

ومن حسن الحظ أنه عثر — أخيراً — على إحدى النسخ المخطوطة
« للگلستان » التي نقلت عن نسخة بخط « سعدي » نفسه ، وهي التي أخذ
عنها الأستاذ « الکرگانی » في نشره هذا الكتاب . وعبارته .

« در کتاب گلستانى كه ماخذ نگارنده ، ويطبع آن افدام نموده است ، وكاتب
آن در آخر كتاب ادعا کرده است كه از روى نسخه خط شيخ نسخه گرفته ،
ومقابله کرده است ، در پشت ورق اول كتاب عبارت ذيل نوشته شده است —
كتاب گلستان فى النوادر والأمثال والشعر والحكايات . أنشأه العبد الفقير المحتاج
إلى ربه — أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدى الفارسى غفر الله له ولوالديه» (١)

ولا يشير الأستاذ « الکرگانی » إلى تاريخ النسخة التي خطها الشاعر ، والتي
نقلت عنها النسخة المطبوعة من « الگلستان » . لكن الأستاذ « نفيسى » يشير
إلى تلك النسخة ويجعل تاريخ كتابتها بخط « سعدي » سنة ٦٦٢ هـ في شهر الحرم
أى بعد ست سنوات من إتمام « الگلستان » ونص عبارة « نفيسى » هي :

« در پشت نسخه معتبرى از گلستان كه از روى نسخه اول خط سعدي
نوشته شده ، وآقاي قريب آنرا انتشار داده أند ، نام مؤلف كتاب چنين آمده است .
— أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدى الفارسى — وأصل آن نسخه را سعدي
بخط خود در محرم سنة ٦٦٢ هـ يعنى شش سال پس از آنكه گلستان را تمام کرده ست
نوشته بوده (٢) » .

وبجانب ذلك نجد ما يدل على صحة هذا الرأى أيضاً دلالة لا تقبل الشك في تحديد
اسم الشاعر واسم أبيه .

فقد نقلت — مصورة بالفوستات — عبارة مكتوبة على وجه أول صفحة من
صفحات « الگلستان » التي أخذ عنها الأستاذ « فروغى » ، وهذه الورقة مواجهة
لصفحة ٨ من « سعدي نامه » وبها هذه العبارة .

(١) الکرگانی . مقدمة الگلستان . ص . ٢٤ .

(٢) نفيسى . مجلة مهر . السنة الخامسة . العدد الأول ص ٤٧ .

فرغ من تسطير كتاب الطيبان^(١) فأثله العبد الفقير الحقير المستمد بعفوه مشرف بن مصلح السعدى غفر الله له في غرة ذى الحجة سنة احدى وستين وستائه .

وتاريخ هذه المخطوطة قريب من المخطوطة التي نقل عنها الأستاذ «الكرگانی» والتي أشرنا إليها سابقاً ، أنها كانت سنة ٦٦٢ هـ . واكتنفاً تفترق عنها في العبارة فهي لا تذكر الكنية ولا الموطن .

كذلك يذكر الأستاذ « آر برى » Arberry^(٢) أن هناك نسخة يملكها الخطاط المشهور « مير عماد » المتوفى سنة ١٦١٢ م عليها توقيع « سعدى » بالعبارة الآتية « أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدى الفارسى » .

وبجانب هذا يقول الأستاذ « نفيسى » إن هناك لوحة حجرة موضوعة على مقبرة الشيخ منذ اليوم الأول لوفاته . ولا تزال باقية على جدار المكان ، مكسورة من المقدمة وغير واضح ما عليها . وفي العبارة التي بقيت عليها مكان كلمة أو كلمتين غير موجودتين . كما يحى أيضاً تاريخ وفاة « سعدى » ، الذي كان حتماً منقوشاً عليها ، ولم يبق من اسمه ونسبه إلا كنيته وتخلصه .

وذلك هو ما بقي على تلك اللوحة يورده بالوضع الآتى .

« مجمع الفضائل الملكية ، ينبوع الحامد السنية ، ذو المعاني اللطيفة ،

المشار إليه بالبنان ، أبو عبد سعدى »

وص العبارة :

(ابنك پاره' ازیستی که از روز نخست بر سر خاك نهاده بودند، در همان مقبره' تنیر از باقی مانده که بر دیوار جای داده اند و آواز آن شکسته و نابود شده . و آزیبان آن یکی دو کلمه نیز شکسته . و آزیبان رفته است . و آثار یخ فوت سعدی که حتادر

(١) هذه الكلمة نقراً قريبة من «الطبقات» ولعل المقصود بها الكلمات أو الطيبات .

(٢) Kings and Peggars p. 6

روى آن كنده بودند آزدست رفته . وأزنام ونسب أونيز بجز كنيه وتخلص چيزى نمانده وآنچه آزان سنك باقى مانده بدين قراراست مجمع الفضائل ينبوع المحامد . . . الخ (١) .

ويخرج الأستاذ من هذه الآراء إلى أمور قاطعة فى اسم الشاعر ونسبه وهى :

١ — إن كنية الشاعر هى « أبو عبد الله » وكلمة « الله » غير موجودة فى النص المحفور ، لكن تفهم من إضافة كلمة « عبد » اليها .

٢ — إن القدر الموجود بين كلمة « أبو عبد » و « سعدى » لا يتسع لأكثر من أربع كلمات هى كما يمكن تقديرها — « الله مشرف بن مصلح » وبهذا يمكن أن يكون اسم الشاعر ونسبه كاملاً

« أبو عبد الله مشرف بن مصلح سعدى » وهو ما يتسق مع ما وجد على ظهر النسخة المحققة « للغلستان » الذى نشره الأستاذ الكركانى

فليس — إذن — كلمة « عبد الله » اسماً له أو لأبيه وإنما هى كنية له . كما أن كلمة « مشرف الدين » التى وردت عند بعض المؤرخين ليست لقباً له أو لأبيه لكنها اسم له غير مضافة لكلمة « الدين » . وهى بضم الأول وفتح الثانى وتشديد الثالث كما ضبطها الأستاذ الكركانى نقلاً عن النسخة التى أخذ عنها . لكنه لم يتبع الشدة على الراء بحركة . هل هى الفتحة أم الكسرة ؟ .

والمعنى أقرب لأن نجعلها الكسرة بدل الفتحة حتى تكون اسم فاعل يصدر عنه التشرىف .

وكذلك الأمر فى كلمة « مصلح الدين » التى وردت عند البعض . ليست لقبه أو لقب أبيه لكنها اسم أبيه بدون إضافه إلى كلمة « الدين » .

بقى أن نذكر من أين جاء هذا الخلط والاشتباه عند النساخ أو الرواة ؟ . وهو أمر نهدد سهلاً ويسيراً فى إضافة كلمة « الدين » إلى « مشرف ومصلح »

(١) نفيس . مجله بهر . السنة الخامسة . العدد الأول ص ٤٧

واستبدال كلمة « شرف الدين » بدل « مشرف » وذلك أن كلمة « مشرف » و«شرف» قريبتان من بعضهما، ومن السهل فواتها على النساخ أما كلمة «الدين» فهي تقرب كذلك من كلمة « ابن » ومن الممكن أن يقع فيها من لا يدقق . وهذا ما يذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » في تعليل ذلك الخلط (١) .

أما نسب الشاعر إلى الموطن ففي نص الأستاذ « الكرگانی » الذي أخذ عنه نسخته، أن الشاعر نسب نفسه إلى «فارس» وفي نصوص رجال الطبقات أنه ينسب إلى « شيراز » . ولا اعتراض لنا على الخلاف بينهما . فإنه ينسب نفسه إلى الوطن الكبير بينما ينسبه رجال الطبقات والمؤرخون إلى موطن ولادته شيراز .

ولا خلاف في أنه ولد بشيراز كذلك فإنه يشير إلى هذا في عدة مواضع من كتبه .

ففي الكلستان في الباب الخامس في المقدمة التي تشير إلى دخوله « كاشغر » ومشاهدته طالباً يقرأ مقدمة « الزمخشري » . فيسأله الفتى عن موطنه فيجيبه « شيراز » .

« مولدم برسيد ، گفتم . خاك شيراز » (٢)

وفي إحدى غزلياته يشير إلى ذلك بقوله :

« هر سناعی زمعدنی خسيزد شکر از مصر وسعدی از نيراز » (٣)

أما كلمة شيخ فيمكن أنها أسندت إليه تقديراً لمكانته الروحية ، أو الصوفية، أو رعاية لسنه ، أو منزلته .

وقد تردد إطلاق هذه الكلمة على الشاعر في حياته، حتى من كبار الشخصيات

(١) الكرگانی - مقدمة الكلستان ص ٣٥ .

(٢) كليات فروغی - گلستان ص ١٦٧

(٣) الكرگانی - مقدمة الكلستان ص ٣٥ .

ففي الرسالة السادسة من رسائله ، وهي التي تتعلق بلقاء الشاعر « لآباقا خان »
والصاحبين « شمس الدين وعطا ملك » يذكران في قولها « لآباقا » حين سألهما
من يكون ذلك الشيخ ؟ يجيبانه « إنه أبونا ، وشيخنا » والعبارة .
« گفتند آى خداوند، او پدرما وشيخ ماست(١) » .

أما متى يمكن أن يكون قد فاز بهذا اللقب ؟ فإننا نعتقد أنه ظهر به منذ أيام
رحلاته واختلاطه الكثير بالناس ، وقيامه مرات كثيرة بالوعظ والإرشاد بينهم ،
فنال تقديرهم واستحق لهذا أن يخلعوا عليه لقب شيخ .

ويرى الأستاذ « الكرگانی » أنه خلال إقامته الطويلة بسوريا نال فيها لقب
الشيخ الكبير في « دمشق » فانه كان موضع احترام الناس . ولأول مرة في تلك
المدينة ومدينة « بعلبك » كما يقول — جمع بين شهرته كأديب كبير ، وبين
واعظ ديني شهير (٢) .

(١) كليات فروغى ص ٦٥ (٢) السکرگانی مقدسه السگلسنان ص . ١٠٤

الفصل الرابع

تلخيص الشاعر والمخوف مراد

وهذه أيضاً مسألة من المسائل التي لم يجمع فيها على رأى بين القدماء ، كما اختلف المحدثون فيها كذلك .
وأساس هذه المشكلة أمران .

١ - أنه لم يرد نص صريح - من نصوص الشاعر - يدل على تحديد الشخص الذي استمد منه تخلصه .

٢ - أن الشاعر عاصر حاكمين من حكام أسرة الأتابكة ، الذين عاش وعاشت أسرته في كنفهم بشيراز ، وكلاهما يسمى سعداً .

عاصر « سعداً بن زنگى » كما عاصر « سعداً بن أبى بكر » وكلا الجدا والخفيد له اسم سعد ، ومن هنا كان مورد الاضطراب عند القدماء والمحدثين .

وقضى المسألة عند القدماء - فيما يذهبون إليه - كأنها أمر مسلم به غير محتاج إلى تدليل أو مناقشة ، بخلاف ما نلاحظ عند المحدثين .

ونحن نجمع آراء القدماء كما وردت أولاً ، ثم نقاش آراء المحدثين ثانياً ، فإذا ذهبنا إلى رأى دون رأى ، فسنقيم الدليل على وجهة نظرنا ، فيما نذهب إليه ، ولعلنا نوفق في ذلك .

عرض عام لهذه الآراء : آراء القدماء

وقد أشار الأستاذ « القزوينى »^(١) إلى من تكلم من القدماء عن تخلص « سعدى » وجعلهم قسمين .

١ - قسم يذهب في تخلصه إلى « سعد بن زنگى » - الجد .

(١) قزوینى - سعدى نامه ص ١١٠

٢ - وقسم يذهب إلى أنه تخلص باسم « سعد بن أبي بكر » - الحفيد .
أما من ذهب إلى الرأي الأول فقد قال عنهم إنهم أربعة ، هم أصحاب
« حبيب السير ، وجهان آراء ، وآتشكده ، ورياض العارفين ^(١) » .

والذين ذهبوا إلى الرأي الثاني هم أصحاب « تاريخ كزیده ، ومزارات شیراز » .

ونص هذه العبارة من مقال « ممدوحین شیخ سعدی » هي كما يلي :

« چنانکه از تاریخ کزیده ^(٢) ومزارات شیراز ^(٣) مستفاد میشود، شیخ از
بستگان ومنتسبان این شاهزاده بوده ، وهمانا تخلص وی نیز از نام او مأخوذ
و بدون شبهه صواب همین قول است ؛ نه آنچه صاحب حبيب السير ، وجهان آراء ،
وآتشكده ، و مرحوم هدايت گفته اند كه تخلص شیخ مأخوذ از نام سعد بن
زنگی است » .

ثم يدل على صحة ما يذهب إليه بآراء منعرض لها وناقشها فيما بعد . وترجمة
هذه العبارة .

وكما يستفاد من تاريخ « كزیده ومزارات شیراز » كان الشيخ من
المتصلين بهذا الأمير « سعد بن أبي بكر » والمنتسبين إليه ، وكذلك اتخذ تخلصه
أيضاً من اسمه ، ولا شك أن الصواب هو نفس هذا القول . وليس ما يذهب إليه

(١) صاحب حبيب السير . هو غياث الدين خواند مير من رجال القرن العاشر الهجري
وصاحب جهان آراء . هو القاضي أحمد الغفاري من رجال القرن الحادي عشر الهجري
وصاحب آتشكده . هو لطف علي بك المتخلص بأذر من رجال القرن الثاني عشر الهجري
وصاحب رياض العارفين . هو رضا قلي خان المتخلص بهدايت من رجال القرن
الثالث عشر الهجري .

(٢) تاريخ كزیده ص ٨٢ . وعبارته مقتضية وهي « سعدی شیرازی وهو
مشرف الدين مصلح شیرازی و بانابك سعد بن أبي بكر سعد بن زنگی منسوبت »
(٣) مزارات شیراز . هاشم سعدی نامه ص ١١١ وعبارته « الأتابك سعد بن
أبي بكر بن سعد بن زنگی . كان ملكاً سناً جميلاً حسن السيرة صافي السريرة
محياً لأهل الفضل مرياً لهم . قد انتسب إليه الشيخ مشرف الدين مصلح »

صاحب «حبيب السير»^(١) وجهان آرا^(٢)، وآتشكده^(٣) والمرحوم هدايت^(٤) .
أن تخلص الشيخ مأخوذ من اسم «سعد بن زنگي» .

والمفهوم من إجمال عبارة الأستاذ «القزويني» أنه وجد بين المتقدمين —
الذين يعتمد عليهم في حياة الشاعر — أربعة تذهب إلى أن تخلصه مأخوذ من
«من سعد بن زنگي» واثنين يذهبان إلى أنه اتخذ من «سعد بن أبي بكر» .

ونستطيع أن نضيف إلى الآراء التي يذهب إليها الأستاذ في جعل التخلص
مأخوذاً من اسم «سعد الأكبر» رأياً آخر لم يشر إليه هنا، وإنما أشار إليه
في مقدمته على كتاب «المعجم في معايير أشعار العجم»^(٥) ذلك هو رأى دوانشاه^(٦)
ولعله أول مرجع في هذه المسألة تقدمه وإحاطته .

وبهذا تستكمل آراء أغلبية رجال الطبقات الذين يعتمد عليهم في تاريخ الشاعر .
هذه هي آراء القدماء ، وهي كما نرى تعرض للأمر دون مناقشة أو تدليل ،
ونحن لا نذهب إلى تغليب رأى على رأى ، دون أن ندخل في المسألة آراء المحدثين
ثم مناقشته .

آراء المحدثين . من قال بتخلصه بسعد الأكبر

وأهم من ذهب من المحدثين الذين اطاعنا على آرائهم ، وجعلوا تخلص الشاعر
من «سعد بن زنگي» هو الأستاذ «الكرگاني» . وإن كانت أدلته مقتضبة

(١) حبيب السير ص ١٢٨ . وعبارته — في عرض الكلام عن سعد بن زنگي

«وشيوخ مصلح الدين سعدي شيرازي را در تخلص بوي منسوب ميداند» .

(٢) لم يتيسر الاطلاع على نص هذا الكتاب لأنه غير موجود بمصر

(٣) آتشكده . «ظهور التيج در زمان سعد أتابك است و بدين جهت سعدي
تخلص ميكرده»

(٤) رياض العارفين ص ١٢٤ «ظهورش در زمان سعد بن زنگي بوده ويسبب

خصوصيت بأتابك مذکور سعدي تخلص فرمود»

(٥) مقدمة المعجم في معايير أشعار العجم ص . ط —

(٦) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ . وعبارته « و ظهور شيخ در

زورگار أتابك سعد بن زنگي بوده است ، گويند پدر شيخ ملازم أتابك بوده ، ووجه
تخلص شيخ سعدي بدان جهت است » .

دفع رأی من قال بتخاصه من « سعد بن أبي بكر » ، و يذهب أيضاً بعض الإيرانيين
والعربيين إلى مشاركتة هذا الرأي وعبارته .

« در باب تخلص وی مینویسد ، چون سلطان زمانش اُتایک سعد بن زنگی بوده ،
لهذا سعدی تخلص نموده ، ولی صاحب تاریخ گزیده حمد الله مستوفی قزوینی مینویسد
چون سعدی ملازم سعد دوم سرابو بکر بوده . لهذا ابن تخلص را اختیار کرده اند
ود لیلیشان آنست که سعدی در زمان سلطنت سعد بن زنگی در شیراز نبوده و در
أشعار و نوشتهای خود ویرا مدحی نکرده .

اعتراضی که بنظر نگارنده بر فواید دوم وارد میشود این است که هرگاه سعدی
بواسطه ملازمت سعد بن ابوبکر این تخلص را اختیار کرده باشد البته باید بعد از
مراجعت بشیراز باشد . در اینصورت باید سعدی در ایام تحصیل خود در بغداد
بمسافرتها که کرده تخلصی اختیار نکرده باشد با تخلصی دیگر داشته ، و یا هیچوجه
شعری نگفته باشد . و این مطلب بغایت بعید ، بلکه فریب بمجال است (۱) .

و ترجمه هذه العبارة كما يلي :

« فی باب تخلص « سعدی » یذکرون أنه لما كان سلطان عصره هو
« سعد بن زنگی » . فلهذا اتخذ منه « سعدی » تخلصه لکن صاحب « تاریخ
گزیده » یذکر أنه لما كان السعدی ملازماً « لسعد بن ابی بکر » فلهذا اختار
تخلصه منه ، و یختار البعض القول الثانی (۲) ، و دلیلهم علی ذلك أن « سعدی »
فی عهد حکم « سعد بن زنگی » لم یکن فی شیراز ، ولم یمدحه فی شعره أو رسائله
لکن الباحث « یقصد نفسه » یمترض علی القول الثانی ، بأنه لو كان
« سعدی » قد اختار تخلصه من أجل ملازمته « لسعد بن ابی بکر » لکان
بالتأکید بعد رجوعه إلى شیراز . و علی ذلك ینبغی أن یكون « سعدی » فی
عهد تحصیله ببغداد و سفره ، لم یتخذ تخلصاً ، أو أنه کان له تخلص آخر ، أو لم یقل
شعراً قط ، و ذلك أمر بعید للغاية ، بل قریب من المحال .

(۱) الکرگانی - مقدمة الکلمستان . ص . ۵ .

(۲) لعله بشیر بذلك إلى آراء المحدثین ممن ذهبوا هذا المذهب .

هذا هو أهم الآراء المعارضة في جعل تخلص الشاعر مأخوذاً من « سعد بن أبي بكر » يتزعمه الأستاذ الكرگانی ، ويدلل عليه .

وقد نهج منهجه هذا جماعة من الإيرانيين المحدثين ، وإن لم يذهبوا في عرض آرائهم والتدليل عليها كما ذهب هو . كذلك يذهب إلى نفس هذا الرأي بعض الغربيين .

ومن بين الإيرانيين الأستاذ « قاسم تويسرگانی » في بحث له عنوانه « سخن سعدي » فبعد أن يرد على المعارضين ببعض ما ذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » . يعود فيرى في النهاية ، أن الأمر حقيقة لا يخلو من إشكال في إسناد تخلص الشاعر إلى إحدى الشخصين .

لكنه يذهب في ذلك مذهباً لا نوافقه عليه في الخروج من هذا الإشكال ، إذ يرى أنه من المحتمل أن يكون تخلص الشاعر إما اتخذ من شخص آخر غير هذين الأميرين أو هو وصف له ، وعبارته :

« پس در وجه تخلص سعدي بدين نام اگر حتما بخواهم ، اين کلمه را بيکی آزدو سلسلهٔ آتابکان منسوب بداريم ، در هر حال خالی از اشکال نيست ، چه نسبت آنرا بسعد اول بدهيم ، وجه بسعد دوم . بنا بر اين ميتوان احتمال داد که تخلص وی از نام هيچک آزدو سعد گرفتته نشده . وبنام ديگری ، يا سعد وصفی منتسب بوده باشد(۱) » .

لكن هذا الرأي — الذي ذهب إليه هذا الكاتب — لا نستطيع أن نقبله أو يبلغ مبلغ الاطمئنان لدينا ، فهو فضلاً — عن أنه مجرد فرض لا تؤيده الوقائع فإنه بعيد الاحتمال ولا يحل الاشكال .

وإلى نفس الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » تذهب دائرة المعارف الإسلامية في مناقشة قصيرة .

(۱) قاسم تويسرگانی — سخن سعدي ص ۴

فهى تشير إلى أن أبا الشاعر كان فى خدمة الأتابك « سعد بن زنگى » وتجعل تخلصه من اسمه ، ثم تذكر أن بعض الآراء^(١) تخالف هذا الرأى فى جعل التخلص « لسعد الأصغر » وترد على هذا بقولها : إن « سعداً الثانى » لم يعتل العرش إلا حين كان « سعدى » فى السابعة والستين^(٢) ، وقد كتب الكثير من مؤلفاته ثم عاد إلى شيراز ، ولم يمتد حكم « سعد الثانى » إلا اثنى عشر يوماً ، فلم يكن لديه أية فرصة ليؤدى عملاً جليلاً ليـكون بذلك محل تقدير « سعدى » بينما كان جده راعياً لوالد الشاعر .

كذلك يرى « براون » — دون مناقشة — أن الشاعر لما كان فى رعاية الأتابك « سعد بن زنگى » أتابك فارس ، لهذا جعل تخلصه من اسمه ، وسرعان ما أرسله للانتحاق بالمدرسة النظامية ببغداد^(٣) .

هذه هى آراء الذين ذهبوا إلى أن تخلص الشاعر مأخوذ من « سعد بن زنگى »

من قال بتخلصه بسعد الأصغر

هناك جماعة أخرى ترى أن تخلصه مأخوذ من « سعد بن أبى بكر » . وعلى رأس هؤلاء الأستاذ « القزوينى » والأستاذ « عباس اقبال » .
الأول فى مقدمته لكتاب « المعجم »^(٤) ومقاله « ممدوحين شيخ سعدى »^(٥) .
والثانى فى مقاله « زمان تولد وأوايل زندگان سعدى »^(٦) الذى نشر فى « سعدى نامه » .

(١) لعلها تقصد آراء القدماء مثل تاريخ كزیده .

(٢) ترى الدائرة فى النسخة الانجليزية . أن مولد الشاعر كان سنة ٥٨٠ هـ . وهذا خطأ لا يتفق مع التقدير المذكور لسن الشاعر . والصواب ما ثبت فى النسختين الفرنسية والألمانية من أن مولده كان سنة ٥٩٠ هـ .

(٣) G. Browne: A Literary History of Persia v. 2, p. 527.

(٤) مقدمة المعجم فى معايير أشعار المعجم ص . ط — ى .

(٥) سعدى نامه ص ١١٠ (٦) نفس المصدر ص ٢٧ .

رای الاستاذ القزوينی

ولما كان رأي الأستاذ « القزويني » هو الأساس ، وقد عرض له في موضعين فإننا نفردها له المناقشة أولاً .

ونحن نسجل نص عبارته — على طولها — ثم نناقشها ، وقد كتب الأستاذ مقدمته لكتاب « المعجم » سنة ١٩٠٩ م . ثم عاد فأشار إلى هذه المسألة في مقاله الثاني بعد ذلك التاريخ . مع تصحيح بعض الآراء التي كان قد ذهب إليها ، والتي أخذها عن صاحب « تاريخ كزیده » .

وهذا هو نص العبارة كما وردت في المقدمة المذكورة .

« ودر اینجا لازمست که اشاره بعلطی مشهور . در باب تخلص شیخ « سعدی شیرازی » بنائیم ، وآن اینست که بسیاری از تذکره نویسان ، که اولین ایشان « دولتشاه سمرقندی » است ، گفته اند ، که شیخ از مداحان آتابک « سعد بن زنگی » بوده ، ووجه تخلص او « بسعدی » نیز از نام همین پادشاه مأخوذ است واین امر خطای محض است چه .

اولاً — در تمام کلیات شیخ مداحی یا ذکرى از « سعد بن زنگی » أصلاً وبتلفظاً نیست .

ثانیاً — مصنف این کتاب — چنانکه گفتیم — در پنج سال آخرت سلطنت « سعد بن زنگی » واول سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » در شیراز ، ودر ملازمت دو پادشاه مذکور بسر می برده است .

و در این کتاب از اشعار غالباً شعرای متقدمین ، و متأخرین ، و معاصرین خود ، مانند کمال الدین اسماعیل المتوفی سنة ٦٣٥ هـ استنهاد آورده است .

و مع هذا هیچ اشاره ، و ذکرى از « سعدی » نمیکند . و اگر شیخ معاصر « سعد بن زنگی » بوده . یعنی در عهد او در شیراز اقامت داشته . این سکوت مصنف از او با آنکه هر دو بنا بر این تقدیر — در یک عصر ، و یک شهر و در خدمت یک شاه ، بسر می برده اند — هیچ وجهی و محلی نخواهد داشت .

هذه هي القضية ورده عليها . ثم يعرض الأستاذ رأيه في قوله :

« و صواب قول صاحب تاریخ كزیده است که شیخ « سعدی » از ملازمان « سعد بن ابی بکر بن سعد بن زنگی » — که در سنه ٦٥٨ هـ دوازده روز بعد از وفات پدرش وفات یافت — بوده است . و تخلص « سعدی » نیز از نام همین شاهزاده مأخوذ است . و کتاب گلستان را نیز بنام همو تألیف کرده است . چنانکه گوید .
على الخصوص که دیباجه همايونتن بنام سعد أبو بکر سعد بن زنگی ست

وظاهر آنست که مراجعت شیخ از سفرهای دور و دراز بوطن خود ، واستقرار وی در شیراز در اواخر سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » بوده است ، و در همان اوقات کتاب « بوستان » را بنام آن پادشاه ، در سنه ۶۵۵ هـ کرده است چنانکه گوید ز ششصد فزون بسود پنجاه و پنج که پر در شد این نامبردار گنج « وگستان » را در سال بعد ، یعنی در سنه ۶۵۶ هـ چنانکه گوید . . .

در آمدت که ما را وقت خوش بود ز هجرت ششصد و پنجاه و شش بود و چون سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » مدت سی سال یعنی از سنه ۶۲۸ (۱) إلى ۶۵۸ طول کشید منافاتی ندارد ، که « شمس قیس » و شیخ « سعدی » — با وجود آنکه هر دو معاصر آن پادشاه بوده اند — زمان یکدیگر را درک نکرده باشند . چه « شمس قیس » اوایل عهد اودرک کرده بوده ، « و شیخ سعدی » اواخر آنرا . والله المصادی إلى الصواب .

وترجمة هذه العبارة هي :

« و یلزم هنا أن نشير إلى خطأ مشهور ، في باب نخلص « سعدی شیرازی » ذلك أن كثيرا من رجال التذاكر ، وأولهم « دولت شاه السمرقندی » قد قالوا أن الشيخ من الذين مدحوا الأتابك « سعداً بن زنگي » ، وتخلصه أيضاً بكلمة « سعدی » مأخوذ من نفس هذا الأمير ، وهذا الأمر خطأ محض لأنه .

أولاً — لا يوجد في جميع كليات الشيخ مدح أو ذكر « لسعد ابن زنگي » مطلقاً .

ثانياً — أن مصنف هذا الكتاب — كما قلنا — أمضى السنوات الخمس من آخر حكم « سعد بن زنگي » وأوائل عهد « أبي بكر بن سعد » في شیراز ، وفي ملازمة كلا الحاكمين ، واستشهد في هذا الكتاب بأشعار أغلب الشعراء المتقدمين ، والمتأخرين ، والمعاصرين له ، أمثال كمال الدين إسماعيل المتوفى سنة ۶۳۵ هـ .

(۱) صحح الأستاذ الفروبي نفسه هذا التاريخ الذي أخذ عن صاحب « تاريخ گزیده » . معتمداً في هذا على بعض حوادث وشواهد تتصل بعصر « أبي بكر بن سعد » وقد عرضنا لهذا الخلاف في الرسالة عند الحديث على وفاة « سعد بن زنگي »

ومع هذا لا يوجد ذكر أو إشارة عن « سعدى » . ولو أن الشيخ كان معاصراً
« لسعد بن زنگى » — أى أقام فى عهده بشيراز — فلا معنى لسكوت المصنف
عنه ، مع أن كليهما — حسب هذا التقدير — كانا فى عصر واحد ، ومدينة
واحدة ، وفى رعاية ملك واحد .

هذه هى المشكلة فى نظر الأستاذ . وأما رأيه هو فيبدو فى قوله الذى مضى فى
عرضه وترجمه بما يأتى :

« والصواب هو قول صاحب « تاريخ كزیده » فان الشيخ « سعدى »
كان ملازماً « لسعد بن أبى بكر » الذى توفى سنة ٦٥٨ هـ . بعد اثنى عشر يوماً
من وفاة أبيه . وتخلص « سعدى » أيضاً مأخوذاً من هذا الأمير ، وألف له كذلك
كتاب « الغلستان » ، كما يقول :

جعلت على الخصوص ديباجة هذا الكتاب العظيم باسم سعد بن أبى بكر
ابن سعد بن زنگى .

والظاهر أن عودة الشاعر إلى موطنه من أسفاره الطويلة البعيدة ، واستقراره
فى شيراز كان أواخر عهد أبى بكر بن سعد بن زنگى . وفى نفس الوقت الذى ألف
فيه « البوستان » باسم ذلك الأمير سنة ٦٥٥ هـ كما يقول :

فى عام ستمائة وخمسة وخمسين ، امتلاً هذا الكنز بالدر الثمين .

والغلستان بعده بعام أى سنة ٦٥٦ هـ كما يقول :

حين كان عهدنا سعيداً كان ذلك فى عام ستمائة وست وخمسين من الهجرة .

ولما كانت سلطنة « أبى بكر بن سعد » امتدت من سنة ٦٢٨ هـ إلى سنة ٦٥٨ هـ ،

فليس هناك ما ينفى ، أن « شمس قيس » ، « والشيخ سعدى » لم يدرك أحدهما الآخر ،

مع معاصرتهم لهذا الأمير ، فان « قيسا » أدرك أوائل عهده ، وأدرك « الشيخ

سعدى » أواخره . والله الهادى إلى الصواب « انتهت الترجمة .

وكلام الأستاذ القزويني في موضعيه — وكما يبدو — ينقسم إلى الأقسام الأساسية الآتية .

أولاً — عرض لرأى أصحاب التذاكر ، وعلى رأسهم دولتشاه .
ثانياً — هدم هذا الرأى بما ذهب إليه من الأدلة التى أوردتها ، والتى لا تعدو دليلين .

١ — أنه لا يوجد فى كل الكليات مدح أو ذكر لسعد بن زنگى .
٢ — أن صاحب المعجم لم يشر إلى الشاعر ، أو يقتبس منه كالحال مع معاصريه .

ثالثاً — إيجاد رأى جديد — دون الدفاع عنه — وهو الرأى الذى قال به صاحب « تاريخ كزیده » . وأن الشاعر ينسب إلى سعد بن أبى بكر .

الرد على الأستاذ القزوينى

أولاً — أما عن المسألة الأولى : وهى عرضه لرأى أصحاب التذاكر ، وعلى رأسهم دولتشاه السمرقندى ، فقد ورد فى نص عبارة الأستاذ ما يأتى :
« كه بسيارى از تذكره نویسان ، كه اولین ایشان دولتشاه سمرقندى است گفته اند ، كه شيخ از مداحان آتابك سعد بن زنگى بوده ، وجه تخلص او « بسعدى » نیز از نام همين پادشاه مأخوذ است ، و این امر خطای محض است » .
ويبدو أن الأستاذ القزوينى أخذ مفهوم العبارة عموماً . فإن الشاعر الذى يتخلص بشخصية من الشخصيات ، لا بد أن تكون له فيها مدائح ، فقال إن الشيخ من الذين مدحوا الأتابك « سعداً بن زنگى » . نقلاً عن مفهوم عبارة دولتشاه .
ونحن إذا رجعنا لنص صاحب تذكرة الشعراء — دولتشاه — فإننا نجد بهذا الوضع .

« وظهور شيخ در روزگار آتابك « سعد بن زنگى » بوده است . گویند پدر شيخ ملازم آتابك بوده ووجه تخلص شيخ سعدى بدان جهت است » .

« أى أن الشيخ كان فى عهد الأتابك « سعد بن زنگى » ، ويقال إن أباه كان من ملازمى الأتابك، ووجه تخلص « الشيخ سعدى » من هذه الناحية » .
فعبارة دولتشاه صريحة فى أن الشيخ كان فى عهد الأتابك « سعد بن زنگى »
— فحسب — دون أن يشير إلى مدائح ، ولكن أباه كان على صلة بالحاكم ،
فكان تخلص الشاعر به مأخوذاً من هذه الصلة .

وهذا أنسب فى مثل موقفنا من « الشيخ سعدى » و « سعد بن زنگى » .
فحتى عهد وفاة هذا الحاكم سنة ٦٢٣ هـ ، لم يثبت له مدائح إلا بعد عودته إلى شيراز ، فانه كان يألف من هذا النوع ، ولعل الشاعر رأى فى باكورة حياته الشعرية أن يتخذ تخلصه باسم هذا الحاكم تقديراً لرعايته له ولأبيه من قبل ، حتى يكون ذلك بمثابة الإعلان وعرفان الجميل .

كما يثبت ذلك من الأبيات التى أشرنا إليها سابقاً ، فى مثل هذه المناسبة .
ثانياً — وأما عن المسألة الثانية : وهى تدليلة على بطلان رأى « دولتشاه »
بما أورده من الدليلين اللذين أشرنا إليهما .

١ — فعن الدليل الأول . « وهو أنه لم يوجد فى كليات الشاعر مدح أو ذكر لسعد بن زنگى » فىمكن أن يرد على عبارة الأستاذ « مدحى يا ذكرى » التى ذكرها ، بأن الشاعر حتى وفاة « سعد بن زنگى » أو قبلها بقليل ، كان مهتماً بالتحصيل ، والتوجيه الدينى لا الشعرى . ولكنه إرضاء لحاسته الشعرية كان يقرض أحياناً خفيفة لا تبلغ إطالة القصائد التى تقال فى المدح أو الرثاء . والتى تعرض لمثلها بعد عودته إلى شيراز من رحلاته الطويلة ، وفى المناسبات التى أشرنا إلى بعضها سابقاً .

على أن الأستاذ القزوينى نفسه ، يغنيننا عن إطالة الدفاع فى هذه المسألة ، وذلك فى الموضوع الآخر من أبحاثه ، وهو ما أثبتته فى مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » . ولعلها تفصل فى الرأى بجانبنا . يقول :

« بنا بر این پس شیخ در وقت وفات « سعد بن زنگی » در سنه ۶۲۳ هـ — ظاهراً — جوانی بوده است ، در حدود بیست یا بیست و اند ساله ، و بدیهی است که در این سن هنوز برتبه شاعری ، و شهرت و معاشرت باملوك ، و أكابر ، نرسیده بوده است . و همین جهت است بدون شك که در تمام کلیات او از نظم و نثر چنانکه سابق (۱) نیز گفتیم . مطلقاً و أصلاً ، مدحی یا مرثیه در حق سعد بن زنگی (۲) . »

وترجمة هذه العبارة :

« و بناء على ذلك ، كان الشيخ وقت وفاة « سعد بن زنگی » سنة ۶۲۳ هـ — على ما يبدو — شاباً في حدود العشرين أو أكثر ، و بدیهی أنه في هذا السن لم يكن قد بلغ — بعد — مرتبة في الشعر و شهرة تمكنه من معاشرت الملوك و الأكابر . ولهذا لم نشاهد في جميع الكليات نظماً أو نثراً — كما سبق أن قلنا — مدحاً أو رثاء ، في شأن « سعد بن زنگی » على وجه الإطلاق . »

هذا من ناحية ملاحظة الأستاذ أن الشاعر لم يمدح « سعداً بن زنگی » قصداً . أما ملاحظته أنه لم يرد عنه ذكر في الكليات فغير طبيعي أيضاً . فإن هناك إشارات كثيرة عرض فيها الشاعر لمدح « سعد بن زنگی » في « البوستان » . وقد أشرنا إلى بعضها . و الأستاذ القزويني نفسه قد ذكر في موضوعه « ممدوحين شيخ سعدی » هذه المواضع ، وقد أخذناها عنه .

۲ — وعن الدليل الثاني الذي ذهب إليه ، وهو أنه مع معاصرته لصاحب المعجم ، ووجودها في عهد حاكم واحد ، وفي مدينة واحدة ، لم يقتبس صاحب المعجم شيئاً من شعر « سعدی » في كتابه ، كما فعل مع غيره ممن عاصروه ، فهذا أيضاً يمكن رده بالأمر الآتية :

(۱) يشير بهذا إلى ما كتبه في مقدمة كتاب المعجم سنة ۱۹۰۹ م .

(۲) قزوينی — سعدی نامه ص ۱۰۴

(١) نقول — بالإضافة إلى ما تقدم — إن الشاعر حتى ولو تمكنت منه ملكة الشعر في ذلك الوقت ، ليصح النقل عنه ، والاستشهاد بأقواله . فمن الممكن أن يكون في هذا العهد ، قد غادر شيراز في رحلاته الطويلة ، وصاحب كتاب المعجم أتم كتابه سنة ٦٣٠ هـ^(١) . والشاعر في هذا الوقت ، كان قد بلغ الثلاثين من عمره ، ولعل له بعض الشعر ، لكنه كان غائباً عن شيراز في رحلاته التي كان قد بدأها قبل ذلك^(٢) .

نضيف إلى ذلك أن الشاعر — بحكم عدم رغبته في صناعة قصائد المدح — فإن شعره لم يكن جارياً على الألسنة ، في مثل ذلك السن حتى يمكن أن يستشهد به .

(ب) على أننا يمكننا أيضاً أن نستمد من الأستاذ القزويني نفسه ، دليلاً على دفع هذا الاشتباه ، من عبارة له في نفس النص وهي العبارة التي وردت آخره .

ففي آخر العبارة الطويلة التي عرضنا لها ، يشير إلى أنه لما كانت مدة حكم « أبي بكر بن سعد » امتدت ثلاثين عاماً من سنة ٦٢٨ إلى سنة ٦٥٨ هـ . فليس هناك ما ينفي أن « شمس قيس » « والشيخ سعدى » لم يدرك أحدهما الآخر ، مع معاصرتهم لعهد ملك واحد ، فإن « قيساً » أدرك أوائل عهده وأدرك الشاعر أواخره .

(١) انظر مقدمة كتاب المعجم .

(٢) يرى الأستاذ نفيسي أن الشاعر كان في الشام بين سنتي ٦٢٧-٦٢٨ هـ أسيراً في حرب الصليبيين . انظر مجلة مهر السنة الخامسة — العدد الثاني ص ١٣٩ . كذلك يرى ابن الأثير أن الفرنجية استولت على بيت المقدس سنة ٦٢٥ هـ ، وأنهم في أوائل سنة ٦٢٦ هـ ، قصدوا حصن بارين بالشام ، ونهبوا بلاده وأعماله ، وأسروا وسبوا . ومن ظفروا به طائفة من التركان ، كانوا نازلين في ولاية بارين ، فأخذوا الجميع ولم يسلم منهم إلا النادر . انظر حوادث سنة ٦٢٦ هـ . ولعل سعدى كان هناك في ذلك الوقت ، وأنه وقع أسيراً مع من وقعوا ، وهو ما يلتقى مع رأى الأستاذ نفيسي كذلك .

(ح) فإذا أضفنا إلى ذلك أن الأستاذ القزويني يذكر في نفس هذه المقدمة أيضاً أن « محمداً بن قيس » أتم كتابه قبل قدومه شيراز ، وأنه افتقد مسوداته سنة ٦١٧ هـ في قلعه « فرزين » مع أمتعته الأخرى فراراً من المغول ، وأنه عاد فكتبه في شيراز وأتمه سنة ٦٣٠ هـ .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نضيف — إلى ما سبق — رأياً جديداً من نفس الأستاذ للتدليل على خلو الكتاب من الإشارة إلى « سعدى » .
وعبارة الأستاذ :

ودرسنه ٦١٧ — چنانکه گذشت — مسودات کتاب المعجم ، باسائر کتب ، وأمتعته ، أودر پای قلعه فرزين در حمله مغول تلف شد .

(د) فإذا أضفنا إلى ذلك ، أن الأستاذ القزويني قد عادت ثبت أن « سعداً بن زنگي » توفي سنة ٦٢٣ هـ لا سنة ٦٢٨ هـ وأن « محمداً بن قيس » قد أقام السنوات الخمس الأخيرة من وفاته التي انتهت — حسب التحقيق الصحيح — سنة ٦٢٣ هـ فيكون بدء قدومه إلى شيراز ، في حدود سنة ٦١٨ هـ . وبهذا نكون قد اقتربنا كثيراً من حياة الشاعر الأولى ، فإنه في ذلك الوقت كان سنه قد بلغ الثامنة عشرة ، فلم يكن مشهوراً بشكل عام . ولعله خلال ذلك رحل إلى بغداد ، أو هاجر موطنه إلى رحلته الأخرى .

ثالثاً — وأما عن المسألة الثالثة والأخيرة ، وهي جعله هذا التلخيص مأخوذاً مما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » وذلك في مقدمته « لكتاب المعجم » . ومنه ومن صاحب كتاب « مزارات شيراز » وذلك في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » . فإنه من الممكن كذلك رده . معتبرين أن الرأي الأساسي — في تلك المسألة — هو رأي صاحب « تاريخ كزیده » لا صاحب « مزارات شيراز » فإنه متأخر زمنياً ، وغير متخصص كذلك .

وزرد على هذا بما يأتي :

١ — أن الأستاذ— في ذهابه إلى هذا الرأي— لم يمدنا بالدليل على ما ذهب إليه ، سوى العبارة العامة التي قدم بها بقوله « والصواب قول صاحب تاريخ كزیده » ونحن نقل عبارة الأستاذ ، ونقابلها بعبارة صاحب « تاريخ كزیده » .
« وصواب قول صاحب « تاريخ كزیده » است كه شيخ «سعدى» از ملازمان «سعد بن أبى بكر بن سعد بن زنگى» (كه در ٢٢٨ هـ دوازده روز بعد از وفات پدرش وفات یافت) بوده است وتخلص «سعدى» نیز از نام همين شاهزاده مأخوذ است .
والعبارة — كما نرى — تشير إلى أن « سعدى » كان من ملازمى « سعد ابن أبى بكر » ثم يستخلص من هذا أن تخلصه كان أيضاً من هذا الأمير .

على أن نص صاحب « تاريخ كزیده » في ترجمته للشاعر يفيد أنه كان منسوباً إليه ، وليس من ملازميه . بل لعل الملازمة لم توجد إلا بعد عودته في العهد الذي كان فيه أيضاً ملازماً لأبيه أبى بكر ، فإنه منذ عودته إلى شيراز كان يستظل برعاية حاكمها « أبى بكر » وكان — بطبيعة الحال — يتصل أيضاً بابنه «سعد» وقد انتهت هذه الصلة بينه وبين الأميرين سنة ٦٥٨ هـ عندما توفيا

ومع ذلك ، نضع عبارة صاحب « تاريخ كزیده » لئرى مبلغ دلالتها ، واقتضاها ، وبعدها عن الصواب في كثير من مدلولاتها .

«سعدى شيرازى وهو مشرف الدين مصلح الشيرازى . ويا نأبك سعد بن أبى بكر منسوبست . بشيراز در سايع عشر ذى حجه سنهٗ تسعين ويستأنه درگذشت ، مردى صاحب وقت بود و نظم و نثر خوب دارد و شهرتى ناتمام . شيوهٗ غزل بر او تمام شد » .
ثم يقتبس من شعره خمسة أبيات ، وتنتهى ترجمته للشاعر على هذا النحو من الاختصار والاقتضاب .

على أننا — بعد ذلك كله — يمكننا أن نرد رأى صاحب « تاريخ كزیده » أيضاً . بعد ما اتهمينا من مناقشة آراء الأستاذ القزوينى .

ولننظر للنص نفسه ، وأهم ما يشير إليه من المسائل المحدودة ، ثلاث نوا
أساسية في حياة الشاعر يشارك فيها غيره :

١ — اسمه : مشرف الدين مصلح الشيرازي .

٢ — نسبته : وبأتابك سعد بن أبي بكر سعد بن زنگي منسوبت .

٣ — وفاته : بشيراز در سابع عشر ذى حجه سنة ستائة وتسع
درگذشت .

ولقد انتهينا سابقاً إلى الرأي الأخير — ولعله الفاصل — في مسألتين
من هذه المسائل ، وهما المسألة الأولى والأخيرة ، ورأينا أن اسمه — على الر
من الخلاف الكبير حوله — قد وجدت فيه نصوص مادية ثابتة ، نقض
بصحتها ، وهي التي انتهت إلى جعل اسمه على هذا الوضع « أبو عبد الله مشرف
ابن مصلح » .

وبصرف النظر عن أن صاحب « تاريخ كزیده » لم يذكر الكنية ، فإنه
يورد الإسم مورداً صحيحاً ، فجعله « مشرف الدين » بدل « مشرف » فقط
وهو كما نرى تقصير أو سهو .

وأما المسألة الثالثة ، وهي أمر وفاته ، فقد رأينا رجال التاريخ والطبقات ينعه
رأيهم على أنه في شوال سنة ٦٩١ هـ وليس في ذى الحجة سنة ٦٩٠ هـ كما انفرد
صاحب « تاريخ كزیده » .

وقد كان من الممكن أن تتجاوز عن مناقشته في المسألة الثانية — مسأ
نسبة الشاعر — بعد ما رأينا بعده عن إصابة الرأي في المسألتين الأولى والثالثة
لكن الأستاذ القزويني جعلها عين الصواب ، فيما ذهب إليه في كلامه .
ونحن نورد مناقشتنا لهذه المسألة من وجوه .

نحن لا نشق كذلك فيما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » في هذه المسأ
عدم ثقتنا به ليس مبعثها ملاحظناه من انفراده برأي دون غيره .

ليس من هذا وحده ، ولكن من جانب آخر ، هو أن آراء صاحب « تاريخ كزیده » يجب أن تؤخذ بالكثير من الحيطة والحذر ، وهي ليست مهمة توجه في توثيقه . لكن ظروف العمل الذي أقدم عليه من تلخيصه تاريخ البشر عامة في كتابه مضافاً إليه الكثير من الأبواب الأخرى ، فضلاً عن أنه نهض بأعمال علمية — بالإضافة إلى هذا — أهمها نظمه التاريخ في كتابه « ظفر نامه » وهو منظومة بلغت خمسة وسبعين ألف بيت . كل ذلك لعله — جملة — على التسرع وعدم التريث والتدقيق .

وقد لاحظ عليه ذلك كثيرون من الباحثين عند الكلام عليه ، والحكم على أعماله .

فالأستاذ « براون » في مقدمته لهذا الكتاب نفسه ، يرى أنه أقل مرتبة وشأناً من الكتب الثلاثة التي تؤرخ لعصر المغول ، وهي كتاب « جهانگشای » « وجامع التواريخ » « والوصاف » .

وعبارته في هذا :

« ولی از حيث رتبه و شأن ازره كتاب سابق الذكر پائين تراست (۱) »

كما يلاحظ الأستاذ « نفيسى » أن الأمر اشتبه على صاحب « تاريخ كزیده » في مسألة تخلص الشاعر مع قربه الزمنى منه . فبعد أن يورد — قوله أن مسألة اسمه ونسبه وقع فيهما خلاف كثير بين الكتب التي عرضت لها — يقول عن صاحب « تاريخ كزیده » .

« حتى كسانى كه بزمانى او نزد يك بوده آند ، مانند حمد الله مستوفى ، در تاريخ كزیده ، درين باب اشتباه کرده آند » (۲) .

(۱) المقدمة على تاريخ كزیده ص د . سلسلة جب .

(۲) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول — ص ٤٦

وترجمتها « بل الناس الذين كانوا قريباً من عصره ، مثل حمد الله المستوفى فى « تاريخ كزیده » اشتبه الأمر عليهم فى هذا الباب » .

على أننا نختتم هذه المناقشة بالرأى الذى قال به الأستاذ القزوينى نفسه عن صاحب « تاريخ كزیده » . فإنه قد رأى فيه أن بعض آرائه ترمى « بالبطلان والفساد » وأنها وقع فيها الكثيرون ممن جاءوا بعد صاحبها وآخر الذين وقعوا فيها الأستاذ القزوينى نفسه .

وملخص المسألة أن الأستاذ ، نقل عنه — فى مقدمة « كتاب المعجم » التى عملها سنة ١٩٠٩ هـ — تاريخ وفاة « سعد بن زنگى » . وإنها كانت سنة ٦٢٨ هـ بينما التحقيق العلمى الذى قام به الأستاذ نفسه فيما بعد ^(١) بالإضافة إلى آراء المؤرخين الآخرين أثبت أنها كانت سنة ٦٢٣ هـ .

فعاد الأستاذ القزوينى فى مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » — وبين الباحثين ما يزيد عن ثلاثين عاماً — يناقش قول صاحب « تاريخ كزیده » ويناقضه بما ظهر له من آراء وأدلة جديدة استمدتها من حوادث التاريخ ، ومن المقارنات بينها ويرميها بالبطلان والفساد .

ونحن نقبس من عبارة الأستاذ ما يشير إلى ذلك :

« بنا برلين ، پس قول صاحب « تاريخ كزیده » . ويتبع أو « لب التواريخ » وجهان آرا » كه وفات « سعد بن زنگى » رادر ششصد وبيست وهشت نگاهشته اند (وبانيز سابقاً در مقدسه المعجم فى معاير اشعار العجم بمتابعت ایشان همين قول را نقل کرده بوديم) بدون شك سهو واضح است . ودليل قطعى ديگر ، بر بطلان قول « تاريخ كزیده » آنست » .

ثم يعود بعد قليل فيقول :

« و باز دليل قطعى ديگر برفساد قول صاحب تاريخ كزیده »

(١) فى مقاله — ممدوحين شيخ سعدى .

ويحتم المناقشة له بقوله وقد أعاد وصفه بالبطلان وذلك في عبارته :
« باري در بطلان قول صاحب گزیده ومن تبع أو ، أصلاً وأبدأ ، جاي أدنى
شك وشبهة ليست (١) » .

وهكذا تنتهي من هذه المناقشات بحكم « الأستاذ القزويني » نفسه على رأى
صاحب « تاريخ گزیده » الذي جعل رأيه — في مسألة تخلص « سعدى » —
هو عين الصواب . ويبدو من هذا مدى ما نحتاجه من التحفظ في الأخذ برأى
هذا المؤرخ .

رأى الأستاذ إقبال في هذه المسألة ومناقشته

بقيت هناك آراء أضافها الأستاذ إقبال إلى مجموع ما قال به الأستاذ القزويني
للتدليل على صحة نسبة الشاعر إلى هذا الأمير .

ونحن نلخص هذه الآراء ، ونشير إليها ، ثم نناقشها .

أولاً — يقول إن شهرة سعدى ، بدأت في أيام « أبي بكر بن سعد » وليست
في أيام أبيه ، ويؤخذ ذلك من عبارة للشاعر في قوله شعراً .

که سعدی که گوی بلاغت ربود در ایام ابو بکر بن سعد بود (٢)

ونص عبارته بعد هذا البيت :

« سيفهماند که شهرت سعدی در عهد « أتابک بو بکر سعد » شروع شده بود
نه در عهد پدرش سعد » .

ومعناها يفهم أن شهرة سعدى بدأت في عهد « أبي بكر » لافي عهد أبيه .

والواقع أن البيت الذي أشار إليه الأستاذ كحجة له . يفيد أن الشهرة بلغت
أوجها ، وليست بادئة في الشروع ، فإنه يصرح فيه أنه قد حاز قصب السبق في
البلاغة في عهد « أبي بكر » ، وذلك سنة إنشائه « البوستان » عام ٦٥٥ هـ . ولا بد
أن يكون الشاعر طوى سنين كثيرة حتى انقادت له أساليب البلاغة وملك زمامها .

(١) سعدى نامه — قزوينى — ص ١٠٣

(٢) سعدى نامه — إقبال — ص ٢٦

ويؤيد ذلك أن الشاعر يصف نفسه في مكان آخر وصفاً يفهم أنه بلغ أوج الشهرة في البلاغة في عهد « أبي بكر » نفسه، وذلك سنة إنشاء « الكلستان » بعد إتمام « البوستان » بعام واحد .

إذ يقول في مقدمة « الكلستان » الذي أممه سنة ٦٥٦ هـ . عبارته الآتية :

« ذكر جميل سعدي كه در أفواه عوام أفتاده است ، وصيبت سخنش كه در بسيط زمين رفته . وقصب الجيب حديثش كه همچون سعد شكر ميخورند » .

إلى أن يقول :

« بلکه خداوند جهان ، قطب دائره زمان ، وقائم مقام سليمان
أبو بكر بن سعد .

يتضح من هذا أن شهرة الشاعر كانت قد بلغت أوجها في عهد « أبي بكر » وليست مبتدئة في طريقها .

فكيف تكون شهرة « سعدي » كانت شارعة في الظهور سنة ٦٥٥ هـ .
كما ذهب إلى ذلك الأستاذ إقبال . ؟ ؟

على أننا نلاحظ بالإضافة إلى ذلك من كلمة « سعدي » الواردة في بيته السابق في « البوستان » . ومن عبارته « ذكر جميل سعدي » الواردة في « الكلستان » .
أن الشاعر كان مشهوراً بهذه التسمية ، وأن هذه الشهرة تداولتها الألسنة ، وأن صيغته كلامه منتشر في الآفاق .

فلمن تعود هذه النسبة « وسعد بن زنگي » أسبق في الوجود من « أبي بكر »
نفسه وبالتالي من ابنه « سعد » ؟ ؟ .

ثانياً — الرأي الثاني الذي يذهب إليه الأستاذ إقبال . أن سعدي في مقدمته للكلستان . بعد أن يمتدح أبا بكر . يبجل الأمير « سعداً بن أبي بكر » ويقدم له « الكلستان » في عبارته :

« بعد از ذکر آتابك نام این شاهزاده را تبجیل تمام میبرد ، وگلستان را در حقیقت باو إهداء مینماید و میگوید » .

ثم يورد أبياتاً فيها هذا البيت :

على الخصوص كه ديباجهٔ هما يونش بنام سعد أبو بكر سعد بن زنگي است
وردنا على ذلك أن تبجيله «سعداً الأصغر» ، وتقديمه «الگلستان» إليه ،
والإشارة إليه أيضاً في بعض غزلياته ، بما يفيد التبجيل كذلك ، كل هذا لا يفيد
— مطلقاً — أنه اتخذ تخلصه من هذا الأمير .

فان الشاعر كما قدم «البوستان» لأبيه قبل هذا بعام واحد ، رأى أن يقدم
«الگلستان» — وفيه ما فيه من القصص السهلة اللطيفة الممتعة إلى ابنه الأمير .
وإيراد الإشارة إلى هذا الأمير ، في بعض الغزليات ، لا يقطع بالتخلص إليه .
فجانب من غزلياته قالها بعد عودته إلى شیراز وبدء التقائه بالأمير وأبيه .
ثالثاً — على أن الأستاذ «إقبال» لا يستبعد أن يتخلص بأمر في عهد أبيه ،
فهذا — كما يقول — موجود في الأدب الفارسي ، ومثل ذلك تخلص الشاعر
«قاآني» من «قاآن مرزا»^(١) .

وهذا — أيضاً — صحيح لو أن «أبا بكر» كان يملك أن يطلب من الشاعر
اتخاذ تخلصه من ابنه «سعد» فان هذا لم يولد إلا في حدود سنة ٦٣٠ هـ ، في
الوقت الذي بلغ فيه الشاعر الثلاثين ، وفي الوقت الذي كان فيه خارج شیراز ،
وظل بعيداً عنها حتى عام ٦٥٤ هـ ، أو ما حول ذلك تقريباً قبل تقديم
«البوستان» .

وهذا — أيضاً — صحيح لو لم يكن هناك تلك المشابهة ، والجمع بين الجذ
والحفيد باسم واحد .

فالمشكلة من أساسها لا تزال موجودة ، هل لم يكن الشاعر قد اتخذ تخلصاً
قبل أن يوحى إليه أبو بكر باتخاذ اسم ابنه تخلصاً له ؟؟؟

(١) إقبال — سعدى نامه ص ٢٧

أو أنه لم يقل شعراً بالمرّة ؟؟؟؟ وهذا يعيد المشكلة جذعة من جديد .

خلاصة المسألة :

أما وقد انتهينا من عرض هذا الموضوع ، على الوضع الذى افترضه القدماء والمحدثون ، فإننا — كما تبين من مناقشاتنا السابقة — نميل إلى الأخذ بالرأى القائل بأن الشاعر استمد تخلصه من « سعد بن زنگى » . وليس من حفيده « سعد بن أبى بكر » .

ولن يأتى ذلك مما لاحظناه من كثرة الآراء التى تذهب إلى هذا قديماً ، ولا مما ذهب إليه من قالوا بذلك أيضاً من المحدثين ، ودلوا على صحة مذهبهم ، لكن من نواح أخرى تدعم هذا الرأى القائل بأن « سعدى » اتخذ تخلصه من « سعد بن زنگى » .

ويجب أن تعالج المسألة من ناحية جديدة ، غير تلك التى ذهب إليها الذين تولوا التدليل على آرائهم .

فالمعروف أن الذين أدلوا برأيهم — مؤيدين مذهبهم — كانوا قسمين . وكل قسم منهم تبع رأياً قديماً أخذ يبرهن عليه .

لكن يمكن أن تعالج المسألة من جانب آخر ، هو الجانب الطبيعى لها فيما أعتقد .

ونحن أولاً — وقبل كل شىء — نضع أنفسنا أمام هذا السؤال ما هو التخلص فى الأدب الفارسى . . . ؟؟؟

المعروف أن التخلص نسبة الشاعر إلى شخص ، أو موضع ، أو حرفة ، أو غيرها والشاعر كما رأينا يستمد تخلصه من شخص .

ويجب أن يكون بحث هذه المسألة على ضوء الاعتبارات الآتية : —

أولاً — متى ظهرت الحاسة الشعرية عند الشاعر ، حتى يمكن أن يفكر في اختيار تخلص له ، أو يمكن أن يسبغ عليه هذا التخلص . . ؟ ؟ ؟
وما هي الألوان الشعرية ، التي يمكن أن يتغنى بها الشاعر ، في عهد الشباب المبكر ؟ ؟ ؟ وهل ثبت فيها وجود تخلص له ؟ ؟ ؟
ثانياً — في أي وقت ترك الشاعر شيراز ؟ ؟ وفي أي وقت عاد إليها ؟ ؟ وهل في الوقت الذي تركها فيه كان « سعد بن أبي بكر » قدّر له الوجود ؟ ؟ ؟
ثالثاً — ماذا كان الشاعر ينسب نفسه في كلامه قبل ظهور « سعد بن أبي بكر » أو في عهد نشأته ، وعهد طوافه الذي امتد حتى سنة ٦٥٤ هـ تقريباً حين عاد إلى شيراز ؟ ؟ ؟

ولنأخذ في علاج الرد على هذه المسائل بما يأتي :

أولاً — أما عن المسألة الأولى . وهي في أي وقت ظهرت حاسته الشعرية . يرى البعض أنه بكر في قرض الشعر ، حتى ليقال إنه بدأ ينظمه في عهد الأتابك « سعد بن زنگي »^(١) . ويرى الأستاذ « هنري ماسيه »^(٢) كما رأى من قبله « روس »^(٣) « أن الشاعر يشير في الأبيات الآتية إلى « سعد بن زنگي » . وهذه الأبيات قد ذكرناها سابقاً ، والتي مطلعها :

بدرم بنده قديم تو . . . الخ

وقد دللنا على صحة إسناد هذه الأبيات للشاعر ، وأن مرجع الضمائر فيها ، كانت تدل عليه ، وعلى أبيه ، وعلى حاكم الولاية « سعد بن زنگي » . كذلك تشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن غزلياته القديمة — وهي أول

(١) ألطاف حسين — حيات سعدى . ص ١

(٢) نقل رأبه الأستاذ الكرگانی في مقدمته على الكليستان ص . لا .

(٣) Rcsc : Sadi's Gulistan, p. 3.

الألوان الشعرية التي تغنى بها — تبدو أنها من عمل الشباب في قولها
On the other hand the Ghazaliyat — i — Kadim appear to be a work of
his youth.

وهذا الرأي صحيح تؤيده كذلك طبيعة الغزليات نفسها ، وطبيعة
حياته الشخصية .

فهو يشير إلى أنه نشىء نشأة دينية أول الأمر ، لكنه انحرف إلى قرض
الشعر في العشق الصوفي . في قوله .

« همه قبيله من معلمان دين بودند مرا معلم عشق ترا شاعرى آموخت »

إذن ، تبيننا من هذا ، أن الشاعر كان له شعر في الشباب ، وإثبات هذا
كاف في التدليل على صحة نسبة التخلص لـ « سعد بن زنگى » لو ثبت أن هذا
الشعر كان يرد فيه تخلص باسم « سعد » — كما هو موجود في الغزليات القديمة ،
التي نظمها الشاعر في طور الشباب — ولكننا نمضى في بحث ما افترضناه سابقا ،
حتى يتأيد الأمر من جوانب متعددة .

ثانيا — وأما عن المسألة الثانية . وهي في أى وقت ترك شيراز؟ وفي أى
وقت عاد إليها؟ .

فترى دائرة المعارف البريطانية^(١) — ويأخذ برأيها أيضاً الأستاذ
الكرگانى ، بعد أن يترجم عبارتها في هذا الموضوع — أن الشاعر وقت

(١) ولسن عبارة الدائرة :

And he returned to Isfahan just at the time of the inroads of the Mongols.
When the Atabig Sa'd (In whose honour sa'di took his pen-name) had been
desposed by the victorious Khwarizm ruler of Chiyass-uddin (1226) distressed
by misfortune of his patron and disgusted with the miserable condition of Persia.
Sa'di quitted Shiras and entered upon the second period of his life — that of
his wanderings (1226-1256).

وترجمة هذه العبارة في مقدمته على الكلكستان ص . ى .

فتنة المغول العامة ، وفي الوقت الذي هزم فيه « سعد بن زنگي » أمام « غياث الدين الخوارزم شاهي » سنة ٦٢٣ هـ . تألم الشاعر من سوء حظ ولي نعمته ، وترك شيراز التي تعرضت للتدمير والحراب ، والتي اغتم لها كثيراً ، وابتدأ — إذ ذاك — وقت رحيله سنة ٦٢٣ هـ وانتهى سنة ٦٥٣ هـ . « ١٢٢٦ — ١٢٥٦ م » والشاعر نفسه يكاد يشير إلى ذلك في مقدمة « الغلستان » ، في قوله وقد طلب الاغتراب ، حيث شاهد فتنة المغول تحيط بالعالم الإسلامي ، يقول مشيراً إلى وقت الهجرة ، حين صار العالم مثل شعر الزنجي .

برون رقم از تنگ ترکان که دیدم جهان درهم افتاده چون موی زنگی
ويشير إلى رجوعه بقوله .

چو باز آدم کشور آسوده ديسدم بلنگان رها کرده خسوي پلنگي
چنان شد در أيام سلطان عادل أتاك أبو بكر بن سعد زنگي

وبهذا يشير الشاعر إلى انفعاله مما أصاب العالم الإسلامي ، من حوادث المغول ، وتأثره لما أصاب موطنه فارس ، فطلب الرحيل عنه .

ويبدو أن ذلك كان حوالي سنة ٦٢٣ هـ ، وفي هذه السنة ، وتلك السن التي بلغها الشاعر — وهي ثلاثة وعشرون عاماً ، كان الأمير « سعد بن أبي بكر » لم يكن قد ظهر في الحياة ، فإننا قد رأينا سنه حين وفاته لم تكن تتجاوز الثلاثين ، وأنه توفي سنة ٦٥٨ هـ فمولده حوالي سنة ٦٢٨ هـ . أي أنه ولد والشاعر بعيد عن شيراز .

هذا من جانب . ومن جانب آخر ، يرى الأستاذ « نفيسي » أن الشاعر أسر في الحرب الصليبية التي وقعت ما بين سنة ٦٢٧ — ٦٢٨ هـ وعبارته .
« پس بگانه جنگي که ممکن است سعدی در آن حاضر بوده شد . جنگ ششم است که از ٦٢٧ — ٦٢٨ هـ طول کشیده (١) » .

(١) نفيسي . مجلة مهر . العدد الثاني — السنة الخامسة ص ١٣٩

فهو في هذه الحرب كان خارج شيراز ، بل خارج فارس كلها ، وأنه كان أسيراً فيها ، وقبل ذلك كان قد أمضى مدة بالشام ، وعلى هذا لا بد أن يكون خروجه من فارس قبل هذا التاريخ بزمن لا يقل عن سنة ٦٢٣ هـ . وهي السنة التي قدرنا خروجه فيها من شيراز ، وذهب إلى هذا الرأي بعض من أشرنا إليهم . على أنه لم يعد إلى شيراز إلا في حدود سنة ٦٥٣ هـ أو سنة ٦٥٤ هـ على أبعد تقدير ، فوجد فارس تحت حكومة « أبي بكر بن سعد » .

ولم يثبت أنه اتصل « بأبي بكر » أثناء هذا الطواف الطويل ، فلما عاد إلى شيراز لم يخرج منها إلا في فترات قصيرة للحج ثم يعود ، وهذه كانت بعد أن استقر بشيراز مدة لا تقل عن خمس سنوات ، ولعلها كانت بعد وفاة « أبي بكر وابنه » في سنة ٦٥٨ هـ .

ثالثاً — وهنا ننتقل إلى المسألة الأخيرة وهي ، ماذا كان يسمى نفسه في كلامه قبل مولد « سعد بن أبي بكر » أو في عهد نشأته ، وفي أثناء رحلاته ؟ . وفي هذه المسألة نشير إلى ناحيتين :

١ — وقائع حدثت للشاعر وتحدث فيها عن نفسه وذكر نسبته وتخلصه « بسعدى » .

٢ — أشعار ثبت أنه قالها في تلك المدة ، وفي مدة مبكرة قبل ظهور « سعد بن أبي بكر » أو قبل علو شأنه . ومعظمها قطع من كتابيه ، وكثير من غزلياته .

أما عن الناحية الأولى . فالشاعر يحدثنا كثيراً في مجرى الحديث بينه وبين غيره أثناء رحلاته ، أنه معروف للناس باسم « سعدى » أي بتخلصه ، وليس باسمه الشخصي ، وأن شهرته بهذا الاسم بدأت مبكرة .

وفي قطع من كتابيه «الگلستان والبوستان» - سواء أ كانت من القطع الموضوعة أو الواقعية - يتحدث عن نفسه أنه كان معروفا بين الناس باسم «سعدى» وفي الجهات المختلفة التي رحل إليها يشتهر بهذا الاسم أيضاً ، ويذكر أنه كان يعرف أثناء رحلاته باسم «سعدى» .

ففي التركستان . في مدينة «كاشغر» حين دخل مسجدها وقد وجد صبياً يقرأ مقدمة الزخشرى في النحو ، ويكرر المثال المشهور ضرب زيد عمراً . يسأل الشاعر الفتي - في سخريه - يابنى اصطح الخوارز مشاهيون والخطا ، ولا تزال الخصومة بين زيد وعمرو^(١) وتمضى المحادثة بين الشاعر والفتى . فيسأل هذا . من أين الشيخ ؟ فيجيبه الشاعر : من «خاك شيراز» . ويعود الفتي يسأل : ألا تذكر شيئاً عن «سعدى»؟؟

وفي جزيرة «كيش» بالخليج الفارسى ، يتحدث الشاعر أنه نظر هناك تاجراً ميسور الحال ، أضافه ذات ليلة ، وأخذ يحذثه عن شؤونه ورغباته في الجهات التي يرحل إليها طلباً للتجارة ، حتى إذا عمد منها كثيراً . قال له أخيراً : «ياسعدى»^(٢) إني أريد الذهاب إلى الصين .

هذا من بعض قصصه في «الگلستان» .

وهناك ضمن قصص كتابه الآخر «البوستان» قصة تدور حوادثها حوله شخصياً ، ويرد فيها أنه كان معروفاً باسم «سعدى» بينما كان لا يزال شاباً ، وهذه القصة ترد في الباب الرابع «التواضع» من أبواب ذلك الكتاب مطلعها :

«فقيهى كهن جامه تنگدست در ایوان قاضى بصف برنست

ولعل حوادث هذه القصة تقع في إحدى مدن الشام ، وملخصها أنه قدم

(١) کلیات فروغی - گلستان ص ١٦٦

(٢) کلیات فروغی - گلستان ص ١٤٢

ذات مرة على مجلس جماعة من الفقهاء ، وقد عرضت لهم مشكلة لم يستطيعوا حلها . فدخل عليهم ، وكان منظره على حال رقيقة فامتعضوا منه ، وطلبوا إبعاده عن المجلس ، ولما رأى القوم يتصاولون ولا يستطيعون إصابة الحقيقة ، تقدم لهم بالفتوى فيها ، على غير ما كانوا يذهبون .
وانتهى الأمر بتعجبهم من أمرهم وأمره ، وتمضى القصة فتقول إنه بعد ذلك قد ترك المجلس ومضى .

وفي هذه القطعة بيت يساعدنا مدلوله على التأكد من أن الشاعر كان معروفاً باسم «سعدى» — منذ كان شاباً — وذلك في هذا البيت :
« وزانجا جوان روى همت بتافت برون رفت وبازش نشان كس نيافت »
ومعناه « ولى الشباب من هناك بوجهه ، وذهب ولم يعثر إنسان على أثر له » .
وتختتم القصة فتقول إنهم بدءوا يبحثون عنه ، ويذكرون أوصافه ، إلى أن يلتقى بالباحثين أحد الذين يعرفون « سعدى » فيقول لهم هذا البيت .
« يكى گفت ازین نسوع شیرین نفس در این شهر سعدى سناسيم ويس » (١)
ومعناه « فقال واحد ، إني أعرف في هذه المدينة أن « سعدى » وحده هو المعروف بتلك الأوصاف » .

والرواة يذكرون بجانب ذلك بعض اللطائف التي وقعت له خلال رحلاته ومنها تلك الفكاهة اللطيفة التي يروونها فيما حدث بينه وبين شاعر آخر من مشاهير الشعراء هو « هام التبريزى » (٢) .

ذلك أن سعدى ذهب ذات مرة في سياحاه إلى تبريز ، ورغب أن يدخل حماماً ، فشاهده بالحمام الشاعر « هام التبريزى » . وكان « سعدى » على حال لا تدعو « هام التبريزى » إلى تقديره واحترامه .

(١) كليات فروغى — بوستان — الباب الرابع — التواضع ص ٣١٦ .

(٢) النظر حياة الشاعر في كتاب آتسكده — والفصحة في دائرة المعارف الاسلامية .

وتدور محادثة بين الشاعر « هام » والحمى على مسمع من الشاعر « سعدى »
يسأل صاحب الحمام . من يكون ذلك الرجل مشيراً إلى سعدى . . . ؟؟؟ . يجيب
صاحب الحمام . على مسمع من « سعدى » . إنه شيرازى . فيقول « هام »
يا لله ! أرى الشيرازيين في تبريز أكثر من الكلاب .!!!

فسرعان ما يرد عليه « سعدى » بهذه العبارة اللاذعة .

نعم ! وهذا بخلاف ما عندنا ، فإن التبريزيين في شيراز أقل من الكلاب !!!
وتمضى الرواية فتقول بأن الشاعر « هاما » أخذ يسأل ذلك الشخص الذى
أدرك أنه من شيراز .

ماذا تعرف من أمر « سعدى » ؟ . فيجيبه بأبيات من شعره الغزلى الذى
كان مشهوراً به . وتنتهي القصة بأن يتعارفا . ويعتذر له « هام » .

أما عن غزلياته — وبخاصة القديمة منها — فإننا نراه يتخلص فيها باسم
سعدى ، ومن المؤرخين من يقول إن هذه الغزليات اشتهر بها « سعدى » قبل
غيرها من ألوان الشعر الأخرى^(١) . وأنها تمثل طور الشباب^(٢) في نظر البعض .
كذلك يظهر من أسلوب بعض غزلياته وروحها ، أنها تشير إلى حوادث
معينة . فيذكر الأستاذ « على أصغر حكمت » أن هناك غزلية لعله أشدها فى أسره
وفيهما يرد تلخيصه كذلك باسم « سعدى » يقول فيها :

«إى موئس روزگارى سعدى رقى و نرقى از ضميرم
إى باد بهسار عنبر بين بوى در پای لطافت تو مسيرم
چون بگذرى بخاك شيراز گو من بفلان أسيرم»^(٣)

فهو يذكر فى هذه الغزلية تلخيصه « بسعدى » فى البيت الأول ، وبأسره
وحنينه إلى موطنه شيراز فى البيت الثالث .

(١) حبيب السير ص ١٣١ . (٢) دائرة المعارف الاسلامية .

(٣) الأستاذ على أصغر حكمت — سعدى ناسه ص ٤٦ و كليات فروغى ص ٦١٧ .

وهناك كثير من غزلياته العربية ، تشف أيضاً عن مدى حنينه إلى موطنه ،
ولعلها قيلت في بيئة عربية ، وخلال بعده عن موطنه أيضاً ، وقبل عودته إلى
شيراز . يقول في إحداها ، ويذكر تخلصه ، وشوقه إلى أهله :

ألا إنما السعدى مشتاق أهله تشوق طير لم يطعه جناح^(١)
وفي أخرى ، وقد شكى بعده وحنينه كذلك :

وها نفس السعدى أولى تحية تبلغكم ربح الصبا حيث حلت^(٢)
فإذا انتهينا إلى وقت عودته إلى شيراز من رحلاته الطويلة . فانه يذكر
حنينه وولمه بها في قطعة فارسية يرد تخلصه في نفس المطلع :

«سعدى إينك بقدم رفت ويسر باز آمد مفتى ملت أصحاب نظر باز آمد»^(٣)
ويظهر أنه كان بالشام كذلك في هذا الوقت فعاد إلى شيراز ؛ إذ يشير إلى
ذلك في قوله من هذه القطعة أيضاً :

«سيلش از شام بشيراز بخسرو مانست كه باندیشه شيرين بشكر باز آمد»
وهكذا عاد سعدى إلى موطنه شيراز عودته التي اطمأن إليها واستقر فيها ،
وقد طاف أركان العالم حتى صارت كلها تتحدث به ، كما يشير إلى ذلك في قوله
متخلصاً أيضاً باسم سعدى في بيته الآتي :

«هفت کشور نمی کنند امروز بی مقالات سعدی أنجمنی»^(٤)
ألا يدل كل هذا على أن الشاعر قرض الشعر في وقت مبكر ، وأنه عرف
باسم «سعدى» في هذه الألوان الشعرية ، التي قرضها في صدر حياته ، وفي أثناء
رحلاته قبل ظهور «سعد بن أبي بكر»؟؟؟

(١) كليات فروغى ص ٤١٦ (٢) نفس المصدر ص ٤١٩
(٣) كليات فروغى ص ٤٣٨ (٤) اقبال - سعدى نامه ص ١٤

الفصل الخامس

رميات الشاعر

لو أن الأمر يمضى فى هذه الرحلات حسب خطة موضوعة ، لغرض جغرافى أو تاريخى ، أو كان الشاعر يرسم خطأً لتنقلاته ، لوضح الأمر فى ذلك ، ولاستطعنا أن نتتبع خطواته ، فنعرف الجهات التى رحل إليها ، وأقام فيها ، وانتقل منها .

ولم يعن الشاعر — من ناحيته — أن يوضح الغرض من رحلاته فيما كتب ، وليس بين أيدينا فى كلامه ما يفصل فى هذا الخلاف ، كذلك لم يكن الشاعر ذا ثراء ينفق على نفسه ، وعلى رحلاته وهجراته الطويلة ، فى أمن المكاره التى يتعرض لها .

ومهما يكن من أمر الخلاف بين النقاد والمؤرخين ، من أن هذه الرحلات كلها أو بعضها لا صحة لها فى الواقع ، لما يحيط ببعضها من مشاق ومتاعب ، ولما كانت تتعرض فيه حياته الشخصية لكثير من الأخطار التى أخذ يصورها فى بعض رحلاته . فالواقع أن بعض هذه الرحلات وقع فعلا ، وتنقل فيها فى أماكن حقيقية ، وجرت له بعض الحوادث ؛ ولكن — مما يؤسف له — أنه لم يذكر بجانب ذلك واحداً من أولئك الأشخاص التاريخيين الذين عاصروه ، وكانت لهم شهرة فى المواطن التى رحل إليها ، من ملوك أو أمراء أو شعراء أو غيرهم . على أننا نلاحظ شيئاً هاماً فى داخل كل قصة يجعل مسرحها بلداً من البلاد ، فالشاعر فى هذه القصص عامة ينتهى منها إلى غرض من الأغراض يتصل بموضوع الباب الذى أقيمت فيه القصة ، وهذا ما يجعلنا نحتاط بين اعتبار الرحلة واقعية

حدثت في الواقع ونفس الأمر، أو أن هناك أمراً ألهم الشاعر لوضع قصة عنها فكان الانتقال إليها .

ودراستنا للأسباب التي يمكن أن تحمل هذا الشاعر ليقوم بتلك الرحلات يستلزم أن نلقي نظرة على أحوال عصره وظروفه الشخصية ، فلعل فيها بعض ما يحمل الشاعر على أن يقوم بتلك الرحلات . فلقد تفتحت عيناه على لون آخر من ألوان الحياة حين بعث به إلى بغداد ، ليستكمل دراسته . فلعل الإقامة في تلك المدينة مدة تحصيله هونت عليه ترك موطنه الأول ، كما حبت إليه الاغتراب فيما بعد ، ففي كل بيئة يعيش فيها يمكن أن يكسب منها كسباً جديداً ، من التعرف على أحوال الناس ، ودراسة شئونهم وما يتصل بهم .

وتصوير حياة الشاعر فيما بعد—وكما نعرف من إنتاجه—تشهد أنه كان رقيق الطبع ، مرهف الحس ، وعلى جانب كبير من نفاذ البصيرة . فما تكاد تحيط به الأحداث حتى تؤثر في نفسه تأثيراً عميقاً ، فيهرب ليجد المنأى من هول تلك الأحداث .

فهل هناك من الأحداث العامة التي حدثت إبان نشأته ، والتي يمكن أن تكون ذات أثر فعال في توجيهه إلى هذه الناحية ؟؟؟ نعم .

نحن نعلم أنه قد أملت بفارس وشيراز نفسها أحداث وخطوب شاهدها من قرب أو سمع عنها . تلك هي الأحداث التي وقعت بين ولي نعمته « سعد ابن زنگي » وبين أعقاب الخوارز مشاهيين ، وهي الحرب التي ظلت تتردد في فارس حتى سنة ٦٢٣ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها « سعد بن زنگي » .

ولعل الشاعر نفسه يفصح عن هذه الحال ببعض أبيات له يرمى فيها إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يتعلق خاطره بمن أحب ولا فيما يقيم ، فإن الدنيا واسعة والناس كثيرون ، وذلك في قوله :

« بهیچ یار مده خاطر و بهیچ دیار که بر و بحر فراخست و آدمی بسیار » (۱)
 كذلك نلاحظ في هذا الوقت أن العالم الإسلامي — في الجانب الشرقي منه —
 قد تعرض إلى هجمات مريعة شنها عليه المغول ، وأخذت جموعهم تكتسح ما أمامها
 في سيل جارف ، وتضغط بأساليبها المختلفة — إن كانت عسكرية أو سياسية —
 على الدول التي واجهتها ، والشاعر نفسه يشير إلى هذه الأحداث التي تحدد أول
 هجرته من موطنه في مقدمة « الغلستان » (۲) .

« ندانی که من در اقلیم غربت چرا روز گاری بکردم در نگی
 برون رقم آرتنگ ترکان که دیدم جهان درهم افتاده چون سوی زنگی »
 وقد رأينا سابقاً دائرة المعارف البريطانية ترى أن الشاعر بدأ رحلاته
 سنة ۶۲۳ هـ ، وليس لدينا ما يرد هذا الرأي ، فإن الشاعر كان إذ ذاك في سن تمكنه
 من أن يمتثل مشاق هذه الرحلات . كذلك رأينا الظروف التي أحاطت به مما
 لعله يحمله على هذه الهجرات .

فإذا افترضنا — من ناحية أخرى — أنه أمضى ثلاثين عاماً في رحلاته الأولى
 التي غادر فيها شيراز ، وانقطع عنها تلك المدة — على فرض صحة هذا الرأي —
 فإن عودته إلى شيراز تكون في حدود سنة ۶۵۳ هـ .

وهذا فرض محتمل فإنه عاد فعلاً إلى شيراز بين سنتي ۶۵۳ هـ و ۶۵۴ هـ
 وأخذ يرتب قطعه التي نظمها خلال تجواله ليضمها كتابه « البوستان » الذي
 قدم إلى « أبي بكر » في عام ۶۵۵ هـ .

والشاعر يقول مشيراً إلى عودته التي كانت في عهد الأتابك أبي بكر وذلك
 في الأبيات الآتية :

« چو باز آمدم كشور آسوده ديدم بلنگان رها کرده خوی بلنگی
 چنین شد در أيام سلطان عادل آتابك أبو بكر بن سعد زنگی »

(۱) کلیات فروغی ص ۴۴۴ . (۲) انظر مقدمة الغلستان — طبعة platts

وهذان البيتان يردان في القطعة التي أشرنا إليها سابقاً . فهو فيها يشير إلى وقت رحيله ، وذلك حين اضطرب العالم الإسلامي ، حتى صار كشعر الزنجي . ثم يحدد وقت عودته حين تحررت النمر من طباعها التي نشأت عليها ، وصارت الحياة سعيدة هائلة في عهد السلطان العادل الأتابك « أبي بكر بن سعد » ولعل ذلك كان في حدود سنة ٦٥٣ هـ كما سبق أن أوضحنا .

ثم في سنة ٦٥٥ هـ يقدم « البوستان » إليه بقوله :

« زششصد فزون بود پنجاه و پنج كه پر در شد این نام بر دار گنج »
والظاهر أن الشاعر أمضى في شيراز — حين عاد إليها وهي تحت حكم أبي بكر — مدة ليست بالقصيرة لا تقل عن عشر سنوات ، فإذا بفارس تتقلب فيها الأحداث من جديد ، وتضطرب فيها الأمور في غير استقرار .

وقد شارك الشاعر — في هذا الوقت — في الحياة العامة ، والتقى بكثير من الحكام ومدحهم أو رثاهم . لكن تقلب الأمور ، وعدم استقرارها ، وسفك الدماء بين أبناء البيت الواحد ، وأخيراً انتقال الملك إلى جماعة ليسوا من الأتابكة ، بل ليسوا من المسلمين في شيء ، وإقامة حاكم جديد على فارس لم يكن من دين أبنائها ، وهو الأمير « أنكيانو » . كل هذا لم يرض حساسية الشاعر فهاجر هجرات عديدة إلى الحجاز ، يؤدي شعائر الحج ، ويحتف من هذه الأتقال التي جثمت على صدره في تطور تلك الأحداث المضطربة ، والتي لم تكن مألوفة أو متوقعة . فرحل من شيراز حوالي سنة ٦٦٣ هـ في رحلة أخرى من بين رحلاته ولعله ركب الطريق إلى بغداد فالحجاز ، فتغنى بهذه الغزلية التي يشكو فيها أن قلبه سئم مصاحبة شيراز ، حين كان يسأل عن أمرها ، وذلك في قوله :

« دلم از صحبت شيراز بگلی بگرفت وقت آنست كه پرسى خبر از بغدادم »

هذه هي السنوات التي يمكن أن نعرف منها بالتقريب متى خرج من شيراز؟ ومتى عاد إليها؟ ومتى خرج منها ثانية؟ .

لكننا مع ذلك لم نعرض نلخط سيره فى مدى الثلاثين عاماً التى افترضنا أنه خرج فيها راحلاً . إلى أين ذهب أولاً ؟ ولماذا تأخير وجهة دون أخرى ؟ وما البلاد التى يمكن أن تربطها رحلة واحدة ؟ وهل كانت رحلاته على دفعات مختلفة ؟ . كل هذه أسئلة تتردد على ألسنتنا ، ولكن حلها يصعب علينا . وكل ما يمكن أن نذهب إليه إنما هو مجرد فروض لا تسعفنا أقوال الشاعر على تأييدها . هذا بالإضافة إلى أنه — كما أشرنا سابقاً — هناك أغراض يرى إليها الشاعر وراء كل رحلة وكل قصة ، فهو يحوك الرحلة أو الحادثة فى قصة ، وسرعان ما ينتهي فيها إلى الغرض المقصود من اختيار المكان لها .

ومن المعروف أن كتاييه « البوستان والغلستان » هما المجال الذى عرض فيه هذه الرحلات ، ويلاحظ أن الشاعر قد تحدث — غير مرة — عن بلد رحل إليها ، ولا نستطيع التأكد أكانت هذه الوقائع التى ذكرها فى قصصه ، حدثت فى رحلة واحدة ، أو أنه أعاد إليها مرات أخرى فتحدث عن هذه الوقائع المختلفة ؟ أما من حيث الجهات التى ذكرت فى كتاييه ، فإننا نتكلم عنها فى شىء عام . فقد تكلم عن حوادث وقعت له فى إيران شمالاً وجنوباً مثل أصفهان والرى وكيش ، وبلاد تجاور إيران شرقاً وتقع فى التركستان والهند وذلك مثل كاشغر وبلخ وسومناث .

وبلاد تجاور إيران غرباً ، وتقع إما فى العراق أو فى الشام أو فى الحجاز أو فى اليمن .

ثم هناك بعض القصص التى تدور حول حوادث وقعت له فى مصر وبلاد المغرب والحبش .

وهنا يعرض لنا هذا السؤال .

إلى أى الجهات رحل أولاً ؟؟؟ ؟

والاقتراض في هذه المسألة لعله يؤدي إلى نتائج سليمة إذا ما لاحظنا ظروف ذلك العصر .

تبين لنا أنه تحدّث عن بلاد شرقى إيران وغربها ، وعن بلاد في الشمال منها والجنوب ، كما رحل إلى بلاد نائية غير هذه وتلك .

فهل يمكن أن يكون الشاعر رحل إلى البلاد الشرقية من موطنه في الوقت الذي افترض رحيله فيه ؟ نحن نعرف من ظروف البلاد التي تقع شرقى إيران وقت بدئه الرحيل سنة ٦٢٣ هـ أنه لا يمكن الذهاب إليها والتجول خلالها ، وكيف يمكنه ذلك والناس يفرون من وجه الغزو المغولى في ذلك الوقت إلى البلاد العربية ؟ ؟ ؟

ولقد تحدّث الشاعر في كتابه « الكلستان » أنه أسرى الشام ، ورأينا أن تلك الحادثة قد وقعت له فيما بين سنة ٦٢٧ هـ و٦٢٨ هـ . ولهذا يمكن أن نطمئن إلى القول إنه ذهب في بدء رحلاته إلى البلاد التي تقع غربى إيران ، وأنه قصد الشام فعلا ، ومكث بها حتى أسروا انتهى أمره إلى حلب ، حتى تعرف عليه أحد أعيانها فخلصه من الأسر وزوجه من ابنته ، فلما أساءت حياته طلقها وهاجر من الشام كما أسلفنا .

ولهذا نسلم بأن البلاد التي رحل إليها أولاً كانت إلى الغرب من إيران . كذلك نسلم بأن كل البلاد التي وردت في كتابه وتقع في إيران نفسها أو في الشام والعراق والجزيرة العربية — شمالاً وجنوباً — من الممكن أن تكون حوادثه فيها من قبيل الواقع وأنها ألهمت الشاعر لعمل قصة مناسبة . أما الأماكن النائية — شرقاً وغرباً — فالظاهر أنه لم يرحل إليها ، وذلك لما نلاحظه من عدم الاتساق في وقائع هذه القصص .

ونحن يمكننا أن نأخذ بعض هذه القصص فنلاحظ عدم اتساقها مع الواقع التاريخي أو العملي .

١ — فمن ناحية الوضع التاريخي يمكننا أن نلاحظ في قصته دخول جامع «كشغر» في السنة التي اصطلح فيها السلطان «محمد خوارزم شاه» مع «الخطا»^(١) أن هذه القصة لم تقع . فهذه الحادثة قد حدثت سنة ٦٠٤ هـ^(٢) ورأينا أن الشاعر قد ولد في حدود سنة ٦٠٠ هـ فكيف يمكن وقوع تلك الرحلة في ذلك التاريخ ؟

٢ — أما من ناحية الواقع العملي في بعض القصص فإننا نأخذ قصة معبد «سومنا»^(٣) بالهند ، وقصته في بلاد المغرب^(٤) ، حيث يحكى في الأولى تعرضه للقتل بعد دخوله أحد المعابد على صورة لا يتيسر التسليم بها ، كما حكى في القصة الثانية استعانة الرجل الصوفي بسجادة ألقاها على الماء فحمله وطاف عليها .

وهنا تعرض لنا مشكلة وهي ، كيف يقص لنا قصة عن رحلة وقعت حوادثها له والرحلة لم تقع ؟ وتفسير ذلك سهل إذا ما لاحظنا أن كل فكرة عن رحلة لجهة من الجهات ، وراءها معنى من المعاني التي ألهمت الشاعر فاختار لها المكان المناسب . وهنا ينبغي أن نلتفت قليلاً إلى ما يمكن أن يشتهر به المكان الذي قصد إليه . فكل مكان تخيره الشاعر تخيره له قصة تلاممه ، كما أن كل شخص — يتخيره الشاعر لقصة من القصص — لابد أن يكون ملائماً لنوع القصة التي اختارها له . وهنا تبدو براعته في حبك القصة .

(١) كليات فروغى — گلسان ص ١٦٦ .

الخطا جماعة من الأتراك نشبت بينهم وبين ملوك خوارزم حروب طاحنة وكانت عاصمتهم «كشغر» .

(٢) انظر حوادث سنة ٦٠٤ هـ في ابن الأثير .

(٣) كليات فروغى — بوستان ص ٣١٣ .

(٤) كليات فروغى — بوستان ص ٢٣٣ .

وماذا يمكن أن يعرض لذهن الشاعر في اختياره مادة القصص التي أشرنا إليها سابقاً؟ ولماذا تخير هذه الأماكن بالذات؟

فأما قصة دخوله جامع « كشعر » ورؤيته فتى يقرأ « مقدمة الزنجشري » في النحو، ويكرر المثل المشهور « ضرب زيد عمراً ». وذلك في السنة التي اصطلاح فيها « السلطان محمد » مع « الخطا ». فقد رأينا بُعد وقوعها من ناحية الواقع التاريخي . ولهذا لا بد لنا أن نرد وقائع هذه القصة إلى أسباب أخرى . يريد الشاعر أن يذكر قصة عن النحو ، فلا بد أن يتخير لها مكاناً مناسباً يجري فيه حوادث القصة . وأى مكان مناسب لذلك ؟ لو تخير الشاعر مكاناً عاماً أو عادياً لما كان في ذلك براعة في الاختيار، فلا بد أن ينتقل إلى مكان يلائم وقائع القصة . ولهذا نراه قد تخير لها مكاناً ملائماً لمادة القصة ، حيث بلاد ماوراء النهر — موطن الزنجشري صاحب المقدمة — فيرحل إلى مدينة من أشهر مدنها ، ويدخل مسجداً من مساجدها ، فيرى الفتى الجميل يكرر ذلك المثل المشهور . وهنا موضع الرمز في القصة ، وفكرة الانتقال إلى ذلك المكان . ثم يعقب الشاعر في مناقشته للفتى بعبارته التهامكية اللاذعة « يابني تصالحت خوارزم والخطا . وبقيت الخصومة حتى اليوم بين زيد وعمرو » وهذه هي إحدى النكت التي وضعت القصة من أجلها . ثم يعن الشاعر في التهامك والسخرية ، فحين يسأله الفتى عن موطنه يجيبه الشاعر « أرض شيراز » . فيسأله الفتى عن أبيات « لسعدى » ؛ فيجيبه بأبيات عربية فيها كثير من المصطلحات النحوية في قوله :

بليت بنحوى يصول مغاضباً . على كزيد في مقابلة العمرو
على جرّ ذيل ، ليس يرفع رأسه وهل يستقيم الرفع من عامل الجرّ؟
ولكن الفتى وجم ، وغرق في التفكير ، عله يجد حلاً لمعرفة هذين البيتين
فلا يفهم ، فيسأل الشاعر قائلاً : إن غالب شعر « سعدى » في هذه البلاد

بالتأريسية ، فلو قلت بها فأنا لها أكثر فهماً . وهنا موضع نكتة أخرى ، وهو أن
الفتى لا يفهم العربية التي يدرسها مثل ما يفهم الفأريسية . ويقول للشاعر « كلم
الناس على قدر عقولهم » .

أليس هنا أيضاً مقصود آخر يرمز إليه الشاعر من وضع قصته ، في أن النحو ،
على هذا الوضع بل العربية ، في غير متناول فهم فتى في مثل ذلك السن ومثل
تلك البيئة . ؟؟

والشاعر يجيب الفتى بيتين من الفأريسية هما مفتاح المغزى المراد من القصة .
فالمصة موضوعة في باب « العشق والشباب » ، والبيتان يشيران إلى هذا .

طبع ترا تاهوس نحسو كرد صورت صبر أزدل ما محو كرد
أى دل عشاق بدام توصيد؟ ما بنو مشغول وتوبا عمرو وزيد (١)
ومعناها « منذ شغل طبعك بالنحو ، محوت الصبر من قلبنا . يامن وقع قلب
العشاق بشبا كه ! نحن بك مشغولون ، وأنت مشغول بزید وعمرو » .

رأينا من هذه القصة أنها ترمي إلى مقاصد أخرى تلامم اختيار المكان ،
وأن المكان قد تخيره الشاعر لذاته ، للملاءمة حوادث القصة من جميع جوانبها .
ونستطيع بهذا أن نفسر أيضاً اختياره لبقية الأماكن ووضعه قصصاً تلاممها .
يمكننا أن نفسر أيضاً اختيار الشاعر لمدينة نائية بالهند وهي مدينة « سومنات » .
حيث هي مقر عبادة وثنية ، تقوم على عبادة الأصنام ، ويتبعها ملايين الناس بالرغم من
وجود ديانات أخرى سماوية .

فإذا يعنى الشاعر من وضع هذه القصة ؟ ولماذا تخير لها هذا المكان ؟ .
وهل يمكن أن يكون — حقيقة — ذهب إلى تلك الجهات النائية ،
وتعرض لهذه الأهوال التي يصفها في تلك القصة ؟ .

(١) كليات فروغى — گلستان ص ١٦٦

ونحن إذا استطعنا الإجابة على هذا السؤال وحده أمكننا أن نحل أمر هذه القصة ..

رأينا سابقاً أن الشاعر بدأ رحلاته في سنة ٦٢٣ هـ ، وأنه اتجه نحو البلاد الغربية ، ولم يتمكن أن يرحل إلى البلاد الشرقية ، وعلى الأخص البلاد النائية . كما أن وقائع هذه القصة — من سياقها — يباعد بين حدوثها ، فلا بد أن تكون هناك فكرة خطرت للشاعر فألهمته هذه القصة ، واختيار هذا المكان لها . والواقع أن الشاعر أحس بأن في إحدى نواحي العالم المجاورة لمملكته عالم آخر لا يزال يعبد العبادة المجسمة ، وهذه العبادة يتبعها ملايين الناس ، وإن كانوا في غفلة من أمرها . هنا تملكته دهشة ، كيف — وهم ذوو عقل وروح — يعتقدون فيما لا روح فيه ولا عقل له ؟

أفليس في الامكان — أيضاً — العمل بأى الوسائل على تحطيم هذه الأصنام ، ونشر الإسلام ، كما حطمت أصنام الجاهلية وعلى رأسها منات التي يتمثل بها . ؟ أفلم توح إليه بقايا هذه العبادة أن يقوم أحد ملوك الإسلام بفتح تلك الجهات ، ونشر الدين هناك ، وتحطيم تلك الأصنام كما حطم بعضها « محمود ابن سبكتكين » من قبل ؟ .

كل هذه أمور. تلهم في الشاعر فكرة لوضع قصة .

وهذه القصة ترد في « البوستان » في الباب الثامن ، وهو « الشكر على

العافية » يتختم بها هذا الباب ومطلعها .

بتي دبدم أزجاج در سو منات سرصع چو در جاهليت منسات
فرو ما ندم از كشف آن ما جرا كه حبي جهادى پرستد پسرا ؟

ففي البيت الأول قابل بين صنم مصنوع من عاج وبين « منات » ، في أصنام الجاهلية . وفي البيت الثاني أظهر مبلغ حيرته من كشف ذلك الأمر ، كيف يعبد حيّ جماداً لأحياة فيه ؟؟؟ .

أهل ذلك هو الذي حدا بالشاعر أن يؤلف تلك القصة ، فقد اضطرت في نفسه الرغبة في القضاء على هذه الديانة الوثنية ، كما بدت عليه الحيرة في أن يعبد الأحياء ذوو العقول المفكرة ، هذا الجماد الذي لا روح فيه ولا حياة به ، وفي سياق القصة يذكر الشاعر أنه — بعد أن أخذه الشك في أمر تلك العبادة ، وذلك الصنم الذي كان يحرك يديه ، استجابة لدعوات الجاهير — أراد أن يكشف الأمر في هذه المسألة . فيقول إنه دخل المعبد تحت ستار من عيون الرقباء ، بعد أن رحل جميع الأنباع عن مكان العبادة ، فغافل الشاعر الناس والحراس ، ودخل المعبد وظل يجوس خلاله يميناً ويساراً ، حتى لاح له أن هناك ستارة من ذهب ، فلمح من خلفها حبلاً يتصل بالصنم ..

هنا أدرك السر في كل شيء ، وأدرك كيف يتوّه القائمون بأمر تلك العبادة على اتباعها ؟ فيحركون أيدي الصنم ، وهو لا يملك أن يتحرك إلا في معجزة . ثم يمضى الشاعر في القصة ، فيقول إن حارس المعبد قد كشف أمره ، فهمم بالقضاء عليه حتى لا يفضي سر تلك العبادة ، ولكن « السعدى » كان أسرع منه فقفذه في بئر ، داخل المعبد فأودى بحياته ، ثم يهرب من هناك إلى جنوب الهند ، ومنها إلى اليمن والحجاز .

وهناك أمور لا بد من الوقوف عندها ، ولعلها تساعد على مدى اصطناع هذه الحادثة وأنها ليست من قبل الواقع ، إذ كيف يمكن أن يدخل الشاعر ذلك الدير ويترك فيه وحده ؟؟؟ وأين الحراس الذين يقومون هناك ويلتفتون حول هذا المعبد العظيم ليلاً ونهاراً إما للتبرك وإما للحراسة ؟ وكيف غافل الحراس ؟ وهل لم يكن في الدير غير ذلك الحارس الذي قضى عليه « السعدى » كما يقول ؟ وكيف أسعفته الفرصة فيسرع هو في القضاء على الرجل قبلتيه في بئر فيهلكه ؟ . كل هذه أمور تجعل التسليم بوقائع القصة أمراً بعيد الاحتمال . ولكنها

في الوقت نفسه تلتئم مع الغرض الذي من أجله وضعها في الباب « وهو الشكر على العافية »^(١).

وأما قصة ذهابه إلى بلاد المغرب ، هو وصاحب له من متصوفة المشرق من مدينة « فارياب » .

بماذا يمكن أن تشير؟ وما هي الأمور التي تعرف عن بلاد الغرب؟ وكيف تنسجم مع مجرى القصة التي تخبرها لتقع في تلك البلاد؟

وإطلاق كلمة مغرب في هذه القصة يشعر بأن المقصود منها إحدى البلاد في شمال أفريقيا ، فهذه البلاد عرفت في البيئة الإسلامية ببلاد المغرب . كما أنه يشتهر عنها أنها الموطن الذي تجرى فيه الأمور الخارقة للعادة ، فهي موطن السحر . وموطن الأمور التي لا يستطيع تفسيرها في الظاهر عند الإنسان ، وإن كان هناك ما لا يمكن أن يدرك الإنسان سره ، لأن الإنسان العادي قاصر بطبعه عن إدراك المسائل التي فوق مستواه وبعد إدراكه .

ونسج القصة يشير إلى عدم إمكانها واقعياً . وهي ترد في « البوستان » في الباب الثالث « باب العشق »^(٢) ومطلعها :

قصارا بن وپیری از فاریاب رسیدیم در خاک مغرب به آب
وملخص هذه القصة أن الشاعر رافقه رجل من شيوخ « فارياب »
الصوفيين الذين يعرفون « بالأبدال » . ينتقل الشاعر معه إلى بلاد المغرب ،
ويجري القصة هناك .

(١) يرى الأستاذ شبلي نعماني في كتابه « شعراء العجم » رأياً نفصل في هذه القصة أيضاً بالإضافة إلى ما رأيناه . وهو أن الهنود لا يتخذون العاج في صناعه أصنافهم لما برونه فيه من النجاسة . فلو صح هذا ، فهو الفاصل في مدى صحة وقوع هذه الرحلة ، وإن لم يؤثر ذلك في مدى الغرض منها . انظر ص . ٤ في ترجمته حبات سعدى .

(٢) كليات فروغی ص ٣٠٣ .

ويقول إنهم أرغبوا في ركوب البحر فكان لدي « السعدي » بعض المال الذي دفعه كله مقابل الركوب في سفينة ، ولم يكن مع الشيخ ما يدفعه لقاء ركوبه . ولم يرض الملاحون أن يأخذوه معهم . فبكى « السعدي » من أمر صاحبه ، ورق لحاله . ولكن الرجل قهقه ضاحكاً ، وقال له لا تغتم من أجلي .

وهنا نقول القصة إن الشيخ ألقى بسجاده على سطح الماء ، وطاف عليها حتى ظن « السعدي » من فرط دهشته ، أن ذلك خيال لا حقيقة ، وسرعان ما يصرف الشيخ عن الشاعر هذه الدهشة ، فيقول له إنك لأعرج ، تطلب الوسيلة للانتقال ، ولكنني سبحت بقدره الله على الماء .

بگسترده سجاده بسر روی آب خیا لست پنداشتم یا بجاواب
تولنگی بیجوب آمدی من پهای ترا کشتی آورد وبارا خسداى

ثم ينتقل الشاعر إلى أن ذلك الأمر — وإن كان غير ميسور للرجل العادي — فإنه ميسور « للأبدال » الذين هم رجال الله ، يسرون بقدرته ، ويعتقدون في جبروته وقوته ، فهو الذي يمكنه أن يسير بهم على وجه الماء ، ويحفظهم من النار .

چرا أهل معنی بدین نگر وند که ابدال در آب وآتش روند
ونستطيع أن نخرج من كل ما لاحظناه في وقائع هذه القصص ، أنه لا يلزم من كل بلد ذكرها الشاعر في رحلاته ، أنه رحل إليها فعلاً ، وأن القصة التي أقامها حولها قصة من قبيل الواقع . فقد رأينا بعض الصعوبات التاريخية والعملية ، التي تمنع من وقوع هذه الحوادث ، وإنما كان اختيار المكان في القصة أمراً مقصوداً لذاته . ففي كل رحلة ينتهي إلى المعزري المقصود من وضعها ، وهذا المعزري هو الذي يضمنه — عادة — نهاية القصة .

العلماء والأدباء الذين لقيهم الشاعر

أشرنا سابقاً إلى الرأي الذي يعرض لشيوخه في بغداد ، وكان أهم هؤلاء

وأظهرهم شخصيتين هما « ابن الجوزي » المتوفى سنة ٦٥٦ هـ الذي اشتغل في النظامية ببغداد وانتقل إلى وظيفة الحسبة رداً من الزمن .

وقد أشار الشاعر إلى « ابن الجوزي » هذا في كتابه « الكلستان » ، وأنه تلقى عليه حال عصفوان شبابه ، ويرد ذلك في الباب الثاني « أخلاق الدراويش » وليس هناك ما يمنع من تاريخ الشاعر ، وانتقاله للتعليم ببغداد من وجود صلة بينه وبين « ابن الجوزي » هذا أيام أن كان يشغل التدريس بالنظامية .

والشخصية الثانية التي يقال إنه تلقى عليها هي « أبو حفص عمر بن محمد الملقب بشهاب الدين السهروردي » ينتهي نسبه إلى « محمد بن أبي بكر الصديق » ويقول عنه ابن خلكان « كان فقيهاً شافعي المذهب ورعاً كثير الاجتهاد . تخرج عليه كثير من الصوفية . صحب عمه أبا التجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ وكان شيخ الشيوخ ببغداد وله مجلس وعظ . وله تواريخ حسنة أشهرها عوارف المعارف ^(١) وقد توفي سنة ٦٣٢ هـ ببغداد . »

والشاعر يعرض لقصته في كتابه « البوستان » مشيراً فيها إلى اسمه بقوله :
مقالات مردان بمردي شسنو نه سعدي كه از سهر وردى نشو
مرا پير دانای مرششد شهاب دو آند رز فرمود بسرروي آب
، أما صلانه بمن التقى بهم في رحلاته من الشعراء الذين عاصروه ، فانا نأخذ ذلك مما أورده الرواة وكتاب التذكار ، فإن الشاعر لم يعرض في كتاباته لواحد منهم . وبالرغم من أن هناك جماعة من الشعراء الإيرانيين ، أصابوا شهرة واسعة في حياتهم ، وكانوا يعاصرونه فلم يهتم الرواة إلا بثلاثة منهم في روايات مختلفة ، كل منهم يمثل قطراً من الأقطار هم « هام التبريزي » من شمالي إيران ، والأمير « خسرو الدهلوي » من الهند « وجلال الدين الرومي » من قونية في آسيا الصغرى .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٠

وتحيط بكل واحد من هؤلاء قصة في سبب اتصاله بالشاعر ، ويذكر الرواة قصة لقائه « بهام » وهي إحدى الملاح الطيبة التي يوردونها لتصوير لقاءهما وقد أشرنا إلى القصة سابقاً .

ولكن الرواية ممضى فتجعلهما يتعارفان ، ويرحب « بهام » « بالسعدي » ويتبادلان الغزليات الرقيقة التي كان « سعدي » مشهوراً بها إذذاك ، وتقال إعجاب « بهام التبريزي » .

أما لقاءه « للأمير خسرو الدهلوي » فيذكر دولتشاه ، كذلك في ترجمته للأميررواية عن كتاب « جواهر الأسرار للشيخ آذري » تدل على مدى ما يمكنه الشيخ — وهو في أخريات حياته — من التقدير للشاعر الهندي الناشئ « خسرو الدهلوي » حتى يقال إنه — وهو في سنه الكبيرة — رحل من فارس إلى الهند لرؤيته ومشاهدته ، وثبتت من ناحية أخرى أن « خسرو » كان يقدر الشيخ تقديراً كبيراً ، وأنه ود لو استطاع أن يقلده ، وذلك من عبارته .

خسرو سريست أندر ساغر معني بريخت

تسيره أزمخانه سستی که در سیراز بود

وفي قوله : جلد سختم دارد شیرازه شیرازی (١)

ويورد « الكرگانی » رواية أخرى في إثبات ما كانا عليه الشاعران من صلوات ، فإنه في الوقت الذي اختار فيه السلطان « محمد بن غياث الدين بلبن » مدينة « مولتان » عاصمة له رغب إليه « الأمير خسرو » في الإرسال إلى الشيخ « سعدي » وبعث إليه بمال وديوان « الأمير خسرو » ولكن الشيخ وزع المال على الفقراء وبعث للأمير بقطعة شعر بة يجيبه على دعوته معتذراً^(٢) .

(١) دولسياه ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٢) الكرگانی — مقدمة الكليستان ص — ما .

أما تصوير لقائه « بجلال الدين الرومي » فينقل « الكرگانی » عن «روضات الجنات» ملخص القصة . ونحن نورد لها عنه ؛ ذلك أن الشيخ وصل في أحد أسفاره إلى « قونية » مقر « مولانا » ونزل مكانا فأقام به ، ثم حدث أن نظم مصراعاً من غزلياته هو :

سر مست اگر در آی عالم بهم بر آید

ولم يتمه ، وتصور الرواية أنه قدم إلى « مولانا » فوجده في حال من الوجد . فقرأ « مولانا » هذا المصراع وأتمه بالمصراع الثاني ، فلما سمع الشيخ ذلك ، عرف أن مولانا صاحب كشف وإطلاع باطنی ، فزاد فيه اعتقاده ^(١) .

ويبدو أن في رواية « هام التبریزی » اصطناع للحادثة ليفهم منها أن شهرة « سعدی » في الغزل تسبق شهرته الشخصية عند الشعراء . كما اصطنعت الرواية الثانية لتبين مبلغ طموح « الأمير خسرو » في تقليد الشاعر ، أو أنه كان من الشهرة بحيث يطمع الشاعر في الانتقال إلى الهند ليلتقي به تقديراً له ، واصطنعت قصته مع « جلال الدين » لتصور هذا صاحب كشف غيبي وإلهام .

وعلى كل ، هذه مجرد روايات يصح أن يكون لها نصيب من الواقع أو لا يكون . ومن حيث تاريخ الشاعر نفسه ، فليس ما يمنع من صلته بهم ، كما أننا نعرف أنه كان يرحل وفي قدرته أن يذهب إلى تلك الأماكن لو أراد ، وما دمنا لا نجد من إشارات الشاعر نفسه ، ما يؤيد لقاءه بهم فيبقى الاقتناع بهذه الروايات معلقاً .

أما علاقات الشاعر برجال السياسة والحكم فإننا عرضنا لها سابقاً ، وهذه لا تأتي من كتابيه « البوستان والگلستان » ولكنها ثابتة من قصائده التي قالها فيهم ، وقد عرضنا لأهم هذه الشخصيات سابقاً .

(١) نفس المصدر ص - . يب .

الفصل السادس

مبارة الألفية

طالت حياة الشاعر فامتدت ما بين سنتي ٦٠٠ - ٦٩١ هـ كما ذكرنا سابقاً وهي حياة - كما رأينا - طويلة . ومع ذلك فقد وجدنا من الرواة والمؤرخين من يغالى في تقديرها إلى أكثر من ذلك .

وكان مجرى حياة الشاعر من جانب ، وطهارة ، من جانب آخر ، وعدم السير بها على منهج واحد ، كل ذلك كان .

أن يقسموا حياته إلى فترات ثلاث ، امتدت ٥٠ و أو أربعين عاماً على خلاف .

ويجربى تقسيم تلك المدة على هذا الوضع . مدة التحصيل ، ومدة الرحلات ، ومدة التأليف والاعتكاف .

وقد صورنا بقدر الإمكان سيرته في مدة التحصيل والرحلات .

أما المدة الأخيرة فيبدوها الرواة عند عودته من رحلاته الطويلة ، ويجعلونها

في حدود سنة ٦٥٣ هـ .

وليس بلزم في نظرنا تقسيم حياته على الوضع الذى ذهب إليه الرواة سابقاً ، فإن أوضاع الحياة نفسها لا تخضع لمثل هذه الموازين ، وإنما هي أمور تقريبية . ونحن وإن كنا لا نجاريهم في التحديد الزمنى الذى التزموه ، نجاريهم من ناحية أخرى في التقسيم نفسه . ومن الممكن أن يكون هذا التقسيم صالحاً لكل شخصية من قارب أو من بعيد ، لكنه في تلك الشخصية ممكن إلى حد بعيد .

ولعل ذلك هو الذى حدا بالرواة ورجال الطبقات إلى أن يظهره على هذا النحو الذى مضى .

ونحن إذا سلمنا بهذا الرأى الذى ذهب إليه هؤلاء ، وجعلنا سنة ٦٥٣ هـ هى أول الفترة الأخيرة من حياته . فماذا يمكن أن يكون من عمل الشاعر فى تلك الفترة الطويلة التى امتدت كذلك حتى سنة ٦٩١ هـ قرابة أربعين عاماً ؟ . . .

من الممكن أن تميز أعماله فى تلك الفترة ، وإن كان الرواة لا يشيرون فيها إلا إلى الاعتكاف ، والعمل على مساعدة المعوزين ، وزيارة رجال الدولة وكبارها له فى معتكفه من وقت لآخر ، كما يسندون له أموراً خارقة للعادة^(١) .

والواقع أن الشاعر لا يمكن أن يكون قد آوى إلى معتكفه النهائى ليقم فيه دون أن يخرج من شيراز طوال ذلك الوقت ، فلعله خرج منها فى بعض رحلاته إلى الحجاز تلك الرحلات التى لم تنقطع ، والتي يقول عنها الرواة إنه حج فيها أربع عشرة مرة .

ومن المؤكد كذلك أنه صرف وقتاً طويلاً فى نظم بعض أشعاره فى تلك المدة الأخيرة ، ونخص بالذكر منها مدائمه ومرثيه ، فهى كلها قد نظمت بعد عودته من رحلاته كما لاحظنا سابقاً .

كما أنه نظم قطع كتابيه « البوستان » و « الغلستان » فى أعقاب عودته وبوبهما ، قبل أن يقدمهما إلى صاحبيهما . والمعتقد أنه نظم كثيراً من قطع « البوستان » قبل أن يقدم إلى شيراز فى عودته إليها ، ولكن تنظيمها وتبويبها لم يتم إلا حين عودته ، وحين رغب أن يقدم هذا الكتاب إلى الأمير .

وقد لاحظنا كذلك أنه ظل ينظم الشعر حتى سنة ٦٨١ هـ ، كما رأينا سابقاً عند الكلام على مدائمه .

(١) دولتشاه ص ٢٠٢ - ٢٠٣ طبعة ليدن .

وليس ما يمنع عندنا من أن الشاعر ظل ينظم الشعر بعد هذا التاريخ ، فقد امتدت الحياة به عشر سنوات أخرى ، واتسع وقته لإنشاد بعض الشعر ، ولم تسكت طبيعته الشعرية .

أما الألوان التي يمكن أن نقول إنه ظل ينظمها في ذلك العهد ، فهي إما في غزلياته الصوفية وبخاصة المعروفة « بالخواتيم » ، أو في القطع الأخرى من « المثنويات » ، فلم يثبت له نظم في القصائد مدحا أو رثاء بعد ذلك التاريخ .



الفصل السابع

General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
التنظيم العام لمكتبة الإسكندرية

مقبرة ومرقد

يقول دولتشاه عن مقبرته ، إنها تقع في شيراز بمكان مفرح ، فيه حوض صاف وعمارة لا نظير لها ، وللناس ميل لزيارتها ، وذلك في عبارته :

• وتربت شيخ سعدى أكنون در شيراز جائى فرح بخشى وحوضى باصفاست .
وعمارت بى نظير آنجا واقع است ومردم را بدان مرقد إرادتست (١) .

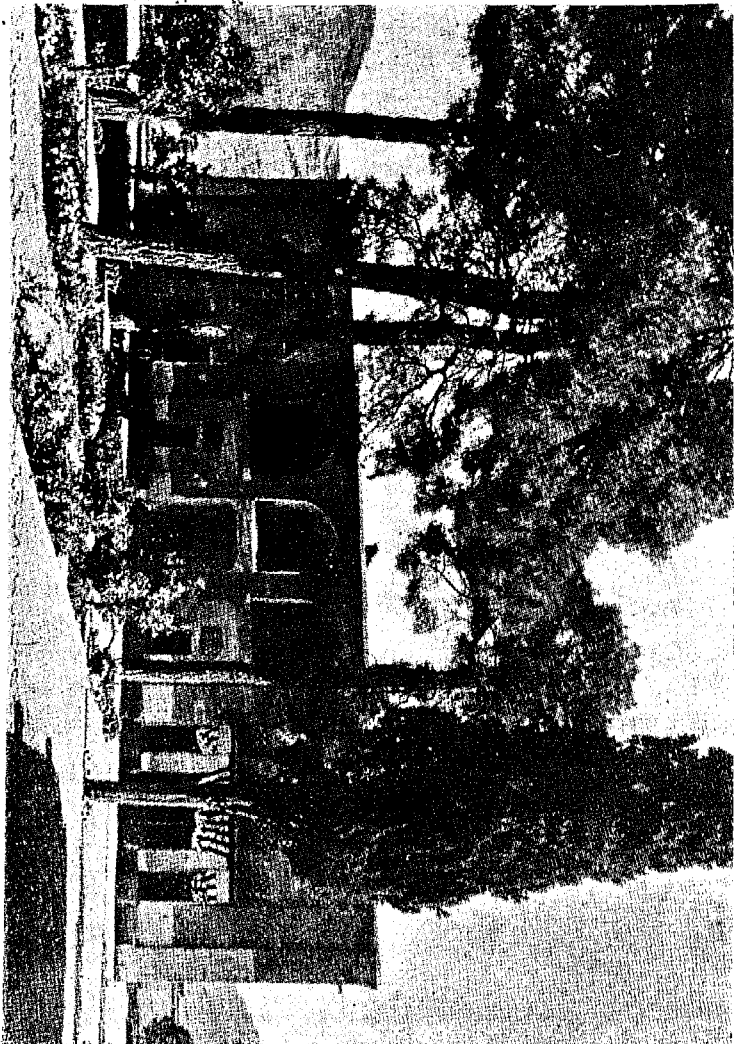
وقد شاهد ابن بطوطة مرقده في رحلته إلى شيراز سنة ٥٧٢٧ هـ . إذ يقول «ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدى ، وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي ، وربما ألمع في كلامه بالعربي ، وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع ، حسنة بداخلها بستان مليح ، وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف « بركن آباد » وقد صنع الشيخ هناك أحواضاً صغيراً من المرمر لغسل الثياب ، فيخرج الناس من المدينة لزيارته ويفسلون ثيابهم بذلك النهر ، وينصرفون ، وكذلك فعلت عنده» (٢) .

وينقل الأستاذ « الكرگاني » عن صاحب كتاب « طرائف الحقائق » أن مقبرته مزار من كثير الرواد . يقع شمالي شرقي المدينة على بعد نصف فرسخ ، وتهدم ذلك البناء من توالى الحوادث ، وعمره « كريم خان الزندى » سنة ١١٨٠ هـ (٣) .

(١) تذكرة الشعراء ص - ٢٠٩ . طبعة ليدن .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص - ١٣٦ . المطبعة الأزهرية .

(٣) الكرگاني - مقدمة الكملستان ص م .



« فريخ الشعاع » سمدي التيرازي « بشيراز عن كتاب « سمدي نامه »

ويذكر الأستاذ « سروش » في ترجمته لكتاب « حيات سعدى » الذى ألفه بالأردوية الأستاذ « حسين أطفاف » عن السائح الانجليزى « فرانكلين » أنه ذهب إلى شيراز سنة ١٧٨٦ م . وقد ذكر أن مدفن الشيخ يقع فى الجهة الشرقية ، على بعد ميل فى طرف جبل خارج شيراز .

وعمارته مربعة ، وقبره من الحجر ، فى طول ستة أقدام فى عرض قدمين ونصف ، وعلى جدر المقبرة عبارات بخط النسخ فى تاريخ الشيخ ومصنفانه ، وفى أعلى الضريح طلاء نقش عليه أحد أبيات الشيخ بخط « نسخ التعليق » .

ثم يضى فيقول — « إن المسلمين يزورون مقبرته من أطراف الدنيا وينثرون عليه الورد ، وقد وضعت فى مقبرته إحدى نسخ كليانه . وعلى الجدار أبيات من شعر الشيخ كتبها الزوار ، وقد خربت المقبرة بمرور الزمن » ثم ينتهى فى عبارته إلى القول بأن كثيراً من مقابر العطاء يحيط بها فانهم أوصوا بذلك^(١) . كذلك يذكر المؤلف فى موضع آخر أن « كريم خان الزندى » أقام سوراً على قبور جماعة مجهولين بشيراز ، وعلى الباب رسم « للسعدى وحافظ » فى نصف صورة لها ، وقد نقل « الكابتن كلارك » فى ترجمته لكتاب « البوستان » هذه الصورة ، ويبدو فيها أن الشيخ يمسك بإحدى يديه كشكولا وبالأخرى « تبرى »^(٢) وهو علامة خاصة بالمسافرين^(٣) .

وفى سنة ١٨١١ م ميلادية حينما عين السير « گور أوسلى » سفيراً لدى بلاط إيران من قبل جورج الثالث فى عهد « فتح على شاه القاجارى » أقام بضعة أشهر بشيراز ، وزار قبر الشيخ ، فلما شاهد المقبرة لم يصدق ما قاله « فرانكلين » . فإنها

(١) سروش — حيات سعدى ص ٢٧

(٢) تبر — مثل فمر آلة معروفة تكسر بها الأشجار ويقطع بها ما يخنطب — نوبهار

(٣) سروش — حيات سعدى ص ١٢

كانت قد خربت ولم ير أثراً للحديقة والأشجار التي كانت بها . ويقول :
« إنه فكر في أن يعيد تشييد المقبرة بمبلغ قليل ، لما كان في نفسه من تقدير للشيخ ،
ولكن الإبن الخامس لشاه إيران وهو « حسين علي ميرزا » الذي كان والياً
على فارس ، منعه من القيام بهذه المهمة ووعده أن يعمرها ، وقال إنه سيقوم
بتعميرها على نسق مقبرة « حافظ » التي قام بتشيدها « كريم خان » . ولكن
لم يفعل^(١) . »

هذا ما أثبتته المؤرخون والرحالة عن مقبرته ومكانها حتى مطلع القرن الماضي .
أما مقبرته الآن فلم نعثر بعد ذلك على نص هام — يضيف جديداً — من
كتبوا عنها من الإيرانيين أو غيرهم .

(١) سروش . حجاب سعدى ص ٥٧

الفصل الثامن

عقيدة سعدى

كان سعدى إنساناً بكل معنى الكلمة ، يشعر بأنه أحد أعضاء المجتمع ، لا فرق بين أن يكون على دين ودين ، أو على عقيدة وعقيدة ، أو على مذهب ومذهب ، ومن هنا كان رجلاً للجميع ، وكان أدبه أدباً للجميع . يحب الناس كلهم ، ويرى أنه وإياهم من طبيعة واحدة ، ولهذا كان سامى الفكرة ، لطيف الحس ، مشرق الضمير .

وفى قطعة من شعره ، يقول إن بنى آدم جميعاً كلهم لبعض ، فهم فى خلقتهم من جوهر واحد ، إذا بدا لعضو أن يتألم فإن أعضاءه الأخرى تشاركه المحنة والألم ، والإنسان الذى لا يعتم لمحنة الآخرين مجرد من الآدمية . يقول :

بنى آدم أعضاى يكذب يكرنسد كه در آفرينش زيك گوهرنسد
چو عضوى بدرد آورد روزگار دگر عضوها را نماند تـسـرار
نسوكز سختى ديگران بيغمى نشايد كه نامت نهند آدمى (١)

وتبدو للشاعر آراء ، يفاضل فيها بين الصوفية والعلماء ، فالعالم فى نظره أفضل من الصوفى . وفى قطعة له يصور هذه المسألة ، يرى فيها أن صوفياً هجر مكان عبادته ، وقدم إلى المدرسة ، وقد خرج على عهد صحبته ، وتزك الطريق .

(١) الكورگانى - مقدمة الكلستان ص - سز . وقد ترجم هذه الأبيات
الدكتور عزام بك شعراً :

بنو آدم جسد واحد إلى عنصر واحد عائد
إذا مس عضواً أليم السقام فسائر أعضائه لا تنسقام
إذا أنت للناس لم تألسم فكيف تسمت بالآدمى ؟

فسأله قائلاً : أى فرق بين العالم والعابد ، حتى اخترت طريق ذلك على هذا ؟؟ .

فقال إن هذا ينقذ نفسه من الموج الذى يقع فيه ، بينما يأخذ ذلك بيد الغريق يقول :

صاحب دلى بمدرسه آمد زخاقتاه بشكست عهد صحبت أهل طريق را
گفتم بیان عالم و عابد چه فرق بود تا اختیار کردی از آن این فریق را
گفت آن کلیم خویش بدر میبرد ز سوچ وین سعی میکند که بگیرد غریق را (۱)

على أنه كذلك يرى أن العبادة ليست فى الانقطاع عن أسباب الدنيا ، فهو

— على خلاف كثيرين من أهل الطريق — لم يعرض عنها ، ويختار الاعتزال

والاعتكاف عن الناس ، بل كان يعرف أن العبادة الحقة هى فى خدمة الخلق

ومعونتهم ، وليست بالتسبيح والجلوس على السجادة ، وارتداء الدائق ، ثم هو يطلب

ذلك إلى كل الناس ، حتى الملوك منهم أن يتخلقوا بأخلاق الدراويش . يقول :

عبادت بجز خدمت خلق نیست بتسییح و سجاده و دلق نسبت
تو بر تخت سلطانی خویش باش بأخلاق باکیزه درویش باش (۲)

هذه عقيدته من الوجهة العامة ، وإذا أدركنا منها أن لا مفاضلة عنده بين

الناس فى عقائدهم ، فإننا نعرف منها كذلك مدى تسامحه فى مذهبه الدينى ، وهذا

يفسر لنا — إلى حد بعيد — كيف اعتنق المذهب السني فى إيران ، موطن

المذهب الشيعى من قديم .

وأشعاره تدل على هذا إلى حد بعيد . فقد رأيناه يمدح خليفة المسلمين

المستعصم فى مرثيته اللتين أشرنا إليها سابقاً .

كذلك يمدح الخلفاء الراشدين عامة فى « البوستان » من قطعة يمدح بها

الرسول عليه السلام ، ويتخلص فيها بمدحهم جميعاً . ثم ينتقل إلى مدح بنى

فاطمة وآل الرسول (۳) مما يدل على أنه عام فى عقيدته وفى مذهبه .

(۱) الدكتور رضا زاده فى تاريخ أدبيات إيران ص ۲۷۴ — طهران ۱۳۲۱ هـ . ت

(۲) الكرگانى — مقدمه الكلسان ص — مو .

(۳) كليات فروغى — بوستان ص ۳۲۰

الفصل التاسع

مؤلفات الشاعر أو كليته

من شعراء الفارسية من كتب نثراً وشعراً، ومجموع ما يكتبه المؤلف من شعر ونثر يطلق عليه في الفارسية كلمة « كليات ». فكليات سعدى هي مجموع إنتاجه شعراً ونثراً .

ومن هذا الإنتاج ما ينشر وحده فيستقل عن الكليات لاستقلال موضوعه ولتتمكن من دراسته بسهولة . كما هو الحال في كتابيه « البوستان والگلستان » . وقد رتب إنتاج الشاعر في « كلياته » من حيث لون الأداء . لا من حيث الموضوع أو الزمن ، ونحن نأخذ هذا الترتيب من « كليات فروغی » ، والكليات كما عرفنا تجمع المنشورات وتبدأ بها ، ثم المنظومات .

أولاً - المنشورات

فأما المنشورات فنشمل الرسائل الست التي كتبها الشاعر . ثم كتابه المستقل « الگلستان » . وقد كتب الشاعر الإيراني المعاصر « بهار » في كتابه « سبک شناسی أو تطور النثر الفارسی » فصلاً عن مؤلفات الشاعر المنشورة وحدها . درسها من حيث أسلوبها لا من حيث موضوعها ، وتكلم — بهذه المناسبة — عن منهج « سعدی » في النثر ، وعن أسلوبه في الأداء ، في رسائله وكتابه « الگلستان » دون التعرض لغيرها . فلم يعرض للشعر ، ولا منهج الشاعر فيه ، وبالتالي لم يتعرض لمقارنات بين موضوعي « البوستان والگلستان » . ونقدم ملخصاً لما قاله في موضوع النثر ، ثم تتبع الكلام عن أشعاره . يقول :

هناك ثلاثة ألوان من النثر خلفها « سعدى » فى إنتاجه ، ونحن نشير إليها

١ — اللون الأول — وهو المتداول فى عصره ، والذي كان يكتب به جماعة منهم « الجوينى » صاحب « جهانگشای » .

٢ — اللون الثانى — وهو طراز كتابة « عبد الله الأنصارى » .

٣ — اللون الثالث — وهو نسيج « سعدى » نفسه .

وهذه الألوان الثلاثة تشاهد فى رسائله التى كتبها فى مقدمة « كلياته » وفى كتابه « الگستان » فأما الرسائل فهى .

١ — الرسالة الأولى : وتسمى « الديباجة »^(١) كتبها الشاعر وهو على ظهر سفينة وكما يبدو من الرسالة ، كانت تلك السفينة ملكاً لأمر من الأمراء ، وهذه الرسالة قريبة فى أسلوبها من أسلوب النثر القديم . خالية — إلى حد ما — من التكلف والصناعة الشاقة ، والأسجاع النادرة . لكن يتردد فيها ألفاظ وجمل عربية مسجوعة كالعبرة . « تلاطم أمواج هموم وتراكم أفواج غموم » كذلك كان يكثر من إيراد الآيات القرآنية ، مثل « إنا سناقي عليك قولاً ثقيلاً » ومثل . « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » .

٢ — الرسالة الثانية : وهذه الرسالة تعرف بالمجلس الخمس . وهى مجالس كان يكتبها الشيخ لنفسه أو يعقدها لتلاميذه .

وفى طليعة المجلس الأول منها نظم مامع فى مدح الرسول عليه السلام من شعر الشاعر^(٢) . والمجلس الأول والثانى — من حيث أسلوبهما — أسهل من أسلوبه فى القطعة الأولى « الديباجة » وهما متشابهان كذلك من حيث المنهج الذى سلكه فيهما . فالمجلس الأول بدأه ببعض أشعار فى مدح الرسول ، ثم عقب عليها بذكر

(١) كليات فروغى ص ١٠-١٥ (٢) نفس المصدر ص ١٦ .

حديث للرسول^(١) . وبدأ الثاني بقوله قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله»
ثم عقب عليها بحديث كذلك^(٢) وخلال المجلس الثاني قطعة في بيان الفرق بين
«تقوى المؤمنين وتقوى الصالحين»^(٣)

كذلك يتخلل هذا المجلس غزليات وأبيات من سعدى ، وردت في مجموع
غزلياته أو كتابه «الكلستان» .

ويبدو من هذه القطعة أن سعدى سلك فيها مسلك الزاهد المتصوف الذي
يعظ الناس .

وفي المجلس الثالث^(٤) من هذه المجالس يبدو الشاعر صوفياً بحتاً . يتناول
الكلام في معرفة الله تعالى ، وفي محبته والانصراف إليه ، ويسلك في هذا المجلس
— من حيث أسلوبه — منهج عبد الله الأنصارى .

وفي مجلسه الرابع^(٥) ، يبدو كذلك صوفياً زاهداً . لكنه — من حيث
أسلوبه — أيسر وأبسط من أسلوبه في المجالس السابقة . ويضمن هذا المجلس قصصاً
مختلفة يوردها على لسان رجال عرفوا بالزهد والتصوف مثل إيراد قصة على لسان
«يحيى بن معاذ الرازي» . وقصة عن «ابراهيم بن أدهم» وأخرى عن «عمر بن
عبد العزيز» وحكاية عن «عبد الله بن عمر» . وهذه القصص كلها ذات مقاصد
صوفية في الزهد والتجرد والانتفاع عن الدنيا .

فأما مجلسه الخامس^(٦) فيبدو فيه أسلوب سعدى دون تقايد أو محاكاة . وهو
فيه شبيه بأسلوبه في «الكلستان» من حيث رقة العبارة ولطف المعاني . ويتناول

(١) كليات فروغى ص ١٦ . (٢) نفس المصدر ص ١٩ .
(٣) في العبارة شيء من التصرف فالنص في كليات فروغى هو «بدانك: تقوى
بردو نوعست. تقوى صالحان وتقوى عارفان ص. ٢ . (٤) كليات فروغى ص ٢٤-٢٧ .
(٥) نفس المصدر ص ٢٧ - ٣١ . (٦) نفس المصدر ص ٣١ - ٣٩ .

في هذا المجلس قصصاً عن بعض الصوفيين الإسلاميين وغير الإسلاميين . وهذا المجلس خير مجالسه الخمسة .

٣ — الرسالة الثالثة : وهذه الرسالة تتعلق بموضوع خطاب كتبه «شمس الدين صاحب الديوان» إلى الشيخ ورد الشيخ عليه . ويبدو في هذه الرسالة الأسلوب المرح الظريف . كذلك يتضح في أشعارها لطف العبارة وحسن الاختيار . على أنه يظهر أن جامع هذه الرسالة أضاف إليها كثيراً مما لا يحتل وقوعه كالعبارة :

« بارها غلام ديدة أست كه خواجه شمس الدين خروار زر بشيخ
ميفرستاده است ، أز بهر علفه سرغان ، وشيخ آن زرها قبول نمی فرموده است » .
فلم يبلغ الأمر هذا الحد . فإن شمس الدين كان لا يجد في خزينة هولاء كو
وأبانا — في أي وقت — حمل دابة ذهباً ، ليرسلها — كلها أو بعضها — إلى
الشيخ ، فيردها الشيخ بدوره ^(١) .

٤ — الرسالة الرابعة : وهذه الرسالة في جواب « سعد الدين » ^(٢) على
سؤال له . هل العتمل وسيلة المعرفة والوصول أم العشق ؟؟ ويرد الشيخ على
سؤال « سعد الدين » هذا جواباً لطيفاً سديداً .

(١) كانت مكانة شمس الدين وأخيه علاء الدين في الدولة مكانة سامية .
ولاحظنا مبلغ صلة الشاعر بهما ومدائحهما فيهما . فلعل الرواة والنساخ لاحظوا هذه
الصلة فزيقوا بعض القصص لتمثيل هذه الصلات . وإن كان ذلك لا يمنع من مكانة
الشاعر في نفوسهم وتقديرهم له . وانظر هذه الرسالة في كليات فروغی ص ٤٠ - ٤٢
(٢) يذكر المؤلف في الهامس بعض الخلافات بين النسخ المخطوطة والمطبوعة
بشأن هذه الرسالة . ثم يستطرد بقوله لا علم لنا بسعد الدين هذا ؟ ج ٣ ص ١١٩ .
وانظر كليات فروغی ص ٤٣ - ٤٤

وتعتبر هذه الرسالة في عداد رسائل الشاعر الصوفية ، وأسلوبها على العموم سهل مجرد من التكلف ، شبيه بأسلوب « الغلستان » . وقد ضمنها الشاعر كثيراً من أشعاره الجيدة .

ويمكن أن تعد هذه الرسالة ، ومجالسه في التصوف ، مع كتاب « جلال الدين الرومي - فيه ما فيه » من أقدم ما كتب في النثر الفني الصوفي .

٥ - الرسالة الخامسة : وتسمى رسالة « نصائح الملوك^(١) » . وهي أسهل رسائله وأبسطها . تفوق أسلوب « الغلستان » في بساطتها . وأغلب هذه الرسالة كلمات قصيرة ذات دلالة صوفية . ويورد من مكان لآخر حكاية - على سبيل التمثيل - يضمنها أصول الحكم ، والدعوة إلى رعاية الرعية ، في عبارات موجزة فصيحة .

٦ - الرسالة السادسة : وهذه الرسالة ثلاثة أقسام^(٢) :

(١) والقسم الأول منها يدور حول لقاء الشيخ - حين عودته من مكة في طريقه إلى تبريز - « الصاحبين » وهما في صحبة « آباقا خان » . فلما رآه الصاحبان ، ترجلا عن جواديهما ، وقبلا يديه ورجليه . وتمضى القصة فتقول إن آباقا سأل الصاحبين عن يكون الشيخ ؟ ؟ ثم طلب آباقا أن ينصحه .

على أن الكثيرين من النقاد يرون - ويرى المؤلف رأيهم - أن هذه القصة بعيدة الوقوع . فقد ورد فيها شعر بالفارسية لا يستطيع آباقا أن يفهمه . كما أنه يصعب عليه فهم بعض المعاني الواردة في عباراتها عن التكليف الإسلامية .

(ب) والقسم الثاني في نصيحة الأمير « بانكيانو » وهذه الرسالة لاخلاف في نسبتها إلى سعدى ، وهي من حيث أسلوبها سلسلة شبيهة بأسلوب النثر الذي ورد في القطعة المعروفة بالديباجة ، وبعض مجالسه الخمس ، وإن كان يبدو فيها بعض سجعات

(١) كليات فروغى ص ٤٧ - ٤٤ (٢) نفس المصدر ص ٦٥ - ٧٠

لكنها سجعات مألوفة طبيعية . وهذه الرسالة في مجموعها ترمى إلى سن قواعد في رسوم السياسة ، والحكم ، وحسن معاملة الرعية .

(ج) القسم الثالث : وهذه قصة تدل على مبلغ احترام الشيخ عند حكام فارس وعملها وترتبط بشخصية « شمس الدين تازيكو » مع أخى الشاعر ، حيث كان يعمل في بيع سلعة التمر . وقد أشرنا إلى هذه القصة سابقاً . ولا رأى للمؤلف « صاحب سبك شناسى » في أسلوبها ، فإنه يراها من وضع جامع الكليات .

٧ - الكلستان : يمكن أن نجد فن « سعدى » وشخصيته وانحنين في هذا الكتاب . وهو يكشف لنا عن شخصيته في الكتابة . والكتاب — على صغر حجمه — كبير الفائدة ، عظيم القيمة ، فلم يسبقه مثيل له ، ولا يحتمل أن يأتى نظيره كذلك .

وقصد المؤلف من هذا الكتاب أن يضع كتاباً أخلاقياً اجتماعياً . وقد كتب في أسلوب سلس ، لا يسأم القارئ تكرار تلاوته . وهو يفترق في أسلوبه عن الأسلوب المتعارف في عصره ، ففيه جدة وفيه طلاوة ، وليس فيه أثر من الأسلوب المكرر ، كما هو الشأن عند القدماء . وكما نجد عند الشاعر نفسه في أسلوب بعض مجالسه .

والشاعر — في هذا الكتاب — شبيه بالجاحظ في العربية ، مزج في أسلوبه بين الجذ والهزل ، ويهدف في كل عباراته إلى إيراد اللطائف التي تبعد السامة عن القارئ .

كذلك ربط في أبوابه بين التحدث عن سيرة الملوك وآدابهم ، بأخلاق الدراويش . وجمع بين فضيلة القناعة — وهى نوع من التسلية الاجتماعية — مع

فوائد الصمت . ثم في باب العشق والشباب لمس جانب الوحي . وجعل هذا الباب متصلاً بباب الضعف والشيخوخة . وختم الكتاب بباب التعليم التريية . وضمن هذا الباب قصة « جدال السعدى والمدعى » وهى من أهم ما كتبه سعدى (١) .

ثانياً - المنظومات :

٨ - ديوان البوستان : وتسميتهنا له بالديوان صحيحة ، فإنه يضم ألواناً من الشعر فى أغراض مختلفة . كما أطلق الأستاذ « على دشتى » كلمة ديوان على مجموع شعر « الطيبات » . ويرد موضعه فى الكليات بعد الكتاب المنشور « الغلستان » وقد أفردنا له الباب الثالث من هذا الكتاب .

وترد بقية الألوان المنظومة فى الكليات على الترتيب الآتى :

٩ - القصائد العربية : وتبلغ فى كليات فروغى اثنتين وعشرين قصيدة ، وهى فى الغزل ، والمدح ، والرثاء ، والشيب ، والموعظة . والغزليات أغلبها . إذ تبلغ وحدها سبع عشرة قطعة ، وهذا القسم يبدأ بالقصيدة التى يرثى فيها الخليفة المستعصم وذكر واقعة بغداد - التى مطلعها -
حبست بحفى المدامع لاتجرى .

ويتخلل هذا القسم قطع قصيرة لا تبلغ مبلغ القصائد الطويلة ، ولا تتجاوز

بعضها بيتين

١٠ - القصائد الفارسية : وهى تسع وثلاثون قصيدة فى المدح ، والنصائح ووصف الربيع ، والتوحيد ، والحنين إلى شيراز . فأما قصائد المدح فأغلبها فى صاحبي

(١) انتهى هنا تلخيص بعض ما كتبه الأستاذ « بهار » عن مؤلفات الشاعر المشورة . .

لديوان ، شمس الدين وأخيه علاء الدين ، ثم في بعض ملوك الأتابكة وبعض ولاية فارس من قبل المغول ، وتبلغ قصائد المدح وحدها من تلك المجموعة ، إثنى عشرة قصيدة ، وقد أشرنا إلى مدائح الشاعر عند التعرض للأشخاص الذين اتصل بهم ، وفي هذا القسم قصيدتان في أوله ، إحداهما ، في مدح الذات الإلهية ، والأخرى في مدح الرسول عليه السلام .

١١ — المراثي : وتبلغ سبع قطع . اثنتان في رثاء « أبي بكر بن سعد » ، واثنتان في رثاء ابنه « سعد » وقصيدة في رثاء وزيرها « فخر الدولة أبي بكر » ، وأخرى في رثاء « عز الدين أحمد بن يوسف » ، والأخيرة في زوال الدولة العباسية ، وقد أشرنا إليها عند التعرض لتاريخ هؤلاء الأشخاص .

١٢ — المعامات : وتبلغ إحدى عشرة قطعة . وهي كلها غزليات صوفية . والملمع كما هو معروف لون من النظم الفارسي ، تمضي القطعة فيه على بحر واحد ، وقافية واحدة ، وتتخللها أبيات عربية ، من نفس البحر والقافية على نظام مختلف . فقد يرد بيت فارسي يعقبه بيت عربي ، وقد يكون التلميع بعد بيتين أو ثلاثة ، وقد تكون شرطتا البيت مامعتين ، وقد يتخلف التلميع على نظامه .

١٣ — المثالثات : وهي لون من التاميع يمضي على نسق مطرد ، ولكنها ليست على قافية واحدة ، على نهج النوع المعروف بالثنوي ، وهي قطعة وحيدة ، في النصيحة والارشاد ، تقع في أربعة وخمسين بيتاً ، ومطلعها بيت عربي :

خليلى الهوى أنجى وأصلح ولكن من هداه الله أفلح

١٤ — الترجيعات : وهي قطع متفقة البحر ، مختلفة القافية ، في نهاية كل قطعة منها يلتزم الشاعر إيراد بيت مكرر من نفس البحر ، مختلف القافية ، ويسمى هذا البيت بيت الترجيع ، وتسمى القطع التي يربطها هذا اللون بالترجيعات .

أما أغراضها فهي من المنظومات الصوفية ، التي اشتهر بها الشاعر ، وتبلغ هذه القطع اثنتان وعشرون قطعة ، لا تقل عدد أبيات القطعة عن تسعة أبيات ولا تزيد عن أربعة عشر بيتاً .

١٥ — ديوان الطيبات: ويبدو فيها أنها قسم قائم بذاته، فهي تجمع لونها واحداً من الشعر ، في مجموعة من القطع ، أما لونها الشعرى فهي غزليات صوفية ، يلتزم في كل واحدة منها ، ذكر تخلصه الشعرى ، وقد بلغت هذه القطع في نسخة «فروغى» ثلاثاً وخمسة وتسعين قطعة ، مختلفة القافية والبحر ، وقد رتبت القطع في الكلبيات حسب حرف الروى الأبحدى .

والقطعة الأولى مطلعها البيت :

« أول دفتر بنسام إيزد دانا صانع پرورد گمار حى توانا »

ويلاحظ فيها أن ابتداءها كابتداء أية كتاب يستهله صاحبه باسم الله .

ولعل ذلك هو الذى أوحى بالرواة ، وجامعى أشعار الشاعر أيضاً ، أن يضعوها تحت البسملة ، ولعل ذلك — بالإضافة إلى ضخامتها — هو ما يحذو ببعض النقاد أن يجعلوها قسماً قائماً بذاته كذلك، وأن يطلق بعضهم عليها اسم «ديوان الطيبات» كما ذكر ذلك الأستاذ «على دشتى» فى كتابه «سايه»^(١) .

وقد نتبعت هذا القسم ، مع بقية غزليات الشاعر جميعها ، فلم أظفر بأسماء أشخاص تاريخيين إلا فى ثلاث قطع منها ، تخلص فى إحداها بمدح «سعد بن أبى بكر» والأخرى بمدح ابنه «محمد» والثالثة بمدح ابنته «نركان خابون» . وقد أشرنا إلى هذه القطع عند الحديث على صلة الشاعر بهؤلاء .

١٦ — البدائع : وتبلغ مائة وسبعاً وتسعين قطعة ، وموضوعها الغزل الصوفى كذلك . وقد رتبت فى الكلبيات حسب حروف الهجاء ، يلتزم الشاعر فى آخر

(١) الأستاذ على دشتى فى كتابه سايه ص ٩٦

كل قطعة ذكر تخلصه الشعري على نمط الغزليات في الفارسية ، وقد افتتحت هذه المجموعة في كليات فروغى بهذه الغزلية العربية .

الحمد لله رب العالمين على ما در من نعمة ، عز اسمه وغلا
وهذه الغزليات أغلبها في حيز العشرة أبيات ، وقد تنقص حتى تبلغ أربعة
أبيات كالغزلية الدالية التي مطلعها :

زندہ شود هر که بیند دوست بمبرد

كما لاحظنا أن إحدى الغزليات جاوزت العشرين كالغزلية الدالية التي مطلعها :
اینان مگر زرجت محض آفریده اند
فبلغت ثلاثة وعشرين بيتاً .

ولكن هذا التخلف — إن كان نقصاً أو زيادة — نادر . أما الأعم الأغلب
من ذلك النوع فيقع حول عشرة أبيات .

وقد طبع هذا القسم المعروف بالبدايع مستقلاً ، ونشر نشرأ علمياً « بأوروبا »
ببرلين سنة ١٣٠٤ هـ . ش . تحت عنوان « بدائع سعدى الشيرازى » .

١٧ — الخواتيم : وعدد قطعها سبع وستون قطعة ، وموضوعها الغزل الصوفي
كذلك ، ويبدو من اسمها أنها نظمت آخر ما نظم الشاعر من هذا اللون ،
وقد رتبت في الكليات كذلك حسب حروف الهجاء . وأولها قطعة في مدح
الذات الإلهية ومطلعها :

ثنا وحد بی بایان خدارا .

كذلك يلتزم الشاعر في نهاية كل قطعة منها إيراد تخلصه الشعري ،
والقطعة الأخيرة من الخواتيم ، هي التي تردد وجودها في بعض نسخ
« الكلكستان » في المطلع . يحكى فيها الشاعر ما آل إليه العالم من اضطراب وفتن
مما حمله على الهجرة ، والرحيل ، وترك موطنه ، في قوله :

وجود بتك آمداز جور تنگی

١٨ — الغزليات القديمة : وتبلغ ستة وثلاثين غزلية . وهي التي نص على أنها غزليات صراحة ، ووصفها بالقدم يوحى بأنها من أول ما أنشده الشاعر ، والقطعة الأولى منها مطلعها .

دل هر كه صيد كردى نكشد سر از كندت

١٩ — الصاحبيات : وهي قطع صغيرة ، يأنزم فيها الشاعر القافية في كل . القطع ، فهي من نوع القصائد لكننها قصيرة ، تأتي أغلبها في بيتين ، وأول هذه المجموعة ، قطعة في بيتين يمدح فيهما الرسول عليه السلام تحت عنوان . « درستايين پيغمبر » ثم تعقبها قطعة أخرى في مدحه كذلك ، في خمسة أبيات . وبعدها قطعة عربية يمدح فيها الصاحب الصدر الكبير ، والمقصود به « شمس الدين الجويني » ومطلع هذه القطعة .

ما هذه الدنيا بدار نخلد

وهذه القطعة ترد مباشرة بعد القطعتين الأوليين ، اللتين في مدح الرسول عليه السلام ، ومن هنا أمكن أن نربط بين تسمية هذه المجموعة « بالصاحبيات » ، وبين التعقيب بمدح الصاحب « شمس الدين الجويني » بعد مدح الرسول عليه السلام .

على أن هذه المجموعة يتردد فيها مدائح أخرى ، قصيرة في أشخاص مجهولين وإن دلت على أن الممدوح أحياناً ملك أو أمير .

٢٠ — المثنويات : وترد على النظم المعروف بالمثنوى ، وكثير منها يرد في بيتين ومن بين هذه المجموعة ، قطعتان بعنوان « حكايت » الأولى مطلعها .

پیری آنسدر قبيله ما بسود كه جهانديده تسر ز عنقا بسود

وتمضى القصة فى تسعة عشر بيتاً ، على هذا اللون المعروف بالمشوى .

ومطلع الثانية :

ألا كمر بختمند وهوشيارى بقول هوشمند ان گوش دارى
وتمضى القصة فى سبعة وثلاثين بيتاً ، وهذه المشويات جميعها ذات مطالب
صوفية ، من لون مطالبه فى « البوستان » .

٢١ — القطعات : ويلتزم الشاعر فى هذا القسم القافية ، وإن لم تكن هذه
القطع طويلة كثيرة . فلا يتجاوز أطولها عشر أبيات ، وأغلبها فى بيتين أو ثلاثة .
وهى نصائح ، وحكم ، ومواعظ ، من أمثال ماجاء فى « البوستان » .

٢٢ — الرباعيات . وتبلغ مائة وأربعاً وثمانين رباعية . وهى فى النصيحة
والحكم .

وقدرت فى السكليات حسب حروف الهجاء ، ومطلعها الرباعية الآتية :

هر ساهم اندرون بجوشد خون را و آكاهى نيسست سسر دم بيرون را

٢٣ — مفردات : وهى أبيات مختلفة الوزن والقافية ، وأغراضها مختلفة
كذلك . لا تربط بينها وحدة فى الوزن أو الموضوع .

* * *

وفى ختام هذا الفصل يعرض لنا هذا السؤال . أى هذه الألوان بدأها الشاعر
نثراً ونظماً ؟ وهل يمكن وضعها مرتبة من حيث الزمن ؟؟ .
أما الإجابة على السؤال الأول . فالألوان المنشورة عرف زمن بعضها من موضوعها ،
كالقطع التى تعرض لشخصيات تاريخية ، وبعضها الآخر مجهول الزمن ، لكنها على
أية حال كتبت بعد عودة الشاعر من رحلته الطويلة .

كذلك لا نستطيع أن نحدد بالضبط أى الألوان الشعرية بدأها الشاعر ؟؟

لكن دائرة المعارف الإسلامية، ترى أن قصائده وغزلياته على اختلافها — ما عدا الغزليات القديمة — نظمت كلها في أخريات حياته، كما ترى أن « الصاحبيات » قيلت في صاحب الديوان « شمس الدين الجويني » ولهذا سميت بالصاحبيات كما أن الطيبات عملت « لسلاجوقشاه » آخر الأتابكة^(١).

اللغات التي كان يعرفها

أما اللغات التي كان يعرفها الشاعر، فلا نقطع بغير معرفته العربية، التي تبت أن له فيها قصائد، وغزليات بحالها، تضمنتها كلياته. كذلك تظهر في قدرته على نظم النوع المسمى بالملمعات .

ولكن « براون » يرى أنه عرف الأردوية كذلك، ويقول إنه عرفها إبان إقامته بالهند، ويذكر أنه عثر على عينات من الشعر في مخطوط تملكه الجمعية الآسيوية، ولكنه لم يستطع أن يقطع بنسبته إليه^(٢).

والواقع أننا لا نستطيع أن نتأكد من أن له شعراً بغير اللغتين الفارسية والعربية، وهما لغتا العالم الإسلامي الذي أمكن أن يطوف فيه، وأن يقيم طويلاً ببعض نواحيه، إقامة تمكنه من إتقان اللغة العربية، اللغة المشتركة بين المسلمين، فأمكنه التأليف بها .

(١) دائرة المعارف الإسلامية في موضوع سعدى التنيرازي .

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2, p. 539

الفصل العاشر

منزلة الشاعر ومطاة

ردد الكثيرون من الشعراء القدماء ورجال التاريخ والأدب أحكاماً عامة على الشاعر، لا بأس أن نشير إليها هنا. فمن المعاصرين له، الشاعر «هام التبريزي». وقد كان من مشاهير الغزليين في عصره، وصورنا سابقاً قصة لقائه هذا الشاعر في تبريز. وسواء أصحّت هذه القصة أم لم تصح؟ فإن الشاعر «هاما» قد أثر له بيت من الشعر يصف فيه نفسه بالأجادة في النظم، لكنه لم يبلغ في إجادته ما بلغه «سعدى الشيرازي».

هام راسخن دلفريب وشيرين هست ولي چه سود كه بيچاره نيست شيرازي (١)
ومن معاصريه أيضاً شاعر آخر مجيد يسمى «مجد همگر» يقول عن شعر «سعدى» إنه كالكعبة يؤمه كل الناس، كما يشبه فيض قلبه بزمنم.
أرسعدى مشهور سخن شعر وان جوى كو كعبه فضلست ودلش چشه زسزم (٢)
وقد ظل الذين جاؤا بعده يفيضون كثيراً من ألوان التقدير له. وحتى «حافظ الشيرازي» — مواطنه والمشهود له — يجعل «سعدى» أستاذاً في جميع فنون الشعر، ليس في نظره — فحسب — بل في نظر جميع الناس وذلك من بيته.
أستاذ سخن سعديست نزد همه كس اما دارد سخن حافظ طرز سخن خواجو (٣)
ومن جاؤا بعده، وأدر كوا أيامه الأخيرة، الأمير «خسرو الدهلوى». وقد صورنا

(١) الدكتور رضا زاده في تاريخ الأدب الفارسي ص ١٦٦ من النسخة المطولة

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٥

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٦

سابقاً مبلغ طموح هذا الأمير بأن يكون كـ « سعدى الشيرازى » .
ومن فنون الشعر ما يجعله بعضهم أسبق فيها من غيره ، بل أكثرهم لها إجادة ،
ذلك هو فن الغزل .

فيذكر « دولتشاه » أن أنبياء الشعر ثلاثة ، كل واحد أستاذ في ناحية ، لا يجاريه
فيها غيره . هم « الفردوسى » فى القصص . « والأنورى » فى القصائد ، « والسعدى »
فى الغزل .

در شعر سه تن پیمبران سسد هر چند که لانی بعسدى
أوصاف وقصيده وغزل را فردوسى وأنورى وسعدى (١)
يؤيد هذا ما يذكره صاحب « حبيب السير » فيقول إن أحدا لم يبلغ ما بلغه
« سعدى » فى فن الغزل (٢)

و بوردا الأستاذ « الكرگانى » فى مقدمته على « الكگلستان » عن صاحب
تذكرة « شمع أنجمى » أن سعدى بلغ مكانه فى الغزل لم يدرها أحد قبله .
فقد ألبسه ثوباً جديداً ، وكأنما كانت غزلياته دواء للوهي ، ولهذا يعدون ديوانه
فى الغزل « ملاحه الشعراء » (٣) .

وكذلك ينقل « روس » فى مقدمته على « الكگلستان » قولاً « لابراهيم
خان » « ينبغى أن يفهم أن سعدى أول من غرس الشجرة الأولى فى بستان
الغزل (٤) » .

ويذكر « براون » فى مقارنة طويلة بين « حافظ وسعدى » كيف أن « حافظاً »
استمد كثيراً من الأفكار التى تضمنتها أشعار « سعدى » فى الكگلستان ، والطيبات ،
والغزليات ، والبدائع . وينتهى من ذلك بأن « حافظاً » يعد مدينا إلى حد كبير
للشاعر « سعدى » (٥) .

(١) دولتشاه - تذكرة الشعراء ص ١٠ (٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٣) الكرگانى - مقدمة الكگلستان ص - يب .

(٤) Ross: Sadi's Gulistan p. 23

(٥) G. Browne : A Literary History of Pers. v, 2. p. 539

ويرى الأستاذ « آربرى » أن الشاعر الحق ، والكاتب المبدع هو الذى يجمع بين سمو الفكرة وطرافتها ، مع رقة العبارة وسلاستها ، ومن هنا كان السبب فى إعجاب الكثيرين من الفرنسيين « بسعدى » فقد أعجب به « ديدرو » وأطراه « فولتير » وأشادت به « مدام رولان » وقال عنه « رينان » إن « سعدى » فى الواقع واحد منا . كما قال عنه « باربييه دى منار » إننا نجد فيه ما نذكرنا ببلاغة « هوراس » ورقة « أوفيد » وفصاحة « دى ريبالييه » وإنسانية « لافوتتين » . ولهذا السبب أصبح الرجل — ذو الأسلوب البديع — أنموذجاً يحتذىه كل من يتعلم الفارسية (١) .

ونختتم هذه الآراء بما سجله الأستاذ « على دشتى » سفير إيران حالياً بمصر فى مقال له عن مقارنة بين « سعدى وحافظ » نشره فى كتابه « سايه » وانتهى فيه إلى هذا القول .

« بر خلاف سعدى كه ملك سخن بر او مسلم است . سعدى رب النوع فصاحت وبلاغت است . خداوند زبان پارسی است ، اگر دعوى پیغمبرى میکرد . ومعجز خود را کتاب بوستان و دیوان طبیبات قرار میداد بی شبهه کس نمیتوانست این دعوى را رد بشکند ، کلیات شیخ بمنزله قرآن زبان پارسی است » (٢) .

وترجمة هذه العبارة « وهذا على خلاف سعدى فان ملك الكلام قد سلم إليه ، فسعدى رب الفصاحة والبلاغة ، وهو رب الأدب الفارسي إذا ادعينا النبوة ، وإعجازه هو البوستان وديوان الطبيبات ، ولا يستطيع إنسان أن ينقض هذه الدعوى ، فكلياته بمنزلة القرآن فى الفارسية ،

(١) Arberry : Kings & Beggars p. 15

(٢) انظر — سايه للأستاذ على دشتى . ص ٩٦

البَابُ الثَّالِثُ

ديوان «البوستان»

القسم الأول

دراسات تاريخية على «البوستان»

الفصل الأول

البوسنة أملة هوارث العصر وظروف الشاعر

لم يكن الدافع لهذا اللون من شعر البوسنة أمراً عرضياً، رغب إليه الشاعر لمجرد الترويح عن النفس، ولكنه كان استجابة لمجموعة من العوامل، أحاطت بالشاعر، فأثرت فيه، فاستجاب لها، فأنتج هذا اللون من الشعر الأخلاقي التعليمي.

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً، تبين لنا مما عرضنا له سابقاً أن هناك عوامل عامة أحاطت بالبيئة نفسها، وظروفاً خاصة عاش فيها الشاعر نفسه، فأثرت فيه هذه وتلك كما رأينا، وأدت في النهاية إلى أن يسير في الاتجاه الذي رسمته له.

ويمكن رد هذه العوامل والظروف إلى أربعة أشياء.

١ - الأحداث السياسية العامة التي أحاطت بالبيئة الإسلامية إبان نشوئه، وأصابته المجتمع الإسلامي بما أصيب به في أحداث المغول وفي أعقابها، وما آل إليه هذا المجتمع من الانحلال والاضمحلال.

فأرأينا أنه نفر من رؤية العالم مضطرباً، كما يضطرب شعر الزنجي، وأن الناس أخذ بعضهم برقاب بعض كالوحوش الكاسرة.

وتخلف عن هذه الأحداث التي أصابت البيئة الإسلامية، مجتمع مريض تناوبته أمراض مختلفة، فكان الشاعر أمام هذا المجتمع بمثابة الطبيب يعالج هذه الأمراض، أو بمثابة المصلح الاجتماعي، يرشد هذا المجتمع الجامع، الذي أخذ يهيم في الحياة الجديدة، يلتبس الدعاة ويتربص المرشدين.

بل كان الشاعر بمثابة رسول أرسلته البيئة الإسلامية لإنقاذها مما أصابها
وأصاب المجتمع عامة .

وما رسالة الرسول؟؟ أليست لإصلاح مجتمع فاسد ، مثل ذلك المجتمع
الذي تناول تصويره أيضاً أديب ومؤرخ معاصر له — ممن شاهدوا كوارثه
وآثامه — ذلك هو « علاء الدين الجويني صاحب جهانگشاي » . فقد صور
هذا العصر كذلك تصويراً يدل على مبلغ ما وصل إليه من الانحلال ، في عبارة
نأخذ منها قوله ، مستشهداً .

كم أردنا ذلك الزمان بمدح فشغلنا بدم هذا الزمان
وفي قوله ، مشيراً إلى مدى انقلاب الأوضاع الاجتماعية .

رأيتُ الدهر يرفع كل وَغْدٍ ويخفض كل ذى شِيمٍ شريفه
كمثل البحر يُغرق كل دُرٍّ ولا تنفك تطفو فيه جيفه
وفي قوله يمثل هذا الانقلاب .

« صار كل واحد من السوق ، في زى أهل التسوق أميراً ، وكل حقير وزيراً ،
وكل جاهل كاتباً ، وكل شيطان نائب ديوان ، وكل خسيس رئيساً ، وكل
غادر قادراً » (١) .

٢ — هذا من ناحية تأثير الحوادث العامة في الحياة الاجتماعية في ذلك العصر .
وقد ذكرنا آنفاً أن فارس وحدها اجتازت هذه المحنة في سلام ، وعاشت شبه
ناعمة في حياة دينية ، هيأها « سعد بن زنگي » ورعاها ابنه « أبو بكر » من بعده .
وقد أتينا في تصوير الحياة العامة في عهد « أبي بكر » أنه كان محباً للعلوم الدينية ،
مشجعاً لها إلى حد بلغ كراهيته للعلوم الأخرى ، وبخاصة العلوم الفلسفية ، وكره
رجالها حتى أرغمهم على الخروج من فارس .

(١) جهانگشاي ج ١ ص ٥

كما أثبتنا من أقوال الشاعر نفسه ، مدى ما كانت تعيش فيه فارس من طمأنينة ودعة ، مما جعله يشبهها في عهده بالحرم الآمن . كذلك رأينا من أقوال الشاعر أن هذا الأمير ، كان محباً للعدل ، والجود ، مهتماً برجال الدين ، ورعايتهم . والحياة الخاصة نفسها التي سلكها الشاعر منذ طفولته على أيدي أبيه وأسرته ، وفي نشأته على أيدي أساتذته ومرشديه ، ساهمت كذلك في توجيهه إلى تلك الحياة الروحية الصوفية .

فقد تربى الشاعر تربية دينية كما رأينا ، وانحدر من أسرة لها مكاتبها في العلوم الدينية ، وكان من شيوخه أحد مشاهير الصوفية الذين كان لهم تأثير كبير في توجيهه ، وهو الشيخ « شهاب الدين السهروردي » . وكثيراً ما كان الشاعر يتغنى — فيما بعد — ببعض رجال الصوفية من أبناء شيراز ، الذين كانت لهم مكانة ممتازة بين رجال الدين والتصوف . ونخص بالذكر منهم الشيخ « روزبهان » المتوفى سنة ٦٠٦ هـ والذي كان يجله « سعد بن زنگي » وابنه « أبو بكر » . والشاعر يذكره في إحدى قطعه مقسماً به ، في قوله :

بذكر وفكر وعبادت بروح شيخ كبير بحق روزبهان وبحق پنج نمساز
والمراد بالشيخ الكبير هنا « أبو عبد الله الخفيف » أحد مشاهير الصوفية المتوفى سنة ٣٣١ هـ .

كان لهذا كله أيضاً آثاره في تلوين حياة الشاعر وتكليفها ، بل في توجيهها الوجهة التي سارت فيها ، وخصوصاً بعد أن عاد من رحلاته ، فوجد شيراز تحت رعاية هذا الأمير ، وعاش في كنفه .

فلما استظل الشاعر بظل هذا العهد ، وشاهد تلك الروح الدينية التي كان يدعو إليها الأمير « أبو بكر » رغب أن يساهم بنصيب في التوجيه إلى تلك الناحية كذلك .

٤ — وكانت رحلاته الطويلة الشاقة . وانقطاعه عن موطنه مدة طويلة ،
وتعرضه لبيئات ، وشعوب وأخلاق وعادات متباينة ، كل ذلك هياً له دراسة
مستفيضة ، تلقى فيها مختلف الدروس ، في مختلف البيئات ، وعلى مختلف
الشخصيات ، فكسب بذلك خبرة نافعة قلما يظفر بها غيره .

ولم يرغب من ناحيته أن تكون هذه التجارب ، وتلك الخبرة وفقاً عليه
وحده ، بل أراد أن يلتقي عصاريتها إلى الناس ليستفيدوا منها ، فجعل من نفسه
المرشد ، وجعل من نفسه الأستاذ ، وجعل من نفسه المصلح ، يهيء للناس
سواء السبيل، ويهديهم طريق الرشاد . فكان له هذا النوع من الشعر الأخلاقي
التعليمي ، الذي ربط بين سمو الفكرة ، وحكمة العبارة .

والشاعر في مقدمة كتابه « البوستان » يشير إلى ذلك تحت عنوان « سبب
نظم الكتاب » ويفتح القطعة بهذه الأبيات :

— لقد تجولت كثيراً في أنحاء العالم
وأضيت — بين الناس — كثيراً من الأيام
— وتمتعت في كل ناحية من نواحيه
وحصلت من كل بيدر على سنبلة ^(١)

إلى أن يقول :

— لقد قلت لنفسى إنهم يأتون من مصر بالسكر
فماذا أحمل إلى الأحباب في عودتى ^(٢) ؟

(١) در أقصای عالم بگشتم بسی
تمتع زهر کوشهٔ یا فتم
بسر بردم آیام باهرکسی
زهر خرمنی خوشهٔ یا فتم
مقدمة ب ٩٩-١٠٠ نسخة Graff
(٢) بدل گفتم از مصر فند آورند
بردوستان آر مغسانی برند =

— عدت آسفًا!! فإني من كل ذلك البوستان
أعود خالي اليد ، لاشيء فيها للأحباب
— لكنني قلت ، ولو أن يدك خلت مما تحمله
فإنك تملك الكلام ، والكلام عندك خير من السكر
— ليس هو ذلك السكر الذي يتناوله عامة الناس
بل هو السكر الذي يدونه أرباب المعاني »

نعم!! لم يكن هذا السكر ، سوى تلك النصائح القيمة ، التي كان يطويها
في قصصه ، فيلقها إلى الناس ، يعرض فيها للداء ، ويخفي فيها الدواء ، فهو مرشد
كما هو طيب .

ولقد كرر الشاعر في كثير من المواطن ، مدى شعوره بالمرارة ، فيما يلقي
إلى الناس من هذه النصائح ، تلك النصائح التي يحدثك عنها بقوله :

« إذا كانت النصيحة بريئة من الغرض
فهى كدواء مر المذاق دافعة للمرض ^(١) »

وكثيراً ما كان السعدي يخفف عن أتباعه مرارة هذه الأدوية في مثل قوله :
— إن المادحين لك ليسوا من أحبائك
وأصدقاؤك وحدهم هم الذين يطوون لك صادق الحب ^(٢)

== دريغ آمدم زان همه بوستان
سراگر تهي بود زان قند دست
نه قندي كه مردم بصورت خورند
تهي دست رقم سوي دوستان
سخنهای شیرین تر از قند هست
كه ارباب معنی بکاغد برسد
مقدمة ب ١٠٣ - ١٠٦ نسخة Graff

(١) نصيحت كه خالي بود از غرض
چو داروي تلخست ذفع مرض
باب العدل ٥٨٨ نسخة Graff

(٢) ستايش سرايان نه يارتوانسد
نگوهش كنان دو سندان تواند =

— ومن الخير أن يستمع الإنسان لسيرته من أعدائه
فعين الحبيب كليفة عن كل عيب
— أن إعطاء المريض سكرًا وبال عليه
وإنما الذي يفيدُه ، أن تناوله دواء مرا»

هذا هو السكر الذي يشير إليه الشاعر ، وذلك هو الدواء الذي يعرضه لعلاج
تلك الأمراض .

ولعل الحياة الاجتماعية كانت في عهده أحوج ما تكون إلى مثل هذا السكر ،
الذي يشير إليه الشاعر ، ولعل هذا الانحلال الخلق الذي ساد المجتمع ، ولعل هذا
التعطش إلى حياة صوفية تلجأ إلى الله ، وتقر إليه من أهوال تلك الحياة الدنيا
وأرزائها ، لعل — كل ذلك — جعل هذه الظروف أكثر مناسبة لإخراج هذا
اللون من الشعر التعليمي الأخلاقي .

عرض فيه الشاعر لإهداء النفوس الضالة ، وإرشاد الأرواح الخائرة ، وإقرار
الضائر القلقة . والشاعر نفسه يدرك أن علاج هذه الأمور ، لا بد لها من جرأة
في بعضها .

فأما جرأته فتبدو في كثير من مواقفه مع الأمير الذي كان يحكم فارس في عهده :

— « ياسعدى ! لا تسلك طريق التكلف
فإن كنت صادقًا ، فهلم ، وتعال !^(١)

هر آنچه از تو آید بچشمش نکوست
که داروی تلخش بود سود مند
باب العدل ب ٧٤٩ — ٧٥١ نسخة Graff

زدشمن شنو سیرت خود که دوست
وبالست دادن برنجور قنسسند

أگر صدق داری بیسار و بیسا =

(١) براه تکلف مرو سسعدیا

— إنك لتعرف الطريق والمليك خلفك سالك لها

وإنك لتنشد الحقائق ، والمليك سميع لها »

وكان لا بد له أن يتجرد كذلك من الهوى ، ومن الحاجة ، وأن يترفع في مطالبه ومقاصده ، حتى يكون شجاعاً ، مقداماً ، في نصائح الملوك والعطاء .

وكيف يتسنى له أن يجعل من نفسه مرشداً ، أو ناصحاً ، ما لم يكن شجاعاً .

يقول عن نفسه :

— « ياسعدى ! لقد تشجعت في القول ،

وما دام السيف بيدك ، فتولّ به الفتح

— وقل كل ما تعرفه ، فمن الخير أن تقول الحق ،

فلمست مرثسياً ولا مرثياً .

— إن الطمع قيد ، فاقطع بحكمتك هذا القيد

واقض على الطمع ، وقل كل ما تريد ^(١) . »

وهكذا مضى الشاعر يحمل بيده القلم ، ولسانه النصائح ، وتحلّ من كل

أعراض الدنيا ، ووهب نفسه لإصلاح هذا المجتمع ، وجعل طريق هذا الإصلاح

كتابه « البوستان » .

تو حقگوی وخسرو حقایق شنو
باب العدل ب ٥ - ٦ نسخة Graff

= تو منزل شناسی وشه راه رو

چو تیغت بد ستست فتحي بكن
نه رشوت ستانی ونه عسنوه ده
طمع بگسل وهرچه خواهی بگوى
باب العدل ب ٣٢٥ - ٣٢٧ نسخة Graff

(١) دلیر آمدی سعديا در سخن
بگو آنچه دانى كه حق گفته به
طمع بند ودقتر زحكمت بشوى

الفصل الثاني

هل لاه الكتاب - سمي البوستانه أورد ؟

أثبت الأستاذ «الرزويني» في الفصل الذي كتبه «ممدوحين شيخ سعدى» صفحة مأخوذة على ورقة بالفوستات عن مخطوطة في متحف لندن كتابتها سنة ٧٢٠ هـ كتب تحتها بالخط المطبوع هذه العبارة :

« نسخة كغستان وبستان موزة لندن تاريخ كتابت ٧٢٠ هـ » وهي بعد ورقتين - بالفوستات أيضاً - في مواجعة صفحة ١٢٢ من كتاب «سعدى نامه» . وهذه الصفحة هي آخر الباب العاشر من «البوستان» وقد كتب تحت آخر بيت من الباب الأخير « باب المناجاة » ، هذه العبارة « وقد فرغ من الانتساخ هذه ^(١) الكتاب » وهي مكتوبة بخط الثلث بقلم عريض . وفي شبه زاوية لثلث كتب تحت هذه العبارة عبارة أخرى بالخط النسخ الرفيع . تبدأ بهذه الكلمات «يعرف بالسعدى نامه في شهر صفر» وذلك في السطر الأول من تلك العبارة . كما يذكر الأستاذ «الكرگاني» في مقدمته على الكغستان أن إحدى النسخ الخطية للبوستان المؤرخة سنة ٨٤٨ هـ كتب في نهايتها هذه العبارة « فرغ من تحرير هذه الكتاب سعدى نامه ^(٢) » .

ولكن الأستاذ «تويسركاني» يذكر أن هناك بيتاً يرد في مقدمة إحدى النسخ القديمة يصرح باسم الكتاب بأنه « بوستان » وذلك في قوله :

(١) وردت العبارة هنا بتأنيث كلمة كتاب كالعبارة الآتية في الكغستان أيضاً .
(٢) الكرگاني - مقدمة الكغستان ص - ق

زهرة تماشيا ساه دوسستان كتابى است نام خوشش بوستان (١)
ومعناه : « من أجل نزهة للأحباب ، نظمت هذا الكتاب ، وسميته
البوستان » .

فإذا صح هذا ، فهو يفصل في الموضوع إلى حد كبير .
وفي النسخ المتداولة نفسها كثير من الأبيات ، يرد فيها ذكر لكلمة
« بوستان » ، وإن كان استخدامها ليس في الدلالة على اسم الكتاب ، ولكن
على ما يحتويه . ومنها :

دريخ آدم زانمه بوسستان تهيدست رقم سوى دوسستان
وفي قوله :

گل آورد سعدى سوى بوستان بشوخی وقلقل بهند ووسستان
ففي البيت الأول يأسف لأنه عاد من كل ذلك البوستان — البلاد التي رحل
إليها — خالى اليد إلى أصدقائه .

وفي البيت الثاني جاء يحمل الورد إلى البوستان . فما جاء به لاقية له .
وهذا تواضع منه في أن ما نظمه ، ليس موضع فخر ولا إعجاب ، فهو
من قبيل التواضع .

ولكن مدلول البيتين يوحي بأن كتابه هذا شبيه بالبوستان ، فيه كثير من
الورد وكثير من الشذى ، وفيه ما يرضى الأصدقاء .

ومن المعروف أن الشاعر نظم هذا الكتاب قبل أن يؤلف كتابه الآخر
« الكلستان » فلعله أطلق عليه أولا « سعدى نامه » . فلما أنشأ كتابه الثاني
وسماه « الكلستان » ، من المحتمل أن يكون قد اتجه إلى تعديل اسم الكتاب
الأول ، فيما كتبه من النسخ الأخيرة . أو أن النسخ — فيما بعد — قصدوا

(١) سخن سعدى ص ٣٥ .

إلى المجانسة بين الاثنين فكان الأول « بوستان » والثاني « گلستان » ، ثم غلبت تسمية « بوستان » على « سعدي نامه » بمضى الزمن حتى صارت علماً على هذا الكتاب ، وأغفل الناس أمر التسمية الأولى .

أما في أى الأوقات نظم هذا الكتاب ؟ وهل تم نظمه على دفعة واحدة أم على دفعات ؟ فكل هذا لا يستطيع القطع به ، ولكننا نرى الشاعر يقول في بيتيه الآتين ، إنه أتم الكتاب سنة ٦٥٥ هـ بين عيدين من الأعياد .

بروز همايون وسال سعید بتساریخ فرخ میان دو عید
ژششصد فزون بود پنجاه و پنج که پردرشد این نام بردار گنج

وهذا كل ما يصرح به الشاعر . ورأينا من المحدثين وعلى رأسهم الأستاذ القزويني ، يرى أن الكتاب وردت فيه نصوص تحدث إشكالا من حيث أوقات نظمه . ثم يرى أنه عمل على أكثر من دفعة . قدمت النسخة الأولى إلى « أبي بكر » خلال حياته . ثم أضيفت إليه أجزاء أخرى ، كان من بينها — كما يقول — القطعة التي يمتدح فيها الأمير « محمداً شاه بن سعد بن أبي بكر » . وقد تردنا في حجة إسناد هذه القطعة إلى هذا الأمير ، ورأينا أنها أصلح لأن تكون في أبيه « سعد بن أبي بكر » . ولكن ذلك لا يمنع من أن تكتب نسخ أخرى بعد حياة أبي بكر ، وتضاف فيها بعض قطع ، أو بعض أبيات ، أو تحذف منها بعض قطع ، أو بعض أبيات ، ما دامت حياة الشاعر نفسه قد امتدت بعد كتابة النسخة الأولى سنة ٦٥٥ هـ حتى سنة ٦٩١ هـ .

كذلك لا يبعد أن يكون الكثير من النسخ التي عملت بعد حياته ، قد لعبت فيها أيدي النساخ أو الرواة ، قصداً أو سهواً ، فكل هذا ممكن وجائز . ومن الصعب إدراكه بسهولة ، إلا ما يتعلق بأشخاص تاريخيين ، كما رأينا ذلك في القطعة التي ناقشناها سابقاً وأثبتنا صحة إسنادها إلى الأمير سعد بن أبي بكر .

لن قدم هذا البوستان ؟

لا يمكن القطع من كلام الشاعر بأنه قدم الكتاب — فعلا — للأمير « أبي بكر » حاكم الإمارة ، فالشاعر نفسه لم ترد عنه عبارة صريحة في هذا . كما أنه قد مدح هذا الأمير وابنه في أول كتابه هذا . وبينما يرد نص في كتابه « الكلستان » يفهم منه تقديمه إلى الأمير « سعد بن أبي بكر » في قوله :
على الخصوص كه دياجه هما يوش بنام سعد أبو بكر سعد بن زنگيست
لا يوجد في الكتاب الأول « البوستان » إشارة إلى تقديمه إلى « أبي بكر »
لكن الأوضاع التي قدم فيها هذا الكتاب ، ووجود حاكم على الإمارة تمدحه الشاعر في مقدمته ، وجعل الباب الأول من كتابه هذا ينطوي في — أغلب قصصه — على نصح يتجه فيها إلى هذا الأمير في إدارة دفة ملكه — مما سنعرض له — ، كل هذا بالإضافة إلى ترديد اسم هذا الحاكم في كثير من القطع من هذا الكتاب ، يؤيد — إلى حد كبير — تقديمه باسم هذا الحاكم

الفصل الثالث

البوسنة بين المثنويات

شاع في الأدب الفارسي منذ ظهوره ، النوع المعروف « بالمثنوى » تمضى المنظومة فيه على بحر واحد ، مختلف القافية لكنها تنفق في شطرتي البيت الواحد . وقد استخدم الشعراء الفرس ، هذا النوع في آدابهم — في مختلف اتجاهاتها — منذ القدم . ذلك لأنه يسعف الشاعر كثيراً بأن ينظم ما شاء له النظم ، مادام لا يلتزم قافية محددة ، ولهذا ظهرت فيه مطولات كثيرة في مختلف النواحي . ويمكن أن تقسم المثنويات ، التي ظهرت في الأدب الفارسي ، من حيث تناولها للموضوع ، أو علاجها لموضوع بذاته ، إلى ثلاثة أقسام هي :

- ١ — المثنويات في الموضوعات التاريخية .
- ٢ — المثنويات في الموضوعات الصوفية .
- ٣ — المثنويات في الموضوعات التعليمية .

أولاً — المثنويات التاريخية :

فأما المثنويات في الموضوعات التاريخية، فقصد بها نظم بعض حوادث التاريخ ، أو عصوره ، وقد بكر هذا اللون مع ظهور الشعر الفارسي . ففي العصر الساماني ، في القرن الثالث الهجري ، ظهر شاعر يسمي « أبو المؤيد البلخي » . كان من طلاب الذين نظموا القصص التاريخية باسم « الشاهنامه » . فكان ممن سبقوا الفردوسي فيها .

وفي العصر الغزنوي مضى هذا اللون من النظم ، فظهر على يد « الدقيقي » ، إذ نظم بعض حوادث التاريخ وهي قصة « گشتاسب » في ألف بيت .
 فإذا كان « الفردوسی » فقد بلغ بهذا اللون من النظم أعلى درجاته ، فنظم هذه الملحمة الكبرى ، التي عرفت باسم « الشاهنامه » وتبلغ حسب بعض الآراء ستين ألف بيت . وتعد أقصى ما بلغه الفن القصصي التاريخي في الأدب الفارسي ، من حيث الإجادة ، والإتقان والشهرة ، وكانت — فيما بعد — مثاراً للتقليد من جاءوا بعد صاحبها . فقد رأينا كثيراً من الشعراء ينظمون القصص التاريخي عن أفراد . حتى كان « حمد الله المستوفی » فنظم حوادث التاريخ في كتابه « ظفر نامه » في خمسة وسبعين ألف بيت . لكن لم تكن للكتب التي سبقت الفردوسی ، أو التي جاءت بعده ، شهرة شاهنامته ، أو مكاتنها في الأدب الفارسي . فظل هو أكبر شاعر للملاحم في ذلك الأدب ، لم ينزع مكاتنه أحد بعده حتى الآن .

ثانياً — المثنويات الصوفية :

وقد بكرت هذه أيضاً ، منذ ظهر الشعر الفارسي وكان من طلائع شعراء المثنويات الصوفية « أبوشكور البلخي » . عاش في صدر العهد الساماني ، وتنسب إليه منظومة صوفية تسمى « آفرين نامه » ألّفها سنة ٣٣٦ هـ .

ثم « أبو المؤيد البلخي » وقلت عنه سابقاً إنه تقدم « الفردوسی » في نظم بعض قصص الشاهنامه . كذلك قد سبقه أيضاً ، في نظم قصة صوفية دينية أخرى هي قصة « يوسف وزليخا » ، وبهذا يشير الفردوسی :

مر این قصه را باری کرده اند بدودر معانی بگسترده انسند
 یکی بو المؤید که از بلخ بسود بدانتن همه خویشتن را سستود

ثم جاء « العنصری » ، في العصر الغزنوي ، فنظم قصصاً مثنوية أخرى ، بعضها صوفي ، وبعضها غير صوفي ، ومن بينها قصة « وامق والعدراء » و « سرخ بت » و « خنك بت » و « عين الحياة » .

وجاء الفردوسى فنظم قصة « يوسف وزليخا » بعد انتهائه من نظم الشاهنامه
تسكيراً له على نظمه قصص التاريخ الإيراني المجوسى .

فلما جاء العصر السلجوقى ، وكانت تتجلى فيه الروح الصوفية ، ظهر من رجال
التصوف «بابا طاهر» و «أبو سعيد بن أبي الخير» . ولكن الشخصية الصوفية ، التى
غذت الروح الصوفية ، بكثير من قصصها فى هذا العصر وبالكثير من اتجاهاتها ،
هى شخصية « السنائى » ، وكانت منظوماته كلها صوفية ، ومن بينها « حديقة
الحقائق » و « طريق التحقيق » و « سير العباد إلى اليعاد » . وتروى له مثنويات
أخرى هى « عشق نامه » و « عقل نامه » و « عنو نامه » .

وفى أخريات هذا العصر ظهرت شخصية صوفية أخرى ، من أعظم
الشخصيات . ذلك هو « العطار » . نظم عدة منظومات تشرح عقائدهم ،
وتبسط أحوالهم ومقاماتهم ، وأكثر من هذا اللون الصوفى . ومن كتبه الصوفية
« منطق الطير » و « إلهى نامه » و « أسرار نامه » و « مظهر العجائب »
و « لسان الغيب » .

فلما كان عصر المغول ظهر أكبر شاعر صوفى ، فى المنظومات المثنوية ، ذلك
هو « جلال الدين الرومى » فى « المثنوى المعنوى » .

وقد اعترف جلال الدين بمنزلة أهم الشعراء الصوفيين قبله ، وهما « السنائى »
« والعطار » فى قوله .

عطار روح بود وسنائى دو چشم أو ما أز پى سنائى وعطار آسديم

وفى قوله مشيراً إلى العطار :

هفت شهر عشق را عطار گشت ماهنوز أندرخم يك كوچه إيم

لكن مكانة جلال الدين فى الأدب الصوفى ، لاتدانيها مكانة أخرى ،
بين شعراء الفرس بفضل « المثنوى المعنوى » .

ثالثاً — المثنويات التعليمية :

وهذا اللون من المثنويات ظهر أيضاً منذ القدم . ظهر عند « الرودكى » الشاعر السامانى ، فى نظمه لقصة « كلية ودمنة » . ثم مضى فى العصر السلجوقى فظهرت شخصية عرضنا لها سابقاً ، جمعت بين اللونين الصوفى العام ، والصوفى التعليمى . ذلك هو « السنائى » فكان — كما أسلفنا — من أصحاب المثنويات الصوفية . وهو بجوار ذلك من رجال المثنويات التعليمية .

وكتابه التعليمى هو الكتاب المشهور بين مؤلفاته والمعروف « بمجديقة الحقائق » . وقد قدم هذا الكتاب إلى السلطان « بهرام شاه » السلجوقى . وقسم هذا الكتاب إلى عشرة أبواب .

فلما كان عصر المغول ، العصر الذى نشأ فيه « سعدى » كانت حاجة المجتمع إلى هذا اللون أسد ، وكانت الفكرة أطوع وأنظم ، وكانت حساسية الشاعر بالحاجة إلى هذا اللون شديدة ، فأخذ ينظم كتابه « البوستان » . وكان كتابه خير كتاب تعليمى أخلاقى ظهر فى الأدب الفارسى .

ويبدو أن « السعدى » بدأ يقلد « السنائى » فجعل كتابه على عشرة أبواب كذلك ، ولعله تأثر به فى الفكرة ، والاتجاه ، فقلده فيما . لكنه عالج الموضوع بطريقة الخاصة ، التى كانت فيها روحاً ، وحياة ، مما جعلت كتابه « البوستان » أكثر مورداً من « حديقة السنائى » وجعلت شهرته بين شعراء الفرس الأخلاقيين ، تأخذ المكانة الأولى .

وبهذا وصفته دائرة المعارف البريطانية فقالت : « إنه أكبر شاعر أخلاقى ظهر فى فارس ^(١) » .

(١) انظر ترجمه الشاعر فى دائرة المعارف البريطانية . وقد اعتمدنا فى كتابة هذا الفصل على كتاب تاريخ أدبيات إيران للدكتور رضا زاده شفق . وما كنب فى مجلة مهر للاستاذ تربيت العدد ٨ — ١١ السنة الخامسة بعنوان « مثنوى ومثنوى گويان » .

الفصل الرابع

وصف أهم النسخ الموجودة من البرستانه

رجعتُ في هذا إلى ما سجل بمكتبة الجامعة من المخطوطات ، والمطبوعات .
وهي من هذه الناحية أغنى المكتبات الموجودة بمصر .
وقد تخيرت من المخطوطات أتمها ، وأجودها ، وأبعدها قدماً ، ثم تخيرت
نسخة من طبعات كل من إيران ، والهند ، وتركيا ، وأوروبا ، ونسخة المرحوم
محمد علي فروغى ، التي نشرت حديثاً بإيران .
وأخذ الآن في وصف هذه النسخ .

١ — النسخة المخطوطة : هي أقدم النسخ كما قلت ، وأحسنها عناية ،
وتبويباً ، ووضوحاً ، وأجودها خطأً . فضلاً عن أنها كاملة النص ، سليمة .
وقد كتبت على ورق جيد مصقول والنسخة بمكتبة الجامعة تحت رقم ٤٦٤ فارسى .
وأما كاتبها فهو « محمد بن جعفر الروشى الشيروى » . انتهى من كتابتها
أواخر شهر رمضان المبارك سنة ٩٧٨ هـ .

وتقع هذه النسخة في مائة وخمسين ورقة ، مكتوبة بالخط الفارسى الواضح ،
وتحدد القطع فيها بفواصل ذات خطين بالمداد الأحمر ، بينهما عنوان القطعة
أو الباب بنفس المداد .

وبها مشها وداخلها شروح بالفارسية ، بخط فارسى رفيع ، وحجم غلاف
الكتاب ١٧ سم طولاً ، في ١١ سم عرضاً ، أما أبعاد الإطار الداخلى ، الموجود فيه
النص ، فيقع في $11\frac{1}{4}$ سم طولاً ، في ٦ سم عرضاً .



صورة للسلطان « ابو الغازى حسين بقرا » من امراء آل نيمور
يجلس ومعه بعض رجال الحاشيه ، تصوير بهراد : عن النسخه
الخطيه من البوسنان ص ٢ بدار الكتب

٢ — نسخة إيران : ولم نعر على نسخة مستقلة من «البوستان» طبعت في إيران قديماً أو حديثاً ، وكل ما طبع منه كان ضمن الكليات .

وتخيرت منها — بعد مقابلتها — نسخة بالحجر أخذت في تبريز « دار السلطنة » في عهد السلطان « محمد شاه غازي » وتم طبعها سنة ١٢٥٨ هـ .

وهذه النسخة أقدم النسخ الموجودة طباعة ، فضلا عن أنها أحسن خطأ . لكن لا توجد بها هوامش أو شروح ، وليس بداخلها فواصل . فهي تضع العنوان وسط الصفحة بالخط الفارسي الكبير بين الأبيات ، وقد يصعب أحيانا تمييز بدء القطعة ، نظراً لأن العنوان يقابل عدة سطور في النسخة .

وكان طبع هذه الكليات بإشراف « محمد تقى الحسيني الحسيني » والنسخة بمكتبة الجامعة تحت رقم ٥٨٠ فارسي .

٣ — نسخة الهند : وفي الهند طبع « البوستان » كثيراً — منفصلاً وداخل كليات — وطبعه منفصلاً أجود ، وأوفى . وبعضها به كثير من الشرح ، وفهارس ، ومعاجم للألفاظ .

وطبعات الهند تنفق كلها في عدد القطع ، وعنوانها ، ومطالعها . وقد تخيرت منها أوفاهها ، وهي طبعة ظهرت في ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٠٩١ م في مدينة « كامبور » وهذه النسخة بها شروح على الهامش بالفارسية ، تدور حول الصفحة في صفين متوازيين ، وفي آخرها معجم مبوب حسب الحروف الأبجدية ، وموضوعة بالمكتبة تحت رقم ١٢٥٩٢ بالقسم العربي .

٤ — نسخة تركيا : طبع الكتاب في تركيا طبعة مشروحة باللغة التركية . شرحت الألفاظ في البيت ثم ينتهي الشرح بالمعنى العام له .

وهذا الشرح هو شرح « سُودِي البوسنوي » المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ . ويقع في جزئين في مجلد واحد ، يتضمن الجزء الأول شروح القطع الأولى من مقدمات

الكتاب مضافاً إليها شروح أبواب العدل ، والإحسان ، والعشق . والجزء الثاني في شرح بقية الأبواب .

وهذا الشرح أحسن الشروح وأوفاهها . فلم يشرح «البوستان» في لغة أخرى شرحاً وافياً مفصلاً دقيقاً كشرح «سودى» .

ويشير صاحب «كشف الظنون» إلى أن الأتراك اهتموا بشرح «البوستان» ولكن شرح «سودى» أحسن الشروح ، وأبسطها ، وأقربها إلى التحقيق . والنسخة التي اعتمدنا عليها في مكتبة الجامعة تحت رقم ٣٣٩٢ تركى .

٥ — نسخة أوروبا : في سنة ١٨٥٨ م نشر «جراف Graff» طبعة للبوستان عن نسخة «سُرورى»^(١) طبعها في «فيينا» وقدمها إلى أمير «ساكس» وكتب لها مقدمة مختصرة بالفرنسية وهي نسخة محققة ، جيدة صحيحة ، ليس بها تحريف أو سقط . كما أنها تشير إلى الاختلافات بينها وبين النسخ الأخرى التي قوبلت بها .

ومن محاسنها أنها أثبتت النص في أعلى الصفحة ، وجعلت الجزء الباقي منها في بيان معاني المفردات ، دون شرح للبيت نفسه . ومن محاسنها كذلك أنها ترقم الباب كله مبتدئة بالعدد واحد حتى نهاية الباب . فمن السهل معرفة البيت بسهولة . كذلك جعل في آخرها ثبنا للكلمات الصعبة ، التي أشار إليها خلال الشرح مبيناً صفحاتها التي وردت فيها .

لكنها بجانب ذلك لا تضع عناوين القصص في مطلعها ، بل جعلتها آخر الكتاب بجانب الفهرس . كما أنها اختصرت عدد القصص ، وأدجت الكثير منها في بعضها . والنسخة موجودة بمكتبة الجامعة رقم ١٢٥٩٠ بالقسم العربى .

(١) شارح تركى آخر معاصر للشارح سودى .

٦ - نسخة فروغى : هي نسخة للكليات جميعها ، صدرت بطهران أخيراً سنة ١٣٢١ هـ . ش . تحت إشراف المرحوم « محمد على فروغى » . نشرتها شركة التضامن العلمية ، وقد أشرنا إلى أن هذه النسخة أخذت عن مخطوطة « على بن أحمد البيستونى » التي جمعها سنة ٧٢٦ هـ . وأعاد تنظيمها وتبويبها سنة ٧٣٤ هـ .

لكن هذه النسخة لم تنشر نشرأ علمياً ، كما ينبغي ، ففيها الكثير من الأخطاء المطبعية ، وليس لهذه الأخطاء مرجع فى الآخر ، كما أنها مجرد نص لا يقوم على مقارنة ، أو مقابلة بغيرها من النسخ التي سبق طبعا ونشرها ، ولهذا تضعف الثقة بها كما أشار إلى ذلك الأستاذ « آر برى » (١) .

أما طريق النسخة فى البوستان فإنها أجملت القصص التي تعتبر استطرادية داخل القصة ، وجعلت عنوان القصص كلمة « حكايت » . وخلال بعض القصص تضع فواصل من نجوم ثلاث ، وهذه ظاهرة لم توجد فى أية نسخة من النسخ التي ذكرناها سابقاً .

ولسنا ندرى هل هذه الفواصل موجودة فى نسخة الأصل أم أنها من عمل الناشر . ؟؟ وبعض هذه الفواصل تحدد أحيانا بيتاً واحداً إذا ما انتقل الشاعر إلى معنى جديد فى داخل القصة ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ذلك من عمل الناشر . فالانتقال عند الشاعر داخل الحكاية من فكرة إلى فكرة لا يقتضى الفصل ما دامت فى مجموعها تتصل بموضوع واحد .

وقد اعتمدنا على هذه النسخة عند الإشارة إلى الاستشهادات المختلفة من القصائد أو المراثى أو غيرها من مؤلفات الشاعر غير « البوستان » .

أما استشهادات « البوستان » فلنكي نظمئن على صحة رواية البيت راجعناه في هذه النسخة ، ونسخة جراف ، ثم حددنا موضعه في النسخة الأخيرة واتخذناها مرجعاً لصحتها ودقتها .

ومن المعروف أن الكتاب ينقسم إلى مقدمة ، تحتوي بعض القطع في مدح الذات الإلهية ، والرسول عليه السلام ، ومدح أمير فارس أبي بكر ، وابنه ولي العهد ، وبينها قطعة في سبب نظم الكتاب . وبعد هذا يتضمن عشرة أبواب على الترتيب الذي يظهر في الجدول الآتي :

ونحن نضع أمامنا مقابلة بين هذه النسخ من حيث عدد القطع في كل منها .

الأبواب	المخطوطة	نسخة إيران	نسخة الهند	نسخة سودي	نسخة Graff	نسخة فروغى
المقدمة	٥	٥	٥	٦	٥	٥
١ — باب العدل	٥٣	٥٢	٥٤	٥٦	٢٤	٢٠
٢ — باب الإحسان	٣٦	٣٦	٣٥	٣٦	١٦	٢٤
٣ — باب العشق	٣١	٣٠	٢٨	٣١	٢٢	٢١
٤ — باب التواضع	٣٠	٣١	٣٠	٣١	٢٧	٢٧
٥ — باب الرضا	١٧	١٥	١٦	١٧	٨	١٣
٦ — باب القناعة	١٥	١٤	١٦	١٦	٦	١٤
٧ — باب التريفة	٣٤	٣٣	٣٤	٣٤	١٢	٢١
٨ — باب الشكر	١٦	١٦	١٦	١٧	٨	٩
٩ — باب التوبة	٢٥	٢٣	٢٣	٢٥	١٣	١٩
١٠ — باب المناجاة	٦	٦	٦	٦	—	٤

الفروق بين النسخ :

لا خلاف بين النسخ المختلفة في عدد أبواب الكتاب . فهذا التقسيم راجع إلى عمل الشاعر نفسه . لكن الخلاف يبدو — كما رأينا — في عدد القطع ، مما يشعر أن هذا التفاوت جاء من طريق النساخ والرواة .

والظاهر أن الشاعر نفسه كان لا يعنيه كثيراً وضع الحدود بين القصة والقصة ، فأحياناً تكون الفكرة مبهمة ، أو الحادثة نادرة الوقوع ، فيحتاج الأمر إلى إيراد قصة أخرى للإيضاح ، أو للتدليل على إمكان الوقوع . كما أنه كثيراً ما يعقب على القصة ، أو يطوى فيها مثلاً من الأمثال ، أو حكمة من الحكم ، ليؤكد المعنى في ذهن السامع . ومن هنا اضطرب النساخ والرواة في تحديد بعض القصص ، وأحياناً في عدد الأبيات .

والنسخ التي عرضنا لها يتضح منها مدى الخلاف بينها في العدد من ناحية القطع . وهذا الخلاف ليس ظاهراً كثيراً بين النسخ وبعضها ، إلا فيما بينها وبين نسختي جراف وفروغى .

ومرد هذا الخلاف ، أن القطع التي تعتبر عرضية ، أو من قبيل المثل أو النصيحة ، جعلت متصلة بالقصة الأصلية ، مرتبطة معها في الفكرة . أما الذين توسعوا في عدد القصص ، فقد رأوا في كل انتقال جديد مقومات القصة ، فاعتبروها قائمة بذاتها ، وكان ذلك هو الأعم الأغلب . ومن هنا يمكن لنا أن نطلق كلمة قطعة على جميع قطع الكتاب بدل أن نطلق كلمة قصة ، وذلك لعموم الأولى في الدلالة ، وليمكن إدخال قطع المقدمة ، فهي ليست قصصاً .

ويمكن أن نوضح أسباب الخلاف بين النسخ ببعض أمثلة :

١ — من حيث التشويق ، في القصة بقصة أخرى ، يمكن أن نتخذ مثلاً على ذلك ، قصة تدور حوادثها حول «عمر بن عبد العزيز» وشفقته على الرعية .

تبلغ في «جراف» خمسة وعشرين بيتاً، تبدأ من رقم ٣٣٤ إلى رقم ٣٥٨ دون فاصلة .
لكن نسخة سودى تجعلها قطعتين ، والمطلع واحد في النسختين وهو :
بكي أز بز رگان أهل تمسيز حكايت کند ز ابن عبد العزيز
تجعلها نسخة سودى في سبعة عشر بيتاً ، تنتهي عند هذا البيت :
كس أز فتنه در پارس ديگر نشان نبيند مگر قامت سهو شمسسان
ثم تشق من هذه القصة قصة أخرى تحت عنوان « حكايت » يتحدث
فيها عن ذى وجه قمرى ، ممشوق القوام كأنه السرور . فالبيت السابق
وهو الأخير في القسم الأول ، كان في الحديث عن الفتنة ، فأخذ هذا وسيلة
عند «سودى» ومن جرى مجراه في التقسيم ، لفصل القصة عن بعضها
وإن كانت القطعة الثانية في إظهار المعنى الذى تضمنه البيت الأخير وتوكيده ،
انتقل إليه الشاعر استطراداً . ومن هنا اتخذ النساخ هذا الانتقال وسيلة لفصل
القصة عن بعضها .

٢ — ومن حيث اتساع القصة ، بأمثال أو نضائح ، نأخذ لهذا قصة في « باب
العدل » مطلعها :

زدربای عمان بر آسند کسى سفر کرده دریا وهامون بسى
تتفق نسخة «سودى» مع «جراف» في المطلع ، وتختلفان في العدد ،
فعدد الأبيات عند «جراف» مائة وأربعة وأربعون بيتاً ، تبدأ بالبيت رقم ١٢٢
وتنتهى عند ٢٦١

أما نسخة «سودى» فتفصل القصة عند البيت ٢٠٨ ، وتجعله مطلعاً لقطعة
جديدة تحت كلمة « تمثيل » ، وهو :

ندا نم کجا دیدم در کتساب که ابليس را دید شخصى بخواب
وتتفق معها النسخة المخطوطة ، ونسخة الهند ، مع اختلاف في المطلع .

أما نسخة « تبريز » فتجعل القسم الأول من نسخة « سودى » يتضمن ثلاث قطع ، تضع الثانية منها تحت كلمة « مثل » وهى فى ثلاثة أبيات تبدأ بالبيت :
بخرده توان آتش أفر وختسه پس آنکه درخت كهن سسوخته
ثم قطعة أخرى بعد الأبيات الثلاثة ، تحت عنوان « بند » أى نصيحة ،
وتختتم هذه القطعة عند البيت الذى أشرنا إليه فى نسخة « سودى » .

ندانم كجا ديدم أم در كتاب البيت .

فالقطة الواحدة — كما شاهدنا عند « جراف » — احتملت قطعتين عند « سودى » بعنوان « تمثيل » للثانية ، واحتمل النصف الأول عند « سودى » ثلاث قطع فى نسخة « تبريز » كانت الثانية تحت عنوان « مثل » والثالثة بعنوان « بند » .

ومن هنا كان مصدر الكثرة فى عدد القصص عند البعض ، وقلتها عند الآخرين .

فأما من حيث عدد القصص فى الباب ، فإننا سنختار التقسيم الذى ذهبت إليه نسخة « سودى » دون غيرها ، فإنها من هذه الناحية أكثر انتظاماً وأصح من غيرها فى تحديد القصة .

وأما من حيث الدلالة على الأبيات أو أرقامها ، فسنختار لها نسخة « جراف » لأنها من هذه الناحية ، أصح النسخ التى بين أيدينا ، كما أن فيها كثيراً من الإشارات إلى الخلاف ، وهى بجانب ذلك أحسن النسخ طباعة ، وإخراجاً ، وتحقيقاً ، وإتقاناً .

وننتهى من هذا إلى أننا استخدمنا كلا النسختين « سودى » و « جراف » الأولى للدلالة على عدد القطع ، وترتيبها ، والثانية للدلالة على مطلع القطعة ، ورقمها فى الباب ، وعدد الأبيات .

الفصل الخامس

أبواب الكتاب وموضوعها

قلنا سابقاً إن تقسيم الكتاب إلى أبواب ، من عمل الشاعر نفسه ، وقد أشار إلى ذلك في قوله من القطعة الثالثة في المقدمة «سبب نظم الكتاب» .

— حين أتممت هذا الصرح العامر ،

جعلت له من أبواب التريسة عشرأ .

— أحدها باب العدل والتدبير والرأى ،

وحفظ الرعية ، والخشية من الله .

— ثم وضعت أساس باب الإحسان ،

حتى يشكر المحسن فضل الله .

— وجعلت الثالث باباً في العشق، والشكر ، والوجد

وليس في العشق الذي يطلبه الناس بالقوة^(١)

— والرابع باب في التواضع ، والخامس في الرضا ،

والسادس في وصف الرجل القانع .

برو در ده از تربیت ساختم
نگهبانی خلق ، وترس خدای
که منعم کند فضل حق را سپاس
نه عشقی که بندند بر خود بزور
ششم وصف مرد قنساعت گزین =

(١) چو این کاخ دولت پرد اختم
یکی باب عدل است و تدبیر و رای
دوم باب احسان نهادم أساس
سوم باب عشق است و مستی و شور
چهارم تواضع ، رضا پنجمین

— والسابع باب في عالم التربية ،
والثامن باب في الشكر على العافية .
— والتاسع باب في التوبة وطريق الصواب ،
والعاشر باب في المناجاة واختتام الكتاب .

والشاعر في هذه الأبواب جميعاً ، يحاول أن يرسم صورة الإنسان المثالي ،
فكل باب منها علاج لمشكلة اجتماعية ، وهداية إلى حياة روحية ، وانصراف
عن شهوات مادية ، ودعوة إلى تربية أخلاقية ، كل هذا كان يؤديه الشاعر ،
في ذلك اللون من الشعر الأخلاقي التعليمي .

كان الشاعر يخشى سطوة الملوك والحكام فتعسف بالرعية ، فيضع لها
« باب العدل » وهذا الباب ملائم لوضعه في الكتاب . فالملوك هم الطبقة الأولى
في الأمم ، وهم المشرفون على توجيه شعوبهم ، فيضع باهم في الأول .

وكان الشاعر يخشى إمساك الأغنياء ، ومسغبة الفقراء ، فيضع الباب الثاني
« باب الإحسان » وهو أيضاً ملائم لوضعه ، بجانب الباب الأول . فهو يعالج
أمراً يتصل بالطبقة الثانية بعد الملوك .

ثم ينزل الشاعر بعد ذلك إلى الشعب فيشركه بقية الأبواب .

يخشى الانصراف إلى الماديات ، وإلى الدنيا وحبها ، فيضع للناس باباً روحياً
هو « العشق الصوفي » ويخشى التكبر فيضع « باب التواضع » . ويخشى
اضطراب النفوس ، بما قسم لها فيضع « باب الرضا » . ويخشى النهم ،
والجشع ، فيضع « باب القناعة » . ثم يخشى الغرور ، وسيطرة النفس
على الإنسان ، كما يخشى إهمال الولد ، والزوجة ، والخدم ، فيضع « باب التربية »
يعرض فيه ألواناً من العناية بهؤلاء جميعاً .

بهستم در آز شكر بر عافيت
دهم در مناجات ، و ختم كتاب

= بهستم در آز عالم تسسريت
نهم باب توبه است ، و راه صواب

ثم يضع الأبواب الثلاثة الأخيرة عامة بين الإنسان وربه ، في « الشكر على العافية » . وفي « التوبة » من المصيبة . وفي « المناجاة » يلجأ إليه يناجيه في كل ملة وكارثة .

وهكذا تتمشى الأبواب مع طبيعة وضعها في الكتاب ، وطبيعة أوضاع الحياة تقريباً .

على أن بعض القصص في « البوستان » يمكن أن ينظر إليها من جانبيين . ولهذا يمكن وضعها في باين مختلفين . ففي باب « الإحسان » مثلاً . وهو الثاني تأتي القطعة الأخيرة منه تحت عنوان « مقال في هيئة الملوك ونهاية الملك والسياسة » هذه القطعة تصلح — من حيث الموضوع — وكما هو واضح من عنوانها ، أن تكون في باب العدل . كما أن هناك بعض القصص في باب التربية ، تصلح لأن تكون في باب العشق ، كالفصحة التي عنوانها « مقال في الاحتراز من محبة المرء » ورقها ٢٨ في سودى .

وفي باب المناجاة ، يمكن رد القطعة السادسة إلى باب التوبة . فأمثال هذه القطع يمكن النظر إليها من ناحيتين ، كل ناحية تمثل باباً من الأبواب التي أشرنا إليها .

لكن الأبواب في مجموعها مستقلة ، وطريق العلاج مستقل ، وحتى القصص المشتركة التي نوهنا عنها ، يعالجها الشاعر على أنها من الباب ذاته ، ناظراً إليها من حيث المغزى .

والكتاب كله في مجموع أبوابه ، هداية للنفس الإنسانية ، حتى تتجرد عن مباحج هذه الدنيا ، فنسبو إلى أعلى المراتب الروحية .

وقد رسم الشاعر في كل باب من تلك الأبواب ، الخطة التي يرتضيها ، ليلبغ الطالب فيها مثاله ، وأرشده إلى ما تطويه هذه الأبواب من ألوان الرياضة الروحية محاولاً في كل ذلك أن يرسم فيها صورة للإنسان كما ينبغي .

هل من فروق بين كتابي الشاعر البوستان والگلستان؟

وضع الشاعر بعد عام من تقديمه البوستان سنة ٦٥٥ هـ كتابه الثاني المشور يعالج أيضاً موضوعات تتفق مع موضوعات البوستان في بعضها وتفتقر عنها في بعضها الآخر .

ونحن يمكننا أن نشير إلى مواضع الفروق بين هذين الكتابين فيما يأتي ، من نواحيهما المختلفة .

أولاً — فأبواب « البوستان » عشرة وأبواب « الگلستان » ثمانية ، ويتفق الكتابان في أربعة من هذه الأبواب على اختلاف في أوضاعها ، يتفقان في باب الملوك ، ومكانه الأول في الكتابين . كما يتفقان في باب التربية ، ومكانه السابع في الگلستان ، وباب العشق يرد الخامس ، كما يرد باب القناعة الثالث في الترتيب .

وقد اختلف الگلستان عن البوستان فيما عدا ذلك من الأبواب مع الزيادة التي نلاحظها في البوستان . فأقام باباً للدرائش ، وباباً في فوائد الصمت ، وباباً في الضعف والشيخوخة ، وباباً في آداب الصحبة .
فمحاولة الشاعر رسم صورته تختلف في مناهجها في كلا الكتابين .

ثانياً — يفتقر الكتابان كذلك من حيث الشكل فالبوستان شعر كله ، والگلستان نثر فيه بعض الشعر ، وقلمنا نجد قصة تخلو من شعر ، كما أن من النادر أن نجد قصة بذاتها من النظم .

ثالثاً — ويفترقان كذلك ، من ناحية الأداء ، فالبوستان يخف فيه اقتباس العبارات العربية . بينما كان من اليسر والسهولة أن يكثر الاقتباس في الگلستان . وهذا يعطى لوناً آخر من ألوان الأداء في ذلك الكتاب .

رابعاً — تبدو في البوستان الروح التعليمية الأخلاقية أكثر من الغلستان فهو في كل الأبواب يحاول أن يرسم الصورة كما ينبغي أن تكون ، يحاول أن يرسم إنساناً مثالياً على أحسن صورة وأتمها .

على أنه يبدو في الغلستان طبيعة الترويح عن المجتمع . فحشد له في هذا الكتاب كثيراً من القصص التي لا يلزم فيها بشيء ولا ينادى فيها بأمر . فهي مجرد قصص للترفيه والتخفيف ، ومن هنا تبدو كثرة أوامره في البوستان ، وجرأته وعدم تهيبه ، ودعوته للمخاطب في مستهل كل باب . وبقوله إن ناصأحه — وإن كانت مرة — فهي مفيدة ولا يتأتى العلاج المفيد إلا من الدواء المر .

وكان من مظاهر الترويح عن المجتمع في الغلستان ، والتبسط معه ، هذا التلوين الذي أظهر فيه الكتاب من نثر وشعر ، ومن اقتباسات مختلفة ، من الأشعار ، والآيات ، والأمثال ، والحكم .

كذلك كان من النادر أن يعمد فيه إلى الألفاظ الغريبة ، فهو في الغلستان كاتب شعبي بمعنى الكلمة ، كما لقبه الأستاذ آر برى^(١)

خامساً — ومن هنا كانت تبدو في دعوته في البوستان الروح الجديدة ، الروح الجافة الإيجابية — إن صح هذا التعبير — ، وكان منهجه فيه أن يرسم الخطة ويطلب بالتزامها . كما كان عنيفاً في مطالبه ، حريصاً على الدعوة بالتزامها ، بينما تخف هذه الروح في الغلستان ، فيبدو أكثر بساطة وأخف إيجابية .

وقد جاء كثير من الشعراء بعده ، وحاولوا تقليده ، وخاصة في كتابه الغلستان ، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى مستواه .

Arberry : Kings A. Beggars. p. 22. (١)

كان من أهم هؤلاء الشاعر « عبد الرحمن الجامي » المتوفى في القرن التاسع الهجري ، أخذ يقلده في كتابه « بهارستان » . كذلك جاء بعده الشاعر « قآ آني » وأخذ يقلده في كتابه « پریشان » خواطر . لكن الشعارين لم يدركا مكانة سعدى ، لا في تناولها للموضوع ، ولا في أسلوبها . وكانت كتابتهما ترمي غالباً إلى فكاهات لا تعالج أموراً أخلاقية ، أو تعليمية بالمعنى الذي وصل إليه سعدى . وبهذا لم يتيسر لهما مزاحمته .

ويعد جامي أول محاول لتقليد سعدى في انگلستان . لكن نثره مسجوع متكلف . كما يقول الأستاذ « على أصغر حكمت »^(١)

على أننا ننهي من كل ذلك ، بما قاله الأستاذ « آر برى » من الإشادة بمكانة سعدى في قوله :

« والقصة التي يعرفها كل كاتب شرقي ، قد تطورت على يد سعدى ، فأضحت فناً جميلاً يشبه فن التصوير . فسعدى — كفنان — كان يشتغل في اتجاهين . اتجاه الأفكار ، واتجاه الكلمات ، وكان يرسم صورته بمنتهى الدقة والمهارة ، فيضع هيكلها أولاً ، ثم يشتغل في التفاصيل بمهارة فائقة ، وعبقريّة لم يعهدها الأدب الفارسي . فهو لا يتجاهل أصول الفن ، من تشبيهات ، واستعارات ، وحقيقة ومجاز أو سجع ، ولكنه في الوقت نفسه متيقظ جداً يجنب نفسه العثرات التي يقع فيها غيره من الكتاب الفرس ، أو العرب الذين يحملون المادة فوق ما تطيق^(٢) . »

ومن هنا يمكن أن نقول إن سعدى قد تسنم الذروة بين شعراء الفرس الأخلاقيين . فلم يستطع من جاء بعده أن ينزله من مكانته التي بلغها ، سواء من ناحية نظمه في « البوستان » ، أو نثره في « انگلستان » .

(١) أنظر جامي للأستاذ على أصغر حكمت ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٢) Arberry : Kings and Beggars : p. 22

الفصل السادس

طربور الشاعر في قصص البوسنة

تنقسم القصة حسب طبيعتها إلى قسمين :

١ - موضوع . ٢ - وشكل .

وحسب وضعها في الكتاب أيضاً ، يمكن أن تنقسم إلى هذين القسمين .

١ - القصة من حيث الموضوع : وكان الوضع يقتضى أن نتكلم عنها
— أولاً — من حيث الشكل ، لكن الموضوع في القصة لا يتخلف . كما أنه
جزء أساسى فأمم بذاته . تستخدم له الوسائل الأخرى للوصول إليه ، ولن يتعدد
الموضوع في القصة ، ولهذا تخيرنا الكلام عليه أولاً .

والموضوع هو الغرض من القصة ، والمنزى الذى تجرى القصة من أجله . فكل
قصة وراءها غرض من الأغراض ، وكل أغراض القصص التى تناولها الكتاب ،
تتفق مع الباب الذى اختيرت له .

٢ - القصة من حيث الشكل ، ونعني بالشكل ما يأتى :

أولاً — الزمن الذى اقتضته القصة .

ثانياً — المكان الذى دارت فيه .

ثالثاً — الأشخاص الذين يديرونها . أو تدار على ألسنتهم .

القصة من حيث الزمن : ونعنى به ماقتضيه القصة من حيث الإطالة والقصر ،
وهذا منهج مألوف فى طبيعة القصة نفسها ، والتزمه الشاعر عند إدارته للقصة .
كان يطيل حين تدعو الحاجة إلى الإطالة ، وحين لا تدعو يُقل . يطيل أحياناً

حتى ليبلغ في القصة مائة بيت أو يجاوزها ، كما في القصة الثامنة من باب «العدل»
ومطلعها :

زدر ياي عمان بر آمدكسى الخ .

فهى تبلغ في تقسيم « سودى » مائة وعشرة أبيات . إذ تدور حول سياسة
الملك ، ووشاية الوزراء ، ومصير الواشى . فلا بد لها من إطالة ، ولا بد لها أن تعالج
هذه المشكلة علاجاً يوضح السبيل فيها . وأحياناً تتضائل القصة حتى لا تعدو
بیتين ، كما في القصة العاشرة من الباب التاسع « باب التوبة » ومطلعها :

زدم تيشه يكروز برتل خاك . الخ

فهى تعالج أمراً لا يدعو إلى إطالة ، هو قصر فترة الحياة الدنيا .

القصة من حيث المكان : عرضنا سابقاً لهذا عند الكلام على رحلات
الشاعر ، واتهمنا من ذلك إلى أنه لا يلزم من ذكر البلد ، أو المكان ،
أو الجهة أنه رحل إليها فعلاً ، أو شاهد الحادثة فيها بنفسه ، وإنما كانت
البلاد لغرض آخر قصد إليه الشاعر . فنقل القارىء معه حيث يكون الموطن
مقصوداً لذاته ، وحيث يجرى حوادث القصة ، ويظهر الغرض منها في بيئة
ملائمة لحوادثها .

ورأينا من ذلك رحلته إلى « كشغر » في السنة التى اصطلىح فيها « السلطان
محمد » مع « الخطا » وعدم إمكانها تاريخياً . كذلك رأينا قصة ذهابه إلى بلاد
المغرب ، مصطحباً أحد الأبدال ، حيث يريد أن يكشف للناس قدرة الله ،
ومعونته لرجاله الطاهرين ، فيجرى على ألسنتهم من الأمور الخارقة للعادة ، في
الموطن الذى يشتهر بين الناس أنه موطن خوارق العادات والسحر ، ومثل ذلك
ما لاحظناه من رغبته فى الحديث عن عبادة الأصنام فينتقل إلى الهند . ورأينا
عدم إمكان كل ذلك من حيث الواقع العملى .

القصة من حيث الأشخاص : أما اختيار الشاعر للشخصية ، فهو ميدان واسع يشهد له بالبراعة في حسن الاختيار ، وإسناد الأدوار ، كما يدل على الإلمام بتاريخ الشخصية ، وما عرف عنها ، أو اشتهرت به .

واختيار الشاعر للشخصية ، كاختياره للمكان سواء بسواء . فكما يعرف صلاحية المكان لإدارة قصة فيه . كذلك يعرف كيف يوزع الأدوار المناسبة على الشخصيات . فهو يفهم الشخصية تمام الفهم ، وما يمكن أن يحيط بها ، ويعلم كل دقائقها التاريخية والشخصية ، فينقلها إليك ، أو ينقلك لها ، ليجرى على لسانها حديثاً أو قصة مناسبة لها تمام المناسبة . ومنهج الشاعر في هذه الناحية ، يحوطه الكثير من الأحكام ، ولا يتخلف فيه عما رسمه لنفسه . فلا يتخير الشخصية اعتباطاً ليجرى على لسانها مجرد قصة ، بل يتخيرها لأمر ملحوظ في شخصها ، وأحياناً في تاريخها ، أو مكانها . وسنوضح ذلك عند الحديث عن الشخصيات التي تناولها .

وبجانب الشخصية الإنسانية التي أعدها الشاعر لقصصه . هناك قصص أخرى على لسان حيوان معروف أو جماد ، يدير قصة على لسانه ليستخلص منها حكمة أو موعظة .

أما القصص التي لم تتضح فيها الشخصية بالاسم ، فإننا نعتبرها من القصص العامة التي أوردتها في الباب لعلاج موضوعه العام .

ويمكننا أن نخرج من هذا ، إلى أن القصة من حيث الشخصية ، في الكتاب تنقسم إلى أربعة أقسام .

- ١ — قصة تدور حوادثها حول الشاعر نفسه .
- ٢ — قصة تدور حول شخصية تاريخية معروفة .
- ٣ — قصة تدور على لسان حيوان أو جماد معروف .
- ٤ — قصة عامة لم تتضح فيها الشخصية .

ومن المعروف أن كل باب من الأبواب ، خلاصة من الأفكار ، في مجموعة من القطع . ولهذا سنسير في معالجتنا لأفكار الكتاب على هذا النحو .

١ — تحليل القصص التي تدور حول أشخاص معروفين ، أو على لسان حيوان ، أو جماد . وذلك لندل على بيان الفكرة في اختيارها ، وكيف استخدمها الشاعر ، وكيف كان صحيح الفكرة في اختيارها .

٢ — عرض الأفكار العامة التي تناولها الباب كله في مجموع قصصه ، لنذكر من ذلك — بجانب ما أدركناه من الجزئيات في القصص الشخصية — ما هي الأفكار العامة التي عرض لها الشاعر في مجموع قصص الباب كله ؟ وبهذا يمكن أن نلم بالأفكار الأخرى التي لم نعرض لها في القصص الشخصية .

وهذا يقتضينا أن نعين حدود قصص الباب ، كما يقتضينا الاستشهاد على الفكرة أن نعين مكان البيت أو القصة . وهنا موضع الإشارة إلى ضرورة استخدام نسختي « سودى » و « جراف » الأولى في تعيين موضع القصة من الباب ، والثانية في تحديد موضع الاستشهاد من القصة ، وسنرقم القصص بحسب تحديدها في نسخة « سودى » .

أما نسخة « جراف » فقد سبق أن أشرنا إلى أنها مرقمة الأبيات ، وسندل — بجانب هذا — على بيت مطلع القصة ، وعدد أبياتها . كما سيظهر من الجداول التي سنستخدمها .

أما ترجمة الاستشهادات فقد كانت هناك طريقتان .

١ — إما أن أبين الفكرة ، دون ترجمة ، وأدل على الاستشهاد بالإشارة إلى القطعة أو البيت الذي تنطوى فيه الدلالة على الفكرة المشار إليها ، وقد تنسجم العبارة في مجموعها من تلك الطريقة .

٢ — وأما أن أترجم العبارة عند الدلالة على معنى من المعانى ، وأثبت البيت أو الأبيات ، التي تشير إليها في الهامش أو أشير إلى القطعة .

وقد التزمت الطريقة الثانية — مع ما فيها من الجهد — لأنها تضع أمام القارئ الترجمة والنص مباشرة ، فيشارك في الرجوع إليها عند الحاجة .

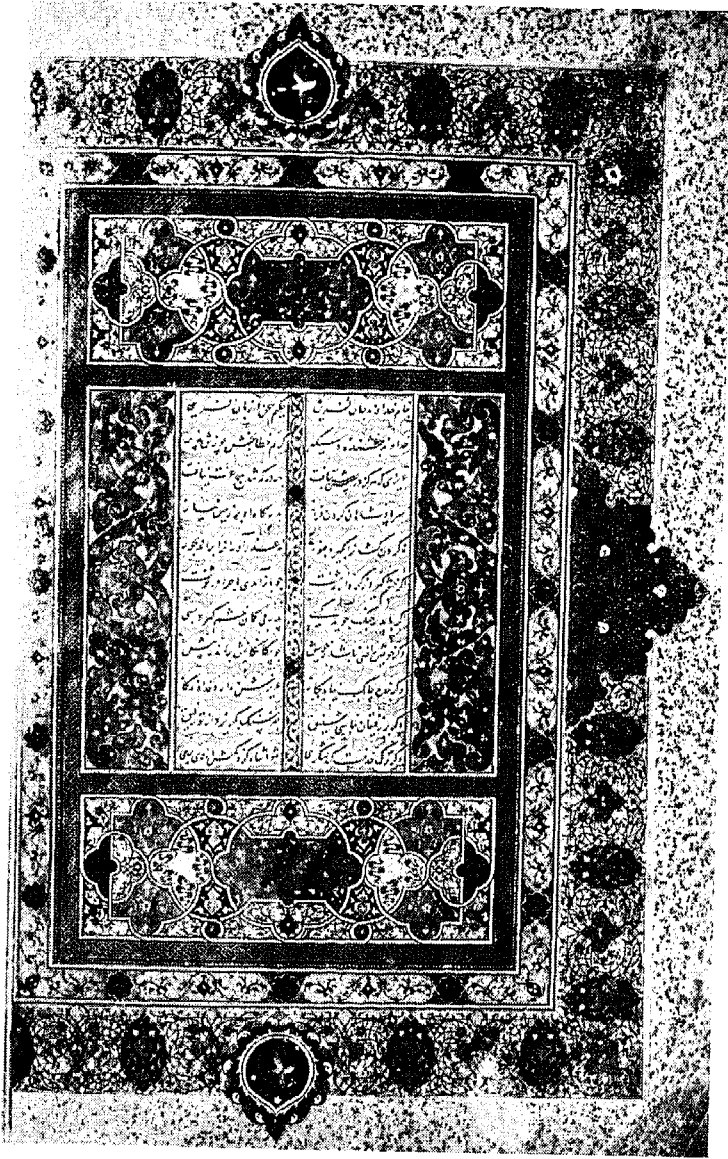
ولكنى أود أن أشير إلى أن ضيق المعنى في البيت أو الأبيات ، والحاجة إلى وضع ترجمة شبه حرفية — حتى لا تبعد الدلالة كثيراً — ربما أبعدا الانسجام عن العبارة في ترجمة بعض الأبيات .

وقد دلت على القطعة بحرف « ق » وعلى البيت أو الأبيات بحرف « ب » .

القسم الثاني

تحليل أبواب « البوستان »

أولا - تحليل قطع المقدمة



الصفحة الأولى من « البوستان » عن النسخة الخطية المحفوظة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢ ف والتي أخذت عنها بعض
الصور الأخرى وهى بريشة المصور الخالد بهزاد

تنظم المقدمة — كما رأينا — ست قطع في نسخة « سودى » وخمسا في بقية النسخ . وهذه القطع على الترتيب الآتى :

١ — قطعة في مدح الذات الإلهية لا عنوان لها .

٢ — قطعة في مدح الرسول عليه السلام بعنوان « درنعت محمد مصطفى عليه السلام » .

٣ — قطعة في مدح الخلفاء الراشدين ، تجعلها نسخة « سودى » منفصلة عن القطعة السابقة ، وتجعلها بقية النسخ تابعة لها .

والقطعة في ذاتها قريبة أن تكون تابعة ، من أن تكون مستقلة . فمدحه للخلفاء في تلك القطعة ، جاء على طريقة الاستطراد ، ولا يعدو ذكرهم أكثر من ثلاثة أبيات ، يعود بعدها إلى الكلام في مدح الرسول عليه السلام .

٤ — قطعة في سبب نظم الكتاب .

٥ — قطعة في مدح الأتابك « أبى بكر بن سعد » حاكم فارس .

٦ — قطعة في مدح الأتابك « محمد شاه » على الخلاف فيها كما رأينا سابقاً . وقد تكلمنا سابقاً عن القطع الثلاثة الأخيرة . وبقى أن نحلل القطعة الأولى والثانية .

القطعة الأولى : مدح الذات الإلهية .

وتجعل جميع النسخ هذه القطعة دون عنوان ، فهي افتتاحية ، يفتتحها باسم الله ، ثم يعرض ألوانا من وصف الذات الإلهية . وعدد الأبيات كما في نسخة « جراف » ثمانية وستون بيتاً ، وتتفق النسخ جميعاً ما عدا نسخة الهند في المطالع :

بنام خداوند جان آفرين حکیم سخن در زبان آفرین

وتضع نسخة الهند كلمة « جهاندار » بدل كلمة « خداوند » .

كما تشير نسخة « جراف » في الشرح ، إلى أن بعض النسخ يرد فيها البيت كله مخالفا لهذا .

بنام خدای که جان آفرین سخن گفتن آندرزبان آفرین
وأغلب أبيات هذه القطعة وصف في الذات الإلهية ، كما لاحظنا أنه يتردد فيها إشارات إلى المعاني التي عرض لها في أبواب الكتاب على اختلاف موضوعاتها .
ولهذا يمكن أن نقسم الكلام على هذه القطعة إلى ناحيتين :
أولا - أبيات وردت في وصفه تعالى ، وعجز الإنسان عن إدراك كنهه .
ثانيا - أوصاف تلتقي مع معاني الأبواب التي ضمنها الشاعر هذا الكتاب .

فأما الأبيات التي تتعرض لوصفه تعالى ، فيجتمع فيها وصفه بالقدرة ،
والقدم ، والخلق ، ثم في بيان عجز الإنسان عن إدراك كنهه تعالى .
ويفيض الشاعر في الاستطراد هنا في أكثر من خمسة عشر بيتا . نورد ترجمة جزء منها فيما يأتي :

— إن العالم متفق على إلهيته
لكنه عاجز عن كنه ماهيته .
— لم يعرف البشر شيئا وراء جلاله
ولم يدرك البصر منتهى جماله .
— ولن يبلغ طائر الوهم أوج ذاته
ولن تدرك يد الفهم أطراف صفاته . (١)

(١) جهان متفق بسر إلهيتش فرومانسده دركنه مساهيتش
بشر ما وراى جلالش نباقت بصر منتهای جالش نيسافت
نه برأويج ذاتش پرد مرغ وهم نه درذيل وصفش رسد دست فهم =

- كم من السفن ! غرقت في تلك اللجة
 ولم يطفُ لوح واحد منها على الشاطئ .
 - وكم من ليال ! ضللت في هذا الطريق
 إلى أن أمسكت الدهشة بكبي ، أن قم ! .
 - إن علم الله محيط على البسيطة
 وقياسك ، لن يحيط بعلمه .
 - فلا الإدراك ، واصل كنه ذاته
 ولا الفكر ، بالغ غور صفاته (١) .
 - لقد انطلق المقربون بجيادهم في هذا السبيل
 لكنهم تخلفوا - عجزاً - « بلا أحصى » .
 - فليس في كل مكان ، يمكن أن تركض الجياد
 فلعل العجز يدركها في أما كن كثيرة .
 - إنك إن تطلب طي هذه المسافة
 فاعقل - أولاً - جوادك .
 - وتأمل في مرآة قلبك
 تحصل - تدريجياً - على صفاء نفسك (٢) .

= درین ورطه کشتی فروشد هزار
 چه تنها نشستم بسیرین سیرگم
 که پیدانشد تخته ای بسرکنار
 که دهشت گرفت آستینم که قم
 که محیطست علم ملک بسر بسط
 قیاس تو بروی نگردد محیط
 نه إدراك در کنه ذاتش رسد
 نه در کنه بیچون سبحان رسد
 ب ۳۹-۴۰

(١) که خاصان درین ره فرس رانده اند
 نه هرجای مرکب توان ناخن
 « بلا أحصى » ازتک فروبانده اند
 که جاها سپر باید انداختن
 ب ۵۲-۵۳

إشارة إلى الحديث « لا أحصى تناء عليك وأنت كما أنيت على نفسك »

(٢) اگر طالبی کین زمین طی کنی
 تأمسل در آیینسه دل کنی
 نخست آسب باز آمدن پی کنی
 صفائی بندریج حاصل کنی
 ب ۵۹-۶۰

هذه هي الأوصاف التي تناولها الشاعر في الذات ، والعجز عن إدراكها .

وأما الأوصاف الأخرى التي ترددت غير متتابعة في هذه القطعة ، وتشير إلى أبواب الكتاب ، فإننا سنأخذ في عرضها حسب الأبواب .

ويبدو منها أن الشاعر كانت تتجاوب في نفسه ، هذه الأفكار التي ضمنها الكتاب . فلما وضع مقدمته — سواء أكانت قبل نظم الأبواب أم بعدها — فإنه قد غلب عليه ازدحام هذه الأفكار ، فنثر في هذه المقدمة ما يشير إلى تلك الأبواب.

وستتناول إشاراتنا إلى تلك المعاني بالترتيب الذي ورد في الكتاب .

فما يشير إلى باب العدل عند الملوك :

- حافظ بقدرته ، عالم السماء والأرض^(١)
- وهو صاحب الديوان ، يوم العرض .
- على أعتابه ، تنحنى للدعاء^(٢)
- رؤوس الملوك العظماء .
- وعلى أبواب لطفه ، وكبريائه
- يتجرد العطاء من عظمتهم^(٣) .
- إنه عزيز ، كل من أعرض عن بابه
- لم يلق عزاً ، بأية باب يلجأ إليه^(٤) .

(١) بقسدرت نكهسدار بالا وشيب خداوند ديوان روز حسيب ب ٣١
(٢) سر پادشاهان گرد نفسراز بدرگاه أوبرزمسين نيساز ب ٤
(٣) بدرگاه لطف وبزرگيش بسر بزرگان نهاده بزرگي بسر ب ٢٨
(٤) عزيزي كه هرگز درش سر بتافت بهر درگه سد هيچ عزت نيافت ب ٣

وما يشير إلى باب الإحسان

- بسط الأرض ، مائدة خلقة
يستوى عليها ، عدوه ، وصديقه^(١) .
- وإذا وزع مائدته الكريمة
يناديه الشيطان ! هبني نصيبي !^(٢) .
- ومائدة كرمه مبسوطة
حتى تبلغ العنقاء نصيبها ، ولو كانت على « قاف »^(٣) .
- وانشور إحسانه ، ليس له حد
وليس لنفاذ أمره رد^(٤) .
- وواهب العطاء ، معين الضعفاء
الكريم ، الغفور ، الغفور^(٥) .

وما يناسب باب العشق الصوفي :

- تأمل في مראה قلبك ،
تحصل — تدريجياً — على صفاء نفسك^(٦) .
- لعل راحة من العشق تسرك
فتصير طالباً « لهدألت »^(٧) .

- | | |
|------------------------------------|------------------------------|
| برين خوان بخا چه دشمن چه دوست ب ١٤ | (١) أديم زمين سسفره عام أوست |
| عزازيل گوید نصیبي ب سرم ب ٢٧ | (٢) وگرزله بخشید زخوان کرم |
| که سیمرخ در قاف قسمت خورد ب ١٨ | (٣) چنان پهن خوان کرم گسترده |
| ورانیست توقیع فرمان نیست ب ٢٤ | (٤) گرانست منشور إحسان أوست |
| کدریم خطا بخش پوش پذیر ب ٢ | (٥) خداوند بخشنده دستگیر |
| صفائی بتدریج حاصل کنی ب ٥ | (٦) تأمل در آیینسه دل کنی |
| طلبکار عهد آستت کنسد ب ٦٦ | (٧) مگرویوی عشق مستت کنسد |
- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الاعراف : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم
من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا بلى ! »

— فتقطع الطريق بقدّم الطلب
ومن ثم ، تطير بمجنّاح المحبة^(١) .
— وهناك ، يمزق اليقين حجب الخيال
وعندئذ ، لا يبقى إلا ستار ذى الجلال^(٢) .

وما يناسب باب التواضع :

— إنه — وحده — من يليق له الكبرياء ، والإينية
فلكه قديم ، وذاته غنية^(٣) .

وما يناسب باب الرضا :

— يقلد واحداً ، تاج السعادة على رأسه
وييهوي بالآخر ، من العرش ، إلى أرضه^(٤) .
— ويجعل النار فردوساً على الخليل
ويحمل جماعة ، إلى النار ، من النيل^(٥) .

وما يشير إلى القناعة — تهيئته الأقوات للمخلوقات مهما كانت :

— يهيء الرزق للشعبان ، والنمل
ولو أنها بغير يد ، ورجل ، وقوة^(٦) .

-
- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| وآنجبا ببال محبت بسسرى ب٢٢ | (١) بباى طلب ره بدانجا بسرى |
| نمساند سرا پرده إلا جلال ب٢٣ | (٢) بد رد يقين بسردهای خيمسال |
| که ملکش قد بمسب وذاتش غنى ب٢٠ | (٣) مرورا رسد كبرياء ومسسى |
| يكى را بنسناك أندر آرد زتخت ب٢١ | (٤) يكى را بسر بر نهد تاج بخت |
| گروهى بر آتش برد زاب نيل ب٢٣ | (٥) گلستان كند آتشی بر خليل |
| | إشارة إلى قوم فرعون |
| أگر چند بملست وپا بند وزور ب٤١ | (٦) سهيا كند روزى مار و مسور |

وما يلائم باب التربية — ما ينظم العلاقة بين الأب والابن والأقرباء ،
أو الخادم وسيده ، أو الرفيق ورفيقه :

- لو أن شخصاً ، أعلن العصيان على أبيه
فلاريب ، أن ذلك يغضب الأب كثيراً^(١) .
- والقريب ، إذا لم يرض عن قريبه
فإنه يطرده ، كالغريباء عن بابه .
- والخادم ، إذا لم يسرع إلى عمله
فلن يجد العز من سيده .
- والرفاق ، إذا لم تكن مشفقاً عليهم
هربوا منك ، وخلفوك وحيداً^(٢) .

ومما يلائم باب الشكر — ما يشير إلى أن الجفاء والقيطة لا تليق به ،
كما أن الخلوفات كلها تشكره مطيعة له :

- إذا أسرعت على منهج الجفاء له
فمن ذا الذي لقي الأمان من يد قهره^(٣) ؟
- وذاته تعالى ، مبرأة من تهمة الضد ، والجنس
وملكه غنى ، عن طاعة الجن والأنس .
- لأمره ، أطاع كل شيء ، وكل إنسان
أطاعه الناس ، والطير ، والبعوض^(٤) .

-
- | | |
|--|--|
| (١) اگر با پدر جنگ جوید کسی | بدری گمان خشم گیرد بسی ب ۷ |
| (٢) وگر خویش راضی نباشد ز خویش
وگر بنده چابک نباشد بکار
وگر بر رفیقان نباشی شفیق | چو بیگانگانس بر اند ز بیش ب ۸-۱۱
عزیزش ندارد خداوند کار
بفرسنگ بگریزد از تو رفیق |
| (٣) اگر بر جفا پیشه بشستاقی | که از دست قهرش امان یافتی؟ ب ۱۵ |
| (٤) بری ذاتش از تهمت ضد و جنس
پر ستار آسرن همه چیز و کس | غنی ملکش از طاعت جن و انس ب ۱۶-۱۷
بی آدم و سرخ و مور و مگس |

وما يشير إلى باب التوبة

- إنه واهب العطاء ، معين الضعفاء الكريم ، العفو ، الغفور (١) .
- لا يأخذ العصاة ، بذنبهم فوراً ولا يطرد المعتذرين ، منهم جوراً .
- فإذا غضب على عاص ، طوى له ماضى إذا تاب ، وارتد عن الهوي (٢) .
- ورب السماء والأرض لا يوصد ، عن عاص ، باب الرزق (٣) .

وما يشير إلى المناجاة :

- إنه قريب من الضعفاء ، برحمته يجيب دعوة المتضرعين ، بعطفه (٤) .

القطعة الثانية — مدح الرسول عليه السلام :

وعدد أبيات هذه القطعة ثلاثون بيتاً . تبدأ من البيت رقم ٦٩ وتنتهى بالبيت رقم ٧٩ ، وذلك فى نسخة « جراف » . أما « سودى » فتجعلها قطعتين تفصل عنها مدح الخلفاء ، لكن القطعة كلها ، ذات وحدة لا تحتل هذا الانقسام . فإنه بعد أن يعرض لذكر الخلفاء الأربعة — فيما لا يتجاوز ثلاثة أبيات — يعود فيمدح الرسول عليه السلام ، حتى يختتم القطعة كلها .

- | | |
|--|--|
| (١) خداوند بخشنده دست گسیر | كريم خطا بخش بوزش پذير ب ٢ |
| (٢) نه گردنكشان را بگیرد بفسور
وگر خشم گیرد زگر دار زشت | نسه عسذر آوران را بجهور
چو باز آمدی ما جرا درنوشت ب ٥-٦ |
| (٣) وليکن خداونسد بالاوپست | بعصيان در رزق برکس نبست ب ١٣ |
| (٤) فرو مندگانرا برحمت فریب | نزرع کنان را بدعوت سجيب ب ٢٩ |

ولهذا سنعرض لها في التحليل كأنها وحدة مستقلة . والمعاني التي عرض لها في تلك القطعة ترتبط مع بعضها تقريباً ، فإذا ما تسكلم عن معنى من المعاني ، يظل فيه حتى ينتهي منه ، ولا يعود إليه .
والبيت الذي تخيره لمطلعها يدل على أن الشاعر راعى فيه براعة الاستهلال ، فاختار بيتاً عربياً .

ويبدو أن الشاعر قد لاحظ أنه بدأ الحديث عن نبي عربي ، فليتمس في مطلع الكلام عنه استهلالاً عربياً :

« كريم السجايا ، جميل الشيم
نبي البرايا ، شفيع الأمم »
كذلك يمكن أن يقال إنه راعى في هذا الاستهلال ، أن يجمع كل ما يمكن أن يكون من صفات النبوة ، أو وظيفتها ، في الدنيا ، والآخرة .

— وهو إمام الرسل ، هادي السبيل ،
وأمين الله ، مهبط جبريل (١) .

ويمكن أن نلمس المعاني التي تتردد في هذه القطعة فيما يأتي :

١ — الإعجاز به :

— إنه اليتيم ، الذي لم يعرف القراءة
لكنه نسخ كتباً كثيرة .

— وحين سل عزمه سيف الرهبة
اشق القمر — نصفين — إعجازاً له .

— وحين تردد اسمه في أفواه الدنيا
تصدع ديوان كسرى (٢) .

أسين خدا مهبط جبريل ب. ٧٠
کتبخانه چند ملت بست
بمعجز میان قمرزد دو نیم
تزلزل در ایوان کسری قناد ب ٧٣-٧٥

(١) إمام رسل ینسواى سبیل
(٢) یتیمی که نا کرده قرآن درس
چو عزمش بر آهیخت شمشیر بيم
چو صیتش در أفواه دنیا قناد

۲ — عرض لألوان الديانات الموجودة :

- إنه حطم قامة اللات ، بكلمة « لا »
ومحا الدين العزير مكانة العزي .
— لم يحطم اللات ، والعزي ، فحسب
بل نسخ التوراة ، والإنجيل كذلك^(۱) .

۳ — الإسراء به :

- ركب ليلة ، فجاوز الفلك
ومضى بالتمكن ، والجاه ، من الملك .
— وَجَدَ في تيمه القربى ، من الله
حتى تخلف عنه جبريل ، في سدرة المنتهي^(۲) .

۴ — ثم منزلته عند الله ، والانتقال إلى فكرة الوجود وأصلها :

- أتى عليك الله ، ومنحك التبجيل
وقبل الأرض — تقديرًا لك — جبريل .
— خجلت أمام قدرتك ، السماء العلى
أنت مخلوق ، وآدم لا يزال طينًا ، وماء .
— أنت أصل الوجود ، جئت من الأزل
فتأمل ! كل موجود ، صار من فرعك^(۳) .

- (۱) بلا قامت لات بشكست خسر د باعزاز دين آب عزى ببرد
وكلمة « لا » إشارة إلى عبادة الوجدانية في قوله (لا إله إلا الله) .
نه أزلات وعزى بسر آورد گردد
که توریت وانجیل منسوخ کرد ب۷۶-۷۷
بتمکین وجاه از ملک در گذشت
که بر سدره جبرئیل آزو باز ماند ب۷۸-۷۹
زمین بوس قدر تو جبرئیل کرد
تو مخلوق و آدم هنوز آب و گل
نگر هر چه موجود شد فرع تست ب۹۳-۹۵
- (۲) شہی برنشست از فک بر گذشت
چنان گرم در تیه قربت برانسد
خد ایت ثنا گفت و تبجیل کرد
بلند آسمان پیش قدرت خجل
تو اصل وجود آدمی از نخست

٥ — ومنزلته يوم القيامة في الشفاعة:

- أنت شفيع الوري ، سيد البعث ، والنشر
إمام الهدى ، وصدر ديوان الحشر (١) .
— لم يبق إنسان رهينة لمعصيه
من اتخذ الرسول شفيعاً له (٢) .

٦ — مدح الخلفاء الراشدين . وهو ليس مدحاً بالمعنى المعروف ، ولكنه عرض

موجز لهم ثم قسم بأبناء فاطمة ، وختام :

- ليكن ، سلام الله ، على روحك
وعلى أصحابك ، وتابعيك .
— على أبي بكر ، الشيخ المرئيد
وعلى عمر ، قاهر الشيطان المرئيد .
— وعلى العاقل ، عثمان ، محيي الليل
والرابع عليؑ ، راكب الدليل (٣) .
— أسألك إلهي ، بحق بني فاطمة
أن تؤمن ، على قولي بالقبول .
— فإنك ، إن رددت دعوتي ، أوقبلتها
فإني متعلق بأهداب آل الرسول (٤) .

(١) شفيع الوري خواجهٗ بعث ونشر أمام المهدي صدر ديوان حشر ب ٧١

(٢) نمائند بعصيان كس در گرو كه دارد چنين سيدى بيشرو ب ٨٤

(٣) درود ملك بروان تسو باد
نخستين أبو بكر پير مرسيه
خردمند عثمان شب زنده دار
الدليل اسم بغلة كان يركبها سيدنا علي .
بر أصحاب و بر پير وان تو ياد
عمر بنجه بر بيچ ديو سر ياد
چهارم على شاه دلدل سوار ب ٨٦-٩٨

(٤) خدايسا بحسب بنى فاطمة
أگر دعوتم رد کنى و رقبسول
كه بر قول إيمان كند خاتمه
من ود امان آل رسول ب ٨٩-٩٠

ثانياً — تحليل أبواب الكتاب

- ١ — باب العدل
- ٢ — باب الإحسان
- ٣ — باب العشق
- ٤ — باب التواضع
- ٥ — باب الرضا
- ٦ — باب القناعة
- ٧ — باب التريفة
- ٨ — باب الشكر
- ٩ — باب التوبة
- ١٠ — باب المناجاة

۱ - باب العمدل

المطلع	قصبة عامة	عن شخصیه تاریخیه	قصبة عن سعدی	عدد الآیات	رقم المطلع	رقم ق
نگینجد کرمهای حق در قیاس	عامة			۶	۱	۱
چه حاجت که نه کرسی آسمان		قزل أرسلان		۱۴	۷	۲
حکایت کنند از بزرگان دین				۱۰	۲۱	۳
شنیدم که در وقت نزع روان		کسری وهرمز		۲۱	۳۱	۴
شنیدم که خسرو بشیرویه گفت		خسرو وشیرویه		۱۷	۵۲	۵
چه خوش گفت بازگانی اسپر	»			۱۳	۶۹	۶
شنیدم که شاپوردم در کشید		شاپور و خسرو		۴۱	۸۲	۷
ز دریای عمان بر آمد کسی	»			۱۰۹	۱۲۳	۸
نداتم کجا دیده ام در کتاب	»			۵۳	۲۱۲	۹
نه بی حکم شرع آب خوردن خطاست	»			۱۵	۲۶۵	۱۰
شنیدم که فرماندهی دادگر	»			۱۷	۲۸۰	۱۱
شنیدم که جهشید فرخ سرشت		جهشید		۶	۲۹۷	۱۲
شنیدم که دارای فرخ تبار		دارا		۱۸	۳۰۳	۱۳
توکی بشنوی ناله داد خواه	»			۷	۳۲۱	۱۴
خبر یافت گردن کنی در عراق	»			۶	۳۲۸	۱۵
یکی از بزرگان اهل تمیز		عمر بن عبد العزیز		۱۸	۳۳۴	۱۶
همین پنج بیت خوش آمد بگوش			سعدی	۷	۳۵۲	۱۷
در اخبار شاهان پیشنه هست		تکله بن زنگی		۱۱	۳۵۹	۱۸
شنیدم که بگریست سلطان روم	»			۲۱	۳۷۰	۱۹
خرد مند سردی در اقصای شام	»			۲۴	۳۹۱	۲۰
مها زور مندی مکن برکهان	»			۱۵	۴۱۵	۲۱
چنان وحط شد سالی اذردسشق			سعدی	۲۲	۴۳۰	۲۲
شبی دود خلق آتشی بر فروخت			سعدی	۱۱	۴۵۲	۲۳
خبر داری از خسروان عجم	»			۱۶	۴۶۳	۲۴
شنیدم که در سرزی از باختر	»			۳۴	۴۷۶	۲۵
یکی بر سر شاخ وین می برید	»			۱۰	۵۱۳	۲۶
مگوجاهی از سلطنت بیش نیست	»			۹	۵۲۳	۲۷
شنیدم که یکبار در حنه	»			۵	۵۳۲	۲۸
نکوکار مردم نباشد بدش	»			۱۱	۵۳۷	۲۹

المطلع	عامّة	عن شخصيّة تاریخیة	قصّة عن سعدی	عدد الآیات	رقم المطلع	رقم ق
گزیری بجاهی در افتاده بود	»	الحجاج		۱۳	۵۴۸	۳۰
حکایت کنند از یکی نیکمرد	»			۲۰	۵۶۱	۳۱
یکی پند میداد فرزند را	»			۳	۵۸۱	۳۲
بخردی درم زور سر بنجه بود	»			۲	۵۸۴	۳۳
ألا تاخسبی بغفلت که نوم	»			۳	۵۸۶	۳۴
یکی را حکایت کنند از ملوک	»	قزل أرسلان		۲۹	۵۸۹	۳۵
جهان ای پسر ملک جاوید نیست	»			۵	۶۱۸	۳۶
شنیدم که در ملک مصر میری أجل	»			۱۴	۶۲۳	۳۷
قزل أرسلان قلعه سخت داشت	»			۱۴	۶۳۷	۳۸
چنین گفت شوریده در عجم	»			۳	۶۵۱	۳۹
چو آلب أرسلان جان بجان بخش داد	»			۹	۶۵۴	۴۰
حکیمی دعا کرد بر کقیباد	»			۱۵	۶۶۳	۴۱
شنیدم که از باد شاهان غور	»			۷۶	۶۷۸	۴۲
چو دور خلافت بمأون رسید	»			۲۲	۷۵۴	۴۳
شنیدم که از نیکمردی فقیر	»			۲۲	۷۷۱	۴۴
یکی مست زن بخت و روزی نداشت	»	۲۴	۷۹۸	۴۵		
حکایت کنند از جفا گستری	»	المأمون		۱۹	۸۲۲	۴۶
همی تا بر آید بتدبیر کار	»			۴۰	۸۴۱	۴۷
دلاور که باری تهور نمود	»			۱۰	۸۸۱	۴۸
بیسکار دشمن دلبران فرست	»			۱۸	۸۹۱	۴۹
چه خوش گفت گرگین بفرزند خویش	»			۷	۹۰۹	۵۰
دوتن پرورای شاه کشور کشای	»			۶	۹۱۶	۵۱
نگویم ز جنگ بد اندیش ترس	»			۶	۹۲۲	۵۲
میان دو بد خواه کوتاه دست	»			۸	۹۲۸	۵۳
چو شمشیر بیسکار بر داشتی	»			۱۰	۹۳۶	۵۴
گرت خویش دشمن شود دوستار	»			۱۵	۹۴۶	۵۵
بدببر جنگ بد اندیش کوش	»	۱۰	۹۶۱	۵۶		
				—	۹۷۱	—
	۵۶ =	۴۰	+ ۱۳	+ ۳		

قصص باب العدل التي تدور حول شخصيات تاريخية

ينتظم هذا الباب - كما رأينا - ستاً وخمسين قطعة، في تسعمائة وواحد وسبعين بيتاً. وهو من حيث عدد القطع، والأبيات، أطول أبواب الكتاب على الإطلاق. إذ يبلغ وحده خمس الكتاب تقريباً، وتتوزع قطعه كالآتي:

١ - ثلاث قصص عن سعدى.

٢ - ثلاث عشرة قصة عن شخصيات تاريخية.

٣ - أربعون قصة من القصص العامة.

أما من ناحية تناول الشاعر لأشخاص هذا الباب، فهو متناسب معه تمام المناسبة. فهذا باب الملوك، يعدُّ له كثيراً من الملوك والحكام، من مختلف العصور والبيئات، وهو يعطي الشخصية الدور الذي يناسبها، أو يعدها لقصة تناسبها.

وقد تناول في هذا الباب - كما رأينا من الجدول السابق - شخصية إيرانية من التاريخ الإيراني الأسطوري هي «جمشيد». وشخصية من الدولة الفارسية التاريخية، القديمة هي «دارا». ثم تناول شخصيات مختلفة من أسرة الأكاسرة. «كسرى وهرمز» و«خسرو وشيرويه» و«شاپور وخسرو».

ثم انتقل إلى العصر الإسلامي، فتناول من ملوك الإسلام «عمر بن عبدالعزيز» ومن الحكام «الحجاج». وتناول «المأمون» في الدولة العباسية.

ومن الدول الإسلامية الأخرى «قزل أرسلان» و«تكله بن زنگي». ومن الأبطال في التاريخ الإيراني الأسطوري «گورگین».

وللشاعر غرض من كل ذلك، يريد أن يعطي للأمير الحاكم، قدراً من النصح والمعلومات في أمور الدنيا، وتديبير شئون الملك، ورسوم السياسة العادلة

وأى طريق أحب إليه ، أو أسهل عليه من أن يلتقى هذه النصائح ، أو تلك المعلومات — سواء أكانت مختزعة من جانبه أو مروية — عن قوم مضوا وخلفوا الدنيا بعدهم ، ويدفع إليه ما يريد من المعلومات على لسانهم ، لا على لسانه هو .

أليس هذا من وسائل إحكام القصة ، بجانب ما فيها من التأديب ، بما يناسب مكانة الأمير مع الشاعر؟ أليس من وسائل التلطف مع الأمير، أن يسوق إليه النصيحة ، ملقاة على لسان ملك ينصح ابنه أو عامله؟ فيرسم له الخطة في معاملة الرعية أو العمال ، أو في سياسة الجيش ، أو في معاملة الأجانب ، أو غير ذلك مما سيبدو .

والشاعر من ناحية أخرى ، يحكم القصة من طريق آخر ، فكل القصص التي تناولت شخصيات إيرانية قديمة قبل الإسلام ، نقل عنها الكلام على طريق الرواية سماعاً ، فيقول في كل منها مفتتحاً لها بكلمة « شنيدم » أى « سمعت » ، فيزداد تلتفماً مع الأمير ، وينقل إليه الأمر سماعاً .

وستتناول هؤلاء بحسب الترتيب الذي سقناه سابقاً ، من حيث الزمن الذى عاش فيه كل شخص ، مراعين التناسب فى الموضوع .

وسنرى أن الشاعر لم الماماً كبيراً ، بما يحيط بالشخصية أو بتاريخها ، ثم كيف أحكم القصة حولها ، من حيث الارتباط بزمنها ، وما اشتهرت به . ومن حيث المعلومات التي أبداها على لسانه .

قصة جمشيد

وماذا يعرف عن جمشيد تاريخياً؟ وما هى الأدوار التي يمكن أن تسند إليه؟ وجمشيد من الأسرة الأولى الأسطورية فى التاريخ الإيراني المتوغلة فى القدم ، والتي تسمى بالدولة « الپيشدادية » تذكر عنه الشاهنامه أنه أول من أذعن لطاعته جميع الثقليين ، وعمر العالم ونشر العدل والإحسان ، وأعد آلات الحرب ، وشيد المدن ،

وصنع السفن ، وتنقل بها خلال البر والبحر ، ورصع تاجه بالجوهر ، وجعل له حملة من الجن ، ثم أصابه الغرور ففرق عن الدين وأطلق يده في الظلم ، وأمر بصنع تماثيل من صورته لعبادته ، فلما شاع ظلمه وغروره ، استجار الناس « بالضحك » والتفوا حوله حتى قبضوا عليه ، وانتهى أمره بعد حكم دام سبعمائة سنة^(١) .

هذا ملخص حياة جمشيد ، أطاعه العالم كله ، وظل حكمه سبعمائة عام ، فإذا يصلح له من الأدوار ؟

تأتي قصته في الباب « الثانية عشرة » في ستة أبيات . وعنوانها في سودي « در أحوال دنيا » ورقم مطالعها ٢٩٧ وهو :

— سمعت ، أن جمشيد النبيل الأصل
كتب على لوحة ، عند فوهة عين^(٢) .

فماذا تخير الشاعر « جمشيد » لقصة تدور حول أحوال الدنيا ؟ . ولماذا تخير الشاعر لقصته أيضاً عين ماء ، نقش عبارته بجوارها ؟ أليس جمشيد من ملوك أول دولة متوغلة في القدم في التاريخ الإيراني ؟ أليس ملكه أوسع ملك في العالم ، فأطاعه الجن والأنس ؟ أليس عمره أطول عمر في الحياة ؟ أليس هو أصلح شخصية يحملها الشاعر — عبر القرون — ليلقى على لسانها حكمة أو موعظة في أحوال الدنيا . ولماذا تخير الشاعر عين الماء ؟ أليس يتردد عليها كثير ممن ينهلون منها ، ثم يذهبون ؟ أليس في معناها شها بالدنيا ، والواردون عليها كمن يرد على هذه الحياة من الناس ؟

والقطعة على قصرها فيها جانبان .

١ — جانب للموعظة ، ودعوة للنظر ، في أمر هذه الدنيا

(١) انظر الشاهنامه العربية للدكتور عزام بك في قصة جمشيد ص ٢١-٣٠ .
(٢) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت بسر چشمه بسنگی نوشت

— لقد ورد كثير مثلنا على تلك العين
لكنهم فاتوا ، ومضوا ، كطرفه عين^(١) .
ولن يبق من الدنيا سوى العمل الصالح . في قوله
— مضوا ، وجنى كل منهم ، ثمار ما زرع .
مضوا ، ولم يختلفوا إلا السمعة الطيبة أو السيئة^(٢)
٢ — جانب تعليمي في الإرشاد والنصح ، في قوله :

— إذا هزمت عدواً ، فلا تضعف أذاه
فكم من الآلام ، تحتويها نفسه .
— ومن الخير أن تبقيه ، حياً بجانبك
من أن تحمل دمه في عنقك^(٣) .

وبمثل هذه البراعة يطوى الشاعر — في لفائف القصة — هذه المعاني التي
قصدها إليها ، وبمثل هذا التأدب في مقام الأمير ، يرفع إليه هذه النصائح ، على لسان
ملك مضي .

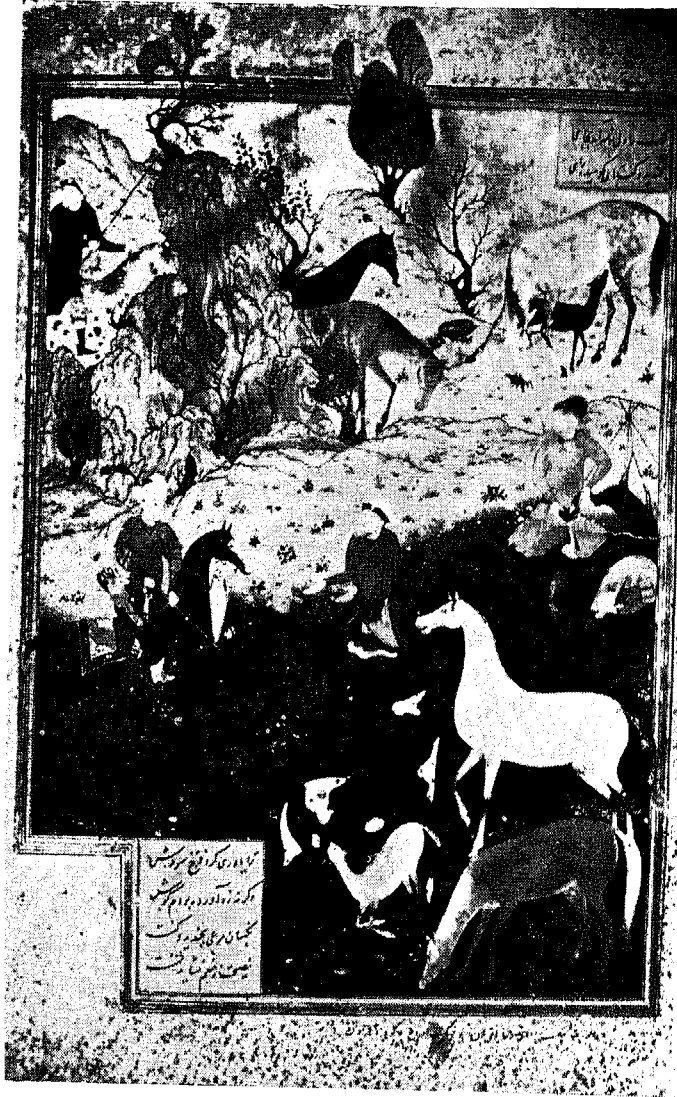
قصة دارا :

وتقع الثالثة عشرة ، وأبياتها ثمانية عشر بيتاً ، وعنوانها « نصيحة جوبان
بهردارا » أي « نصيحة الراعي لدارا » . ورقم المطلع ٣٠٣ وهو .

— سمعت أن دارا ، كريم المحتد
ضل عن حراسه ، في يوم صيد^(٤)

وماذا عن « دارا » ؟ وما أهم ما يناسب شخصيته من الأدوار ؟ أليس « دارا »

-
- (١) برين چشمه چون مابسی دم زدند برفتند چون چشم برهم زدند
(٢) برفتند وهریک درود آنچه کشت نمازند بجزنام نیکو وزشت
(٣) چو بر دستمی باشدت دسترس مرچانش کوراهمین غصه بس
عدو زنده سرگشته پیرامنت به از خون او گشته در گردنت
(٤) شنیدم که دارای فرخ تبسار ز لسكر جدا ماند روز شكار



صورة للملك « دارا والراعي » وبأعلى الصورة وأسفلها بعض
آيات من القصة عن النسخة الخطية ص ١٠ بدار الكتب

حاکماً علی بلاد ایران التي توحدت؟ أليس في هذا الاتساع ما يستدعي طول
السهر على صالح الرعية؟

فیتخیر الشاعر له موضوعاً يناسبه ، ليخرج منه إلى المغزى الذي يقصده من
القصة . يجعل «داراً» وقد خرج يوماً للصيد، فنأى عن حرسه بعيداً ، فجاءه راع ،
وتقدم منه مسرعاً . فخشيه — قائلاً في نفسه — لعل هذا عدو جاء ليقتلني
علي ، فلا أسرع لأقتله . فما كاد يهيمُ بذلك ، حتى ناداه الرجل :

— يا مليك إيران وتوران
لتبعد — عن عهدك — عين الردي .
— أنا ، من يقوم بحراسة خيل المليك
وارعاها ، في هذا المرعى ^(١) .

فرد المليك سهامه ، وضحك قائلاً له ، يا سفيه الرأي ! لقد حالفك الحظ
السعيد ، وإلا فقد كدت أقتلني عليك . ثم ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ،
فيجري على لسان ذلك الراعي ، رداً على المليك ، في وجوب معرفته لرعيته .

— ليس من التدبير الحمود ، ولا من الرأي السديد
ألا يعرف المليك ، عدوه من صديقه .
— فشرط الرئاسة في الحياة
إن تعرف كل فرد ، من يكون ^(٢) ؟ .

(١) بگفت ای خداوند ایران و تورو
من آتم که اسبان شه پرورم
(٢) نه تدبير محمود و رای نکوست
چنانست در مهتری شرط زیست
که چشم بد از روزگار تو دور
بخدمت بدین مرغزار اندرم
که دشمن نداند شهشنه زدوست
که هر که تیرا بدانی که کیست؟

قصص ملوك الاكاسرة :

وقد اشتهر هؤلاء في تدير الملك ، وحسن السياسة ، وابتكار أساليب الحكم في الرعية ، وإقرار النظام ، ووضع الدستور ، في اختيار الموظفين ، ومعاملة الرعية بالحسنى ، والسهر على راحتها . وعلى العموم حسن درايتهم بالنظم الداخلية والخارجية .

وهكذا تناولهم الشاعر من تلك النواحي ، يعرض على ألسنتهم — باختلاف شخصيتهم — ألواناً من هذه المعاني .

قصة كسرى وهرمز :

وتقع هذه القصة الرابعة ، في واحد وعشرين بيتاً ، وبيت مطلعها الواحد والثلاثون ، وعنوانها « پند دادان كسرى هرمزرا » أى نصيحة كسرى لهرمز ، وهو أيضاً يرويها — كعادته فيما أشرنا — بالسمع :

— هكذا ، سمعت ان أنوشروان
قال لهرمز ، وقت نزع الروح (١) .

والقصة — في مجموعها — تعالج أمور الرفق بالرعية ، والسهر عليها ، وبذل ما يمكن لراحتها :

— إنه لا يستريح أحد في ديارك
مادمت تطلب راحة نفسك .
— وليس — كريماً — في نظر الحكيم
أن ينام الراعي ، والذئب في الغم (٢) .

بهرمز چنين گفتم نوشيروان
چو آسایش خویش جوئی وبس
شبان خفته وگرگ درگوسفند

(١) شنیدم که در وقت نزع روان
(٢) نیا ساید آندر دیار نوکس
نیايد بنزدیک دانسا پسند

— إن الرعية كالجزر، والسلطنة كالشجر
والشجرة يا بني! قوية بقوة الجذر.
— ولا تجرح — ما استطعت — قلوب شعبك
فإنك إن جرحتها، اقتلعت جذرك (١).
— ولا ينبغي قتل الرعية
فإنها ملاذ السلطنة، وظهرها.
— وارع الفلاح من أجل نفسك
فإن العامل السعيد يأتي بعمل وافرك (٢).

قصة خسرو وشيروه :

وهي من نفس معنى القصة السابقة، نصح يلقبها الشاعر على لسان «خسرو»
إلى «شيروه»، وترتيب القطعة الخامسة بين قطع الباب، وأبيات سبعة عشر، وعنوانها
« بندادن برويز بشيروه » ومطلعها الثاني والخمسون، على طريق الرواية
سماعاً أيضاً :

— سمعت أن خسرو قال لشيروه
في اللحظة التي أطبقت فيها عن العالم عينه (٣).

ويضئ الشاعر في إظهار معاني العطف على الرعية، والدعوة إليه، في كثير
من الأبيات :

— افعل — دائماً — كل ما تريد
لكن انظر في صلاح أمور الرعية (٤).

- | | |
|---|--|
| (١) رعيت جويبخند وسلطان درخت
مكن تاتسوانى دل خلق ريش | درخت إى سرباشد أز بيخ سخنت
وگر ميكنى ميكنى بيخ خويش |
| (٢) رعيت تشايد بييدا دگشت
مراعات دهقان كن أزهر خويش | که مرسلطنت را پناهند و پشت
که مزد ورخوشدل کند کار پيش |
| (٣) شنيدم که خسرو بشيروه گفت
سر آن باش هرچه نيت کنى | در آندم که چشمش زديدن بخفت
نظر درعد صلاح رعيت کنى = |

— ولا تلو رأسك عن العدل والرأى
 حتى لا يعصى الناس أمرك .
 — من ذا الذى عاش منعماً فى الآفاق ؟
 أكثر ممن عاش منصفاً فى ملكه للخلق .
 — فحين يغترب عن هذا العالم
 يمطرون — على تربته — غيث الرحمة^(١) .

ثم يتناول الشاعر — فى هذه القطعة — معنى من المعانى الأخرى فى سـ:
 اختيار العمال :

— ول على الرعيعة من يخشى الله
 فإن التقي ، الطاهر ، عمارُ الملك^(٢) .

ثم يبين مدى الفساد بين العمال ، والسكوت على مظالمهم فى قوله :

— إن الذى يمتص دماء الخلق من أجلك
 إنما يفكر السبوء بك^(٣) .

ثم يعرض لأمر محاسبة العمال فى قوله :

— لا تعاقب المؤذى بأخذ أمواله
 بل يجب اقتلاع جذره من أساسه^(٤) .

== ألا تانبیجى سر از عدل وراى	که مردم ز دستت نیچند پای
(١) از آن بهره ورتو در آفاق کیست ؟	که در ملک رانی بانصاف زیست
چو نویت رسد زین جهان غربتیش	ترحم فرستنسند بر تربتیش
(٢) خداتوس بر رعیت گمسار	که معمار ملکیت پرهیز کار
(٣) بداندیش تست آن وخونخوار خلق	که نفع تو جوید در آزار خلق
(٤) مکافات مؤذی بمسالتش مکن	که بیخس برآورد باید زین

— ولا ينبغي السكوت على عامل ظلوم
 بل ينبغي سلخ جلده عند السمن
 — واقطع — سربعاً — رأس الذئب
 ولا تنظره حتى يمزق خراف القوم.

قصة شابوز وخسرو :

وتقع السابعة في الترتيب ، وأبياتها واحد وأربعون ، وبيت المطلع رقم ٨٢
 والقطعة على لسان وزير أمضى مدة في خدمة المليك ، حتى استخلف غيره .
 فأخذ ينصح المليك بعدة نصائح ، هي عصارة تجار به وخبرته . ومطعها :

— سمعت أن شاپور أصابته حسره
 حين استخلف خسرو على أعماله^(١)

وتمضي القصة في عرض طائفة من النصائح في مختلف المعاني .

١ — العناية بالموظفين بعد ترك خدمتهم .

— بما أنى بذلت شـبابى ، من أجلك ،
 فلا تحرمني وقت الهرم من رعايتك^(٢) .

٢ — وفي عقاب الموظفين .

— إذا لم يكف المشرف على الأمانة يده

فيلينغى أن يعين رقيب ، عليه

— فان اتحد الرقيب ، والمشرف

فأرفعهما من العمل معاً^(٣)

که از فریبی بایدش کند دوست
 نه چون گوسفند ان مردم درید
 چو خسرو بر سمش قلم در کشید
 بهنگام بیری مرانم ز پیش
 بیايد برو ناظری بر گماشت
 زمشرف عمل برکن و ناظرش

== ممکن صبر بر عامل ظلم دوست

سرگسنگ باید هم اول برسد

(١) شنیدم که شاپور دم در کشید

(٢) چو بذل تو کردم جوانی خویش

(٣) چو مشرف دودست از امانت ندانست

ورونیز در ساخت با خاطرش

وإذا عُزلت أحداً من منصبه
فأعف عنه ، إذا مضت عليه مده (١)
فان أسديته النصيح ، ولم يستمع
فألقه في السجن والقييد (٢)

٣ — ثم دعوة إلى العمل ابتغاء حسن السمعة في قوله

— لم يأت أحد إلى الدنيا ، نال فيها الخلود
إلا من بقي بعده الذكر الحميد (٣) .
— فإن ذهب ، ولم يبق أثر بعده
فلا يليق أن تقرأ الفاتحة بعد مماته (٤) .

قصة كركين :

وهذا الاسم يرد في الشاهنامه « كركين » وهو بطل من الأبطال القدماء
الإيرانيين ، يقال إن « بهرام گور » كان من نسله (٥) .

وقصته تقع الخمسين في الترتيب ، وأيامها سبعة ، وهي من قبيل القصص
الاستطراذية التعقيبية ، انتقل إليها الشاعر لتقوية المعنى الذي انتهى إليه في القصة
السابقة له .

وكان الحديث فيه عن شجاعة رجل من رجال الحرب بقوله .

-
- (١) بكي راکه معزول کردی زجاه
(٢) چو باری بگفتند ونشئید بنسند
(٣) نیامد کس اندر جهان کو بمانند
(٤) وگر رفت وآثار خبرش نمانند
(٥) الشاهنامه العربية للدكتور عزام بك ج ٢ ص ١٧٩ — حاشية .

إن الخنث خير ممن يتقلد السيف
ويفر يوم الهيجاء ، كأنه امرأة (١).

هذا هو آخر بيت في القطعة التي سبقتها ، فرغب الشاعر أن يورد قصة على
لسان بطل مارس الحرب وعركها ، فتخير لها هذا البطل القديم .
واستهلال القطعة هنا مخالف للقطع السابقة ، وبيت الاستهلال يقع التاسع
بعد التسعمائة ، يورده الشاعر بكلمة استحسان ، ترد على لسان البطل .

ما أحسن قول گرگین إلى ابنه !
حين لبس الدرع وتقلد السلاح (٢).
ثم يمضى في تقوية المعنى في قوله .

— إذا كنت تفر في الهيجاء ، كما تفر النساء
فلا تذهب ولا ترق ماء وجه الأبطال .
— فالفارس الذي يولى بظهوره يوم القتال
لم يقتل نفسه غصب ، بل يقتل سمعة الأبطال (٣).

قصة عمر بن عبد العزيز

وقصته السادسة عشرة ، تبدأ بالبيت ٣٣٤ . في تسعة عشر بيتاً .
تدور القصة حول معنى اشتهر به ابن «عبد العزيز» وهو مبلغ الإشفاق على
الرعية ، والتجرد من مظاهر الترف والزينة . ويتخير الشاعر للقصة موضوعاً يدور
حول خاتم ثمين ، يملكه عمر بن عبد العزيز ، ويدير القصة على لسان أحد العطاء
في قوله .

-
- (١) سخنن به آزرده نشمشیر زن
(٢) چه خوش گفتم گرگین بفرزند خویش
(٣) اگر چون زنان جست خواهی کربز
سواری که در جنگ بنمود بشت
- که روز غوغا سر بتابد چو زن
چو قربان پیکار بر بسب و کیش
مرو آب مرد ان جنگی مریبـز
نه خود درا که نام آور انرا بکنست

— یحکی أحد العطاء الأجلاء
 عن عمر بن عبد العزيز .
 — أنه كان لديه فص خاتم
 عجز الجوهري عن تقدير ثمنه^(١) .

ویمضی فی إبراز قيمة هذا الخاتم الثمين ، وأنه كان ينير الدنيا ، حتى تبدو كأنها
 النهار ، فنزلت بالقوم سنة قاسية ، فعرض الخاتم في السوق فباعه . وتمضى
 القصة فتقول :

— أنفق ثمنه في أسبوع واحد
 منحه للفقير ، والمسكين ، والمحتاج .
 — فأشبعه الناس ملامة ، وطعناً
 قائلين له ، لن تحصل على مثله مرة أخرى^(٢) .

وهنا ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ، فيجری علی لسان «عمر» هذا الرد :

— قبيح الملك أن يطلب الزينة
 وقلوب الرعية جرحى ، بما هم فيه من الحاجة .
 — لا ضير أن يكون بلا فص — خاتمی
 لكن لا يليق أن تكون قلوب الخلق في غم^(٣) .

والشاعر يختم القصة بدعوة عامة إلى الإصلاح ، وإلقاء بعض أبيات للنصح
 والإرشاد ، مشيراً فيها إلى حاكم شيراز ، المقصود بهذا التوجيه :

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) يكي از بزرگان أهل تمسيز | حکابت کند زابن عبد العزيز |
| که بودش نگینی در آنگشتری | فرومانده در قیمنش جسوهسری |
| (٢) بيك هفنه نقدش بتاراج داد | بدر ویش و بسکین و محتاج داد |
| فتادند دروی ملامت کنسان | که دیگر بدستت نیاید چنان |
| (٣) که زشتست بربابه بر شهر یار | دل شهری ازنا تسوانی فگار |
| مراشاید آنگشتری بی نگین | نیاید دل خلق آنسد وهگین |

— إذا نام المليك منعماً على فراشه
فلست أظن الفقير يستريح في نومه
— لكن إن سهر على صالح أمته
نام الناس في ترف وراحه
— والحمد لله تعالى ، فهذه السيرة الحميدة
هي سيرة الأتابك أبي بكر بن سعد (١)

أليس في هذا رسم خطة يريدھا الشاعر في كل الحكام؟ أليس يرغب أن
يكون أمير شیراز على تلك الخطة؟ أليس يدفع إليه هذه الأبيات الأخيرة ، وكأنما
يتأكد مقدماً أن الأمير على مثل هذه الخطة؟ .

قصة الحجاج

والقطعة رقمها الواحد والثلاثون ، وبيت المطلع ٥٦١ وعدد أبياتها عشرون .
وماذا يشتهر عن الحجاج إلا الظلم ، والعسف ، وأخذ الناس بالقوة؟
فيأتيه الشاعر برجل طيب ليعرض مبلغ قسوة الحاكم وظلمه ، لمجرد الشبهة ،
ولو كانت ممن لا شبهة فيهم ، وعنوانها « يوسف حجاج ومرد حق گوی » الحجاج
والرجل الصادق ، ومطلعها :

يحكى أن رجلاً من الأخيار
لم يبالي بتعظيم الحجاج بن يوسف (٢)

ثم ينتقل الشاعر فيبرز معنى سرعة الغضب عند الحجاج ، ومبلغ القسوة
بمجرد الشبهة . فيردف المطلع بهذا البيت :

(١) اگر خوش بخسبند سلك بر سریر
وگر زنده دارد شب دیر باز
بمحمد بالله این سیرت وراه راست
(٢) حکایت کنند از یکی نیکمسررد
نیندا رم آسوده خسبند فقیر
بخسبند مسردم بآرام ونساز
أتابك أبو بكر بن سعد راست
که إكرام حجاج يوسف نكررد

— فأتى نظماً حادة إلى رئيس ديوانه
قائلاً! ألق النطع واسفك دمه (١).

ولكى ييث الشاعر روحاً في القصة، يجعل الرجل يغلب عليه الضحك
والبكاء، فيعجب الحجاج لذلك، فيسأله. ماذا أضحكك؟ وما يبكيك؟ فيجيبه
الرجل بمعنى آخر، أدعى إلى العطف عليه:

— إن بكأى من الدهر
فلى أربعة من أطفال مساكين.
— وإن ضحكى من اطف الله الرحيم
أنى أنا المظلوم! يسفك دمي، ويبقى الظالم (٢).

أنظر في الأول، معنى استدرار الرحمة، وفي الثاني مبلغ حرص الشاعر على
استقامة القصة. فيجعل قضاء الله لطفاً منه، مما يناسب أن يصدر من الصالحين.
ثم يمضى الشاعر في تصوير معنى الظلم، ومبلغ قسوة الحجاج، حتى ينتهي
به الأمر إلى القضاء على الرجل ظالماً، وهنا يبدو نوع من براعة الشاعر، فيجعل
النهاية في القصة من قبيل الرواية سماعاً.

— سمعت أنه لم يذعن للنصح، وسفك دمه
ومن ذا الذى يستطيع أن يفر من حكم الله؟؟ (٣).

ثم يخرج من هذه القصة بهذه المعانى العامة في معاملة الرعية:

— إن المظلوم لا ينام، فاخش آهاته
واخش أنفاس قلبه حتى ينكشف الصباح (٤).

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) بسر هتگ دیوان نگه کرد تیز | که نطعی بینداز و خوتش بریز |
| (٢) بگفتساهی گریم از روزگار | که طفلان بیچاره دارم چهار |
| همی خندم از لطف بزبان پاک | که مظلوم رقم نه ظالم بخاک |
| (٣) سنیدم که نشید و خوتش بریخت | زفر مان داور که داند گریخت؟ |
| (٤) خفتست مظلوم از آهش بترس | زدود دل صبگسا هش بترس |

قصة المأمون

يُعدُّ لها جارية من جوارى القصور التي كانت تزخر بها قصور آل عباس ،
ويجربى على لسانها بعض أدوار القصة ، ولكنه لا يجيد فيها عن الطريقة التي
الزمتها ، من إبراز المعاني ، وراء المجسمات والحوادث .

يُوثق للمأمون بالجارية الجميلة ، فتنفر منه ، وهو الخليفة الذي ليس في الملك
مثله بسطة ، وسعة ، ورفاهية .

والقصة تقع في الترتيب ٤٣ في ٢٣ بيتاً ورقم المطبع ٧٥٤ وعنوانها « مأمون
خليفة باكينزك » الخليفة والجارية ، ومطلعها :

— حين وصل دور الخلافة إلى المأمون
اتباع جارية فائنة ، كأنها البدر (١) .

ثم يمضى في وصف جمالها، لكنها تنفر من المأمون، فيغضب، ثم يتالك نفسه،
فيسألها ما يغضبها؟ فتوضح له ما تلقاه من عناء في راحة فمه ، ثم يبرز الشاعر مدى
حكمة المأمون ، وترويه ، واستجابته لرغبات جاريتها .

— تكلم مع من يعرفون الطباع من كل إقليم
وسأل كثيراً ، من كل جهة (٢) .

ثم ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة ، وهو تقبل النقد ، وسعة
الصدر ، والحلم عند الغضب .

— إن الذي يريد لك الخير ، هو — في رأيي
من يقول لك يا فلان! إن الشوك في طريقك (٣) .

-
- (١) جودور خلافت بمأمون رسيد
(٢) طبيعت شناسان هسر كشوري
(٣) بنزد من آنكس نكو خواه تسن
- بكي ساه بيگر گسنيزك خريسد
سخن گفتم باهريك أز هردي
كه گويد فلان خاردر راه تسن =

— أما أن تقول للضال إنك تسير سير المستقيم
فإن ذلك جفاء تام ، وجور عظيم .

قزل أرسلان ، وفيه قصتان :

قصته الأولى تعالج غرور الملوك ، وقد كان قزل أرسلان من أتابكة آزر بيجان المشهورين ، حكم من سنة ٥٨١ — ٥٨٧ هـ . ومدحه كثير من مشاهير الشعراء الإيرانيين المعاصرين له . مدحه النظمي الكنجوي ، ومجير الدين البيلقاني ، وظهير الدين الفارياي (١) .

والقطعة الأولى من هاتين القطعتين ، الثانية في الباب وأبياتها ١٤ ورقم مطلعها وعنوانها « نصيحة الملوك على وجه التعريض بظهير » . وظهير هو الفارياي السابق الإشارة إليه . والتعريض به هنا لأنه مدح الأمير بقوله :

— وَضَعَ الْفَكْرُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ تِسْعَةَ كِرَاسِي مِنَ الْفَلَكَ
حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقْبَلَ رِكَابَ قَزَلِ أَرْسَلَانَ (٢) .

فأراد الشاعر أن يستحضر شخصية خدعت بالغرور والكبرياء ، واستجاب الشعراء لها بهذا الغرور ، فتخير « قزل أرسلان » وتلقف بيت « الظهير » وعرض به في مطلع قطعته :

— أَى حَاجَةٍ لَكَ حَتَّى تَضَعَ كِرَاسِي الْفَلَكَ التَّسْعَ
تَحْتَ أَقْدَامِ قَزَلِ أَرْسَلَانَ!؟ (٣) .

-
- = بگمراه گفتن نگو مسیری جفائی تما مست وجوری قسموی
(١) انظر تراجم هؤلاء الشعراء وصلتهم بهذا الأمير في ترجمة تاريخ الأدب الفارسي
(٢) نه كرسی فلك نهد آندیشه زیر پای تابوسه برکاب قزل أرسلان دهد
انظر شرح جراف ص ٢٨ وسودی ص ٨
(٣) چه حاجت که نه کرسی آسمان نهی زیر پای قزل أرسلان

وهذه القطعة تقوية للمعنى الذى ساقه الشاعر فى القطعة التى سبقتها . يعرض لموقفه من مدح الملوك ، ويرى أن يتجرد الإنسان من الطلب والحاجة ، حتى لا يتصنع فى مدحه ، وهذا يبين لنا مدى محافظته على الروح الأخلاقية ، التى كان يتطلبها .

— لا تسلك ياسعدى طريق التكلف
فان كنت صدوقا . فاحضر ! وتمهيا للقول .
— إنك خبير بالطريق ، والمليك سالك لها
وأنت تنشدا للحقائق ، والمليك مستمع لها (١) .

هذا هو موقف سعدى من أمير إمارته ، وهذه هى المعانى التى انتهى إليها فى هذه القطعة ، فلما استقر هذا المعنى فى ذهنه ، عرض بقول « ظهير » فى مدح « قزل أرسلان » على الصورة التى وردت فى المطلع . والشاعر سرعان ما ينتقل إلى الغرض المقصود من استحضر « قزل أرسلان » فيعالج تواضع الملوك فى قصته .

— لا تقل ضع قدم العزة على الأفلاك
بل قل ضع وجهك مخلصاً على التراب (٢) .
— وإن كنت مطيعاً ، فاركع على أعتاب ربك
والقى تاج الملكة عن رأسك ! (٣) .
— وحين تطيع ، فلا تتحل بزينة الملوك
بل تضرع ، كالدرويش المخلص (٤) .

-
- (١) بسراه تكسلف مرو سسعديا
تو منزل شناسى وشسه راه رو
(٢) مگوبای عزت بسسر أفلاك نه
تو حق گوی وخسرو حقایق شنو
(٣) آگر بنده سر برین دربته
بگو روی إخلاص برخاک نه
(٤) چو طاعت کنی لبس شاهى مپوش
کلاه خسد اونسدى آزر بنه
چو درويش مخلص برآور خروش

وهكذا يمضي الشاعر في بيان الطريق إلى التواضع ، حتى ينتهي من القطعة بقوله :

— إذا كان العطاء مهيوون على بابك للخدمه
فلتحن أنت رأسك ، على أعتاب الله ، طاعة له (١).

* * *

أما القطعة الثانية فترد رقم ٣٨ ومطلعها ٦٣٧ وأبياتها ١٤ ، وتعالج القطعة مسألة أخرى ، هي أحوال الدنيا ، وأنها سريعة الزوال والانتقال . يتخير لهذا المعنى قصة تدور حول قلعة للأمير ، تستعصى على الزمن قوة وثباتا .

ويجعل الحديث بينه وبين سائح حكيم ، يقول في المطلع :

— كان لقل أرسلان ، قلعة منيعة
وكانت تفوق في علوها ، جبل ألوند (٢) .

ويمضي في وصف القلعة ومناعتها ، ووعورة الوصول إليها ، وأمن الأمير بها ثم يدخل الشخصية الأخرى في القصة ، ويدير الحديث بينهما :

— قال قزل أرسلان ، هل رأيت
في سياحاتك العديدة ، مكاناً محكماً ، كهذا (٣) .

فيجيبه الحكيم ضاحكاً ، ساخراً ، نعم ! إن قلعتك هذه عظيمة ، ولكني لست أظنها منيعة . وينتقل من ذلك إلى الغرض من القصة :

— ألم يكن قبلك من ملكها من العطاء ؟؟
عاشوا طويلاً ، لكنهم مضوا (٤) !! .

توسر آستان عبادت سرت
که گردن بالونسد برسفراشت
چنین جای محکم دگر دیده ای ؟
دمی چند بودند ویکذا شستند

(١) کمر بسته گرد نکشان بر درت
(٢) قزل أرسلان قلعه سخت داشت
(٣) قزل أرسلان چند بن که گردیده ای
(٤) نه پیش از تو گرد نکشان داشتند

ثم يختتمها بهذا المعنى العام، في تأييد المعنى السابق .

— الدنيا — لدى العاقل — لا تساوى شَرُّو نقيرو
فسرعان ما يخلفها قوم، مكان آخرين^(١) .

قصة تكلة بن زنگى

وقصته ١٨ وأبياتها ١١ ومطلعها ٣٥٩ .

وماذا كانت شهرة تكلة بن زنگى ؟ إنه اشتهر بالعدل ، وسعة السلطان ،
حتى فاق أنوشروان، وسليمان . مدحه بعض الشعراء بقوله .
فأين أنوشروان منه وعدله وأين سليمان النبي وخاتمه^(٢)
ومع ذلك ، كانت تغلب عليه الروح الصوفية ، حتى أنه نفر من السلطان .
ومطلع القطعة :

— جاء فى أخبار الملوك السالفين
أن تكلة ، حين جلس على عرش آل زنگى^(٣) .

ثم يدخل الشاعر أحد المتصوفة فى القصة ، ليخلص إلى المعنى الذى يريد :

— قال ذات مرة ، لأحد الزاهدين
لقد انتهى عمرى دون أن أجدى ثمرا^(٤) .

ثم يرغب فى الابتعاد عن الدنيا ، والانتقطاع إلى العبادة . لكن الشاعر
يرشد إلى طريق أقوم من هذا . وما الطريق الذى هو أقوم من الانتقطاع إلى
العبادة، عند ملك يريد أن يهجر الملك فى سبيلها ؟ هنا يأتى الشاعر بالمعنى المناسب
لملك يشرف على رعيته .

-
- (١) بسربرد هشار دنبا نخست
(٢) شيراز نامه ص ٥١
(٣) در أخبار شسا هان بيشينه هست
(٤) چنين گفت يكره بصاحب دلى
كه هر مدق جاى ديگر كسست
كه چون تكله برتخت زنگى نشست
كه عمسرم بسررفت ببحاصلى

— ليس الطريق السوى ، إلا في خدمة الخلق
لا بالتسبيح ، والسجادة ، والدلق .
— فامض على عرش سلطائك ،
وكن درويشاً في أخلاق الطاهرين (١) .

* * *

هذا هو منهج الشاعر في اختيار الشخصية ، ومباغ درايته بتاريخها وظروفها .
يستحضرها ، ويعد لها الدور المناسب ، ويجري على لسانها ، أو يستخلص
من قصتها معنى من المعاني .

وهذه هي القصص التي تناولت شخصيات تاريخية معروفة ، أدركنا منها
كيف أحكم الشاعر إدارة قصصه ؟ وكيف بلغ النتيجة التي يريد ، والمعنى
الذي يقصده .؟؟

وهناك — كما قلنا سابقاً — قصص أخرى من التي سميناها قصصاً عن «سعدى» ،
أو قصصاً عامة ، تكوّن مع القصص الشخصية جميع قصص الباب . وبعض
القصص العامة ، تدخل فيها شخصيات عرضية ، للتشبيه أو لتأكيد المعنى ،
وإدراك الصورة التي يطلبها الشاعر ، بالإضافة إلى المعاني التي تنطوي عليها هذه
القصص ؟ وهذا ما يدعونا إلى الكلام على مجموع الأفكار العامة التي تناولها
الشاعر في جميع الباب .

* * *

الأنظر العامة في باب العدل

تناول هذا الباب في مختلف القصص — بالإضافة إلى ما لاحظناه في القصص
الشخصية — مجموعة من الأفكار العامة تتمشى مع الغرض منه .

(١) طريقت بجز خدمت خلق نبيست بتسبيح وسجاده' ودلى نبيست
تو بر تخت سلطاني خويش باش بأخلاق هاكيزه در ويش باش

فهذا باب وضع للملك وسياسة الملك ، فلا بد أن يعالج فيه الشاعر أموراً تتصل بهم، كذلك كان من قصد الشاعر أن يرسم فيه دستوراً للملك يعالج به شئون الرعية. ويمكن تصويرنا لهذا كله في ناحيتين :

أولاً — عرض الناحية الأولى لسياسة الملك الداخلية . وتناول فيها الشاعر أحوال ثلاث هيئات هي :

- (١) شئون الرعية . (٢) شئون الموظفين . (٣) شئون الجيش .
- ثانياً — والناحية الثانية تعرض للسياسة الخارجية . تناول فيها أحوالاً ثلاثاً :
- (١) خصوم الدولة . (٢) حالات الحرب والسلام . (٣) أمور الأجانب .
- السياسة الداخلية :
- ١ - شئون الرعية :

ويبدو أن شئون الرعية وسياستها استنفذت كثيراً من أفكار هذا الباب ، يظهر ذلك فيما نلاحظه من كثرة النصائح التي كان يرددها — رواية وسماعاً — على ألسنة الملوك السابقين في نصائحهم لأبنائهم ، أو لعالمهم في إدارة دفة الحكم . فهو يشبهها تشبيهات كثيرة :

- الرعية كالشجرة ، إذا نالت رعايتك
جنيت ثمارها ، بقدر رغبتك .
- فلا تقتلع جذورها ، وثمارها بغير رحمه
فإن الجاهل يوقع الحيف بنفسه (١) .
- والرعية كالجذر ، والسلطان كالشجر
والشجرة يابئني! تستمدقوتها من الجذر (٢) .

(١) رعيت در خنست آگر پروری
ببیر همت آز بیخ وبارش مکن
بکام دل خویش بسر خری
که نادان کند حیف بر خویشن ق ١١

(٢) رعیت چو بیخند و سلطان درخت
درخت ای پسر باشد آزیخ سخت =

- فلا تجرح — ما استطعت — قلوب رعيتك
 فإذا جرحتها ، اقتلعت جذرك (١) .
- ولا ينبغي قتل الرعيّة ، ظمّاً
 فإنها ملاذ السلطنة ، وظهيرها .
- وارع الأجير ، من أجل نفسك ،
 فإن العامل السعيد ، هو الذي يأتي بعمل وافر .
- وليس من المروءة أن تفعل الضّرّ
 مع من رأيت منه خيراً كثيراً (٢) .
- وحرام على المليك ، أن ينام سعيدياً ،
 إذا ترك القوى على الضعيف .
- فلا تؤذ الرعيّة مقصدار خردله ،
 فإن السلطان راع ، والرعيّة قطيعه (٣) .
- وإذا نام المليك مستريحاً على السرير
 فليست أظنّ نوماً هادئاً للفقير .
- فإن سهر طويلاً على راحة الرعيّة
 نام الناس مستريحين ، وسعدوا به (٤) .

-
- == مکن ناتوانی دل خویش ریش وگر میکنی میکنی بیخ خویش ق ٤
- (١) رعیت نشاید بیسداد گنت که بر سلطنت را پناهند و پشت
 مراعات دهقان کن از بهر خویش که مزدور خوش دل کند کاربیش
- مروت نباشد بدی بسساکسی کزو نیکوی دیده باشی بسی ق ٤
- (٢) حراست بر پادشه خواب خوش چو باشد ضعیف از قوی بارکش
- مبازار عامی بیک خسردله که سلطان شبانست و عامی کله ق ٤
- (٣) اگر خوش بخسید ملک بر سریر نپندارم آسوده خسبد فقیر
- وگرزنده دارد شب دیر بساز بخسبند مردم آرام و نساز ق ١٦

— وقبيح للملك أن يطلب الزينة
 وقلوب أهل المدينة جريحة عجزاً.
 — طوبى لمن يؤثر راحة الناس رجالاً ونساء
 على راحة نفسه ، وشهواتها^(١) .

ثم يعرض لشيء من العقوبات التي توقع حين الجرم :

— التمس للمذنب عذر النسيان
 ولا تحرمه ان طلب الأمان .

— وان لجأ إليك مذنب
 لا ينبغي أن تقتله أولاً بذنبه .

— فإذا نصحته مرة ، ولم يستمع لنصحتك
 فأسلمه إلى سجنك ، وقيدك .

— فإن لم تثمر فيه النصيحة ، والسجن
 فاقتلعه من جذره ، فإنه شجرة خبيثة^(٢) .

— ولا تؤذ الغريب الذي امتلأ رأسه بالفتنة
 بل اطرده بعيداً ، من الدولة .

— فإن كان فارسياً ، ومن موالدها
 فلا تنفه إلى صنعاء ، أو صقلاب ، أو الروم .

لكن لا تأمنه ، ولو لوقت قليل
 ولا ينبغي أن توكل البلاء بالآخرين^(٣) .

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| دل شهري أزنا توانی قسار | (١) که زشتست بپرایه بر شهریار |
| گز بنسد بر آرایش خویشتن ق ١٦ | خنک آنکه آسایش سرد وزن |
| چو زهار خواهد زهارده | (٢) گنهکار را عذر نسیان بنه |
| نه شرطست کشتن بأول گناه | گر آید گنهکاری آنسدر بنه |
| بسه گوشالش بسزدان و بند | چو باری بگفتند و نشنید بنسد |
| در خقی خیمشست بیختن برآر ق ٧ | وگر بند و بندش نیاسد بکار |
| میازار و پیرون کن از کوشورش | (٣) غریبی که پرفتنه باشد سرش |
| بصنعاش مفرست و صقلاب و روم | وگر ساری باندش زاد و بسوم |
| نشاید بلا بر دگر کس گماست ق ١٧ | هم آنجا آمانش مده تا بجاشت |

- وانظر في أحوال السجّناء ،
فلعل من بينهم من هو برىء^(١).

٢ - شئون الموظفين :

والشاعر لا يتناول المسائل العامة وحدها ، فيدلى فيها برأيه ، ويطالب فيها بتوجيهاته . لكنه يتناول المسائل الخاصة ، المسائل العملية في سياسة الدولة .

يعرض لأموال الموظفين ويتناولهم من الوزراء إلى العمال . عرض لأمر اختيار الوزراء ، وتناول هذا المنصب ، وتناول ما يحدث بشأنه من الوشائيات في قطعة خاصة هي أطول قطع الباب ، بل لعلها كذلك أطول قطع الكتاب . ففي القطعة الثامنة وتبلغ مائة وعشرة أبيات ، يصور رغبة المليك في اختيار الوزير ، وما يحدث بين الوزراء من الحسد ، والغيرة . وهو يرسم للمليك الخطط لعلاج هذه المشاكل . وبجانب هذه القطعة ، تتردد بعض المعاني المتصلة بهذا الموضوع ، في قطع أخرى أهمها القطعة التاسعة .

وقد تناول الشاعر في موضوع الوزراء ، أهم شيء فيه ، وهو التنافس على كراسي الحكم ، وفي سبيل هذا التنافس تكثر الوشائيات ، وتحيط بالأشخاص ، فتفعل هذه فعلها في نفسية المليك ، فيغضب ، فيعالج عنده أمر الغضب ، ثم تتكشف الحقيقة لديه فيرتد إلى الصواب .

ونحن نتناول هذه الناحية من جانبها :

(١) السياسة مع الوزراء . (ب) السياسة مع بقية موظفي الدولة.

(١) نظر كن در أحوال زندانيان كه يمكن بود بيگنه درميان ق . ١

۱ - السياسة مع الوزراء :

يصور الوشاية فيما بينهم بقوله على لسان أحد الوزراء يخاطب المليك :

— أتى للحسود الذي يرانى فى مكانه

أن يذكرني بغير لسان السوء ؟؟ .

— لقد اعتبرت نفسى عدواً له

منذ جعله المليك تحت أمرى .

— ألا يعلم المليك أنه حين يفضلى عليه

سيكون عدواً لى ، يقتنى أترى ؟^(۱) .

— إن لى أيضاً اسماً طيباً ، لكن خصمى

لا يذكره حسناً ، لعلة فى نفسه .

— فالوزير الذى فقد مكانته بسبب جاهى

ينبغى أن احتسأط منه كثيراً^(۲) .

ثم يصور الشاعر كيف استضاء المليك ، عندما لمس براءة الوزير :

— لست أخشى غضب المليك

فإن البرىء شجاع فى الكلام .

— والذى يخشى الحسب

من كانت أثقال ميزانه ناقصة .

— فإذا كتبت — صحيحاً — بقلبى

فكيف اغتم من يعترضون على ؟؟^(۳) .

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| كجا برزبان آورد جز بدم | (۱) حسودى كه بيند بجای خودم |
| که بشاند شه زبردست منش | من آنگاه انگاشتم دشمنش |
| نداند که دشمن بود در بیم ؟ ق ۸ | چو سلطان فضیلت نهد برویم |
| زعلت نگوید بد اندیش نیک | (۲) سرا همچنین نام نیگست لیک |
| بفرستگ باید زمرکش گریخت ق ۹ | وزیری که جاه من آیش بر یخت |
| دلاور بسود در سخن بیگناه | (۳) ولیکن نپسند یشم از خشم شاه |
| که سنگ ترازوی بارش گمست | اگر محتسب گردد آنسرا غمست |
| برا از همه حرف گیران چه غم ؟ ق ۹ | چو حرفم بسر آید ز دست از قلم |

— استضاء المليك برأى الوزير
 حتى اغتم الوزير القديم بغم جديد .
 — لم ير ثغرة في ذلك العاقل
 حتى يمكن أن يطعنه بها .
 فالأمين ، ومفكر السوء ، كالطشت والنمل
 لا يستطيع النمل أن يحدث ثغرة فيه ^(١) .

ويعرض الشاعر مدى حلم المليك ، وعدم تأثير الغضب في نفسه، عند الوشاية
 في قوله :

— لو لم أكن قد اتبعت الأناة ، بتعقل
 لكنت عاقبته بقول خصمه
 — فالذي يمد يده سريعاً ، وهو في ثورة الغضب
 يعض بنان القدم أسفا .
 — فلا تنصت إلى كلام الوشاة
 فإذا عملت به ، فلا ريب أنك نادم ^(٢)
 — ولا تؤذ من عاش في رعايتك
 ولا تقتله بالسيف ، إذا أغضبك
 — وما دمت لم تتيقن من إثمه
 فلا تأخذنه بقول خصمه ^(٣)

-
- | | |
|---|---|
| <p>وزير كهن را غم نو گرفت
 كه دروي تواند زدن طعنه اي
 ننشاید درو رخنه كردن بسزور
 بگفتار خصمش بیسازردمی
 بدندان بسرد رشت دست دریغ
 كه گرکار بندی بشیان شوی
 چو تیر تو دارد بتیغش مسزن
 بگفتار دشمن گزندش مسخواه</p> | <p>(١) ز روشن دلش ملك پسر تو گرفت
 ندید آن خرد مند را رخنه ای
 آمین وید آندیش طشتند و مسور
 بعقل آرنه آهستگی کردمی
 بتندی سبک دست بسردن دریغ
 ز صاحب غرض تا سخن نشوی
 میازار پسرورده خولشتن
 کنون تا یقینت نگردد گناه</p> |
|---|---|

ب - السياسة مع الموظفين :

- حکم في الرعية من يخشى ربك
فإن العفيف عماد ملكك .
- والذي تمتص دماء الخلق من أجلك
هو من يفكر السوء بك (١) .
- وينبغي أن يكون أميناً يرعى الله
فلا تأمن لأمين يخافك وحدك .
- وينبغي أن يهكر الأمين في خشية ربه
لا في رفع رانبه ، أو خوف زجره ، وهلاكه .
- واعط ، وحاسب من تعطى ، تعش آمناً
فلن تجد واحداً من مائة أميناً (٢) .

كما يعرض الشاعر لسياسة عقوبة الموظفين ، وتأديبهم في قوله :

- إن المليك العادل ، في رعيته
يغضب عليهم ، غضب الأب على ابنه .
- يضربه حيناً ، حتى يؤلمه
و حيناً ، يمسح دموعه من عيونه البريئة (٣) .
- وإذا زلَّ الكاتب ، في عمله
فلا تقطن جبال أمله (٤) .

- | | | |
|-----------------------|---|--|
| <p>ق ٥</p> <p>ق ٧</p> | <p>که معمار ملکست پر هیز کار
که نفع توجوید در آزار خلق
آمین کز تو ترسد آمینش مدار
نه از رفع دیوان وزجر وهلاک
که از صد یکی را نئی آمین
بدر وار خشم آورد بر سر
گاهی میکند آبخش از دیده یاک
بیفتند نبرد طناب آمل =</p> | <p>(١) خدا ترس را بر رعیت گمار
بدان دیتس نست آن و خو خوار خلق
(٢) خدا ترس بایسد اما نتگزار
آمین باید از داو رد اندیشناک
بیفشان ویشمار و فارغ نشین
(٣) بفرمان بران بر شسه دادگر
گهش میزند تاشسود دردناک
(٤) نویسنده را گر سستون عمل</p> |
|-----------------------|---|--|

— و إذا لم يكفَّ المشرفُ يده ، عن الأمانة
 فينبغي أن يعين رقيبٌ عليه .
 — و إذا عزلت أحداً ، من مكانه
 فاعف عنه ، حين تمضي عليه مده .
 — ولا تعاقب المؤذي بأخذ أمواله .
 بل يجب اقتلاع جذره من أساسه .
 — ولا تصبر على عامل تمادي في بطشه
 بل ينبغي - متى سمع - أن تسلخ جلدَه (١) .

كذلك يتحدث الشاعر عن الذين تقادم عهدهم في الخدمة ، أو تركوها :

— زود قدر القدمات في خدمتك !
 حتى لا يغدر بهم ، من يتول بعدك .
 — وحين يتقادم العهد بخادمك
 لا تنس السنين التي أمضاها في خدمتك .
 — فإذا كان الهرم قد حال بين العمل ، وبينه
 فإن يدك الكريمة ، لا تزال موجوده (٢) .

٣ - شئون الجيش :

ولم تغف مقدره الشاعر في رسم دستوره ، عند العناية بالرعية ، أو بالموظفين
 المدنيين . بل تناول أيضاً أمور الجيش ، ورسم للملك سياسة يسلكها حال السلم ،

<p>ق ٧</p> <p>ق ٥</p> <p>ق ٦</p>	<p>بباید برو ناظری بر گماشت چو چندی بسر آید ببخشش گناه که ببخش بر آورد باید زین که از فریبی بابدش کند پوست که هرگز نیاید ز پرورده غدر حق سالیانش فرامش مسکن ترا بسر کرم همچنان دست هست</p>	<p>== چو مشرف دودست از امانت نداشت یکی را که معزول کردی ز جاه (١) مکافات مؤذی بمالش مکن مکن صبر بسر عامل ظلم دوست (٢) قدیمان خود را بیفزای قسمسدر چو خدمت گذا ریت گردد کهن گر آورا هرم دست خدمت بدست</p>
----------------------------------	--	--

وحال الحرب ، ورعاية شؤون الجيش ، في كلا الحالين ، ومسلكه مع العدو ، ومع الأسرى ، ومع البلاد التي يفتحها . مما يدل على مدى تجربته ، وخبرته في ألوان الحياة كلها . تلك الخبرة التي جمعها طوال عهده ، وخلال رحلاته .

وأول ما يطالعنا من أمور الجيش حديثه عن الأموال ، والخراج ، والخزانة . وعلاقة كل ذلك بتقوية الجيش لصيانة الدولة :

- لست أحصل على الخراج
- من أجل زينتي ، وعرشي ، وتاجي .
- كم لي من ألوان الترف ، والهوى !
- لكن الخزانة ليست ملكي وحدي .
- فإنما تمتلئ الخزائن لينفق منها على الجيش
- لا على الزينة ، والزخرف ، والرياش (١) .
- وأكرم الجيش وقت الصفاء
- فإنه يفتديك وقت الهيجاء (٢) .
- وارع اثنين ! أيها الليلك الحبيب
- أحدهما الحارب ، والآخر المجرّب .
- ففكرة الدولة يكسبها العطاء
- الذين يراعون المحاربين ، والعلماء .
- ومن لم يمارس القلم ، والسيف
- فإن مات ، لا تحزن عليه ، ولا تأسف (٣) .

-
- (١) نه از بهر آن میستانم خسراج
مرا هم زصد گونه از وهواست
خزائن پر از بهر لشسکر بسود
- (٢) سپاهی در آسودگی خوش بدار
دوتن پرورای شاه کشورگشای
- (٣) زنام اوران گوی دولت برنسد
هر آنکو قلم را نورزید وتیغ
- که زینت کنم بر خود و بخت و تاج
ولیکن خزینت نه تنها سراسر است
نه از بهر آیین وزیور بسود ق ١١
- که در حالت سختی آیسد بکار ق ٤٨
- یکی أهل رزم ودگر أهل رای
که دانا و سمشیر زن پرو رند
برو گر بمیرد مگو ایسد رغ ق ٥١

ثانياً — السياسة الخارجية :

رأينا أن الشاعر تناول فيها أحوالاً ثلاثاً ، هي :

(١) خصوم الدولة (٢) حالات السلم والحرب (٣) أمور الأجانب

١ — خصوم الدولة :

حاول الشاعر أن يرسم سياسة للملك ، ليحذر أعداءه خارج دولته ، وينادي في هذه السياسة بما يأتي :

- ليس من الحكمة ، أن تعيش في أمن حتى ولو كنت ، بين عدوين ضعيفين (١) .
- ويجب أن تخفي للحرب استعدادك فإن العدو يُخفي إغارته عليك .
- والحدُزُ سياسة ذى الرأي السديد وتخيّر طليعة الجيش ، فإنها سددت من حديد (٢) .
- وإذا تمكنت باللين كسب الديار فلا تسفك دماء أحد بالدمار .
- فإنى بحق الرجولة أرى مُلك الأرض كلها لا يساوى مسيل الدماء عليها (٣) .
- وانثر للعدو الذهب ، مكان الحسك فإن الإحسان يثلم الأسنان الحادة (٤) .

-
- | | | |
|------|------------------------------|--------------------------------|
| ٥٢ ق | نه فرزانگی باشد ایمن نشست | (١) میان دو بد خسواه کوتاه دست |
| ٥٢ ق | که دشمن نهان آورد سخاقتن | (٢) بیاید نهان جنگ را سخاقتن |
| ٥٢ ق | یزک سدد روئین لشکر گهست | حذر کارم سردان کار آگهست |
| ١١ ق | بپیکار خون از مسسامی مینار | (٣) چو شاند گرفتن بنرمی دیسار |
| ١١ ق | نیر زد که خوئی چکد بر زمین | بمردی که ملک سرا سر زمین |
| | که احسان کند کند دندان تیز = | (٤) عدو را بجای حسک زبر بر یسز |

— وإذا لم تستطع أن تقطع يداً ، فقبلها !
 فإن الحيلة — مع الغالبين — هي الخديعة .
 — وإذا لم تستطع أن تهزم العدو بالقوه
 فينبغي — بالرضا — قفل باب الفتنة .
 — وإذا كنت تحشى الضرر من خصمك
 فاعقد لسانه ، بتعويذة إحسانك ^(١) .
 — وإذا كنت — عند الحرب — أقوى منه
 فليس من الرجولة أن تستغل مجزه .
 — فلو كانت لك قوة الفيل ، ومخالب الأسد
 فعندى أن تؤثر الصلح على الحرب .
 — واحذر هجوم الرجل المستضعف
 فكم رأيت سيولاً كثيرة من قطرات ^(٢) ! .
 — وإذا كَلَّت — عن كل حيلة — يدك
 فمن الخير أن تضعها على سيفك ^(٣) .
 — ولا تول قائداً على الجنود
 إلا من ذاق — كثيراً — مرارة الحرب .
 — ولا تكلف الصغار جسام الأمور
 فإن السنديان لا يكسر باليد ^(٤) .

-
- | | | |
|------|---|--|
| ق ٤٧ | که باغالبان چاره زرقست ولوس
بنعمت بیایسد در فتنه بست
بتعوید احسان زیانش ببندد
نه مردیست بر ناتوان زور کرد
بنزدیک من صلح بهتر که جنگ | == چو دستی نسیاید گزیدن بیوس
(١) چو نتوان عدو را بقوت شکست
گر آندیشه باشد زخصمت گزند
(٢) وگرزو تسوانا تری در نبرد
اگر بیل زوری وگر شیر جنگ
حذر کن زپیکار گمتر کسی |
| ق ٤٧ | که از قطره سیلاب دبدم بسی | (٣) چو دست از همه حیلتی در گسست |
| ق ٤٧ | حلا لست بردن بشمشیر دست | (٤) سپا هرا مکن پیشرو جز کسی
بخسردان مفرمای کسار درشت |
| ق ٤٩ | که در جنگها بوده بانسد بسی
که سندان نشا بدشکستن بمشت | |

۲ - حالات السلم والحرب :

كذلك يرسم الشاعر خطته فيها ، في قوله من تضليل العدو :

— إن « الأسكندر » حينما تطلع إلى الشرق

قالوا إنه فتح باب خيمته نحو الغرب

— وحين رغب « بهمن » الذهاب إلى « زابلستان »

أشاع أنه ذاهب شمالاً ، بينما اتجه يميناً .

— فإنه إن أطلع غيورك على عزمك

حق لك أن تبكى على الرأي والحكمة (١) .

— وإذا بقى بين الجيشين مسير يوم

فأقم هناك ! واضرب الخيام .

— أألت تعلم ، أن العدو إذا تقدم هذه المسافة

لم يبق له ساعد من القوة (٢) .

— وإن كنت في ألف ، وعدوك في مائتين

وجنّ عليك الليل ، فلا تمكث في أرض العدو .

— ففي الليل المظلم ، إذا كمن لك خمسون فارساً

فإنهم يحطمون الأرض مهابة ، وكأنهم خمسمائة .

— فإذا عن لك أن تقطع الطريق ليلاً

فاحذر مواضع المفاجأة أولاً (٣) .

- | | |
|---|--|
| <p>در خیمه گویند در غرب داشت
چب آوازه أفگند و از راست شد
بران رای ودانتن بهاید گریست ق ۵۶
بماند بز ن خیمه بسر جای گاه
سر بنجه زور مندش نماند ق ۴۷
چو شب شد در اقلیم دشمن مأیست
چو بانصد بهیبت بد رد زمین
حذر کن نخست از کین گاهها =</p> | <p>(١) سکندر که با شرقیان حرب دانست
چو بهمن بزابلستان خواست شد
اگر جز تو دا ند که عزم تو چیهست
(٢) میان دولسکر چو یکر روز راه
ندانی که دشمن چو یکر روز راند
(٣) وگر خود هزاری و دشمن دویست
شب تیره بنجه سوار از کین
چو خسواهی بریدن بشب را هها</p> |
|---|--|

— ولا تتعقب من حلت به هزيمتك ،
 فإنه لا ينبغي أن تبعد كثيراً عن أنصارك .
 — ولا تكشف سرّك لكل إنسان
 فكثيراً ما رأيتُ الجاسوس نديماً في الشراب (١) .

فإذا ما انتهت الحرب وكانت الهزيمة للعدو ، فإنه يرسم له الخطة ، فيما يأتي بقوله :

— إذا انتزعت بلاداً من عدوك
 فأرّع أهلها أكثر منه .
 — فإنك لو طرقت باب الحرب مرة أخرى
 فإنهم جميعاً يقضون عليه (٢) .
 — وإذا انتصرت على عدوك ، فلا تؤذ
 وكفاه ايداء ما تجرعه من الغصه (٣) .
 — وإذا وقع قائد من رجال العدو في الأسر
 فينبغي أن تتأني في قتله .
 — فلو قتلت ذلك الأسير التعس
 فلن تطرف عينك أسيرك (٤) .

وماذا لو وقعت الهزيمة بجيشك ؟؟ .

— فإذا رأيت أعوانك الخالصين لا يصادقونك
 فاغتم الهزيمة ، وآثرها على الحرب (٥) .

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| نبايد كه دور اقي أز ياوران ق ٤٧ | = پس در قفاى هزيمت سران |
| كه جاسوس همكاسه ديدم بسى ق ٥٦ | (١) منه در ميان راز باهر كسى |
| رعيت بسامانتر أز وى بسدار | (٢) چو بر كندى أز دست دشمن ديار |
| بسر آرندهام أز دباغش دسار ق ٥٥ | كه گرباز گويد در كارزار |
| سرنجانش كورا همين غصه بس ق ١٢ | (٣) چو بر دشمنى باشند دسترس |
| بكشتن درش كرد بايد درنگ | (٤) چو سالارى أز دشمن أفند بچنگ |
| نبينى دگر بندى خويش را ق ٥٤ | آگر كشتى اين بندى ريش را |
| هزيمت ز سپدان غنيمت شمار ق ٥٥ | (٥) چو بينى كه ياران نباشند يسار |

— وإذا رأيت الجيش قد تفككت أوصاله
 فلا تسلم — إلى الموت — روحك الطيبة .
 — فإن كنت في جانب ، فاجتهد في العودة ،
 وإذا كنت في الميدان ، فالبس لباس العدو^(١) .

٣ — أمور الأجانب

لا يفوت الشاعر — وهو يرسم تلك السياسة العامة في الداخل والخارج —
 أن يعرض لجانب آخر خارجي ، هو علاقة الدولة في الشؤون المدنية بالأجانب .
 فالدولة يقصدها الكثيرون ، إما للتجارة ، وإما للسياحة ، وإما لأمر سياسية ،
 والشاعر في كل ذلك يرسم خططاً معينة :

— إذا بات تاجر في ديارك
 فن الخسة أن تمد — إلى ماله — يدك^(٢) .
 — وإذا رغبت أن تكون طيب السمعة
 فارع التجار والرسل رعاية طيبة^(٣) .
 — فكرام القوم ، يرعون السائحين بأرواحهم
 لأنهم يحملون لهم السمعة الطيبة في العالم .
 — كن للغريب صديقاً ، وللوافد نعم الحب
 فإنهم يجلبون لك الاسم الطيب^(٤) .
 — والغريب الذي امتلأ رأسه بافتتة
 لا تلحق أذاك به ، لكن ابعده عن المملكة^(٥) .

- | | |
|---|---|
| (١) جو بينی کہ لشکر زہم دست داد
وگر بر کناری برقتن بکوش | بتنها سده جان شیرین بباد
وگر در میسان لبس دشمن پیوش ق ٤٧ |
| (٢) چو باز رگسان در دیارت بمسرد | بمالس حساست بسود دستبرد ق ١٠ |
| (٣) نکو بایدت نام ونیکی قبسسول | نکو دار بازا گمان ورسسول ق ٦ |
| (٤) بزرگان مسافر بجان پرورنسد
غریب آشنا باش ، وسیاح دوست | کہ نام نکوئی بعالم برنسد
کہ سیاح جلاب نام نکوست ق ٦ |
| (٥) غریبی کہ پر فتنه بانسد سرش | مہازار وپرون کن از کشورش ق ٦ |

۲ - باب الإحسان

المطلع	عامه	عن شخصية تاريخية	قصة عن سعدي	عدد الآيات	رقم المطلع	رقم ق
أگر هو شمندی بمعنی گرای	عامه			۱۷	۱	۱
بلر مرده را سه یه برسر فسکن	»			۱۱	۱۸	۲
یکی خار بای یتیمی بکنسد	»			۸	۲۹	۳
شنیدم که یکهفته ابن السبیل		سیدنا ابراهیم		۱۸	۳۷	۴
کره بر سر بند احسان مزن	»			۴	۵۵	۵
زبان دانی آمد بصاحب دلی	»			۲۰	۵۹	۶
یکی رفت و دینار از او صد هزار	»			۶	۷۹	۷
درین روزها زاهدی با برسر	»			۵	۸۵	۸
بد ختر چه خوش گفت بانوی ده	»			۳۲	۹۰	۹
بزا رید وقتی زنی بیش شوی	»			۸	۱۲۲	۱۰
شنیدم که بیری براه حجاز	»			۸	۱۳۰	۱۱
بسر هنگ سلطان چنین گفت زن	»			۱۰	۱۳۸	۱۲
یکی را کرم بود وقوت نبود	»			۳۴	۱۴۸	۱۳
یکی در بیابان سگی تشنه یافت	»			۹	۱۷۲	۱۴
تو با خلق نیکی کن ای نیکبخت	»			۱۰	۱۸۱	۱۵
بنالید درویش از ضعف حال	»			۲۶	۱۹۱	۱۶
بکی سیرت نیکمردان شنو		تسبیلی		۱۲	۲۱۷	۱۷
ببخش ای پسر کادمی زاده صید	»			۶	۲۲۹	۱۸
بره بر یکی پیشم آمد جسون	»			۹	۲۳۵	۱۹
یکی روبه دید بیدست و بای	»			۲۲	۲۴۴	۲۰
شنیدم که مرد بست پاکیزه بوم	»		سعدي	۱۵	۲۶۶	۲۱
شنیدم در أيام حاتم که بود		حاتم الطائی		۲۵	۲۸۱	۲۲
ندا نم که گفت این حکایت بمن		حاتم الطائی		۲۷	۳۰۶	۲۳
شنیدم که طی در زمان رسول		ابنة حاتم		۱۱	۳۴۳	۲۴
زبنگاه حاتم بکی سیر مرد		حاتم الطائی		۱۴	۳۵۴	۲۵
یکی را خری در گل افساده بود	»			۱۴	۳۶۸	۲۶
شنیدم که مغروری از کبر مست	»			۱۹	۳۸۲	۲۷
آلاگر طلب کار آهسل دلی	»			۴	۴۰۱	۲۸
بکی را بسرگم نسد از را حله	»			۶	۴۰۵	۲۹

المطلع	عامّة	عن شخصية تاريخية	قصة عن سعدى	عدد الأبيات	رقم المطلع	رقم ق
زواج ملكزاده در منساخ	عامّة			١٦	٤١١	٣٠
يكي زهره خرج کردن نداشت	»			٢٠	٤٢٧	٣١
جواني بدانگي كرم كرده بود	»			٢٦	٤٤٧	٣٢
كسي ديد صحراي محشر بخواب	»			١٢	٤٧٣	٣٣
بگفتيم در باب احسان بسي	»			٩	٤٨٥	٣٤
شنيدم كه مردی غم خانه خورد	»			١٤	٤٩٤	٣٥
چه خوش گفتم بهرام صحرا نشين	»	بهرام گور		١٠	٥٠٨	٣٦
	٢٨ =	+ ٧	+ ١		٥١٨	

قصص باب الاحسان

تبلغ قصص هذا الباب — كما رأينا — ستا وثلاثين قصة ، في خمسية وثمانية عشر بيتاً ، وتوزع القصص كالآتي :

١ — قصة عن سعدى .

٢ — سبع قصص عن شخصيات تاريخية .

٣ — ثمانية وعشرون قصة عامة .

أما قصص هذا الباب فهي أيضاً تتمشي مع الغرض من إقامته ، فالسبب في

الجود والكرم ، ومساعدة المعوزين ، ولا بد له حين يعرض لشخصيات تاريخية من

أن يتناول المشهورين بالكرم ، أو يعد الشخص ليلقي على لسانه قصة مناسبة له .

فقد اتخذ «سيدنا إبراهيم» ، ليدير على لسانه قصة حول الكرم للعام والخاص ،

— ولو مخالفاً في الدين — مما يناسب أن تكون الشخصية فيها نبياً ، وقصص «حاتم»

وابنته ليين فيها أن الكرم طبع في النفوس ، وقصة «شبل» ليظهر من معاني

الإحسان ، عدم التعرض لايداء الخلق ، ولو كانت حشرة ، وقصة «بهرام» يديرها

إبيان من لا يليق لهم الإحسان ، كما سيوضح ذلك عند تحليلنا لهذه القصص .

قصه سيدنا ابراهيم

وهي الرابعة في الترتيب ، وعدد أبياتها ثمانية عشر بيتاً ، وتضع لها نسخة « سودى » عنوان « إبراهيم عليه السلام وكرمه مع الخالص والعام » .
ورقم مطلعها السابع والثلاثون ، وتدور القصة حول المعنى الذى اختير لعنوانها .
وهو أن الكرم لوجه الله وحده ، لا تقوم فيه تفرقة ، ولو كانت تفرقة في الدين .
واختار لها الشاعر نبياً من الأنبياء ليخلص من القصة بأن الخلاف في الدين لا يقتضى خلافاً في المعاملة .

ومن إحكام القصة عند الشاعر ، أن يجعل من عادة « سيدنا إبراهيم » عدم تناوله طعام إفطاره إلا أن يشاركه فيه أحد أبناء السبيل . فإذا لم يجد ، فيخرج هو يستطلع الطريق بنفسه . يقول في أبيات من المطلع :

— سمعت أن ابن السبيل

انقطع أسبوعاً عن قصر ضيافة إبراهيم الخليل .

— فلم يتناول إفطاره ، جرياً على طيب عادته

لعل غريباً معوزاً يفد من الطريق .

— فخرج ، ونظر في كل ناحيه

وألقى في أطراف الوادى ، ببصره (١) .

ويمضى الشاعر فيقول إنه رأى قادماً في الطريق ، وكان رجلاً مسنناً ، فرحب به ، وخفف عنه وعشاء السفر ، وحمله إلى مائدة الطعام ، وأجلسه معه بين خواصه فلما همّ بتناوله ، لم يبدأ — مثلهم — بذكر اسم الله واهب الرزق ، فيغضب الخليل من أمره ، ويصور الشاعر ذلك في قوله :

— أليس شرطاً عليك ، حين تتناول الطعام

أن تذكر اسم من منحك الرزق؟ (٢) .

(١) شنيدم كه يكفته ابن السبيل
ز فرخنده خوى نحو ردى بگناه
برون رفت وهر جازى بنگريسد
نه شرطست وقتيكه روزى خورى

(٢) نيايسسد بهما نساى خليل
سگر بينواى در آيسد زراه
بر اطراف وادى نگاه كرد وديد
كه نام خداوند روزى برى ؟ =

فيجيبه الشيخ :

— لست أدري هذه الطريقة؟؟؟

ولم أعلم ذلك من شيوخ الوثنى ! .

عندئذ يهيم الخليل بجرمانه من الأكل . وهنا ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة .

وعندى أن هذه القصة تدعو إلى الإنسانية العامة ، لا يقتصر مغزاها على الكرم وحده ، وإن يكون للخاص والعام ، بل الأمر في المحتاج للطعام ، كالأمر في غيره من وسائل الحاجة ، أي في المعونة العامة .

وقد أشرك الشاعر شخصية جديدة ، مناسبة للقصة ليزيدها قوة وإحكاماً .
ينزل الله جبريل — في هيئته — يلوم الخليل قائلاً له :

— لقد منحته — مائة عام — الرزق ، وطول العمر

ألم تره ، واحدة ، يجرى منك بالنفور؟؟؟

— إنه ، ولو كان يهوى للنار السجود

فماذا ترد عنه يد الجود ؟ (١) .

قصة شبلي

أتى الشاعر فيها بشخصية صوفية ، ليرمز معنى العطف على مخلوقات الله ، فرجال الله يحرصون على عدم إيذاء المخلوقات مهما كانت تافهة ، فالعطف واجب على كل من أصيب بأذى ، سواء أكان ممن يحس الأذى ، ويقدر الخلاص منه أو لم يحسه ولم يقدره ؟ .

که نشینسدم ازیپر آذر پرست

بهیبت ملامت کنان کای خلیل

ترا نفرت آمد ازو یکزمان

تو واس چرا میبری دست جود

= بگفت نگیرم طریقی بسدست

(١) سروش آمد ازکرد گمار جلیل

منش داده صد سال روزی وجان

گر اوسپرد پیش آتشن سمسجود

والقطعة تقع في الباب ، السابعة عشرة ، وأبياتها اثنا عشر بيتاً ، ورقم المطلع

٢١٧ وهو :

— استمع لسيرة رجل من الأطهار ، الطيبين
إن كنت سعيداً ، سالكا سبل الرشاد^(١) .

ويمضى الشاعر في عرض القصة فيقول عن «شيلي» إنه اشترى من حانوت
بائع القمح جوالا ، وحمله على ظهره ، ومضى به إلى القرية . فلما بلغها ، رأى
نملة تجوب القمح ، وتسرع حيرى ذات اليمين وذات الشمال . فلم ينم ليله ،
وفكر فيها — رحمة بها — ثم ردها إلى مكانها ، وهو يقول :

— ليس من شرط المروءة
أن أبعاد هذه النملة الحزينه^(٢) .

ثم ينتقل الشاعر إلى تقوية هذا المعنى بالاستشهاد ، بأقوال شاعر آخر أقدم
منه ، هو الفردوسي ، في قوله :

— أنعم ! بقول الفردوسي كريم الأصل .
وليطر الله على تربته الطاهرة شأيب رحمة .

— لا تؤذ نملة ! من أجل حبة تحملها
فإنها ذات روح ، والروح عزيزة عليها .

— فمن يبغ الأذى لنملة ضعيفه
اسود قلبه ، ورُمي بالقسوه^(٣) .

ثم يختم القصة بالدعوة إلى الرحمة على كل ضعيف مها كان :

— لا تضرب على رأس العاجز بيدك القوية
فلعل — يوماً — تقع تحت أقدامه كالنملة^(٤) .

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) يني سیرت نیمردان سسسنو | اگر نیکبختی وبردانسه رو |
| (٢) مروت نباشد که ابن مورریش | پراکنده گرد ام ازجای خسویش |
| (٣) چه خوش گفت فردوسی پاکزاد | که رحمت بران تربت باکسزاد |
| سیازار موری که دانه کنش است | که جان دارد وجان سبرین خوشست |
| سسیاه آند رون باشد و سسنگدل | که خواهد که موری شود ننگدل |
| (٤) مزن برسر ناتوان دست زور | که روزی پایش درافنی چومور |

قصص حاتم

ونحن نكتفي بالإشارة إلى دلالة أحداها ، فهي كلها تدور حول معنى واحد .
وتقع الأولى من قصصه ، الثانية والعشرين ، في خمسة وعشرين بيتاً ، تبدأ من
البيت ٢٨١ . وتدور حول كرم حاتم وجوده ، بأعز ما يملك . ومطلعها :

— سمعت أنه كان عند حاتم
جواد ، كأنه دخان في سرعته (١) .

وتمضي القصة في وصف سرعة الجواد وقوته ، فهو سريع كريح الصبا ،
أو خاطف كالبرق ، يصهل في صوت كأنه الرعد .

ويطيل الشاعر في وصف عظمة الجواد ، وقوته ، وسرعته ، حتى يجعل معنى
التضحية به عظيمة . إلى أن يقول إن الناس تناقلت أخبار كرم حاتم ، وعطر ذكره
كل إقليم وقطر ، فنقلوا طرفاً منها إلى ملك الروم ، وقالوا له :

— إنه ليس له ضريب في الكرم
كذلك لا مثيل لجواده في العدو (٢) .

وهنا تنتقل القصة إلى نوع من القضايا ، فهذه دعوى يريد الدليل عليها ،
فليطلب ملك الروم هذا الجواد من حاتم ، ولينظر ماذا هو فاعل ؟؟

— هكذا قال المليك ، إلى الوزير الجليل

إنه مخجل ، .. أن تقوم دعوى بلا دليل .

— فسأطلب من حاتم ذلك الجواد العربي

فإن كان كريماً ، سخياً ، مجيب الطلب .

— علمت أن فيه رفعة العطاء

فإن ردّ فهو طبل ملؤه الهواء (٣) .

-
- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| (١) شنيدم در أيام حاتم كه بسسود | بخیل اندر تن باد بائی جسودود |
| (٢) كه همتای او در کرم مرد نیست | چواسیش بجسودان وناورد نیست |
| (٣) يد ستور دانا چنین گفت شسياه | كه دعوى خجالت بسود بیگواه |
| من از حاتم آن اسب تازی نسزاد | بخواهم گر اوبكرمت كسرد و داد |
| بداتم كه دروى سگوه سهیست | وگر رد كند بانك طبل تهیست |

ويمضى الشاعر في القصة فيقول إن الملك قرر إيفاد رسول على رأس بعث من عشرة رفاق . ثم يأخذ في تقوية الصورة ، فيجعل حاتمًا يقع في حيرة . الدنيا تمطر كالسيل المنهمر ، والرسول قد لجأ إليه مع رفاقه ، ونزلوا عليه ، دون أن يعرف من أمرهم خبراً ، وفي الوقت نفسه ، لا يملك سوى هذا الجواد ، وهو في أشد الحاجة إليه .

فماذا يصنع ؟ تنتصر النخوة عليه ، وطبع الكرم ، فيعتمد إلى جواده الوحيد فينحره لضيوفه ، ليعد منه طعاماً لهم .

ثم يبیت الضيوف فيرون ألواناً كثيرة من كرم حاتم ، وحرصه على راحتهم حتى يأتي الصباح ، فيكاشفه الرسول بالأمر ، ويسأله الجواد ملك الروم ، فيخبره حاتم ، والأسف يملأ نفسه :

— أيها الرسول العاقل !

لماذا لم تبلغني رسالتك قبل الآن ؟؟ .

— لقد صنعت شواء من أجلكم

واتخذت من الجواد الخاطف طعاماً لكم .

— فلست أعلم في هول المطر والسييل

أن تبقى في المراعي الخليل .

— ولم أجرد أمامي غيره

وليس في منزلي ما أقدمه .

— وليس من المروءة في مذهبي

أن ينام الضيف على الطوى (١) .

چرابیش از اینم نگفتی بیسام
ز بهر شما دوش کردم کباب
نشاید شدن در چرگاه خیل
جز او بر در بارگاهم نبسود
که مهمان بخسبنددل از فاقه ریش

(١) که ای بهرور موبد نیک نام
من آن باد رفتار دلدل شستاب
که دانستم از هول باران و سیل
بنوعی دگر روی و راهم نبسود
مروت ندیدم در آیین خسویش

وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى الذي يطويه في القصة ، وهو النظر في الإحسان إلى المعنى لا إلى الصور ، كما أن الأخلاق الطيبة طبع لا كسب ، في قوله على لسان حاتم :

— ينبغي أن تظل ذكراى باقية في الأقليم
ولو فقدت بعد ذلك جوادى الأصيل ! .

ثم في قول الشاعر :

— أجزل للناس العطاء ونجر لهم جواده
وهكذا الأخلاق الطيبة طبع لا كسب^(١) .

قصة ابنة حاتم

وتقع الرابعة والعشرين ، في أحد عشر بيتاً ، ورقم المطلع ٣٤٣ .
وتعالج القصة كذلك موضوع الكرم ، وأنه طبع لا تقليد ، ووراثه لا تصنع ،
والجود بالنفس عند الحاجة .

ومدار القصة أنه في عهد الرسول عليه السلام ، رفضت طى الإسلام ،
فأمضى إليها النبي عليه السلام جيشاً قبضوا على جماعة منهم أسرى ، وأخذوا
بالسيف ، كان من بينهم سيدة ، أجابت أنها ابنة حاتم ، فكف القوم عنها .
ولكنها رفضت أن تبقى دون قومها ، وطلبت أن تلحق بهم ، فسمع الرسول
بأمرها ، فكف عنها ، وعن بقية قومها :

— وهبها أولئك القوم ، ومنحها عطاء
فالجوهر الأصيل ، لن يظهر منه خطأ^(٢) .

دگر مرکب ناسور گویمباش
طبیعیست أخلاق نیگونه کسب
که هرگز نکرد اصل گوهر خطا

(١) مرانام بایسند در اقلیم فاش
کسانرا درم داد وتشریف واسب
(٢) بیخوش آن قوم ودیگر عطا

قصة بهرام

هي الأخيرة ، وتقع السادسة والثلاثين ، في عشرة أبيات ، ورقم المطلع ٥٠٨ وتعالج أمراً يتصل بباب العدل ، فهذه القصة والسابتان لها تصلح أن تكون في ذلك الباب .

فهي تعالج كلها ألواناً من الذين لا ينبغي الإحسان إليهم من الرعايا ، أو الموظفين ، ممن تتعلق بهم سياسة الملك .

واختيار « بهرام » للقصة ، ليلقى على لسانه تجربة من تجاربه في السياسة ، فهو ملك ساساني نشأ تنشئة ملكية بين ملوك الحيرة ، وكان يشتهر بصيد حمر الوحش في الصحراء ، ومن هنا كانت له تجارب ، وكان موضع اختياره ملائماً . كما أن اختيار لوازم القصة التي أعدها الشاعر كان موافقاً ، فقد استخدمها للوصول إلى الغرض المقصود ، وهو التخلص من الذين يسيئون للدولة .

ويفتح الشاعر القصة بعبارة استحسان ، وهي مناسبة لمثل هذه النصيحة :

— ما أحسن قول بهرام ، ريبب الفلاه !
حين جمع به جواده ، وعلى الأرض ، ألقاه .
— ينبغي أن يؤخذ من القطيع جواد آخر
فلعل هذا ، يجمع بي مرة أخرى (١) .

و ينتقل الشاعر من هذا ، إلى الغرض المقصود من القصة :

— تخلص من الذئب ، إذا وقع في الشرك !!
وإلا فاقطع الأمل ، من أغنامك (٢) .!!
— والذي يسن لك النظام الفاسد
يملك ، حتى يوردك شر الموارد (٣) .

(١) جه خوش گفتم بهرام صحرا نشین
دگر سبب از کله باید گرفت
جو بکران توسن زدش بسر زمین
که گر سرکشند باز شاید گرفت
(٢) جو گروک خبیث آمدن در کنند
بکش ورنه دل برکن از گوسفند
(٣) بد بر که قانون بد می نهسد
تسرا می برد تا بانش دهمند

الرُّفْطَرُ الْعَامَّةُ فِي بَابِ الْإِحْسَانِ

يمكن أن ترد هذه الأفكار إلى الأمور الآتية:

- ١ - دعوة إلى الإحسان . ٢ - من يستحقون الإحسان .
- ٣ - من لا يستحقون الإحسان . ٤ - دعوة إلى السعي والاقتصاد .

١ - الدعوة إلى الإحسان

تبدو هذه الدعوة في مقابلة الإحسان ، بغيره من وجوه العبادة . فالمحسن خير من العابد البخيل ، في قوله :

— والسابقون من الناس ، سبقوا بالإيثار
وليس في إحياء الليل ، وقلوبهم كالأحجار (١) .
والمحسن خير من المصلّي .

— لا تظنّ — مها أخذتَ نفسك — بالطاعة
أن تأتي نزيلاً ، على تلك الحضرة .
— فلو استطعت أن تجعل قلباً سعيداً بإحسان
فذلك خيرٌ من ألفِ ركعةٍ ، في كل مكان (٢) .
والمحسن خير من الصائم .

— والذي يفطر في الصيام ، ويعم الناس فضله
خير من صائم الدهر ، والدنيا معبوده (٣) .

-
- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| (١) بأيثار مردان سبق برده انس | نه شب زنده داران دل مرده اند ق ٢ |
| (٢) میند دار اگر طاعتی کرده ای | که نزی بدین حضرت آورده ای |
| باحسان آسوده کردن دلی | بسه از ألف رکعت بهر منزلی ق ١١ |
| (٣) خورنده که خبرش برآید زدست | به الصائم الدهر دنیا پرست ق ١٢ |

۲ - من يستحقون الاحسان

الإحسان إلى كل مخلوق .

— إلا لو كنتَ فظاً ، فهلمُ بفكرك !!
— واجعل الوفاء مقصداً ، والكرم حرفتك .
— فلم يفقد الإنسانُ ما يسديه إلى كلبٍ من الخيرِ
فكيف لا يلقى الجزاء ، من الأخيار ؟ (۱) .
وعلى الأيتام في قوله :

— أبسط — على اليتيم — ظلال عطفك
وانثر عنه الغبار ، وانزع منه الشوك .
— أأنت تعلم حال هؤلاء العجزة ؟؟
إنهم كالشجرة ، لا تكونُ بغير جذرٍ غضة (۲) .
والإحسان إلى الغرباء في قوله :

— لا تطرد الغريب عن بابك ، بغير نصيب !!
فلعلك تقف — يوماً — غريباً على الأبواب (۳) .
والإحسان إلى من أساء في قوله :

— وابذل ما معك من مال ، للطيب ، والردىء
فإنه كسب للوفاء ، ودفق للبلاء (۴) .
— وأحسن — أيها الكريم — إلى من أساءك
فالكلب يراك ، حين تناوله من خبزك (۵) .

- | | |
|--|---|
| وفا بيش کپرو گرم پيشه کن
کیجا کم شسود خیر بانیکمرد ف ۱۴ | (۱) ألا اگر جفا کاری اندیشه کن
کسی باسگی نیکوی کم نسکرد |
| غبارش بیفشان و خارش بسکن
بود تازه بی بیخ هرگز درخت؟ ق ۲ | (۲) پدر مرده را سایه بر سر نسکن
ندانی چه بودش فرومانده سخت |
| بیادا که کردی بدرها غسریب ق ۲ | (۳) مگردان غریب آزدرت بی نصیب |
| که این کسب خیرست و آن دفع شر ق ۶ | (۴) بد و نیک را بذل کن سیم و زر |
| که سگ باس دار چونان تو خورد ق ۱۹ | (۵) بدا ترا نوازش کن ای نیکمرد |

والإحسان إلى العدو في قوله :

- واملِكْ رِقَابَ العَدُوِّ ، بالإِحْسَانِ ، واللطف
فلن تستطيع أن تقطع صنيعهما بالسيف .
— فحين يرى العدو كرمك ، ولطفك ، وإحسانك
لن يصيبك شرُّه — مرة أخرى — في حياتك^(١)

٣ — الذين لا يستحقون الاحسان

والشاعر لا ينسى أن يعقد قطعاً بحالها عن الذين لا يستحقون العطف والإحسان وهذه القطع تأتي آخر الباب من ٣٤ — ٣٦ وهي تدخل في تديبير الملك ، وأخذ الذين يسيئون بالشدّة والقسوة ، وفي طليعة الرابعة والثلاثين يرد هذا البيت :

— كم بسطنا القول ، في باب الإحسان !!
ولكنه ليس شرطاً ، مع كل إنسان^(٢) .

وفي هذه القصص ترد الشخصيات التي يتناولها الشاعر بعدم العطف عليها ، وهو يدعو إلى شيء من سياسة الحزم في معاملة الأشرار عامة :

— لا تسلك مع الأشرار ، سبيل الخير!
فاحتمال الشر ، يزيد نطاق الشر .
— واقطع جذراً ، تجني الشوك من ثمره
وارع شجراً ، تنال الخير من ثمره^(٣) .
ومن الذين لا يستحقون العطف ، الرئيس الظالم :

— إذا شاهدت رئيساً ، يعامل الناس بالعنف
فاضرب عنقه — قتلاً — بالسيف^(٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| (١) عدورا بألطف كردن بنسند | که نتوان بریدن بتیغ این کند |
| چو دشمن کرم ببند ولطف وجود | نباید دگر خبث ازو در وجود |
| (٢) بگفتیم در باب احسان بسی | ولیکن نه شرطست باهر کسی |
| (٣) کسی با بدان نیکوی چون کند | بدان را تحمل بد آفسزون کند |
| بر انداز بیخی که خار آورد | درختی پرور که بار آورد |
| (٤) چو اندر سری بینی آزار خلق | بشمشیر تیزش ببنداز خلق |

— واسفك دم الظالم ، وصادراً أمواله
وانزع ريش الطائر الغادر ، وجناحه (١) .

والعامل الذى يسىء معاملة الناس :

— تخلص من الظالمين ، واجتز منهم الرؤوس !
فإن الظلم على الظالم ، عدلٌ ، وقسطاس .
— والكاتب ، الذى يسىء لى رعية —ك
من الخير ، أن تقطع يده بسيفك (٢) .

٤ — الدعوة الى السعى وراء الرزق والاقتصاد

وحتى لا تكون الدعوة إلى الإحسان ، تؤدى إلى التواكل وعدم السعى .
أورد الشاعر أفكاراً فى الباب ، تدعو إلى الكسب والاقتصاد . فالدعوة إلى السعى
والكسب تبدو فيما يلى :

— هلم بقوتك ! واسمع كالأخرين !
ولا تتسقط فضلات الآكلين .
— وعش — ما استطعت — بساعدك
واجعل سعيتك ، بقدر جهك .
— وتحمل المتعاب ، واعمل لراحة الآخرين
فالحنث هو الذى يأكل من يد المكدودين (٣) .

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) بخور سردم آزار را خون ومال | که از سرخ بد کسند پروبال ق ٣٤ |
| (٢) جفا پیشگانرا بسده سر بباد | ستم برستم پیشه عدلست وداد |
| قلمزن که بدکرد بر زبردست | قلم بهتر اورا بشه شیر دست ق ٣٦ |
| (٣) بچنگ آر وبادیگران نوش کن | نه بر فضله دیگران گوش کن |
| بخور تاتوانی ببازوی خویش | که سعیت بود در ترازوی خویش |
| چو سردان ببر رنج و راحت رسان | سخن خورد دست رنج کسان ق ٢٠ |

۳ - باب العشق

المطلع	عامه	عن شخصية تاريخية	قصة عن سعدي	عدد الأبيات	رقم المطلع	رقم ق
خوشا وقت شوریدگان غمش	عامه			۱۳	۱	۱
ترا عشق همچون خودی ز آب و گل	»			۸	۱۴	۲
چو عشقی که بنیاد او بر هواست	»			۱۵	۲۲	۳
شسندیم که وقتی گسدا زاده	»			۳۰	۳۷	۴
شنیدم که بر لحن خنیاگری	»			۵	۶۷	۵
چنین دارم از پیر داننده بساد	»			۲۴	۷۲	۶
یکی شاهدی در سمر قند داشت	»			۱۸	۹۶	۷
یکی تشنه می گفت و جان می سپرد	»			۸۰	۱۱۴	۸
چنین نقل دارم ز سردان راه	»			۲۰	۱۲۲	۹
شنیدم که بیری شبی زنده داشت	»			۱۲	۱۴۲	۱۰
یکی در نشا و دانی چه گفت (۱)	»			۴	۱۵۴	۱۱
شکایت کند نو عروسی جوان	»			۱۱	۱۵۴	۱۲
یکم روز بر بنده دل بسوخت	»			۲	۱۶۴	۱۳
طیبی پری چه سره در سرو بود	»			۶	۱۶۶	۱۴
یکی بنجه آهنی راست کسرد	»			۷	۱۷۲	۱۵
بیان دو عم زاده وصلت فساد	»			۹	۱۷۹	۱۶
یکی پیشش شوریده حالی نبشت	»			۲	۱۸۸	۱۷
بمجنون کسی گفت کای نیک پی	»	المجنون و لیلی		۷	۱۹۰	۱۸
یکی خرده برشاه غزنین گرفت	»	محمود و ایاز		۱۶	۱۹۷	۱۹
قضا را من و پیری از نسا ریاب	»		سعدي	۱۲	۲۱۳	۲۰
ره عقسل جز پیسچ نیست	»			۱۰	۲۲۷	۲۱
رئیس دهی با سپرد در رهسی	»			۱۲	۲۳۷	۲۲
مگر دیده باشی که در باغ و راغ	»	البراع		۴	۲۴۹	۲۳
بشهری در آژشسام غوغا فساد	»			۷	۲۵۳	۲۴
ثنا گفت بر سعد زنگی کسی	»			۸	۱۶۰	۲۵
یکی را چو من دل بدست کسی	»			۱۶	۲۶۸	۲۶
اگر مرد عشقی گم خویش گیر	»			۱۳	۲۸۴	۲۷
نگویم سماع ای برادر که چیست	»			۸	۲۹۷	۲۸
شکر لب جوانی فی آسوسوختی	»			۱۰	۳۰۵	۲۹
کسی گفت پروانه را کای حقیر	»	الفراشنة		۲۷	۳۱۵	۳۰
شی یاد دارم که چشم نخت	»	الفراشنة		۱۶	۳۴۸	۳۱
	۳۱ =	۲۵ + ۵	+ ۱		۳۶۴	

قصص باب العش

مجموع قصص هذا الباب إحدى وثلاثون قصة ، في ثلثائة وأربعة وستين بيتاً . تتوزع كالآتي :

- (١) قصة واحدة عن سعدى .
 - (٢) قصتان عن شخصيات تاريخية .
 - (٣) ثلاث قصص عن حيوانات .
 - (٤) خمس وعشرون قصة عامة .
- ويلاحظ أن القصة الحادية عشرة توجد في «سودى» ، ولا توجد في نسخة «جراف» . وإن كانت قد أشارت إليها في الهامش ص ٢٠٧ . وأبياتها أربعة . أثبتناها في القائمة دون أن يؤثر اثباتها في القصص العامة .

قصة المجنون ولبلى

تضعها نسخة سودى تحت عنوان « المجنون وصدق محبته مع لبلى » وترتيبها الثامنة عشرة ، في سبعة أبيات ، ورقم المطلع ١٩٠ وهو :

— قال شخص للمجنون ، أيها المحب الوفي !!
ماذا دهالك ؟ فلم تعد تأتي إلى الحى !!^(١)

وينكر الرجل على المحب ، هذا الانقطاع عن حبيبته ، لكن المجنون حين يستمع إلى ذكر حبيبته ، يلهبه الحديث عنها ، فينهمر باكياً ، ويسأل الرجل ألا يدكرها ، فإن قلبه جريح ، وذكراها تزيد آلامه ، كما يزيد الملاح آلام الجراح ، حين يوضع عليها . ثم يأخذ الشاعر في تعليل هذا البعد على لسان المجنون ، بهذا المعنى الصوفي :

— إن بُعدى ، ليس دليلاً على اضطبارى
لكن ... كم يكون الابتعاد ضرورياً^(٢) !!!

-
- (١) مجنون كسى لفت كای نيك پی چه بودت كه دگر نیائی بچی ؟
(٢) نه دوری دلیل صبوری بسود كه بسیار دوری ضروری بود

وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى الملتف في تلك القصة ، وهو الصفاء في المحبة بين الحبيب والمحبوب حتى الفناء . يقول على لسان الرجل في سؤاله للمجنون ، وَرَدَّ المجنون عليه :

— أيها الوفي ، الكريم الطبع !!
 أليس لديك ، رسالة أبلغها ليلى ؟؟ .
 — أجب ! لا تحمل اسمي إلى من أهمُّ
 فداً جفاه ، واسمى لديها ، حيث تقيم ^(١) .

قصة محمود وإياز

يبدو أن الشاعر تخير هذه القصة لتناسبها مع باب العشق . فهي نوع آخر من المحبة ، ولكنه يعالج فيها أمراً مناسباً للبآب ، ويديرها كما أدار قصة المجنون في أسلوب عفيّ ، وانتهى منها إلى معنى صوفي يناسب الباب نفسه . وينطوي في القصة قصة أخرى ، جاء بها توكيداً للمعنى الذي انتهى إليه في القصة السابقة . والقطعة كلها تبلغ ستة عشر بيتاً . ومرتبتها التاسعة عشرة ، ومطلعها رقم ١٩٧ يقول :

— طعن رجل في حاكم غزنه ، إذ تملكته الدهشة
 فإن معشوقه إياز ، لم يكن ذا فتنة ^(٢) .

ثم أيد الطاعن رأيه في البيت الثاني :

— إن الوردة التي لالون لها ، ولا عطر فيها
 عجباً ! أن يقع البلبـل في حبها ^(٣) !!

ثم انتقل الشاعر إلى «محمود» ، وجاء بشخص آخر في القصة لينقلها إلى مسامع السلطان ، وأخيراً ينتهي إلى توكيد المعنى المقصود منها ، وهو أن الحب ليس على الصورة ، ولكنه على حسن الطبع . يقول على لسان «محمود» :

- | | |
|----------------------------------|----------------------------|
| (١) بكفت إي وفا دار فرخنده خسوی | بیامی که داری بلبل بسگوی |
| بکفت سبرنام من بیتس دوست | که حیفتست نام آنجا که اوست |
| (٢) یکی خرده بر شاه غزنین گرفت | که حسنی ندارد ایاز ای تنگت |
| (٣) گلی را که نه رنگ باشد نه بوی | غریبست سودای بلبل برآوی |

— إن عشقي له ، يا سيدي ، على حسن طباعه!!
وليس ، على فراعة قدّه ، وقوامه (١) !!

وهنا يُؤلِّد الشاعر قصة أخرى ، للتدليل على ما انتهى إليه من المعاني ، وملخصها أن الشاعر يروي على لسان رجل ، أن جملاً وقع في مكان ضيق ، فانكسر صندوق من الدر ، وانفرط مافيه ، فرأى «محمود» أن يأمر أتباعه كل يأخذ بنصيبه من هذا الدر ، ثم مضى في طريقه مجلاً ، وانفض الأتباع من خلفه يجمعون الدر ، وانصرفوا عنه ، ولم يبق من أتباعه — في خدمته — سوى «إياز» .

وهنا ينتهي الشاعر إلى توكيد المعنى المقصود منها ، وهو أن حسن طباع «إياز» لم يحمله على أن ينصرف عن خدمة السلطان ، إلى الاهتمام بأعراض زائلة .
وهكذا يكون الانسان في مطالب العشق السامية ، ينبغي أن يكون مخلصاً ، لاتبهيه الصور — مهما كانت — عما وراءها ، بل لا بد أن يكون الإخلاص في المحبة إخلاصاً يلهي الانسان عن كل ما حوله .

ثم يختم القطعة بالمعنى الصوفي « الإخلاص في المحبة حتى الفناء في المحبوب »
ويأتي في نهاية القصة بما يؤكد هذا المعنى :

— إذا كانت عينك ، تنظر حسن الحبيب
فأنت في هوى نفسك ، لا في هوى الحبيب .
— وما دام فك ، مليئاً بحرص المطالب
فلن يهبط أذن القلب ، سرُّ من الغيب .
— إن الحقائق قصر ، كلاله الزينة
والهوى ، والشهوة ، غبار يثار من حوله (٢) .

- (١) كه عشق من ای خواجه برخوی اوست نسه برقد وبلائی نیکوی اوست
(٢) مگر از دوست چشمت بر احسان اوست تو در بند خویشی نه در بند دوست
ترا تادهن باشد از حرص بساز نیساید بگوش دل از غیب راز
حقائق سرائیست آراسسته هوا وهوس گردد بر خاسسته

قصة اليراع

وهذه قصة على لسان الحيوان ، من القصص التي نظمها الشاعر لبيان المعنى الصوفي « وحدة الوجود » ونقع القصة الثالثة والعشرين ، في أربعة أبيات ، وعنوانها « قصة على سبيل التمثيل على لسان اليراع » ومطلعها ٢٤٩ وهي :

— لعلك رأيت في الحديقة ، وفي الصحراء !!
حشرة تضيء كالصباح ، تنشر الضياء .
— فسألها إنسان ، أيتها الحشرة المضيئة ليلاً !!
لماذا لا تظهرين نهـاراً ؟ .
— تجيب ، إننى فى الخلاء ، ليل نهار !!
لكنى أمام الشمس ، ليس لى مجال للظهور^(١) . !!

قصتنا الفراشه

وهما متتايلتان تقعان فى الترتيب الثلاثين ، والأربعين . والملاحظ أن الشاعر أدخل هنا نوعاً جديداً من مقومات القصة ، هو الجهاد ليخلص منها إلى المعنى الصوفي « المحبة حتى الفناء فى المحبوب » .

وعدد أبيات الأولى سبعة وعشرون بيتاً ومطلعها ٣١٥ يقول فيها :

— سأل رجل الفراشة ، أيتها الحقيرة !!
اذهبي ، واطلبي ، بقدر استطاعتك الصداقة !
— اسلكي سبيلاً ، ترين فيه طريق الرجاء !!
فبينك وبين محبة الشمع ، بون وعناء (٢) . !
ويمضى الشاعر فى عرض هذا المعنى ، مدلاً على صدّها عن طريقها ، ببعض أمثلة أخرى ، ويتخذ لها أمثلة من الحيوانات :

- (١) مگر دیدہ باشی کہ در باغ و راغ
یکی گفتنش ای کربک شب فروز
کہ من روز و شب جز بصحرانم
(٢) کسی گفت پروانه را کای حقیر
رہی رو کہ بینی طسریو رجا
- بتاہد بشب کرمکی چون چسراغ
چبودت کہ بیرون نیائی بروز؟
ولی بیئش خورشسید پیدا نیم
برو دوستی درخور خود بگبیر
نسو و بہر شمع از کجا تا کجا؟

— لست سمندراً ، فلا تحومين حول النار !!
اطلبي البطولة — أولاً — ثم عُدَّة القهر^(١) . !!
ولكن الفراشة تجيب على صدق محبتها للشمعة المضيئة بقولها :
— إن ناراً — كنار الخليل — في قلبي
حتى لتظنين ، أن هذه الشعلة ، وَرَدَّ عَلَى^(٢) .
ثم يفسر كنه المحبة بين الحبيب والمحبوب ، أو بين العاشق والمعشوق ، والصلة
التي بينهما ، فهي سر الجاذبية :

— لا يجذب القلبُ الحبيبَ من أطرافه
بل الحُبُّ !! إنه جاذبُ الروح من جيبه
— ولست ألقى نفسي — في النار — بنفسي
بل سلاسل الشوق إليها ، تجذبني من عنقي^(٣) . !!
وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة ، وهو معنى « الغناء
في المحبوب » على القرب والبعد :

— ليس يحرقني عندما — في النار — ألقى !!
لكنه يحرقني — مهما كنت منه — في نجوى^(٤) !
أما القصة الثانية فتبلغ ستة عشر بيتاً — وموضوعها نفس الموضوع — يدور
الحديث فيها بين الفراشة والشمعة . ترميها الشمعة بدم الثبات على المحبة مثلها ،
وينتهي فيها الشاعر بقوله على لسان الشمعة ، في مخاطبة الفراشة ، حول معنى العشق :
— إن كان جناحك ، قد أحرقته نار العشق
فانظري !! قد أحاط بي الإحراق^(٥) . !!

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) سمندر نه گورد آتش مسگرد | که مرد انگلی بایسد آنکه نبرد |
| (٢) مرا چون خلیل آنشی در دلست | که بشاداری این شعله برسن گاست |
| (٣) نه دل دا من دلستان میکششد | که مهرش گریسان جان میکششد |
| نسه خود را بر آتش بخود میزنم | که زنجیر سوخت در گسردنم |
| (٤) مرا همچنان دور بودم که سوخت | نه این دم که آتش بمن بر فروخت |
| (٥) ترا آتش عشق اگر بر بسوخت | مرا بین که ازبای تاسر بسوخت |

الرُّفْطَرُ العامَّةُ في باب العُشْوِ

دراسة هذا الباب ترد كثيراً من الاتهام الذي وجه إلى «سعدى» كيف يتناول مسائل تتصل بالعشق؟ وكيف يحدثك بنفسه عن حوادث شخصية وقعت له تشير إلى هذا المعنى؟. وشبيه بها القصة التي أشرنا إليها سابقاً في الرحلات، وهي قصة جامع «كشغر» مع الفتى الذي يقرأ مقدمة الرخشرى .

أمثال هذه القصص، وغيرها يرى بعض الأدباء أنها مدخولة على الشاعر، تجنباً منهم أن يسندوا إلى شاعر أخلاقي كبير، كالشيخ «سعدى» أمثال هذه الحوادث (١).

ولكن تفسيرنا لهذه القصص — على النحو الذي نسير عليه — يرفع كل هذا الحرج، فالقصة من ورائها مغزى، هو المقصود منها، سواء أسندت حوادثها إلى الشاعر أو إلى غيره .

الأمر عند الشاعر أبعد من تلك الصور التي يوردها، والتي يجعلها موضوع القصة، إذ هو يتصل بالعرض منها، يختار لها الشخصية المناسبة . والعشق عنده عشق إلهى صوفى برىء، وقد رأينا في تناوله للشخصيات التاريخية كيف انتهى منها إلى المعنى المقصود من اختيارها؟ .

والباب بجانب هذا، يتضمن كثيراً من أفكار الشاعر الصوفية، التي كانت تسود في ذلك العصر، وهو يحاول أن يثبت وجود عالم آخر وراء هذه الماديات، إذا ما قطعت الفواصل بين العالمين — بالسعى والاجتهاد والجد في الطلب في طهر وإخلاص — أمكن الوصول إلى العالم الآخر الذي لا يتكشف للإنسان العادى .

ويمكن أن نرتب أفكار الباب العامة على النحو الآتى :

(١) انظر مقدمة الكلستان للسناذ الكركمانى — ص — مط .

- (۱) أهل الصورة وأهل المعنى . (۲) صفات أهل المعنى .
 ۱ - صفات قبل الوصول . ب - صفات بعد الوصول .
 (۳) عقيدة الفناء في الله . (۴) عقيدة وحدة الوجود .

أولاً - أهل الصورة وأهل المعنى :

وأهل الصورة لا يدركون أهل المعنى في قوله :

— يبدو لك البحر ، عظيماً بموجه !!
 وتبدو لك الشمس البراقة ، عالية بأوجها .
 — لكن أتى الطريق لأهل الصورة ، فيسلكونه
 ليفهموا أن أهل المعنى ، في ملك غيره ؟ (۱) .

ولا بد من التجرد عن الماديات لإدراك ما وراءها :

— إن الهوى حجاب ، ليس له حاصل
 فحين تقطع القيود ، فإنك واصل (۲) .

والعالم مليء بأهل المعنى وطرقهم معروفة ، ولكن المبصرين :

— إن العالم مليء بالسماع ، والسكر ، والتوله !!
 ولكن ماذا يبصر الأعمى ، في المرآة ؟؟ (۳) .

وما دام الإنسان يطلب الصورة فلن يبلغ شيئاً :

— إذا كانت عينك تنظر حسن الحبيب
 فأنت في هوى نفسك ، لافي هوى الحبيب .

— وما دام فلك مفتوحاً ، يرى هوى الطالب
 فلن يدخل أذن القلب ، سر من الغيب (۴) .

- | | | |
|------|--|--|
| ق ۳۱ | بلندست خورشید تابان باوج
که آریاب معنی بملکی در نسد | (۱) عظیمست پیش تو دریا بموج
ولی أهل صورت کجا پی برنسد |
| ق ۲۹ | چو بوندها بگسلی واصلی | (۲) تعلق حجا بست وی حاصلی |
| ق ۲۸ | ولیکن چه بیند در آینه کسور؟ | (۳) جهان پر سماعت وستی وشور |
| ق ۱۹ | تو در بند خویشی نه در بند دوست
نیاید بگوش دل از غیب راز | (۴) گر آزدست چشمت بر احسان اوست
ترا تادهن باشد از حرص باز |

ثانياً — صفات أهل المعنى :

١ - صفات قبل الوصول

ضعف العقل أمام العشق :

— كم من عقل ، قوى ، ظافر
تحيّله ثورة العشق ، إلى ضعف ، وأسرٍ (١) !! .

والتجرد عن سلطان النفس :

— إن الذى يوجهك ، إلى معرفة ربك
هو الذى ينقذك ، من سلطان نفسك (٢) .

وعدم الاستماع للناصحين :

— ما أحسن هذه النكتة ، فى كتاب السندباد ! !
إن العشق نار ، يا بنى ! والنصيحة ريح .
— والريح تزيد النار اشتعالا
وكذا الضرب يزيد النمر قتالا (٣) .

والجدُّ فى الطريق مها كلفته :

— إن كنت عاشقاً ، فأمسك بأطراف حبيبتك
فإن سألك روحك ، فقل له هى ، تلك ! ! .
— فإنك الفأز بالقردوس ، المقيم
فى الوقت الذى تمر فيه ، على جحيم العدم (٤) .

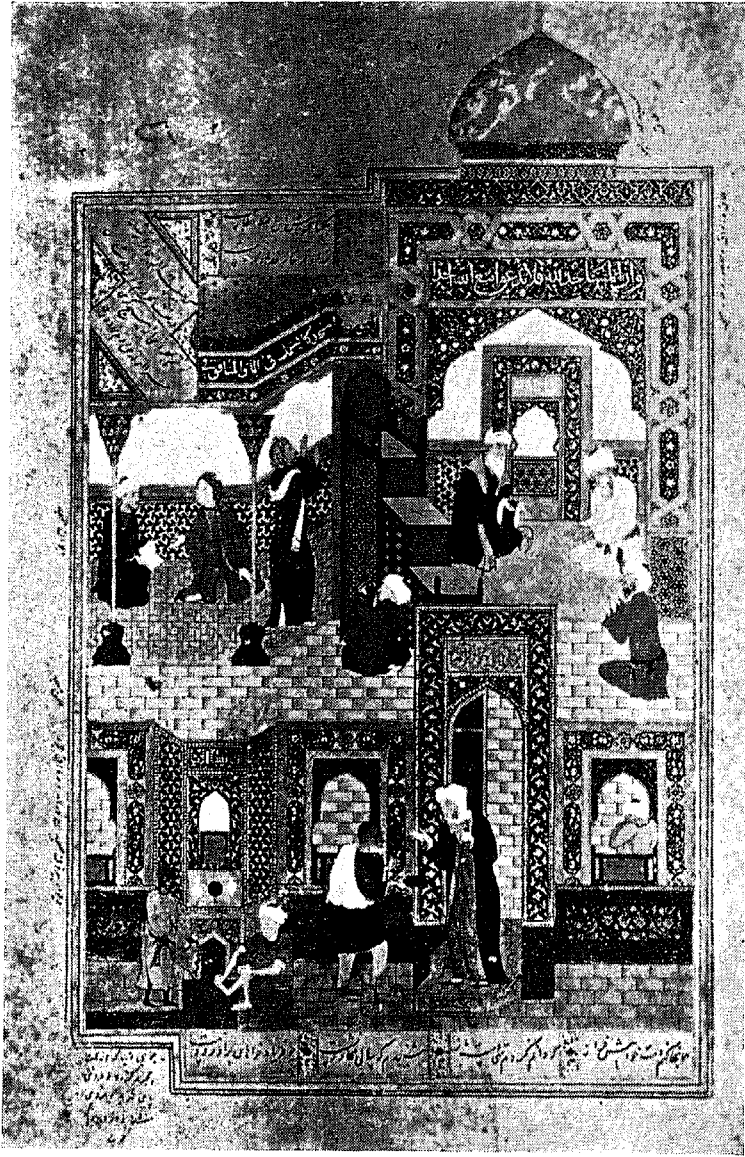
-
- | | | |
|------|---------------------------|-----------------------------------|
| ١٤ ق | كه سوداى عشقش كند زير دست | (١) بسا عقل زور آور چير دست |
| ٢٧ ق | كه أزدست خويشت رهاى دهد | (٢) ترا با حق آن آشنائى دهسد |
| | كه عشق آتشست إى سر پندباد | (٣) چه نغز آمد این نكته در سندباد |
| ٣٠ ق | بلنگ أزدت كينه ورتو شسود | بهاد آتشی نیز برتر شسود |
| | وگر گویدت جان بده گو بگیر | (٤) أسگر عاشقى دامن أو بسگیر |
| ٨ ق | كه بر دوزخ نيستی بگذرى | بهشت تن آسانى آنكه خسورى |

والصبر حتى الوصول إلى الغاية ، وإدراك النهاية :
 — لا عتب على ! أنا الغريق !
 فإن الصبر ، لا حذله في العشق .
 — فلئن ابيضت عيناي ، كما ابيضت عينا يعقوب
 فلن أقطع الأمل ، من رؤية يوسف ^(١) .
 — وينبغي أن يكون الطالب ، صبوراً ، في احتمال
 فلم أسمع أن الكيماوي ، ملّ من العمل .
 — فكم من الذهب يلقىه أسودّ التراب ! !
 لعل — يوماً — يتحول النحاس إلى ذهب .
 — والذهب نفيس ، تقضى به حاجاتك
 لكن — أى شيء — أعلى من دلال حبيبيك ^(٢) .

فإذا اكتملت للعاشق هذه الصفات : السيطرة على عقله ، وعدم الاستماع
 لناصحه ، والجد في الطريق ، والصبر على ما يلقاه فيها ، واحتمال الأذى في سبيلها .
 انتهى إلى السعادة الكاملة :

— طوبى !! للموهين في حب الحبيب !!
 سواء أكانوا يرون منه ، جرحاً ، أم مرها .
 — أنهم سائلون ! ينفرون من السلطنة
 لكنهم صابرون على السؤال أملاً في محبته .
 — يتجرعون شراب الألم ، في كل لحظة
 فإن وجدوه مرأ ، لم ينبسوا بنبت شفه ^(٣) .

- | | | |
|-----|---|--|
| ق ٤ | که در عشق صورت نبندد شکیب
نبرم زبدبار یوسف امیسسد | (١) مکن با من ناشکیبا عتیب
چو یعقوبم اردیده گردد سپید |
| ق ٩ | که نشنیده ام کیمیا گر ملول
که باشد که روزی مسی زر کند
چه خواهی خریدن به از ناز دوست | (٢) طلبگار باید صبور و همول
چه زرها بخاک سیه در کند
رز از بهر چیزی خریدن نکوست |
| ق ١ | اگر زخم بیند وگر سر همس
بآیدش اندر گدائی صبور
وگر بلخ بیند دم در کشند | (٣) خوشا وقت شورید گمان غمش
گدایانی از پادشاهی نفور
دمادم شراب دم در کنسند |



صورة من الداخل لمسجد وجماعة يتعدون وآخرون يتهيأون للصلاة ،
وفي أعلى الصورة أبيات من القصة رقم ٩ من باب العشق .
عن النسخة الخطية بدار الكتب

ب - صفات بعد الوصول

يطلبون المزيد مما هم فيه :

— يَشُدُّون الحبيب، وهو في الصدور
وشفاهم ذابلة — عطشاً — وهم على شاطئ النهر .
— لا أقول إنهم غير قادرين على الماء
لكنهم — كن على النيل — أصيب بالاستسقاء (١) .
وهم أقوياء بضعفهم :

— هم أصحاب عمل، لكنهم في عزلة
وأرجلهم من تراب، لكن أنفاسهم نارية .
— إنهم بصيحة واحدة، يقتلعون جبلا
وبأنة واحدة يهدمون بلدأ .
— هم كالرياح، سراع، مخنفون
وكالأحجار، صامتون، صائحون (٢) .
ولا يحسون ما يعترضهم من صعاب :

— قوم خلت أيديهم، لكنهم ملأى الحواصل
يقطعون الصحارى، لكن بغير قوافل (٣) .
وهم في رعاية الله دائماً، يستمدون قوتهم من قوته :
— إن المستغرقين في الوجد، والحجب
نحرسهم — ليلاً ونهاراً — عين الله (٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| لب أز تشنگی خشک بر طرف جوی | (١) دلارام در بر دلآ رام جسوی |
| که بر شاطیء نل سستسقیند ق ١ | نگویم که بر آب قادر نینسد |
| قدمهای خساکای دم آتشنین | (٢) گروهی عمل دار عزلت نشین |
| بیك ناله شهری بهم بسرکنند | بیك نعره کوهی زجا برکنند |
| چو سنگند خاموش وتسبیح گوی ق ٣ | چو بادند بنهای وچالاک بسوی |
| بیا بان نورد ند بی قافله ق ٦ | (٣) تپی دست مردان پر حوصصله |
| شب وروز در عین حفظ حقند = | (٤) بس آنانکه در وجد مستغرقند |

— إنه — من حرارة النار — حفظ الخليل
 كما أتخذ — تابوت موسى — من لجة النيل .
 — ولماذا لا يعتقد المدَّعون ؟؟
 أن الأبدال ، على الماء ، وفي النار ، يمسون .

ثالثاً — عقيدة الفناء في الله :

والشاعر يعرض لفكرة « الفناء في الله » في قطعتين مستقلتين . القطعة
 الخامسة من نسخة « سودى » وعنوانها « في معنى أهل المحبة » والقطعة
 الحادية والعشرون وعنوانها « في فناء الموجودات مع وجود الله تعالى » .
 وبجانب هاتين القطعتين تتردد تلك العقيدة في الباب عموماً فيما يأتي :

— لا تنتظر أن يكون لي صبر بدونه !!
 ولا يمكن أن يكون لي قرْبى بغيره . !!
 — ليس عندي محل للبقاء ، ولا قدرة على الصبر
 ولا مكان للبقاء ، ولا قدم للفرار .
 — لا تقل لي ! ولَّ وجهك عن هذا الباب !
 ولو وضعوا رأسي كالوتد في الأطناب^(١) .
 — ومنذ ذلك الوقت ، الذي طلبني فيه حبيبي
 لم تبق لي معرفة ، مع أحد غيره .
 — ولأقسمنَّ بحقه ! حين ظهر لي ما فيه من جمال
 فكل ما سواه ، بدا لي ! كأنه خيال^(٢) .

= ننگه دارد از تاب آتش خلیل
 چرا أهل دعوی بدین نگر و نسد
 (١) زمن صبر بی او توقع مسسدار
 نه نیروی صبرم نه جای ستیز
 مگو زین در بر گه سر بتاب
 (٢) از آنکه که یارم کسی خویش خواند
 بچش که تاحق جام نمسود
 چو تابوت موسی ز غرقاب نیل
 که ابدال در آب و آتشی روند ق ٢٠
 که با او هم امکان نسدارد قرار
 نه امکان بودن نسه سای گریز
 وگر سر چو میختم نسد در طناب ق ٤
 دگر با کسم آشسنانی نمانسد
 دگر هر چه دیدم خیالم نمسود ق ٦

- واذ كنت حبيباً ، فلا تتحدث عن نفسك فإنه شرك ، أن تجمع بين الحبيب ، وبين نفسك^(۱) .
- وإذا كانت لك قُربى بأعتابه فلا تشغل بما في يدك ، عن محبته .
- إن الأولياء يخالفون طريقهم إذا تمنوا من ربهم ، غير ربهم^(۲) .

رابعاً — عقيدة وحدة الوجود :

و بحوار عقيدة « الفناء في الله » تبدو أيضاً عقيدة صوفیه أخرى هي « عقيدة وحدة الوجود » في قطع مخالفة في الباب :

- ليس طريق العقل ، إلا التواء ، وتعقيداً وعند العارفين ، ليس سوى الله موجوداً .
- ومن الممكن أن يدرك هذا ، كل خبير ولكن — أهل القياس — قوم إنكار^(۳) .
- ولن يذوق كأس الوحدة إلا من نسي الدنيا والعقبى :
- إن من شرب خمر الوحدة ، ذات الصفاء هو من نسي الدنيا ، ودار البقاء^(۴) .
- والعاشق يرى العالم في وجوده تعالى :
- إنك تضع رأسك — في صدق — تحت أقدامه حتى ترى العالم — كأنه عدم — في وجوده^(۵) .

- | | |
|---|---|
| <p>ق ۵ که شرکست با یار و با خویشان
بخلفت بسو غافل از پادشاه
۱۹ ق تمنا کنند از خدا جسسز خدا
بر عارفان جز خسدا هیچ نیست
۳۱ ق ولی خسرده گیرند أهل قیاس
۳ ق که دنیا وعقبی قسراموش کرد
= که بینی جهان با وجودش عدم</p> | <p>(۱) اگر یاری از خویشان دم سوزن
(۲) گرت قربتی هست دربار گاه
خسلاف طریقت بود کاولیا
(۳) ره عقل جسز بیچ نیست
توان گفتن این با حقائق شناس
(۴) می صرف وحدت کسی نونس کرد
(۵) بصدقتن چنان سر نمی در قدم</p> |
|---|---|

— فإذا لم يُقَدَّر الحبيب ، ما لديك من ذهب
فسواء ما عندك ، من تراب ، وذهب .
— وعندئذ ! لا يحس بأحدٍ غَيره
إذ لا يبقى مكان للغير ، مع وجوده .
وعند الصفاء تبدو وحدة الوجود في المخلوقات كلها :

— ثم !! ما هي السماء والأرض؟؟؟
ومن هم أولاد آدم ، والطير ، والوحوش ؟ .
— أيها العاقل ! لقد سألت سؤالاً مفيداً
وإني أجيبك ، جواباً سديداً .
— إن الصحارى ، والبحار ، والجبال ، والأفلاك
والجن ، والإنس ، والشياطين ، والملائك .
— كلهم — جميعاً — مهما كان وجودهم
أقلُّ من أن يحملوا — اسم الوجود — مع وجوده .
— ولكن أنى الطريق لأهل الصنوره ؟
فإن أهل المعنى في عالم غير عالمهم ^(١) .

== چودر چشم شاهد بیايد زرت
دگر باکست برنیاید نفس
(١) که پس آسمان وزمین چيستند
سندیده پرسیدی ای هوشمنسد
که هامون ودریا وکوه وفلک
همه هرچه هستند از آن گمترنسد
ولی أهل صورت کجا بی برنسد

زر و خاک بکسان نماید برت
که با او نماند دگر جای کس ق ٢
بنی آدم و دام و دد کیستند ؟
بگویم گر آید جوابت پسند
پری و آدمیزاده و دبسو و ملک
که با هستیتش نام هستی برنسد
که ارباب معنی بملکی درنسد ق ٢١

٤ - باب التواضع

المطلع	عامّة	عن شخصيّة تاریخیّة	قصّة عن سعدی	عدد الآیات	رقم المطلع	رقم ق
زخاک آفریدت خداوند پاک	عامّة			٤	١	١
یکی قطره باران زأبری چکید	»			٥	٥	-
جوانی خرد مند پاکیره بسوسوم	»			١٢	١٠	٣
شنیدم که وقتی سحرگاه عید		بایزید البسطامی		٨	٢٢	٤
ز مغرور دنیا ره دین مجسوسی	»			١٢	٣٠	
محدث چنین آورد در کلام		سیدنا عیسی		٥١	٤٢	٦
فقیهی کهن جامه تنسگدست			سعدی	٣٨	٩٣	
چه خوش گفت خر مهره در گلی			سعدی	١٤	١٣١	٨
یکی بادشه زاده در گنجبه بسود	»			٥٧	١٤٥	٩
شکر خنده انگین می فروخت	»			١٤	٢٠٢	١٠
شنیدم که فرزانه حق پرست	»			٧	٢١٦	١١
سگی پای صحرا نشینی گزید	»			٧	٢٢٣	١٢
بزرگی هنرمند آفاق بسوسود	»			١٧	٢٣٠	١٣
کسی راه معروف کرخی بجست		معروف الکرخی		٣٥	٢٤٧	١٤
طمع برد شوخی بصاحب دلی	»			٣٥	٢٨٢	١٥
ملك صالح از پادشاهان شام	»			٢٨	٣١٧	١٦
یکی در نجوم آنذکی دست داشت		کوشیار الحکیم		٧	٣٤٥	١٧
بخشم از ملك بنده سر بتسافت	»			١٢	٣٥٢	١٨
ز ویرانه عارفی ژنده پوش	»			١٢	٣٦٤	١٩
گروهی بر آنند زأهل سخن		حاتم الأصم		١٧	٣٧٦	٢٠
عزیزی در اقصای تبریز بسود	»			٢٤	٣٩٣	٢١
یکی را چو سعدی دل ساده بود	»			٨	٤١٧	٢٢
چه خوش گفت بهلول فرخنده خوی		بهلول		٣	٤٢٥	٢٣
شنیدم که لقمان سیه فام بود		لقمان الحکیم		١٢	٤٢٨	٢٤
شنیدم که در دشت صنعا جنید		الجنید		١١	٤٤٠	٢٥
یکی بر بطی دریغل داشت مست	»			٥	٤٥١	٢٦
شنیدم که در خاک و خش آزمهان	»			٢٠	٤٥٦	٢٧
کسی مشکلی بسرد پیش علی		سیدنا علی		١٧	٤٧٦	٢٨
گدائی شنیدم که در تنگنای		سیدنا عمر		٩	٤٩٣	٢٩
یکی خوب کردار و خوش خوی بود	»			٤	٥٠٢	٣٠
چنین یاد دارم که سقاء نبیل		ذوالنون المصری		٢١	٥٠٦	٣١
٣١ =	١٨	+ ١١	+ ٢		٥٢٧	

قصص باب التواضع

تبلغ قصص هذا الباب احدى وثلاثين قصة ، في خمسمائة وسبعة وعشرين بيتاً تتوزع كالاتى :

- ١ - قصتان عن سعدى .
- ٢ - إحدى عشرة قصة عن شخصيات تاريخية .
- ٣ - ثمانى عشرة قصة من القصص العامة .

قصة عيسى عليه السلام

وتقع السادسة فى الترتيب ، فى واحد وخمسين بيتاً ورقم المطلع ٤٢ تضع لهما نسخة سودى عنواناً « عيسى عليه السلام والعابد المتكبر والفاسق النادم » . واختيار سيدنا عيسى لهذه القصة مناسب للغرض منها . فهى تدور حول مذنب متواضع ، نادم ، وعابد متكبر . يستحضر فيها الشاعر شخصية أخرى تلامم النبوة ، وهو جبريل يوحى به إلى عيسى .

ويفتح الشاعر الحديث عن المذنب الذى غرق فى ذنبه ، لكنه عاد فندم . فقبلت توبته ، ورضى عنه ربه ، ثم ينتهى إلى بيان ، أن رحمة الله واسعة ، والأمل فى عفوه كبير :

— هكذا فال محدثى فى الكلام !!

إنه فى عهد عيسى عليه السلام !! .

— أنفق أحد الناس ، عمره فى خسارة

وانتهى الأمر به ، إلى الجهل ، والضلالة^(١) .

(١) محدث جنسين آورد در كلام يكی زندگمانی تلف کرده بسود که در عهد عيسى عليه السلام بجهل و ضلالت سر آورده بود

والشاعر يمضي في تقوية صور الأثام عند ذلك الرجل ، فكان مغامراً
قاسى القلب ، يخجل إبليس من دنسه ، محباً للشهوة ، مخموراً ، غافلاً . ثم ينتهي
في عرض حال الرجل إلى الاستغفار ، والتوبة في قوله :

— كان خجولاً — يردد كلمات الاستغفار — بحرقه
فكم من ليال ! أمضاها في غفلة .
— تمطر عيونه — دمعاً — كالسيل المنهمر
قائلاً ! واحسرتنا ! لقد أمضيت — في غفلة — عمري ^(١) .

ويردد الشاعر استغفاراً كثيراً على لسان ذلك المذنب ، ومناجاة ربه
أن يغفر له . وأخيراً ينتقل إلى تصوير حال المتعبد المتكبر ، وقد جمعها في مكان
واحد ، يستمع هذا للتوبة ذلك ، في قوله :

— ومن الجانب الآخر ، كان العابد المغرور
مقطب الحاجب ، على الفاسق الشرير .
— يقول ، ما لهذا التعس ، يسلك سيلنا !! ؟؟
إنه شرير !! ليس مكانه بيننا .
— لقد انغمس — حتى عنقه — في النار
وأسلم — أدراج الرياح — عزيز العمر .
— وما الخير الذي بدا من نفسه الملوثة
حتى يطلب صحبة المسيح ، وصحبتى ؟ ^(٢) .

ثم يظهر الشاعر مدي ضيق المتعبد المغرور بهذا الرجل المذنب النائب ،
ويدعو الله ألا يحشره معه . وهنا موضع مغزى القصة ، فرحة الله واسعة .
يقول على لسان المغرور :

-
- (١) خجل زير لب عذرخواهان بسوز
سروشك غم آزدیسده باران چومبیغ
- (٢) وز آن نیمه عابد سری پر غرور
که این مدبر اندر پی ما چراست
بگردن در آتشی در افتاده ای .
چه خیر آمد از نفس تر دانشش
- ز شبهای در غفلت آورده روز
که عمرم بغفلت گذشت ای دریغ
ترش کرده بر فاسق ابرو زدور
نگون بخت جاهل چه در خورد باست
بیاد همسوا عمر بر داده ای
که صحبت بسود با سیح وینش

— إني أنألم من طلعتنه ، وأخشى المصير
 فلعل ناره تلحقني ، وليس من يحير .
 — رب ! ! يوم يساق للحشر العباد
 لا تجمعي — وإياه — في واد^(١) !!! .

وهنا يهيبء الشاعر الفرصة لينزل الوحي على عيسى عليه السلام ، فيأتيه هاتف
 من الله عزت قدرنه ! إنه قبل دعاء الاثنين معاً ، فأَمْضَى بالأول إلى الجنة ، استجابة
 لاستغفاره ، ولم يحشر الآخر معه استجابة لدعائه ، فكانت النار نصيبه . يقول :

— بينما كان الغرور يفكر ، وإذا وحي الجليل
 يهبط على عيسى عليه السلام .
 — قائلاً !! إن كان هذا عالماً ، وذاك جهولاً
 فإني تقبلت دعاء الإثنين معاً .
 — فصاحب الأيام ، التي ملأها بالضلال
 تضرع إلىَّ بمحرقية ، وإذلال .
 — وكل من أتاني ، مستغفراً ، ذليلاً
 لا أبغى له عن أعتاب كرمي بديلاً .
 — إني أعفو عنه ، وأغفر أعماله السيئة
 وأنعم عليه — تفضلاً مني — بالجنة .
 — وإن كان يقع في ظن ذلك العابد
 أن من العار ، أن يجالسَه في الخلد^(٢) .

-
- (١) همى رنجم از طلعت ناخو شش
 بمحشر كه حاضر نسوند انجمن
 (٢) درين بود ووحى از جليل الصفات
 كه گر عالسنابن وگروى جهول
 تبه كرده أيام برگشته . . . روز
 به چارگى هر كه آمد بـرم
 ازو در گذارم عمل هاى زشت
 وگر عار دارد عبادت مسرست
- مبادا كه در من فسد آتشش
 خدايا توبا او مسكن حشر من
 در آمد بعيسى عليه الصلوات
 مرا دعوت هسر دو آن قيسول
 بناليد بسر من بزارى وسوز
 بينسد از متش ز آسان كرم
 بانعام خويش آر مش در بهشت
 كه در خلد باوى بسود هم نشست =

— قل له !! لن يصيبك منه — يوم القيامة — كبير عار
 فإنه سيذهب إلى الجنة ، وأنت إلى النار .
 ويردّد الشاعر في ختام القصة معنىً ، إن القبول عند الله إنما هو على أساس
 التواضع ، مهما كانت الذنوب كثيرة ، ومهما كان لون العبادة ، فإن الله لم يقتل
 باب غفرانه أمام تائب .

قصة سيدنا عمر

وهي التاسعة والعشرون في الباب، في تسعة أبيات، ورقم المطلع ٤٩٣ ، وتصور
 مبلغ عدل عمر ، وتواضعه ، وترققه بالرعية ، مع ما كان له من السلطان ، ثم دعوة
 إلى التمثل بأساليبهم :

— سمعت أن سائلاً ، كان يمر في مكان ضيق
 فمضى به « عمر » ، فداس على قدمه (١) .

ويصور الشاعر جهل الفقير المسكين ، لم يكن يدري من الذي مضى به ؟
 فتار ، ورمي « سيدنا عمر » بالعمى ، وعدم البصيرة ، فأجابه « عمر » مترقلاً :

— لست بالضرير ! ولكني أخطأت المسير
 ولم أعلم بك ، فأغفر من ذنبي (٢) .

ويخرج الشاعر من هذه القصة بالدعوة إلى المعنى العام ، وهو التواضع .
 وعدم ظلم الراعي للرعية .

— إن كنت تخشى ربك ، يوم يطلبك للحساب

فأغفر خطيئة ، الذي يهرب منك العقاب .

— ولا تظلم — أيها الباغى — أتباعك

فإن هناك — كذلك — قوة فوق قوتك (٣) .

= بكونتك أزودر قیامت سسدار
 (١) گدائی شنیدم که در تنگجائی
 که آنرا بچنت برسد این بنار
 نهادش عمر پای بسر بشت پای
 (٢) نه کورم ولیکن خطا رفت کسار
 نمدا نستم از من گنه در گسدار
 (٣) اگر می بتوسی ز روز شمسار
 مکن خیره بر زیر دستان ستم
 که دستت بالای دست توهم
 از آن کز تو ترسد خطا در گسدار

قصة سيدنا علي

وتقع الثمانية والعشرين ، في سبعة عشر بيتاً ورقم المطلع ٤٧
وتدل على سعة حمله ، مع تواضعه . ولكنها في ثوب آخر ، وتضع نسخة «سودي»
عنواناً لها « حكاية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه وسيرته الطيبة في التواضع » .
وتعرض القصة رجلاً ، رفع إلى « عليّ رضی الله عنه » مشكلة من المشاكل
يطلب حلها ، فأجابه ، ولكن أحد القوم اعترض . ويصور الشاعر مدى حلم
« عليّ » ، وتواضعه ، مع ما كان عليه من العلم ، فيقول :

— سمعت أن رجلاً بين المستمعين

قال له ليس الأمر كذلك ، يا أبا الحسن !! .

— فلم يتألم « الحيدر » ، ذائع الصيت

بل قال له ، قل ما تعلم ! فإن كان خيراً ، سمعت^(١) .

وهنا ينتقل الشاعر إلى تصوير مبلغ حلم « علي » وتواضعه في قوله :

— أعجب ، سـيـد الرجال الجواب

قائلاً لقد كنت الخطيء وأجاب هو الصواب^(٢)

ثم تَمْضِي القصة في توكيد معنى التواضع والدعوة إليه .

قصة حاتم الأصم^(٣)

تخبر الشاعر لهذه القصة رجلاً يدعى الصم . وتقع قصته العشرين في الترتيب ،
في سبعة عشر بيتاً ، ورقم المطلع ٣٧٦ .

وتدور القصة حول اصطناع الصم عند « حاتم » هذا ، حتى يمكنه أن يستمع
— من حيث لا يشعر الناس — لما في طبعه من كمال ونقص ، فيرتد عن النقائص .
واصطناع الصم ملائم لهذا الباب ، مادام الإنسان سليم الحساسة .

(١) شنيدم كه شخصی در آن انجمن
نر نجید آزو حيدر نامجسسوی
(٢) پسندید آزو شاه مردان جصواب
که من بر خطا بودم او بر صواب
(٣) كان رجلاً ولياً: يعرف بحاتم الأصم . من قدماء مشايخ بلخ . مات بمدينة « وانشجرده »
سنة ٥٢٣٧ هـ . وكان مشهوراً بهذا اللقب؛ ومع ذلك لم يكن أصماً ... ص ٢٩٩ بستان جراف .

فهذا باب في التواضع ، وليس خيراً — في هذا المعنى — من أن يستمع
 الإنسان لما أخذه ، ليعمل بالخير منها ، ويترك القبيح . فهي تعالج مسألة اجتماعية
 قلما يعتنقها الناس ، وهي إفساح الصدور للنقد البريء .

يعرض الشاعر تصويراً على لسان متحدث ، أدرك أن « حاتماً » سمع صوت
 ذبابة وقعت في شبك عنكبوت ، يقول له :

— كيف فهمت طنين الذبابة ؟؟

وقد طرق أسماعنا بصعوبة ! ! .

— إنك تـدرى ، طنين الذباب

فلا ينبغي أن ندعوك أصماً ، لهذا السبب .

— تبسم — ضاحكا — وقال أيها العاقل

إن الأصم خير ممن يسمع الباطل .

— فالذين يقيمون معنى في صفاء

يسترون على العيب ، ويبسطون الثناء .

— وحين يعلم القوم ، أنى أصم

أسموني كل ما في من كمال ولم^(١) .

قصة لقمان الحكيم

يحضره الشاعر ، ليجري على لسانه بعض الحكم في معنى الاحتمال والتواضع ،
 بعد أن عانى مشقة كبيرة — مدى عام — وهو يعمل مسخراً .

والقطعة تقع الرابعة والعشرين ، في اثني عشر بيتاً . وبيت المطلع ٤٢٨ ،
 وعنوانها « لقمان الحكيم وتحمله » . وتصنفه بأنه كان أسود اللون ،

(١) مگسرا تو چو نفهم ردى خروش
 توکا گاه ردى بیانگ مگس
 تبسم کنان گفتنس ای تبرز هوتس
 کسانى که با ما بخلوت درنسد
 چو دالیوه دانندم أهل ننست
 که ما را بد شواری آسند بگوش
 نشاید اصم خواندنت زین سپس
 اصم به که گفتار باطل نیوش
 مرا عیب بوتس و ثنا گسترند
 بگویند نیک و بدم هر چه هست

ليس في بداته ، ولا لطيف الهندام، فظنه رجل أنه كان عبده ، فحمله وعاش عنده ذليلاً ، مسخراً في البناء . والشاعر يجعل « لقمان » صامتا ، محتملا ، مدى هذه المشقة ، تربية لنفسه ، وتواضعاً منه . إذ يقول :

— ذاق منه أذي ، وأذله جوراً وقهراً
حتى بنى له — بعد عام — قصرأ^(١) .

وتمضى القصة فتقول ، إنه لما استكمل البناء ، كان الخادم القديم قد عاد فأحس الرجل أنه أساء للقمان فاعتذر إليه ، ولكن لقمان أجابه ، مافائدة الاعتذار بعد أن احتملت جهد عام ؟؟؟ ثم يخرج الشاعر إلى مغزى القصة ، فيجري على لسانه بعض الحكم في معني الاحتمال ، حتى يشعر الإنسان بمدى حاجة الضعفاء إلى معونة الأقوياء .

— من لم يَحْتَمِلْ ظلم الكبار ، الأقوياء
لا يحترق قلبه ، على الصغار ، الضعفاء^(٢) .

قصة كوشيار الحكيم^(٣)

وقصته السابعة عشرة ، في سبعة أبيات ، وبيت المطلع ٣٤٥ وعنوانها « محروم متكبر » . وتدور القصة حول رجل كان على علم واسع في النجوم ، ولكنه كان متكبراً مغروراً . يمضى الشاعر فينقل هذا الرجل إلى « كوشيار » ليتلقى عليه بعض المعارف . ولكن « كوشيار » أعرض عنه — حين رآه مغترأً — ولم يعلمه حرفاً واحداً ، فلما هم بالرحيل عائداً إلى موطنه ، ألقى عليه « كوشيار » درساً في التواضع ، على نسق الحكمة .

(١) جفا ديد وبا جور وقهرش بساخت بسالى سرائى ز بهرش بساخت

(٢) هر آنكس كه جور بز رگمان نبرد لسوزد دلتش بر ضعيفان وخرد

(٣) هو حكيم آخر من كيلان . كان تلميذاً لابن سينا — هامش نسخة جرافه

— زعمت أن عقلك ، يفيض امتلاء
 فكيف — لأكثر من سعته — يحتمل الإنباء .
 — إنك ممتلىء ادعاء ، ولهذا عُدَّ خالياً
 وأتناً خالياً !! حتى يمكن أن تمتلىء بالمعاني^(١) .

قصة بهلول (٣)

وهي من القطع الصغيرة في الباب وعنوانها « بهلول العاقل » ، وعدد أبياتها
 ثلاثة أبيات ، وترتيبها الثالثة والعشرون ، ويمكن أن تكون في باب العشق كما سيبدو :

— ما أحسن قول — سعيد الخلق — بهلول !!
 حين مر على عارف يثـير الجدل .
 — لو كان هذا الدعي يدرى الحبيب
 لما أعلن الخسومة لأوهي سبب .
 — ولو كان خبيراً بوجود الحق
 كعدَّ — في طي العدم — جميع الخلق^(٢) .

قصة أبو يزيد البسطامي (٤)

تخير الشاعر بعض الشخصيات الصوفية ، واختياره لها مناسب للباب تمام
 المناسبة ، وهو يقلد كل شخصية قصة من القصص. تدور حول معنى من المعاني ،

-
- (١) تو خو درا گمان برد پر خسرد انائی که پر شد دگر چون برد ؟
 زد عوی بری زان تہی میروی تہی آی تا پر معانی شسوی
- (٢) بهلول ، هو أحد اخوة هارون الرشيد. انصرف إلى العبادة والانقطاع لها ، حتى عد
 من رجال الله . انظر ص ١١٠ من شرح سودي و ٢٧٤ من شرح جراف .
- (٣) چه خوش گفست فرخنده خوی چو بگذشت بر عارفی جنگجوی
 گر این مدعی دوست بشناختی بپیکار دشمن نسپرد اختی
 گر از هستی حق خبردا شستی همه خلق را نیست پند اشتی
- (٤) هو أبو يزيد طيفور ابن عيسى البسطامي ، كان جده مجوسياً فأسلم ، وكانوا ثلاثة
 أخوة آدم ، وطيفور ، وعلي . وكلهم كانوا زهاداً عباداً . وأبو يزيد كان أجلهم
 حالاً، قيل مات سنة ٢٦١ هـ — الرسالة القشيرية ص ١٤ .

وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، وقد تخيرها الشاعر من مواطن مختلفة كما سيدو .
 وقصة « أبو يزيد » تقع الرابعة في الباب ، في ثمانية أبيات ، وتدور حول
 معنى التواضع ، وعلاج التكبر . خرج « أبو يزيد » يوم العيد من حمامه ، فألقى
 عليه رماد من شرفة — وهو في الطريق — فتلوث شعره ، وعمامته ، فمسح وجهه
 بكنفه ، وهو يقول : « شكراً يا إلهي » . ثم يتخلص الشاعر إلى المعزى المقصود
 من القصة ، وهو التواضع .

— إن التواضع يعلى من شأنك
 ويهوى بك الكبرياء في حضيض التراب .
 — وما الذلّة ، إلا مال كل جبار عنيد
 فلا تترفع ، إن كنت الرفة ، تبغى المزيّد^(١) .

قصة معروف الكرخي^(٢)

وهي الرابعة عشر ، وتقع في خمسة وثلاثين بيتاً ، وتضع لها نسخة سودى
 عنوان « معروف الكرخي ، والمسافر المريض » .
 وتعالج القصة موضوعاً يدور حول معنى الكرم ، بجانب التواضع ، فهي
 من بعض جوانبها تصلح لأن تكون في باب الإحسان ، ولعل الذي جعلها هنا
 أنها تدور حول شخصية صوفية .
 وافتتاحية القصة ينطوى على امتحان « معروف » ومبلغ كرمه . إذ نزل عليه
 رجل مريض ، كثير الشكاية ، كثير الأنين ، حتى ضج الناس منه . ويبالغ

(١) تواضع سر رفعت أفسرازدت تكبر بخاك انسدر اندازدت
 بگردن فند سبر كش تند خوى بلنديت بايد بلندي مجوى
 (٢) هو أبو محفوظ معروف الكرخي . كان من كبار المشايخ . يقول البغداديون فبر
 معروف تزياف مجرب . وهو بن موالى على بن موسى الرضا . بسات سنة ٢٠٠ هـ
 — الرسالة القشيرية ص ١٠

الشاعر في تشويه أمر هذا المريض ، يجعله بذىء اللسان كذلك . يقول في المطلع ، من معنى الكرم .

— لم يسلك إنسان طريق معروف الكرخي
إلا ألقى عن رأسه تاج المعرفة .
فقد سمعت أن رجلاً طلب ضيافته
وليس بينه — وبين الموت — إلا مدة قصيرة^(١) .

ويردد الشاعر كثيراً من معاني الكرم بعد هذا المطلع ، ولكنه يشير أيضاً إلى معنى التواضع في أبيات منها .

— إن الذين ارتفعوا إلى العلياء
هم الذين أقوا عن رؤوسهم ، تاج الكبرياء^(٢) .

قصة الجنيد^(٣)

وتقع الخامسة والعشرين ، في ثلاثة عشر بيتاً ، وتدور القصة حول معنى التواضع والحلم ، يجعل الشاعر « الجنيد » يلتقي بـ كلبٍ هَرَمٍ ، أهلكته الأيام ، واستولى عليه الضعف ، فرثى لحاله وأشفق عليه ، وأعطاه نصف ، زاده .

ثم يطوى في القصة بعض معاني التواضع ، في مقارنة بين حاله ، وحال الكلب
لو لم تزيّني كسوة المعرفة
فأني أقلُّ — كثيراً — من هذا الكلب^(٤) .

-
- (١) كسى راه معروف كرخي بجست كه بنهاد معروفى أز سر نخست
شنيدم كه مهمانش آسديكى ز بهاريش تا بمرگ أنسدكى
(٢) بدولت كسانى سر افراختنسد كه تاج تكبر بيندا ختنسد
(٣) أبو القاسم الجنيد . أصله من نهاوند ومولده بالعراق ، وكان أبوه يبيع الزجاج فيقال له القواريرى . كان فقيهاً على مذهب أبي ثور . سمات سنة ٢٩٧ هـ — الرسالة القشيرية ص ٢٠ .
(٤) وگر كسوت معرفت در بصرم نساند بيسار آزين گمسترم

قصة ذى النون المصرى (١)

هى الأخيرة فى الباب ، ورقمها الواحد والثلاثون ، فى واحد وعشرين بيتاً ، وتدور حول التواضع أيضاً . وترى القصة إلى أن رجال الله — مهما علت منزلتهم — هم الذين يدركون أنهم أقل عباد الله ، وأكثرهم شراً . وتصور القصة حادثة وقعت له إذ جفَّ النيل ، وانقطع المطر ، ونزلت بالقوم شدة قاسية . فلبجأوا إلى الله يدعونه ومضى أحدهم إلى « ذى النون » يرجوه أن يدعو إلى هؤلء المساكين . فان كلام المقرَّب لا يرد عند الله .

ولكى يحكى الشاعر القصة يمضى «بذى النون» إلى خارج القطر لمدة من الزمن.

— سمعت أن ذا النون توجه تلقاء «مدين»

ولم تنقض مدة طويلة ، حتى سخت السماء .

— أمضى «بمدين» عشرين يوماً ، جاء الخبر

إن السحاب تساقط ، وانهم — المطر (٢)

فلما ارتدت الحياة — رحية هائلة — عاد ذى النون إلى مصر ، وهنا يظهر

معنى التواضع . يجرى الشاعر على لسان شخص آخر سؤالاً « لذى النون » عن

سبب سفره إلى « مدين » ، فيجيب « ذى النون » :

— سمعت أن الرزق يضيق على النمل ، والدواب ، والطير

بما يقع من آثام ، فعل الأشرار .

ففكرت — كثيراً — فلم أرى فى هذا الوطن

من — هو أسوأ عملاً — منى (٣) .

(١) هو أبو الفيض ذى النون المصرى . كان أوحدهم وقتة علماء وورعاً وحالاً وأدبياً ، سعوا

به إلى التوكل ، فلما حمل اليه ودخل عليه ، وعظه ، فبكى المتوكل ، ورده إلى مصر .

الرسالة الششيرية ص ٩ .

(٢) شتيدم كه ذى النون بمدين كرىخت بسى برنباسد كه باران كرىخت

خبر شد بمدين بس أز روز بىست كه أبر سبه دل بر إيشان كرىست

(٣) شتيدم كه بر مرغ ومور وددان شسود تنك روزى بفعل بدان

درن كشور أنديشه كردم بسى پریشان تر از خود نديدم كسى =

— فذهبت بعينها أحمل ما أنا فيه من شر
حتى لا يغلق الله على عباده باب الخير .

ثم يختم القطعة بتأييد هذا المعنى :

— إن كنت تريد الرفعة فتواضع
فإن الأخيار، لم يروا في الدنيا من هو أسوأ منهم^(١) .

* * *

الرؤى العامة في باب التواضع

لا تعدو الأفكار العامة — في الباب كله — ما دار في القصص الشخصية ،
ويمكن أن نجعلها في ناحيتين :

أولاً — دعوة عامة إلى التواضع فإن فيه الرفعة وعلو المنزلة . وليس — كما يفهمه
الناس — حقارة وذلة .

ثانياً — صفات المتواضع .

١ — الدعوة إلى التواضع :

والشاعر نفسه في مستهل الباب لا ينسى أن يجعل المطلع مناسباً للمعنى :

— خلق الله الإنسان من تراب
فتواضع — أيها العبد — وكن كالتراب^(٢) .

ثم يتردد في الباب الدعوة إلى هذا المعنى في مواضع مختلفة :

— إن التواضع يعلى رأس رفعتك
ويقلبك الكبرياء في حضيض التراب^(٣) .

ببندد در خسیر در انجمن	برقم سباده از نسوسر من
ندیدندى از خود بتر در جهان	(١) بهی بایدت لطف کن کان بهان
پس ای بنده افتادگی کن چو خاک	(٢) زخاک آفریدت خداوند پاک
تکبر بخاک آندر آنسدازدت قء	(٣) تواضع سر رفعت آفسرازدت

— وحين تواضعت قطرة الماء أمام البحر
 تَرَبَّى الصدف — عزيزاً — في أحضانها^(١) .
 — وحين تواضع التراب ، خَلَقَ منه الإنسان
 وحين تعاظمت النار ، خلق منها الشيطان^(٢) .

٢ — صفات المتواضع :

ألا يغتر بعلمه :

— زَعَمْتَ أَنْ عَقْلَكَ مَلِيئاً بِالْمَعْرِفَةِ
 فكيف يتسع الإيذاء لغير ما يحتمله^(٣) ؟؟ .

ولا بماله :

— ليس الغنيُّ — بماله — أفضلَ الناس
 فالجارح حمار ، ولو لبس رداء من أطلس^(٤) .

ولا بمركزه :

— إن كنت شاغلاً منصّباً جليلاً
 فلا تسخر من العاجز إن كنت عاقلاً^(٥) .

-
- | | | | |
|------|------------------------------|-----|-----------------------------|
| ٢ ق | صدف در کنارش بجان پرورید | (١) | چو خسود را بچشمی حقارت پدید |
| ١ ق | از آن دیو کردنسد از این آدمی | (٢) | چو آن سر فرازی نمود این گمی |
| ١٧ ق | انائی که پرشسد دگر چون برد ؟ | (٣) | تو خود را گمان برده پر خرد |
| ٨ ق | خر أرجل أطلس پوشید ، خراست | (٤) | نه منعم بمسال از کس بهترست |
| ٥ ق | بر افتاده گره هوشمندی بخند | (٥) | چو استاده بر مقامی بنسند |

٥ - باب الرضا

المطلع	عامّة	عن شخصيّة أو حيوان	عن سعدى	عدد الآيات	رقم المطلع	رقم ق
شبی زيت فکرت همی سسوختم	عامّة			٨	١	١
سعادت ببخشایش داورست	»			٧	٩	٢
سرا در سپاهان یکی یار بود	»		سعدی	٥١	١٦	٣
یکی آهنین بجه در اردبیل	»			٧	٦٧	٤
شبی گردی از درد پهلونفت	»			٥	٨٤	٥
یکی روستائی سقط شد خرش	»			٥	٨٩	٦
شنیدم که دیناری از مقلسی	»			٤	٩٤	٧
فرو کوفت پیری پسر را بچوب	»			٣	٩٨	٨
بلند اختری نام او بختیسار	»			١١	١٠١	٩
یکی مرد درویش در خالک کیش	»			٩	١١٢	١٠
چنین گفت پیس زغن کرگسی	»	النسر والحدأة		١٢	١٢١	١١
چه خوش گفت شما کرد منسوج یاف	»			٧	١٣٣	١٢
شتر بجه بامادر خویش گفت	»	البعیر والناقة		٦	١٤٠	١٣
عبسادت باخلاص نیت نکوست	»			٩	١٤٦	١٤
ندانی که بابایی کوهی چه گفت	»			٥	١٥٥	١٥
شنیدم که نابالغی روزه داشت	»			١٠	١٦٠	١٦
سسیه کاری از نرد بان فساد	»			٣٢	١٧٠	١٧
					٢٠٢	
	١٤ =	٢ +	١ +			

قصص باب الرضا

وتبلغ قصص هذا الباب سبع عشرة قصة ، فی مائتین واثین من الآيات
وتتوزع كالآتی :

١ - قصة عن سعدی . ٢ - قصتان على لسان الحيوانات .

٣ - أربع عشرة قصة من القصص العامة

قصة كركس وزغن :

أى النسر والحدأة . ينظمها الشاعر ليجرى على لسان هذين الحيوانين حكمة مشهورة « إن الحذر لا ينجى من القدر » .

وتقع القطعة في ترتيبها الحادية عشرة ، في إثني عشر بيتاً ، وبيت المطلع ١٢١ وتدور القطعة بشكل محاورة بين الطائرين . يقول النسر للحدأة لا يوجد من هو أبعد منى بصراً ، فترفض الحدأة التسليم بهذه الدعوى إلا على دليل يقدم . وهنا تدخل القصة في إطارها الحكم . يرتفع النسر والحدأة في الجو ، والأرض من تحتهما خلاء صحراء ، فينظر النسر إلى أسفل — على مسافة بعد يوم — فلما بلغا هذا العلو ، ألقى بنظره على الأرض ، فرأى بعينه حبة ملقاة عليها .

وهنا نكتة من نكت القصة ، يوردها الشاعر ليعطى لها شيئاً من القوة . فتعجب الحدأة من ذلك ، ولم يبق لها صبر ، فيهبط من علوها في الحال ، ويهوى النسر على الحبة ، ولكنه يقع فجأة في الفخ المنصوب ، ويمجد نفسه محاطاً بالشبكة . وهنا ينتهى الشاعر من القصة إلى المعنى المقصود من إيرادها :

— ليست كل صدفة ، حبلى بالدر
ولا يصيب الهدف دائماً ، كل شاطر (١) .

ثم يمضى الشاعر في إبراز المعنى الذي قدمناه في مطلع القصة . تسخر الحدأة من النسر بعد سقوطه في الشرك . قائلة له . ما الفائدة في رؤيتك للحبة ، ما لم يكن لك أبصار بشرك الخضم !؟؟؟ .

— سمعت أنه كان يجيب ، والقيد في رفاه
إن الحذر ، لا ينجى من القدر (٢) .

(١) نسه آبتن در بود هر صدف نه هر بار ششاطر زند بر هدف
(٢) شنیدم که میگفت گردن ببند نباشد حذر با قدر سسود مند

ويختم الشاعر القصة بتأييد هذا المعنى :
 — لما كان الأجل قد مد يده لسفك دمه
 ضلّ القضاء عينه التي ترى دقائق الأشياء .
 — إن الماء الذي لا يظهر فيه الساحل
 لا يصلح فيه كبرياء السابح^(١) .

قصة البعير والناقة :

وتقع في الترتيب الرابعة عشرة ، في ستة أبيات ، بعنوان « شتر بيچه »
 وتجرى القصة في حديث يدور بين البعير وأمه . يستخلص منه الشاعر معنى « الجبر
 والاختيار » فما دام الإنسان ليس مخيراً فليرض بما قسمه الله . يدور الحديث بينهما
 في قول البعير لأمه : استريحى أماه ! بعد جهادك الطويل . فتجيبه الأم :

— يا بنى !! لو كان الزمام بأمرى
 فلن يرانى أحد أحمل الأثقال فى القفار^(٢) .

تحليل الألفاظ العامة في باب الرضا

والشاعر يردد في هذا الباب دعوة صادقة إلى العبادة الخالصة ، فإنها طريق الرضا
 بما قسم للإنسان ، والنفس الصافية هي التي تصل إلى مطلوبها ، وترضى بمقسومها .
 كذلك يعرض الشاعر في هذا الباب بعض الأفكار الفلسفية . فالأحداث
 قد تكون فوق طاقة الإنسان ، فلا بد أن يسلم با « القضاء والقدر » . كما أن كثيراً
 من الأحداث تحدث ولا اختيار للإنسان فيها ، وهنا فكرة « الجبر والاختيار » .

(١) أجل جون بخونتنس بر آورد دست
 در آبنى كه پيدا نكردد كنسار
 (٢) بگفت ار بدستى منستى مهار
 قضا چتم باريك بينش بيست
 غرور شسناور نيسايد بكار
 ندبسدی كسم باركش در قطار

۱ — القضاء والقدر :

القضاء والقدر لا رد لهما :

— ما دام لم يكن في الوسع رد سهم القضاء

فليس للعبد درع ، إلا الرضا^(۱) .

وإذا عرض الطالع نفذ القضاء :

— لما كان الطالع معرضاً عنّا

تحطمت أمام سهم القضاء دروعنا^(۲) .

والقوة ليست طريق السعادة :

— ومن ذا الذي ينال السعادة بالعمل

ومن ذا الذي يُشفي عين الأعمى بالكحل^(۳) .

والإنسان مهما بلغ علمه لن يغير من الواقع شيئاً :

— إن جميع فلاسفة اليونان والروم

لن يستطيعوا أن يصنعوا عسلاً من الزقوم^(۴) .

والطبيب مهما كان حاذقاً لن يغير من الواقع شيئاً :

— وكيف يدري الطبيبُ طبَّ مريضه؟؟

بل كيف يدفع المسكين الموت عن نفسه^(۵)؟؟ .

— فإن القضاء يجرى حتماً عليه

ولو أنه يدفع المرض عن غيره^(۶) .

-
- | | | |
|--------------------------------|------|-----------------------------------|
| سپر نیست مر بنده را جز رضاسا | ف ۱۰ | (۱) چورد می نگردهد خدنگ قضاسا |
| سپر بنس تر فضا هبج بسود | ف ۳ | (۲) چو طالع زما روی برپیچ بود |
| بسرجه که بینا کند چشم کور؟ | ف ۱۰ | (۳) که حاصل کند نیکبختی بزور |
| نسدانند کرد انگبین از زقوم | ف ۱۰ | (۴) همه فیلسوفان یونان و روم |
| که بیچاره خواهد خود از رنج مرد | ف ۶ | (۵) چه داند طبیب از کسی رنج برد |
| جهل سال از بن رفت و زندست گرد | ف ۵ | (۶) فضا را طبیب اندر آن ساعت بمرد |

والبطل لا تغنيه قوته عن رد القضاء :

— وماذا تبدي قبضة البطل المجاهد

ما لم يسعفه من التوفيق ساعد^(١) ؟ ؟ .

والله هو الموجّه حيث يريد ، لا حيث يرغب الإنسان :

— يسوق القضاء السفينة حيث يشاء

ولو تقطّع ثياب الربان ، جهداً وعناء^(٢) .

٢ - الجبر والاختيار :

ويبدو في الآيات الآتية :

— إذا كانت صورة حالك سيئة أو طيبة

فهي مصورة ، من يدي تقديره^(٣) .

— لم يضع الله أسباب الاختيار بيدي

حتى أكون سعيداً مجدوداً^(٤) .

— والأفلام تجري بسعادتنا وشقائنا

ونحن لانزال في بطون أمهاتنا^(٥) .

— إذا قلتَ إن زيدا أذاني ، وعمراً جرحني

ففي هذا اللون ، شركاً خافياً^(٦) .

— وحين لا تستطيع أن تمد إلى الأفلاك يدك

فإن الموافقة على دورانها أمر يلزمك^(٧) .

-
- | | | |
|------|----------------------------|---------------------------------|
| ٣ ق | چه بازوی توفیق یاری نسکرد؟ | (١) چه زور آورد بینه " جهه برد |
| ١٣ ق | وگر ناخدا جامه برتن درد | (٢) فضا کشتی آنجا که خواهد برد |
| ١٢ ق | نگاه زنده دست تقدیر اوست | (٣) گرت صورت حال بد یا نکوست |
| ٩ ق | که سر خویش را کنم بختیار | (٤) نکردند دردست من اخیسار |
| ٧ ق | نگردید وما همجنسان درشکم | (٥) بیسد بختی ونیکختی قسلم |
| ١٢ ق | که زیدم بیازرد وعمروم بخت | (٦) درین نوعی از شرک نوشیده هست |
| ٢ ق | ضروریست باگردتش ساختن | (٧) جونتوان بر افلاک دس آختن |

٦ -- باب القناعة

المطلع	عامية	عن ذات	عن سعدى	عدد الآيات	رقم المطلع	رقم ق
خدارا ندانست و طاعت نسکرد	عامية			٢٩	١	١
شکم صوفی را زبون کرد و فیرج	»			٩	٣٠	٣
سرا حا جی شانه عاچ داد			سعدی	٩	٣٩	٣
یکی باطمع بیش خوا رز شسناه	»			١١	٤٨	٤
یکی را کب آمد ز صاحب دلان	»			١٣	٥٩	٥
چه آوردم از بصره دانی عجب			سعدی	٩	٧٢	٦
یکی نیشکر دانست در طبقسری	»			٥	٨١	٧
یکی را ز مردان روشن ضمیر	»			٤	٨٦	٨
یکی نان خورش جز بیازی ندانست	»			٨	٩٠	٩
یکی گریه در خانه زال بسود		المهره		٦	٩٨	١٠
یکی طفل دندان بر آورده بود	»			٨	١٠٤	١١
شنیدم که در روزگار قدیم		الابدال		١٢	١١٢	١٢
شنیدم که صاحب دلی نیکمرد	»			٥	١٢٤	١٣
یکی سلطنت ران صاحب شکوه	»			١١	١٢٩	١٤
کالست در نفس برد سلیم	»			١٣	١٤٠	١٥
شنیدم ز پیران ششیرین سخن	»			١٢	١٥٣	١٦
	١٦ = ١٢	+ ٢	+ ٢		١٧٤	

فصص باب القناعة:

تبلغ قصص هذا الباب ست عشرة قصة ، في مائة وأربعة وسبعين بيتاً ،

تتوزع كالآتي :

- ١ - قصتان عن سعدى .
- ٢ - قصة عن الأبدال .
- ٣ - قصة عن المهرة .
- ٤ - اثنتا عشرة قصة عامة .

قصه الأبدال :

وتقع الثانية عشرة ، في اثني عشر بيتاً ، وعنوانها « تحول الحجر في يد أبدال الله ذهباً وفضة » .

وتدور القصة حول رجال الله الطاهرين المعروفين « بالأبدال » الذين يمدحهم الله بقوته ، فهي مماثلة لقصة رجل « فارياب » في بلاد المغرب ، حيث انتقل معه الشاعر هناك ، وألقى الرجل سجاداته على الماء فطاف عليه .

والشاعر هنا يقول قصته على طريق السماع لا المشاهدة ، ذلك أنه يبدو أنها هذا المطلع :

— سمعت أنه في الزمن الأول

تحول الحجر فضة ، في يد الأبدال^(١)

وتدور القصة حول الدعوة إلى القناعة ، في مقارنة بين سلطان وفقير .

والقصة تصلح لأن تكون في باب الرضا كذلك ، ففيها دعوة إلى ما قسم الانسان . والشاعر يمضي بعد المطلع في بيان كيف تحول الحجر إلى فضة ؟ والأمر في نظره أمر المعاني ، فالرضا أساس كل شيء .

— لا تظن أن هذا الكلام تعوزه الحجة

فإذا رضيت ، فسواء لديك الحجر والفضة^(٢)

ويخرج الشاعر إلى عرض معاني القناعة ، في المقارنة بين السلطان والدرويش :

— أخبر الفقير الذي يعبد السلطان

إن السلطان يعيش بأثماً مسكيناً

— فدّرهم من الفضة بسد رمق المعدم

ولكن « فريدون » نصف شعبان ، بملك العجم^(٣)

شدى سنگ در دست ابدال سيم

چو راضى شدى سيم وسنگت يکيست

کسه سلطان زدرويش مسکينترست

فريدون بملك عجم نيم سسير

(١) شنيدم که در روزگار فديم

(٢) نيندارى اين قول معقوسول نيست

(٣) خبرده بدرويش سلطان پرست

گدارا کند يکدرم سيم سير

ویردد الشاعر معنى القناعة في هذه المقارنة .
 — إن حراسة المَلِكِ يحوطها بلاء التدبير
 والفقير سلطان ، ولكن سمي الفقير
 — والفقير الذي لا شيء يشغل خاطره
 خير من السلطان الذي لا ينتهي شعبه
 — والفلاح وزوجه ، ينامان في هناء
 يحسدهما السلطان ، الذي يعيش في عناء (١)

قصة الهرة :

وهي في الترتيب العاشرة ، في ستة أبيات ، ورقم المطلع ٩٨ تدور حوادث
 القصة على الهرة . ومنغزاه حول القناعة بما قسم للمخلوق من الرزق . يجعل الشاعر
 الهرة في بيت أرملة عجوز ، لا كسب لها ، ولا مال عندها . فلما أصابها العوز ،
 وسوء الحال ، انطلقت الهرة إلى نزل الأمير ، فضر بها عبيده بالسهم .

— كانت هرة ، في بيت امرأة ذات كبر
 ولت أيامها ، والحال أدبر
 — فسارعت إلى الأمير تبغى نزله
 فضرها بالسهم عبيده (٢)

أنظر إلى اختيار كلمة نزل الأمير هنا ، والمعنى من وجوده . أليس قد وجد
 لينزل فيه الناس ، يتناولون فيه ما لذ وطاب ؟ أليس وقد اتسع لهؤلاء ، يتسع لهرة

-
- (١) نگهبانی ملک و دولت بسلاست
 گدائی که بر خاطرش بند نیست
 بخشند خوش روستائی وجفت
 (٢) یکی گریه در خانه زال بسود
 روانشد بمهما نسرای اسیسیر
 گدا ، اداشاهسب ونامش گداست
 به از بادشاهی که خرسند نیست
 بذوق که سلطان درابوان نغفت
 که برگشتته أيام وید حال بسود
 غلامان سلطان زدندش بسیر

ضعيفة؟ وتفلت المرة من تحت أيديهم ، والدم يتقاطر من جسمها ، فيقول على لسانها، وهي مسرعة - تبغى النجاة - من هول ما أصابها.

— إني إن نجوت من ضربة هذا الزاجر
فأني قانعة في خرابة العجوز بالفأر^(١)

وينتهي الشاعر إلى مغزى القصة « لا يتطلع الإنسان إلى رزق شهي
محاط بالشراة » .

— لا يساوى العسل - يا عزيزي - جراح الإبر
فعد القناعة ، خير منه عصير التمر
— والله لن يرضى عن عبده
الذى لا يرضى بما قسمه له^(٢)

* * *

الرُّفْطَرُ العامَّةُ في باب القناعة

هذا الباب جاء في وضعه الطبيعي في الترتيب بعد باب الرضا . فالرضا والقناعة قريبان من بعضهما . وأظهر المسائل التي يدور حولها هذا الباب لا تخرج عن أمرين .
١ — علاج للطمع في صورته المختلفة .

٢ — دعوة إلى القناعة .

والمعنيان متداخلان في بعضهما في كل القصص ، فكل بيان لمساوىء الطمع بيان لفضائل القناعة.

١ — فأما علاج الطمع ، فيبدو في قوله .

— لا تطلب - من طريق المال - رفعة
فان الماء الراكد ، فاسد الرائحة^(٣) .

-
- (١) كه گر جسمم از دست ابن نبر زن
(٢) نيرزد عسل جان من زخم نيش
خدا وند از آن بنده خرسند نيست
(٣) ز نعمت نهادن بلندي مجسوى
من وموش وويرانه بسير زن
قناعت نكوتر بدو شتاب خويش
كه راضى بقسم خداوند نيست
كه ناخوش كند آب استاده بوى ق ٥٠

— ولم يعلم قارون عابد النعمة
 أن كنز السلامة، في زاوية السلامة (١).
 — وماذا تذهب إلى الساطان لتسأله
 إنك سلطان، إذا تحاشيت الطمو تركته (٢).
 — ولا تطع النفس التي تعبد الشهوة
 فإن لها قبلة، تقصدها كل ساعه (٣).
 — والنفس الأمانة تُحيل المرء ذليلاً
 فلا تطعها، إن كنت عاقلاً! (٤).
 — وإن كنت محبباً لنفسك، فاجعل بطنك طيلة
 واتخذ باب هذا، وذاك، قبلة (٥).
 — وابغ جوفاً طاهراً أينما تذهب
 فإن البطن لن يملأه إلا التراب (٦).
 — ولا تتبع كل ما تميل إليه نفسك
 فإن هوى البدن ينقص نور قلبك (٧).
 — والحُرُّ هو الذي يتخذ الأرض فراشا
 كيف يرضى تقييلها، لأن ينال بساطاً؟؟ (٨).

-
- | | | |
|------|---------------------------|--------------------------------|
| ١٤ ق | که گنج سلامت بگنج اندرست | (١) ندانست قارون نعمت پرست |
| ٣ ق | چو بکسو نهسادی طمع خسروی | (٢) چرا پیش خسرو بجواهش روی |
| ٤ ق | که هر ساعتش قبله دیگرست | (٣) سیر طاعت نفس شهوت پرست |
| | أگر هو شمندی عزیزش سدار | (٤) کند برد را نفس أماره خسوار |
| ٣ ق | در خانه این وآن قبله کن | (٥) وگر خود پرستی شکم طبله کن |
| | شکم پر نخوا هدشسد الاجحاک | (٦) برو اندرونی بست آر وپاک |
| ٥ ق | که تمکین تن نورجان کاهدت | (٧) سرو درپی هرچه دل خواهدت |
| ٨ ق | مکن بهر فالی زمین بسوس کس | (٨) گر آزاده بر زمین خسب و بس |

— ولا تبني بيتك يا غلام !! في طريق السيل
فان هذه الدنيا لا تتم لأحد (١).

٢ — وأما الدعوة إلى القنصاعة فتبدو فيما يأتي :

— اقنعي أيها النفس بالقليل !!
حتى ترى السلطان ، والفقير ، متساويين (٢).

— والطمع يطردك من كل مجلس
فابعده ! حتى لا يطردك أحد من بابه (٣).

— والله لن يرضى عن عبده
الذي لا يرضى بما قسمه له (٤).

— ولا ترهب أيها الحبيب الشدة
فلعله يرجي أن يكون فيها ماء الحياة.

— ولا تحرق قلبك يائساً بالفكر
فان الليلة حبلى بالنهار (٥).

— والله الذي خلق الناس من التراب
عجباً !! لو ضيع آدميتهم (٦).

— والذي صورَّ الطفل في الأرحام
هو من كتب العمر ، وكفل الطعام (٧).

-
- | | | |
|------|-----------------------------|----------------------------------|
| ١٣ ق | که کسرا نگشت این عماره تمام | (١) مکن خانه بر راه سبل ای غلام |
| ٣ ق | که سلطان ودرویش بینی بکی | (٢) قناعت کن ای نفس بر آند کی |
| ٤ ق | بران از خودش تاثراند کست | (٣) توقع بران سسد زهر مجلس |
| ١٠ ق | که راضی بقسم خسد او ند نیست | (٤) خداوند از آن بنده خرسند نیست |
| | که ممکن بود کاب حیات دروست | (٥) زظلمت مترس ای بسندیده دوست |
| ١٦ ق | شب آبتنست ای سرادر بروز | دل از بی سرادی بفکرت مسوز |
| ١٥ ق | عجب دا رم ارسردمی گم کند | (٦) خدائی که از خاک مسردم کند |
| ١١ ق | نویسنده عمر وروز بست هم | (٧) نگا رنده کودک آندر بسکم |

۷ - باب التریسة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدی	عن شخصية	عامة	المطلع
۱	۱	۱۴			عامة	سخن در صلاحست وتدیبر وخوی
۲	۱۵	۱۵			»	اگر پای در دامن آری چوکوه
۳	۳۰	۱۷		نکش	»	تکش باغلامان یکی راز گفت
۴	۴۷	۱۷			»	یکی خوب خلق وخلق بوش بود
۵	۶۴	۱۰			»	یکی ناسزا گفت در وقت جنگ
۶	۷۴	۱۱		عضد الدولة	»	عضد را بسر سخت رنجور بسود
۷	۸۵	۴			»	شنیدم که در بزم ترکان مست
۸	۸۹	۵			»	دوکس گرد دبدند و آشوب و جنگ
۹	۹۴	۱۳			»	چنین گفت پبری بسند یده هوش
۱۰	۱۱۷	۱۷		داود الطائی	»	یکی پیش داود طسائی نشست
۱۱	۱۳۴	۵			»	بد اندر حق مردم نیک و بد
۱۲	۱۳۹	۳			»	زبان کرد شخصی بغیبت دراز
۱۳	۱۴۲	۵	سعدی			کسی گفت بنسداشتم طمیت
۱۴	۱۴۷	۶	سعدی			مرا در نظامیه ادرار بسود
۱۵	۱۵۳	۷		الحجاج		کسی گفت حجاج خون خواره ایست
۱۶	۱۰۱	۴			»	شنیدم که از پارسایان پرسید یکی
۱۷	۱۶۵	۱۷	سعدی			بطفلی درم رغبت روزه خاست
۱۸	۱۸۲	۶			»	طریقت شناسان ثابت قسیدم
۱۹	۱۸۸	۸			»	چه خوش گفت دیوانه سرغزی
۲۰	۱۹۶	۶			»	سه کس را شنیدم که غیبت رواست
۲۱	۲۰۲	۳			»	شنیدم که دزدی در آمد زدشت
۲۲	۲۰۵	۱۰			»	کسی گفت باصوی در صفا
۲۳	۲۱۵	۲۵		فریدون ووزیره		فریدون وزیری بسندیده داشت
۲۴	۲۴۰	۲۹		الزوجة		زن خوب فرمان بر نارسسا
۲۵	۲۶۹	۵		الزوجة		چه نغز آمد این يك سخن زان دوتن
۲۶	۲۷۴	۶		الزوجة		جوانی ز ناسازگاری جفت
۲۷	۲۸۰	۳۰		الأولاد		پسر چون زده برگذشتش ستین
۲۸	۳۱۰	۱۰		الأولاد		خرابت کند شاهدی خانه کن

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدى	عن شخصية	عامية	المطلع
٢٩	٣٢٠	١٦		العبيد		درين شهر باري بسمعم رسيد
٣٠	٣٣٦	٤		»		گروهی نشينند باخوش پسر
٣١	٣٤٠	١٩		بفراط		يكي صورتی ديد صاحب جمال
٣٢	٣٥٩	٤٦		»		اگر در جهان از جهان رسته ايست
٣٣	٤٠٥	٣	سعدى			غلامی بمصر اند رم بنده بود(١)
٣٤	٤٠٨	٣٠		»		جوانی همرند وفرزانه بسود
	٤٣٨		٤ +	١٢ +	١٨	٣٤ =

* * *

قصص باب التريبة

تبلغ قصص الباب أربعاً وثلاثين قصة في أربعين وثمانية وثلاثين بيتاً تتوزع كالتالي :

- ١- أربع قصص عن سعدى . ٢ - ست قصص عن أشخاص تاريخية .
- ٣ - ست قصص عن أنواع - الزوجات والأولاد والعبيد .
- ٤ - ثمانى عشرة قصة عامة .

قصة تكش

وترتيبها الثالثة ، في سبعة عشر بيتاً . وتدور القصة حول معنيين من معاني التريبة

١ - كتمان السر وكيف يحفظه الانسان ٢ - علاج اللوشاية

يتخير لها الشاعر سلطاناً من سلاطين التاريخ ، والشراح لا يعرفون عنه إلا أنه من سلاطين الأتراك ، وربما كان المقصود منه تكش أرسلان أحد سلاطين

١- أشارت نسخة جراف إلى أنها زائده في بعض النسخ . وتجعلها نسخة سودى

قطعة مستقلة بذاتها . انظر نسخة جراف ص ٣٦٦ . ونسخة سودى ص ٣٠٥ .

الخوارزماهيين الذي تولى الحكم سنة ٥٦٨ هـ والذي كان يمدحه رشيد الدين الطواط .

واختيار « تكش » لموضوع القصة اختيار عام . فيصلح موضوعها لشخص غيره إلا أن تكون من الأفاصيص التي تنوقلت عنه ، فنطامها الشاعر ، ليخرج منها إلى الغرض الذي يقصده . ويجرى الشاعر حديثاً على لسانه في قوله .

— قال تكش إلى غلمانه سرأً من أسراره
وأوصاهم ألا يقولونه لأحد غيره^(١) .

ولكن ما يكاد السر ينفلت من مكنه في صدر تكش ، حتى يذاع بين الناس فيحتدم الغضب في نفسه ، فيطلب إلى جلاده أن يجتزروؤوس غلمانه ، فصاح أحدهم طالباً الأمان ، قائلاً له !! لا تقتل غلمانك فان مبعث هذا الاتم منك .

ثم ينتقل الشاعر إلى عرض كثير من المعاني في حفظ السر ، والتشبيه به .

— إنك لم تقفله حين كان ينبوعاً في صدرك !!

وأية فائدة من سده حين يكون سيلاً يجاوزك؟^(٢)

— إن الكلام شيطان مصفد في طوايا الجنان

فلا تتركه ، يجاوز الحلق ، واللسان^(٣) .

أما علاجه للوشاية في هذه القصة فيبدو في قوله:

— لا تنقل كلاماً يُوقِعُ سماعه في الضر

فانك تحصد الشعير، من زراعة البر^(٤) .

— ولا تقل كلاماً إذا شاع بين الملا

وقعوا منه في محنة وبلاء^(٥) .

- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| (١) تكش باغلمان یکی راز گفت | که ابن را نباید بکس باز گفت |
| (٢) تو اول نبستی که سر چشمه بود | چو سیلاب شد بیس بستان چسود |
| (٣) سخن دو بند ست درجاه دل | بالای کام وز بانن مهـل |
| (٤) مگو آنچه طاقت نداری شنود | که جو کنتته گندم نخواهی درود |
| (٥) مگو آنکه گر بر ملا اوقتسد | وجودی آزان در بلا اوقتسد |

قصة عضد الدولة وابنه

وهي السادسة ، في أحد عشر بيتاً . وتعالج القصة معنى معروفاً من المعاني التي تدور أيضاً حول تربية النفس في موضوع الباب . هو « نجاة الإنسان في حفظ اللسان » . ويتخير لها الشاعر شخصية ملك هو « عضد الدولة البويهبي » ولعله كان يهوى تربية الطيور ، حتى يدخلها الشاعر في القصة .

ويدلف الشاعر للقصة فيجعل ابن « عضد الدولة » أصيب بمرض ، حتى عيل صبر أبيه عليه . ثم يأتي بأحد رجال الطريق ، من الزهاد الورعين ، فيشير على « عضد الدولة » بعلاج ابنه ، ويطلب إليه أن يطلق سراح الطيور ، التي وضعها في أحباسها . فأطلقها كلها إلا بلبلًا كان يغرد تغريداً جميلاً ، احتفظ به حبيسا على باب البستان . وهنا مدخل المغزى للقصة .

— أسرعَ الابنُ صباحاً نحو البستان

فلم يجد سوى ذلك الطائر على طاق الإيوان^(١)

وهنا ينتقل الشاعر إلى المغزى الذي تكلمنا عنه سابقا ، يخاطب الابن الطائر وقد رآه حبيسا في قفصه ، بعد أن انطلق زملاؤه .

— ضحك فائلا أيها البلبل الطيب اللحن !!

إنك بقيت حبيسا في القفص بسبب الحانك^(٢)

— ما دمت لاتغرد ، فإن المرء لا يعبأ بك

فإن نطقت ، كان الكلام دليلا عليك^(٣)

قصة داود الطائي

تقع العاشرة ، في سبعة عشر بيتا ، وعنوانها « فضيلة التستر ، وسلامة الصمت » وتعالج القصة موضوعا اجتماعيا هاما ، يدور حول معنى الباب في تربية النفس ،

(١) پسر صبحدم سسوی بستان شتافت جز آنم رخ بر طاق ایوان نباقت

(٢) بخندید کای بلبل خوش نفس تو از گفتمت خود مانده در قفس

(٣) ندارد کس بانو گفتمت کار ولیکن چو گفتمت دلیلش بیسار

وهو عدم التثمير بالناس ، ووجوب التستر عليهم . ويتخير الشاعر رجلاً من رجال الصوفية ، يعالج هذه الأمراض ، ورجلاً آخر يشارك في حوادثها ، وتتلخص القصة في أن شخصاً ذهب إلى « داود الطائي » فتحدث عن صوفي رآه سكراناً، ولوث القميص بدمائه وقيصه .

— جلس إتيان أمام داود الطائي

فقال إني رأيت فلاناً سقط من السكر .

ولوَّث القميص بدمائه وقيصه

وضربت الكلاب نطاقاً حوله^(١) .

ثم تمضي القصة ، ويمدحها الشاعر شيئاً من وسائل إحكامه ، فيعهد « داود الطائي » إلى ذلك الرجل بإحضاره ، وهنا تظهر الحيلة ، وبراعة الشاعر ، في جعل شخصية « داود » تقتص من ذلك الرجل الذي شنع ، ونقل الخبر . يقول « داود » للرجل . اليوم ينفع الصديق الشفوق .

— انطلق إليه ، وأت به ، من ذلك المكان الشنيع

فانه عار على أهل الطريق ، وخروج على الشرع^(٢) .

وهنا تدير الحيلة في الاقتصاص من الرجل ، فيتردد بين المعارضة في الأمر وبين التنفيذ ، على الصورة التي سيتم عليها حمل السكران ، ثم انتهى الأمر أخيراً إلى الاستجابة .

— تهباً ، وحمله ، مضطراً ، على ظهره

ومضى به ، والناس يشنعون عليهما^(٣) .

وهنا موضع طرافة في القصة — إن الجزء من جنس العمل — جزء من

-
- (١) يسكي پيش داود طائي نشست
في آوده دستار وييرا هنش
(٢) برو زانمقام شنيعنس بيسسار
(٣) ميان بست وبى اختبارش بدوش
- که ديدم فلان صوفي افتاده مست
گروهي سگان حلقه پيرانش
که در شرع نهبت ودر خرقيه عار
در آورد وشهري برو عام جوش

شهرتاً بالناس سرّاً أن يشهر به علناً ، يقول على لسان أحد النظاره ممن رأوها على تلك الحال .

— انظر إلى حال هؤلاء الصوفية

الذين يشربون الخمر، ورهنوا فيها خرقهم الممزقة

— مشيراً بيده إلى هذا ، وذلك

إن ذلك ثمل ، وذا نصف سكران^(١) .

ثم يختتم الشاعر القصة بالغرض منها ، وهو علاج التشهير .

— لأن يضع العدو الحسام على الرقاب ، في ظلم

خير من تشنيع أهل المدينة ، وضجيج العوام

— لانهرق في الحى ، أيها الرفيق كرامتك !!

حتى لا يهرق الدهر في المدينة شرفك^(٢) .

قصة الحجاج

وترتيبها الخامسة عشرة وأبياتها سبعة ، وتعالج القصة معنى من معاني التربية النفسية في الباب ، وهي الغيبة . فانها ليست مباحة ، حتى ولو في ظالم ، واختيار الشخصية في القصة لهذا المعنى ، يعطى لونهاً من براعة الشاعر في المناسبة بين الشخصية والمعنى الذى يعالجه حولها .

فهما يبلغ الانسان من القسوة في المعاملة ، لن يباح للغير أن يصفه — حتى بمافيه — فان ذلك من الغيبة ، وهذه تربية خلقية في أعلى نواحيها .

وتتلخص القصة في أن شخصاً قال عن الحجاج إنه كان سفاكاً ، وكأئماً قد قلبه من ، صخر وتمادى الرجل فدعا الله القصاص منه .

سرق بسيمكى گرو كرده اند
كه آن سرگراست وأن نیم بست
به از شنعت شهر وجوش عوام
كه دهرت نریزد بنهر آبسوی

(١) تو این صوفیان بن كه مى خورده اند
اشارت كنان این و آنرا بسدست
(٢) بگردن به أزجور دستمن حسام
مریز آب روی بسسرادر بگوى

— إنه لا يخشى آلام الناس وعويلهم !!
فخذ يا إلهي !! بحق الناس منه. (١)

ثم ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ، ولكي يضيف إليها شيئاً من الجدة ،
والقسوة، يدخل فيها بعض الشيوخ المعمرين، يقلده دوراً . فيصح الرجل بقوله:

— إن الله يقتص المظلوم منه
وكذا يقتص له ممن يغتابه .

— ليس ظلمه أيضاً مقبولاً عندي
ولكن غيبتك له لا ترضيني .

— إن الآثم يحمل إلى جهنم آثامه معه
فإن عمله قد فاض بالآثام ، وسود كتابه .

ومن يدري ؟ لعل الذي يطعن فيه اغتياًباً
يذهب إلى الجحيم وحده (٢) .

قصة فريدون ووزيره

وتقع الثالثة والعشرين، في خمسة وعشرين بيتاً، تعالج الوشاية، بما يتصل أيضاً
بمعاني التربية النفسية ، فتخير لها الشاعر رجلاً ذا منصب خطير . . تخير لها وزيراً
حكماً مجرباً ، وملكاً حليماً، يزن الأمور ، ويضعها في نصابها، فلا يتسرع في حكمه
ويأخذ الناس بالشدة .

ولكي يجعل الشاعر الوشاية في أمر يخشاه المليك، ينسب إلى الوزير علاقة
مع الجليش ، ويضيف للقصة شيئاً من القوة، فيجعل هذه العلاقة في شبه رشوة تقوم

خدايا تو بسنان أز و داد خلق
بخواهند و آزدیگران کین أو
نه نیز از تو غیبت پسند آسدم
که بجانہ پر کرد و دیوان سسیاه
سادا که تنہا بد وزخ رود

(١) ترسد همی زاه و فرباد خسلو
(٢) کزو داد مظلوم بسکین أو
نه بیداد از او بهره مند آسدم
بد وزخ برد مدبری را گناه
دگر کس بغیب بیتس میدود

على بذل المال لهم ، ثم يؤكد القوة فيها ، فيجعل المال يرد للوزير بعد انتهاء
أجل الملك .

وهنا عقدة القصة. يجعل الواشى هذا التصرف من قبيل مؤامرة الوزير لخيانة
المليك، ثم في تبديد مال الدولة دون مبرر ، وعلى صورة لا ترضيه.

وهنا تبرز حكمة الوزير الموشى في حقه ، وحسن تصرفه ، مع حسن تخلصه
فيجرى الشاعر على لسان الوزير رداً سديداً ، وينتهي الأمر بأن العقوبة ، تدور
على الواشى ، فيبدو حسن التعليل في هذا التصرف .

— قَبَلَ الوزيرُ الأرضَ أمامَ المليكِ
وقال حيث سألتني ، فالحقَّ لا أكتمك.

— إني أريد ، أيها المليك ، الرفيع شأنه
أن يريد الخلقُ لك خيراً مثل الذي أريده.

— فحيث أن طولَ الأجلِ ميعاد العطاء
فانهم - خوفاً مني - يسألون لك طول البقاء^(١).

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى إبراز المعنى المقصود من القصة في علاج الوشاية
وخاتمة الواشى .

— لستُ أرى أكثر من الواشى !!
سيء الطالع ، منكس الرأس .

— وليس من العقل أن تشعل ناراً بين شخصين
ثم إحراق نفسك فيما بين الاثنين^(٢) .

نشابد چو بر سیدی اکنون نهفت
که باشند خلقت همه نیکخواه
بقا بیش خواهندت ازیم من
نگون طالع و بخت برگشته تر
نه عقسلت و خود در میان سوختن

(١) زبین بيش قحنس بوسيد وگفت
چنين خواهم ای نا مور ادشاه
چو مرگت بسود وعده سيم من
(٢) نديدم زغماز سرگشته نسسر
مين دوکس آتش افسروختن

قصه بقراط الحكيم

وتقع الحادية والثلاثين ، في تسعة عشر بيتاً ، وتصلح القصة أن تكون في باب العشق . فهي تعالج أمراً سبق أن عولج في ذلك الباب . هو أن المحبة ينبغي أن تكون المعنى وليست للصورة ، ومن الخير أن يعمل الانسان لما بعد الصور . فالصور زائلة ، والمعاني باقية .

وقد تخير الشاعر للقصة زاهداً من الزهاد ليعطى لها شيئاً من القوة .

— رأى إنسان ، صورة ذات جمال

فصرعته فتنة العشق في التوّ والحال (١) .

ثم يأتي دور بقراط فيظهر في القصة . يجعله الشاعر ماراً على ذلك الرجل ، وهو راكب ، ويسأل ماذا جرى لهذا الرجل ؟؟ ثم يظهر في القصة شخص آخر يجيب بقراط بأن هذا عابد زاهد ، لم يأت قط في حياته .

ويمضي الشاعر في عرض كثير من الصور لبيان مدى زهد الرجل ، وأخيراً

ينتهي إلى المعنى المقصود من القصة ، بما يدور حول معاني العشق .

— ليست هذه الصورة هي التي تسلب القلب

بل الذي صورها ، هو الذي سلب (٢) .

على أن الذي ياتمس للشاعر في وضعها في باب التربية ، أنه قصد من ورائها معنى

خلقياً في تربية النفس . « إن الإنسان في عمله لا ينظر إلى الصورة ولكن إلى المعنى »

— إن المعاني مستترة ، وراء الحروف السوداء

كما يستر المعشوق في خدره ، والقمر في السماء (٣) .

بگرديدش از شورش عشق حال

دل آن ميربايد كه اين نقش بست

چو در برده معشوق و در ميغ ماه

(١) يكي صسورتى ديد صاحب جمال

(٢) نه اين نقش دل مي ربايد زدست

(٣) معانيست در ز بر حرف سسياه

قصص الأنواع :

وهذه القصص ترد متتابعة في الباب ، على الترتيب الذي رأيناه في القائمة ، من القصة الرابعة والعشرين ، إلى التاسعة والعشرين .
وللزوجات منها ثلاث قطع ، وللأولاد قطعتان ، وللعبيد أو الأنباع قطعة واحدة ، ولا نعرض لهذه القصص على النمط الذي نذهب عليه ، فالقصص هنا مقصود منها التربية بالمعنى المعروف ، وليس من وراء القصة غرض يرمى إليه بذاته فيجعل الزوجة أو الولد سيلا إليه ، ولكنها دعوة إلى نوع التربية، التي تلزم لكل من هذه الأنواع .

قصص النساء :

يتردد فيها وصف للمرأة الطيبة ، ووصف للمرأة السيئة، ثم علاج لشئون الزوجة .
ففي القصة الرابعة والعشرين وصف للمرأة الطيبة .
— إذا اجتمع في المرأة جمال ، وطاعة ، وعفاف
فإنها تجعل الفقير سلطانا .
— وإذا كانت طاهرة ، لطيف كلامها
فلا ينبغي أن ينظر ، في حسنها ، وقبحها .
— والمرأة الطيبة ، هي التي تبغى لزوجها الخير
أما السيئة الخلق ، فإلى الله منها المفر^(١) .
أما أوصافه للمرأة السيئة وتصوير حياتها ففي قوله :
— إن تيسر حافي القدمين ، خير من ضيق الخذاء
ونزاع البيت ، خير منه رحيل في عناء^(٢) .

(١) زن خوب فرمان بر بارسیسا
اگر بارسا باشسد وخوش سخن
دلا رام باشسد زن نیکخواه
(٢) تہی ہای رفتن بہ از کفنی تنگ
کند سرد دروینس را پادشہا
نگہ در نکوئی وزشتی مکن
ولیکن زن بد خسدایا شہاہ
بلای سفر بہ کہ در خانہ جنت

— والذي تعيش في منزله امرأة قبيحة^(١) .
 عيد عنده ، هجران منزله
 — واقفل باب السعادة ، والصفاء
 في كل بيت يعلو فيه صوت النساء^(٢) .
 — والمرأة الجاهلة ، التي لا استقامة لها
 تجلب البلاء على نفسها ، وحياتها^(٣) .
 ويظهر أن سعدى كان برماً بالنساء إلى حد بعيد ، فيجري على لسان رَجُلَيْن
 في القصة الخامسة والعشرين ما يفيد هذا المعنى .
 — ما أحسن كلاماً تبادلته رجان !!
 داخت رأسهما من النساء .
 — قال أحدهما ، لا كان للمرء زوجة رديئة !!
 وقال الآخر ، قطعت المرأة نفسها ، من الحياة^(٤) .
 ثم هو يدعو إلى تغير النساء كلما دعت الفرصة في قوله :
 — آتخذ يا صاحبي زوجة جديدة كل ربيع
 فان تقويم العام للماضي ، لن يصلح بعد^(٥) .
 ولكنه في القطعة السادسة والعشرين ، يدعو إلى تحمل الزوجة اللطيفة ، وقضاء مطالبها .
 — حين تجد السعادة من شجرة الورد
 فعليك أن تحمل آلام شوكتها^(٦) .

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) سفر عيد باشد برآن كد خسداى | كه با نوى زشتش بود در سراى |
| (٢) درخري بر سرائى بسسه بند | كه بانك زن ازوى برآ بد بلند |
| (٣) زنى را كه جهلست ونا راستى | بلا برسر خود نه زن راستى |
| (٤) چه نغر آمد اين سخن زآندوتن | كه بودن سر گشند آزدست زن |
| يسكى گفت كرا زن بد سباد | دگر گفت زن درجهان خود سباد |
| (٥) زن نوكن ايدوست هرنو بهسار | كه تقويم پار بن نياسد بكار |
| (٦) چو از گلبنى ديسده باشى خوشى | روا باشد ار بار خارش كشى |

قصص الأولاد :

في القطعة السابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين .
يردد فيهما ألواناً مختلفة ، من العناية بالأولاد ، وحسن الاشراف عليهم ،
ونوع التربية التي تقصد منهم .

— إذا بلغ الابن عشر سنوات من عمره !!
فامنعه من الاختلاط بمحارمه !!^(١) .

— إذا لم تنشئ الابن على علم ورأى
فانك تمضي ، ولن تخلف بعدك إنساناً^(٢) .

— وازجره ، وعلمه ، في الصغر !!
وعده ، وتوعده ، بالخير ، والشر^(٣) .

— وعلمه في اليد حرفه
حتى ولو كان مثل قارون في ثروة
— فكيس المال ذهباً ، وفضة
ينفذ ولا ينفذ كيس الحرفة .

فان كانت له صناعة في يده
أنتي له أن يمد يده محتاجاً إلي غيره^(٤) ؟؟ .

وفي القطعة الثامنة والعشرين ، يعرض لعلاج أمر يتصل بهم ، ويبدو ذلك
من عنوانها «مقال في التعفف عن حسنى الوجوه» .

ففيها دعوة إلى صيانة الأبناء من خلطاء السوء ، خوفاً من التأثير على أخلاقهم

- | | |
|--------------------------------|---------------------------|
| (١) بسر چون ز ده برگذشتن سنين | ز نامجرمان كو فراتر نسين |
| (٢) چو فرهنگ وراست نباشند بسی | بمهری واز تو نمساند کسی |
| (٣) بخردی درس زجر وتعليم کن | بنیک وبدش وعسده ویم کن |
| (٤) بیا موزد پرورده را دستترنج | وگردست داری چو قارون بکنج |
| پایان رسد کیسه سیم وزر | نگردد تپی کیسه پدیشه ور |
| چو بر پیشه باشد ش دسترس | کجا دست حاجت برد پینس کس |

والتربية في هذا ، لا تنصب على الابن وحده ، ولكنه يرد الناس — عامة — عن
الوقوع في هذا الشر في قوله :

— يهدمك الفاتن ، الذي تقع في حبه —
فاذهب ، واجعل بيتك عامراً بزوجتك !!
— ولا تظن بعين السوء إلى أبناء غيرك
فله — نفس الشر ، يحيط بأبنائك^(١) .

قصص الأتباع :

وهي في القصة التاسعة والعشرين :

— إذا كنت تـرـبـيـّ تـابـعـاً لـك
جنيت ثماره ، إذ نشأته على هيبتك .
ولتقل باب الشهوة على نفسك
فان كنت عاشقاً ، فاحتمل الأذى ، واعصب رأسك^(٢)

الرؤفط العامة في باب التربية

: قصد الشاعر من إقامة هذا الباب ، هو تقويم الأخلاق ، وفيه دعوة عامة إلى
علاج كثير من الأمراض الاجتماعية ، التي تنفث في كل بيئة ، وقد ألمنا سابقاً
ببعض هذه الأمراض وعلاجها ، في تحليلنا القصص الشخصية .
ولم يهمل الشاعر أمر أنواع بذاتها ، قصد إلى علاج أمورها قصداً ، وهذه الأنواع

-
- (١) خرابت كند شاهد خانه كن
سكن بدو بفرزند سردم نگاه
- (٢) چو تر بنسده را همی پروری
در شهوت نفس کافسر ببند
- برو خانه آباد گردان بسزن
که فرزند خوبشت بر آسند تباه
- بهبیت بر آرض کزو بر خوری
وگر عاشقی لت خوروسر ببند

تنحصر - كما رأينا - في الابن ، والزوجة ، والتابع ، وقد نادى الشاعر بأرائه في تربيتهم وتقويمهم .

والشاعر قد استهل هذا الباب عامة ، بقصده من أنواع التربية التي يقصدها ، وذلك في مطلع القطعة الأولى .

— الكلام هنا ، في الصلاح ، والتدبير ، وحسن الطباع
وليس في الفروسية ، والميدان ، واللعب بالصولجان^(١) .

ولا يفهم من تلك الدعوة ، أن غير هذه الأشياء ، ليس مرغوبا في تعليمها ، ولكن متى اجتمع للمرء تربية قويمة ، فنشئ على حب الخير ، وصلاح نفسه وحسن التدبير لأمواره ، ورقة الطباع في معاملة الغير ، فإنه بمجموع كل هذه الصفات الحميدة ، يكون قد أعد نفسه لمواجهة كل شيء في الحياة - مهما كان - والشاعر كما يبدو في هذا البيت ، وفي مجموع القصص التي عرضها في الباب ، يدعو إلى نوعين من التربية هما .

١ - التربية العقلية . ٢ - التربية الخلقية .

التربية العقلية :

وتبدو في كثير من أقواله ، نأخذ منها قوله :

— إن وجودك ، مدينة ملؤها الخير والشر
وأنت سلطانها ، ووزيرها هو العقل المدبر^(٢) .

— إنك تقيم مع عدوك ، هي نفسك
فكيف تفكر ، في قتال الأجنبي عنك ؟

— إن الذين ردوا عنان النفس عن الحرام
قد سبقوا في البطولة «رستم وسام»^(٣) .

- (١) سخن در صلاحست و تدبير و خوى نه در آسپ و بيدان و چوگان و گوى و
(٢) وجود تو شهرست يرنيك و بسند تو سلطان و دسور دانا خرد ق
(٣) تو با دشمن نفس همخانست چه در بسند يگار يگانه
عنان باز بيان نفس از حرام بمردي ز رستم گندا شنند و سام و

— والعامل في الحياة هو في نظري
من انصرف إلى تقويم نفسه وشغل بها عن العالم^(١).

التربية الخلقية :

وقد عرض الشاعر في هذا الباب إلى علاج كثير من الأمراض الاجتماعية ،
تجتمع كلها حول هذا المعنى « تقويم الانسان في تقويم اللسان » .
إذ يعرض الشاعر إلى علاج أمور كلها تتصل بتقويم اللسان ، كحفظ السر ،
وتجنب الوشاية ، ومحاربة الغيبة .

— إن الكلام شيطان مصفد في طوايا الخنان
فلا تتركه يجاوز الحلق واللسان^(٢) .

— ولا ينبغي للمرء أن يتسرع فيكشف عن طواياه
فمن الممكن أن يكشفها متى عنَّ له

— فحين يظهر المرء أسراره
يكن إخفاؤها مرة أخرى^(٣) .

وأما نداؤه إلى تجنب الوشاية ومحاربتها في قوله

— لماذا ينقل الاسنان كلاماً في الخفاء
لو أفساه ، لاصفر وجهه خجلاً وحياء^(٤) .

— والخصومه بين اثنين كالنار
والواشي التعس بينهما ، مثل ملقى المشيم^(٥) .

- | | | | |
|---|----------------------------|------------------------------|------|
| ١ | كسبى بیش من در جهان عاقلست | که سبغول خود و ز جهان غافلست | ق ١٩ |
| ٢ | سخن دیو بندست در جاه دل | بیالای کام وز بانس مهل | ق ٣ |
| ٣ | ضمیر دل خویش سنای زود | که هر گه که خواهی توانی نمود | |
| | ولیکن چو پیدا شود راز مهر | بکوشش نشاید نسان باز کرد | ق ٤ |
| ٤ | چرا گوید آنچه در خفیه مسرد | که گرفاش گرددشوی روی زرد | ق ٢ |
| ٥ | مان دوتن جنگ چون آتشت | سخن چین بد بخت هیزم کشس | ق ٢٢ |

- والذين ينقلون أسرار العدو
إنما هم أكثر عداوة من العدو^(١).
- وأما محاربته للغمية ففي قوله:
- ليس أسوأ ممن يغتاب الناس
فهو سيء الطالع ، مدبر الحظ ، منكس الرأس^(٢).
- ولن ينقل كلام العدو ، إلى صديق له
إلا من يكون مشاركاً له في العداوة^(٣).
- وماذا يريد ذلك الأحق من وراء الغيبة؟؟
إنه لم يصب شيئاً ، وقد سود كتابه^(٤).
- وإذا كان الحسد لا يعجبك من صديق
فمن أين علمت أن الغيبة تُرضى؟؟
- إن كان الحسود قد مضى خسيساً إلى النار
فأنت أيها المغتاب !! لاحق له من طريق آخر^(٥).

- (١) کسانی که پیغام دشمن برنهند
ندیدم زغماز سرگشته تفسر
- (٢) کسی فول دشمن نیارد بدوست
چه می خواهد از غیبت آن ساده برد
- (٣) چه معلوم کردت که غیبت نکوست
ازین راه دیگر نو دروی رسی
- (٤) ز دشمن همانا که دشمن تر نند
نگون طالع و بخت بر گشبه تر
- (٥) جز آنکس که در دشمنی یار اوست
که دیوان سپه کرد و چیزی نخورد

۸ - باب السكر

المطلع	عامه	عن شخصية	عن سعدی	عدد الأبيات	رقم المطلع	رقم ق
نفس می نیارم زد از شکر دوست			سعدی	۲۶	۱	۱
جوانی سر از رای مادر بتافت	عامه			۱۱	۲۷	۲
به بین تايك اُنكشت از چند بند	»			۱۷	۳۸	۳
ملك زاده زاسپ اُد هم فتاد	»			۱۱	۵۰	۴
يكي گوش كودك بماليد سخت	»			۵	۶۶	۵
تنب از بهر آسایش تست و روز	»			۱۷	۷۱	۶
ندانند کسی قدر روز خوشی	»			۱۱	۸۸	۷
شنیدم که طغرل شبی در خزان		طغرل		۱۹	۹۹	۸
يكي راعسس دست بريسته بود	»			۵	۱۱۸	۹
برهنه تنی يك درم وام كُرد	»			۴	۱۲۳	۱۰
يكي كرد بر يارسائی گذر	»			۴	۱۲۷	۱۱
ز ره باز پس مانده می گریست	»			۳	۱۳۱	۱۲
فقیهی بر افتاده مستی گذشت	»			۱۸	۱۳۴	۱۳
نگرنا قضا از کجا سیر کرد	»			۴	۱۴۲	۱۴
يكي گرز يولاد بر مغز خورد	»			۱۴	۱۴۶	۱۵
نخست او ارادت بدل بر نهاد	»			۱۴	۱۶۰	۱۶
بتي دیدم از عاج در سومنات			سعدی	۹۹	۱۷۴	۱۷
	۱۴ = ۱۷	+ ۱	+ ۲		۲۷۳	

* * *

قصص باب السكر

تبلغ قصص هذا الباب سبع عشرة قصة ، في مائتين وثلاثة وسبعين بيتاً ،
تتوزع كالآتي :

- ۱ - قصتان عن سعدی .
- ۲ - قصة عن طغرل .
- ۳ - أربع عشرة قصة من القصص العامة .

قصه طغرل :

وتقع الثامنة في الباب ، في تسعة عشر بيتاً . وتعالج القصة عدم العناية بالرعية وعنوانها « سلطان طغرل باهندوى باسيان » ومعناه «السلطان طغرل والحارس الهندي » والقصة من هذه الناحية تصلح أن تكون في باب العدل ، والشاعر يروي هذه القصة سماعا ، وملخصها أنه سمع أن «طغرل» مرّ ذات ليلة في الخريف على حارس هندي ، وكان المسكين يرتجف كما يرتجف نجم سهيل ، فان الشالج ، والمطر ، والسيول ، كانت تتساقط عليه .

ويشير الشاعر إلى أن السلطان قد مر به عرضاً ، فوجده على تلك الحال ، ورغب أن يعطيه بعض ما عليه من فراء ، ليتقي به هذا الزمهير ، لكنه أمهله لحظة ، حتى ينتهي إلى قصره ، فیرسلها له مع خادمه إذا ما بلغ ، ولكن المليك انصرف إلى شؤنه ، وشغل عن حارسه . والشاعر يختم القصة ، بالدعوة العامة إلى العناية بالمنكوبين ، والبؤساء ، الذين يحتاجون إلى المساعدة .

— سيدى ! أمسك الزورق على الماء !

فان المساكين قد جاوز الماء رؤوسهم .

— مهلاً ! أيها الشباب الخفاف

ففي القافلة ، شيوخ ضعاف (١) .

وهو ينادى في آخر القصة بما يلائم وضعها في باب الشكر .

— إنك — نائم مستريحاً — في هودج القافلة

لكن مقود الجمل في يد الجمال

— إن النائم في بيوتهم مع من يحبون

ما يدر بهم بحال الجائعين ؟؟ (٢) .

(١) بدار ای خداوند زورق بر آب

توقف کنبد ای جوانان جست

(٢) توخو تنبخته در هودج کاروان

به آرام دل خفتگان در بنه

که بیچارگان را گدشت از سراب

که در کاروانند پیران سست

سهارشنر در کف سساروان

چه دانند حال شکم گرسنه

الرفق العام في باب الشكر

كثير من أفكار هذا الباب، ليست خاصة بالشكر وحده، بل بعض قصصه - كذلك - يمكن أن تشارك في علاج أمور من أبواب أخرى، كما رأينا في قصة السلطان طغرل .

ومن القصص التي تناسب باب الإحسان القصة السابعة، وعنوانها « مقال في النظر في حال البؤساء وشكر نعم الله تعالى ». ومن معانيها التي تناسب هذا الباب قوله :

— وماذا يعرف قوم « جيحون » من فضل الماء ؟؟

اسأل عنه قوماً في حرقة الشمس ومتاهة الصحراء (١).

— وكيف تمس الليل، المظلم، الطويل

وأنت تتقلب من جانب إلى آخر في نعمة ودلال (٢).

— والسيد يستيقظ على أنغام الطبول

فكيف يدرى ليلة الحارس على أية حال (٣) !؟

ولكن لعل الشاعر لاحظ في وضعه لها في هذا الباب، انه رأى أن النعمة التي يتقلب فيها العظيم، موجبة للشكر على ما أولاه الله من نعم، فهي من تلك الناحية صالحة للباب .

ومما يصلح لباب الرضا القطعة الرابعة عشرة، وهي في بيان ان الانسان ينبغي أن يقنع بما كتب له . وتدور القصة حول الإيمان بالقضاء والقدر، وعنوان القطعة نفسه يشير إلى هذا المعنى « حكاية في نظر أصحاب القلوب في الله تعالى لافي الأسباب » والقطعة تبلغ أربعة أبيات .

- (١) چه دانند جيحونيان فسدرا آب ؟
روا مانند گمان برس در آفتاب
(٢) ترا تيره نسب كه نماید دراز
كه خلطی ز پهلو پهلو نواز
(٣) بیا ننگ دهل حواجه بیدار گشت
چه اندر نسب پاسبان چون گنشت

— تأمل !! ترى القضاء من أين يسير؟؟

فإنه عمى أن تعتمد على الغير (١).

والقطعة السادسة عشرة، تصلح لأن تكون في نفس هذا الباب فهي في معنى « الجبر والاختيار » وعنوانها يشير إلى ذلك «مقال في سابق حكم الأزل والتوفيق إلى الخير» ويتردد في القصة كلها هذا المعنى :

— إذا لم يكن الحق تعالى هو الموفق للخير
فأني يأتي الخير من العبد إلى الغير (٢)؟؟.

والقطعة الثامنة عشرة، تصلح لأن تكون في باب التربية، ومغزاها « ألا يسخر الانسان بما كتبه الله على الغير » ونفس المطع يشير إلى هذا المعنى :

— سرّ فقيه على ثمل ملقى على الثرى
فاغتر حين رأى نفسه مستورا (٣).

ولكن - مع هذا - يمكن أن نستخرج الأفكار العامة في الباب من قصصه كلها، وهذه الأفكار تدور حول الشكر لله، وموجبات هذا الشكر .

فالشكر لله على أنه الخلاق، وتفضيله الانسان على جميع مخلوقاته، وشكره على معونته، ومساعدته، وعلى نعمه المختلفة .

— إنه المبدع، الذي خلق من الطين الإنسان

ووهب له الروح، والعقل، والفكر، والجنان

— تأمل !! كم من النعم أعطاك !!

منذ صورك في صلب أبيك، حتى مشيتك (٤).

-
- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| (١) نگر تا قضا از کجا سیر درد | که کوری بود تکیه بر غیر کرد |
| (٢) مگر از حق ند بوفیق خیری رسد | که از بنده خبری بغیری رسد؟ |
| (٣) فقهی بر افتاده مستی گذشت | بمستوری خویش مغرور گشت |
| (٤) بدیعی که شخص آفریند ز گیل | روان و خرد بختند و هوش و دل |
| ز بشت یدر تا بسابان نیب | نگر تاچه تشریف دادت ز غیب قی |

— إن البهائم تمضى ، على وجوهها ذلة
وأنت تعلق قدميك ، كالألف في استقامة
— فلا يليق بك وقد منحك السيادة
أن تمخى رأسك ، إلا في شكره ، وطاعته (١) .
— إن الله منحك عيناً ، وفماً ، وأذنا
فلا تعصه ! إن كنت عاقلاً ! (٢) .
— فلست تمضى — وحدك — قدماً واحدة
بل تدرئك للمعونة من الغيب كل لحظة (٣) .
— ولا تلو عنقك عن شكر النعم عليك
فإنك ستنتهي إلى اليوم الآخر ولا شيء يعينك (٤) .
— إن عملاء الطباع الذين يعترفون بالنعمة
هم الذين يحيكون النعمة بأبر الشكر (٥) .
— إلهي ! إن قلبي قد تحطم ، وعيني قد قرحت
فأنى أرى نعمك أكثر مما يقال ، مهما وصفت
— لست أقول إن البهائم ، والسباع ، والنمل ، والسمك
بل أقول إن فوج الملائكة ، على أوج الفلك
— لا يزالون كاهم يذكرون القليل ثناء عليك
لا ! بل قالوا واحداً من آلاف جديرة بك (٦) .

- | | |
|---|---|
| (١) بهائم برو اندر افاده خسوار
نزیبند ترا باچنسیین سروری | تو همچون ألف بر قدمها سوار
که سر جز بطاعت فرو داوری ف ٣ |
| (٢) ترا آنکه چشم ودهان داد وگوش | اگر عاقلی در خلافت مسکوش ف ٣ |
| (٣) تو قائم بخسود نیستی يك قدم | زغیبت مدد بیرسسد دم بدم ف ١ |
| (٤) مکن گردن از شکر منعم سپیح | که روز یسین سر بر آری بهیج ف ٤ |
| (٥) خوردمند طبعان منت شناس | بدوزند نعمت بمخ سسپاس ف ٣ |
| (٦) خدایا دم خون شسد و دیده ریش
نگویم دد ودام و سوار و سمک
هنوزت سپاس اند کی گفنه انس | که می بینم انعامت از گفنت بیتش
که فوج ملایک بر أوج فلك
ز چند بن هزاران یکی گفنه اند ف ٦ |

۹ - باب التوبة

المطلع	عامه	عن شخصية تاريخية	قصة عن سعدی	عدد الآيات	رقم المطلع	رقم ق
بیا ای که عمرت بهفتاد رفت	عامه			۱۰	۱	۱
شبی در جسوانی وطیب نعم	»		سعدی	۲۶	۱۱	۲
کهن سالی آمد بنزد طبیب	»			۱۷	۳۷	۳
جوانا ره طاعت امروز گیر	»			۱۱	۵۴	۴
شسی خوام اندر بیابان فید	»		سعدی	۲۶	۶۵	۵
قطبا زنده را رگ جان برید	»			۱۵	۹۱	۶
فرو رفت جم را یکی نازنین	»	چشمید		۷	۱۰۶	۷
بکی پارسا سیرت حق پرست	»			۲۱	۱۱۳	۸
میان دوتن دشمنی بود وجتک	»			۲۲	۱۳۴	۹
زدم تیشه یک روز بریل خاک	»		سعدی	۲	۱۵۶	۱۰
شی گفته یودم بعزم سفر	»		سعدی	۷	۱۵۸	۱۱
خبر داری ای استخوانی قفس	»			۱۴	۱۶۵	۱۲
زعهسد در یاد دارم همی	»		سعدی	۱۷	۱۷۹	۱۳
یکی بچه گرگ می پرورید	»			۱۳	۱۹۶	۱۴
یکی برد بر پادشاه ستیز	»			۱۶	۲۰۹	۱۵
یکی مال مردم بتلیس خسو رد	»			۱۴	۲۱۵	۱۶
گل آلوده راه مسجد گرفت	»			۱۳	۲۲۹	۱۷
همی بادم آمد زعهسد صغر	»		سعدی	۱۶	۲۴۲	۱۸
بکی غله سر دادمه تسوده کرد	»			۱۱	۲۵۸	۱۹
یکی متفق بسود بر منکسری	»			۶	۲۶۹	۲۰
زلیخا چوگشت ازنی عشق مست	»	یوسف وزلیخا		۱۲	۲۷۵	۲۱
بلیدی کند گربه بر جای باک	»			۹	۲۸۷	۲۲
غریب آدمم در سواد حبش	»		سعدی	۱۲	۲۹۶	۲۳
یکی را بچوگان شه دا بغان	»			۱۰	۳۰۸	۲۴
بصنعا درم طفلی اندر گذشت	»		سعدی	۱۲	۳۱۸	۲۵
	۲۵ =	۱۵	+ ۲	+ ۸	۳۴۱	

قصص باب التوبة

تبلغ قصص هذا الباب خمس وعشرون قصة ، في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً
تتوزع كالاتي : —

١ — ثمانى قصص عن سعدى .

٢ — قصتان عن شخصيات تاريخية .

٣ — خمس عشرة قصة عامة .

قصة جمشيد :

وتقع السابعة ، في سبعة أبيات ، وقد أسند الشاعر حوادثها إلى « جمشيد »
ليلقي على لسانه عبرة خلال القرون الماضية على أن الحياة لا دوام لها ، ولا بد أن
يحل دور الرحيل على من يقع عليه ، مهما كان عزيزاً ، يقول في المطلع :

— مات لجمشيد ولد جميل
فكفنه في الحرير ، كما تلتف دودة القز^(١) .

ويمضى الشاعر إلى مرمى القصة ، فيجعل « جمشيد » يدخل القبر بعد مدة
ليكشف عن ابنه ، فيكيه بحرقه ، وضراعة ، فلما رأى الكفن قد أصابه البلى ، فكر
في نفسه فائتلا :

— إني كنت قد نزعت — من الدود — هذا الحرير
فنزعه منه — نانية — دود القبر^(٢) .

وهنا مغزى القصة ، واستخلاص العبرة منها ، في تصوير نقلاب الحياة الدنيا
وزوالها . ثم يحتم القصة بما يؤيد هذا المعنى :

(١) فسرو رفت جم را يسكى نازنين
(٢) سن از كرم بركنده بودم بزور
كفن كرد چون كرسش أبريشمين
بكنندند أزوباز كرمان گور

— وأسفًا!!! إن الزمان — كثيراً — ما يُنبِتُ الرودَ لنا
ومتى حل الربيع ، تفتح ، لكن في غير وجودنا (١) .

قصة يوسف وزليخا :

وهي الحادية والعشرون في الباب، في إثني عشر بيتاً، وتدور حول قصة «يوسف وزليخا» في الكتب الدينية، ولكن الشاعر يرمى بها إلى غرض آخر هو دعوة إلى ترك اللذائذ العاجلة، والاستغفار بما وقع الانسان فيه من آثام، قبل فوات الأوان.
فاختيار الشخصية مناسب للقصة ، من حيث التوبة، وطلب الاستغفار، وقد تصلح لأن تكون في باب العشق الروحي، وخشية الله، إذا نُظر إليها من وجهة موقف «يوسف» ومطلع القصة :

— حين ثملت زليخا من خمرة العشق
هَمَّت بيوسف، وأمسكت بيدها أطرافه (٢) .

ثم يفرق الشاعر بين عبادة يوسف وعبادة زليخا، فهي تعبد صنماً، وهو يعبد الله،
ويتخذ الشاعر من وضع الصنم في القصة ، مدخلا إلى الغرض ، فيجعل زليخا
تستره حين همت بيوسف :

— أَخَفَّت في تلك اللحظة ، وجهه ، ورأسه
حتى لا يرى أعمالها القبيحة (٣) .

وماذا كان موقف يوسف؟؟

— إنك تحجلين من وجه حجر، أنت له من العابدين!!
ألستُ أخجلُ أنا، من رب الطاهرين؟؟ (٤) .

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) دريغا كه بی ما بسی روزگار | بروید گل و بشکفت نو بهسار |
| (٢) زلیخا چو گشت از بی عشق سست | بدامان یوسف در آویخت دست |
| (٣) در آن لحظه رویش بپوشید و سر | سبادا که زشت آیدتس در نظرسر |
| (٤) تو در روی سنگی ندی شرسناک | سرا شرم باد از خداوند پاک |

ثم يحتّم الشاعر القصة بالتوبة والاستغفار ، بما يلائم أغراض الباب ،
ومرى القصة :

— اطلب اليوم الاستغفار ، وجدّ في طلبه !!
ففي الغد لن يبقى لك مجال للكلام (١).

الأفكار العامة في باب التوبة

يتردد في هذا الباب ، كثير من الأفكار التي ندور حول الحياة الدنيا وقصرها
ولا بد للعاقل أن ينتهز فرصتها للعمل الصالح . فمن أساء فليتب ، ويستغفر ،
فإن باب التوبة مفتوح ، ولن يرد الله لاجئاً إليه .

ويمكن تلخيص الأفكار العامة فيما يأتي : —

١ — تصوير للحياة الدنيا . ٢ — دعوة إلى العمل الصالح .

٣ — التوبة والاعتذار عن العمل السيء .

١ — تصوير الحياة الدنيا :

الحياة دورة يحل فيها قوم محل آخرين .

— كثيراً ما أقت مكان غيرك !!

وسياتي غيرك ، ليحل مكانك (٢) .

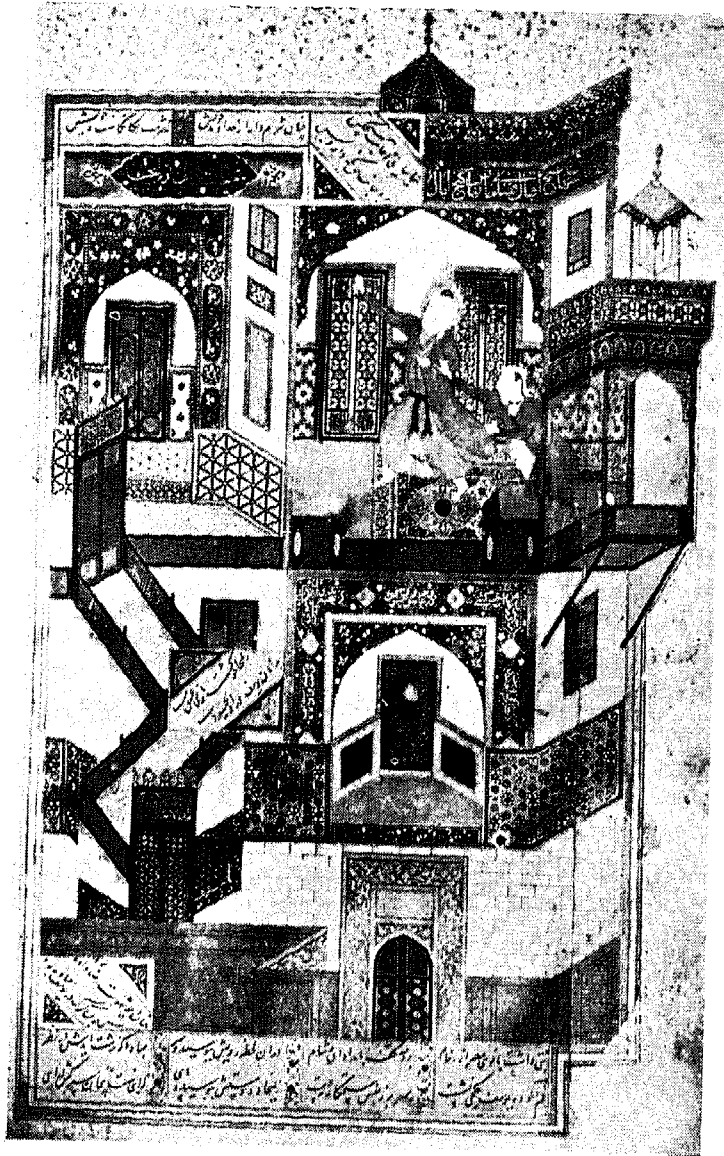
— ولقد مررنا متمتعين — بالهوى — والأمانى

على قبور كثير من الأنعام

— وسياتي — من عالم الغيب — غيرنا

ويمرون ، بعد الموت ، على قبورنا (٣) .

(١) بعدر آوری خواهش بروز کن
(٢) نشستی بجای دگر کس بسی
(٣) تفرج کنان در هسوا وهوس
کسانی که دیگر بغیب آندرنسد
که فسردا نمائد مجال سخن
نشیند بجای نو دبگر کسی ف
گذ سنیم بسر خاک بسیار کس
بیا یند وبسسر خاک ما بگذرنند ف



صورة « يوسف وزليخا » وفي أعلى الصورة وأسفلها آيات
من القصة . عن النسخة الخطية ص ٥٢ بدار الكتب

وتراب القبور تتمد منه كَبِنَاتٍ لِقُبُورِ الْأَخْرِيِّينَ :
 — لماذا تربط - بهذه اللبنة الذهبية - قلبك
 فعسى أن يصنعوا كَبِنًا - يوماً ما - من ترابك (١)
 والتراب كثيراً ما طوى أجساماً وحواس :
 — تخفف الضرب إن كنت شفوفاً !!
 فإنَّ هنا عيناً، وأذناً، ووجهاً، ورأساً (٢).
 والحياة لحظة :

— إنتهز فرصتك في الحياة ، فإنها لحظة
 واللحظة - لدى العاقل - خير من الحياة (٣).
 والفرصة عزيزة ، والوقت سيف :
 — لا ينبغي ضياع العمر سدى
 فإنَّ الفرصة عزيزة ، والوقت سيف (٤).

٢ - الدعوة الى العمل الصالح :

— ينبغي - الآن - أن تحسب للعمل كل حساب
 وليس في الوقت الذي ينشر فيه الكتاب (٥).
 — واجتهد الآن ، فإن الماء جاوز وسطك
 ولا تركنّه ، حتى يصير سيلاً فيجتاز رأسك (٦).

- | | | | | |
|----|---|-----------------------------|---|----------------------------|
| ٨ | ف | كه بكر وز خستى كئندأز گمات | ١ | چه ندى درين خست زرين دلت |
| ١٠ | ف | كه چنم وينا گوش ورويست وسر | ٢ | كه زهار اگر مردى آهسته نو |
| ١٢ | ق | دمى يمشى دانا به از عالميست | ٣ | نگه دار فرصت كه عالم دميست |
| ٥ | ف | كه فرصت عريزست والوقت سيف | ٤ | مكن عمر ضايح بأفسوس وحبف |
| ٢٢ | ف | نه وقتى كه منثور گردد كمام | ٥ | كنون كرد بايد عمل را حساب |
| ٥ | ف | نه وقتى كه سلاب أزر گدست | ٦ | كنون كوش كاب از كردر گدشت |

- وإذا أفلتت من يدك خمسون عاما
فاغتفم ، الأيام الخمسة ، الباقية (١)
- ومن بذر الشعير ، وقت الربيع
كيف يجنى القمح وقت الحصاد (٢) ؟
- والآن - إذا اجتهدت - وقت البذر
وكنت ترجو الأمل بطيب الثمر (٣) .
- وإذا مضى العمر - هباء - في الشر
فأنت كمن أشعل النار في البيدر (٤) .
- ولا تذهب - يوم القيامة - ضيق ذات اليد
فلا وجه لأن تقعد متحسرا (٥) .
- وبوم القيامة حين تعقد سوق الجنة
توزع الدرجات وفق طيب الأعمال
- وتكسب البضاعة بقدر العمل
فإن كنت مفلساً ، فتحمل الخجل (٦)
- والذي يكسب الجنة ، هو من قدم الطاعة
ومن قدم المال ، تناول البضاعة (٧) .

-
- (١) چو نگاه سالت برون شد زدست
غنیمت شعر پنجروزه که هست ق ١
- (٢) بسکی در بهاران بیفشان جسو
که گندم ستاند بوقت درو ق ٥
- (٣) کنون وقت تخمس اگر پروری
گرآبید داری که خرمن بسری ق ٥
- (٤) اگر از دست بند عمرت اندر بدی
تو آنی که در خرمن آتش زدی ق ١٥
- (٥) بنهر قیامت مرو نت دس
که وجهی ندارد بحسرت نشست ق ٥
- (٦) ویاس که بازار مینو نهنسد
سنازل باعمال نیکو دهنسد
بضاعت بچندانکه آری بسری
وگر مفلسی شرمساری بری ق ١
- (٧) بهشت آن ستاند که طاعت برد
کرا نقله بایسد بضاعت برد ق ١٧

۳ - التوبة والاعتذار عن العمل السييء :

- إذا أدرك المسيء نفسه قبل يوم القيامة ، لم تحسب إساءته (١) .
- ولا تقل إن طائر الدولة ، قد انفلت من القيد فإن طرف الجبل لا يزال باليد (٢) .
- وإن جاوزت الحد سيئاتك كنت ظافراً إذا اعترفت بذنبك (٣) .
- وإذا كنت عاقلاً ، فاسأل الله ليلاً أن يعفو عما جنت يداك في النهار (٤) .
- وابحث عن صلح ، واتخذ طريقاً لك واقصد شنيعاً ، واعتذر عما قدمت يداك (٥) .
- وإذا كنت لا تزال ترجو الصلح ، فلا خوف فإن الكريم لا يعلق الباب ، على التائبين (٦) .
- واقبل !! ما دمت ترى باب الصلح مفتوحاً فلعلَّ باب التوبة ، يعلق لجأة عليك (٧) .
- والنبي الكريم ، هو من ترجى شفاعته لمن تبعه ، وسلك طريق شريعته (٨) .

- | | | |
|------|------------------------------|---------------------------------|
| ق ٢٢ | که پیش از قیامت غم خود بخورد | (١) کسی گرچه بد کرد هم بد نکرد |
| ق ١٧ | هنوزش سر رشته داری بدست | (٢) سگو مرغ دولت ز قیدم بچست |
| ق ١٦ | چو گفتی که بد رفت نیک آمدی | (٣) وگر رفت از اندازه بیرون بدی |
| ق ٢٤ | شب توبه تقصیر روز گناه | (٤) آزر هو شمندی زداور بخسواد |
| ق ١٦ | شفیعی برانگیز وعذری بگوی | (٥) طریقی بدست آر وصلحی بجوی |
| ق ٢٤ | در عذر خواهان نبندد کریم | (٦) هنوز از سر صلح داری چه بهم |
| | که ناگه در توبه گردد فرار | (٧) فسرا شو چو بنی در صلح باز |
| ق ١٦ | که بر جاده شرع پیغمبرست | (٨) پیمبر کسی را سعادت گریست |

١٠ - باب المناجاة

المطلع	عامة	عن شخصية	قصة عن سعدى	عدد الأبيات	رقم المطلع	رقم قى
بياتا بر آريم دستى زدل			سعدى	١٩	١	١
تم مى بلرزد چسوياد آورم			سعدى	٣١	٢٠	٢
سيه جرده را كسى زشت خواند	عامة			٧	٥١	٣
چه خوش گفتم درويش كوتاه دست	»			٧	٥٨	٤
مغى در بروى أزجهان بسته بود		مجوسى		١٨	٦٥	٥
شنيدم كه ستى زتاب نبيذ		سكران		٢٩	٨٣	٦
	٦	٢	+	٢	+	١١٢

* * *

قصص باب المناجاة

تبلغ قصص الباب ست ، تتوزع كالتى :-

١ - قصتان عن سعدى .

٢ - قصتان عن مجوسى ، وسكران .

٣ - قصتان عامتان .

قصة المجوسى :

وهذه نوع من القصص المعروفة بموصوفها لا بشخصها ، فلم يتعين فيها اسم لشخص بعينه ، ولكنه يعين فيها بصفته ، وهذا الاختيار مناسب لباب المناجاة نفسه .

وتقع القصة الخامسة فى الترتيب ، فى ثمانية عشر بيتاً ، وتدلى على انتباهة

لطيفة من الشاعر ، فهي ترمي في مضمونها . أنه مها اختلفت العبادة — ولو كانت في أصنام — فإن توجه العابد إلى الخالق ، وتوسل إليه ، لن يردّه خائباً عن مغفرته .

والشاعر يدير القصة إدارة محكمة . فهذا عابد مجوسى ، اعتكف على عبادة صنمه سنين طويلة ، وأقل الباب على نفسه ليخلص لعبادته ، وبعد بضع سنوات عرضت له مشكلة مستعصية ، فجئى المسكين على قدمى الصنم ، يرجو الخير فى أرض الدير . وناجى الرجل صنمه كثيراً ، وأمضى فى هذا السبيل مدة طويلة ولكن حاجاته لم تنقض .

وهنا يهيبء الشاعر الفرصة للانتقال إلى المعنى المقصود .

— نار عليهم ، قائلًا يا معقل الضلال !
لقد عبدتك سنين ، طويلة ، بالإثم والباطل
فأقض حاجتى التى أنشدها !
وإلا !! فانى أسأل الخالق قضاءها (١) .

وتبلغ مهارة الشاعر فى التوفيق ، فيجعل هذا الاتجاه سبيلًا لقضاء الله حاجته ، حتى يكون هناك فارق بين الخالق ، وبين الصنم .
بينما لا يزال وجهه ملوثًا بالتراب ، أمام صنمه
إذ قضى الله تعالى ، قصده ، ومراده (٢) .

ولكى يعطى الشاعر للقصة شيئاً من الجدة والقوة ، يدخل فيها شخصيات جديدة .

(١) بر آشفتم نای پای بند ضلال
مهمی که در بیس دارم بر آر
بباطل پرستید مت چند سسال
وگرنه بخواهسم ز پروردگار
(٢) هنوز از بت آلوده رویش بخاک
که کاشش بر آورد یزدان یاک

— تَحْيِيرٌ — في الأمر — عارف للحقائق
وتكدر وقته الصافي، وحل به الضيق^(١).

— وقال إن ضالاً، من عبّاد الباطل والنار
لم يزل دماغه ثملاً من خمرة الخمار

— ولم يغسل قلبه من الكفر، ولا يده من الخيانة
قضى الله مقصوده، وأجاب مراده^(٢).

ثم يعرض الشاعر للرد، والتخلص من المأزق، بأمر جدير بالملاحظة،
— خاض فكر المعترض في هذه المشكلة
حتى جاءت رسالة إلى اذن قلبه

— إن الشيخ الناقص العقل أفاض في القول
أمام الصنم، ولم يجد لكلامه أذنى قبول^(٣).

وهنا يعرض الشاعر بهذا العابد الذي يعكف على عبادة الصنم، ويجعله ناقص
العقل، كما يجعل الصنم لا تدرك شيئاً من معنى التوسلات، وبهذا ينتقل إلى المغزى من
وضع القصة، ومن اختيارها لتعالج فكرة صادقة حول قبول التوبة فيمضي في الكلام:

— إذا رُدَّ لاجيء — أيضاً — عن بابنا
فما الفرق إذاً! بين الصنم وبيننا^(٤)؟
محال! إذا وضعت رأسك على أعتابه
أن تُردَّ يدك خالية دون حاجة^(٥).

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) حقایق شناسی در این حیره شد | سر وقت صافی برآو نیره شد |
| (٢) که سرگشتهٔ دون باطل پرست | هنوزش سر آز خمر بتخانه مست |
| دل آز کفر و دست آز خیانت بشست | خداینس برآورد کامی که جست |
| (٣) فسرو رفت خاطر درین مشکلتس | که بیغامی آسسد بگوش دلش |
| که پینس صنم پیر ناقص عقول | بسی گفت و قولش نیاسسد قبول |
| (٤) گر آز درگه ماشسود نیز رد | بس آنگه چه فرغ آز صنم تاصمد |
| (٥) محالست اگر سر برین در نهی | که باز آیدت دست حاجت تهی |

قصة السكران :

وهي تعالج أمراً آخر شبيهاً لما في القصة السابقة ، فهو في تلك القصة تخير كافراً ، ضالاً عن عبادة الله ، لجأ إليه وقت الشدة ، وفي هذه تخير ثملاً مذنباً ، يجيد عن سريعة دينه .

ويجري الشاعر على لسانه قصة ملامة له ، وادخل فيها شخصية أخرى وجعل حوادثها، في مكان مقدس ليزيد من قوتها ، يقول في المطلع :

— سمعت أن ثملاً ، وهو في حمأة النبيذ
سعى - مجداً - إلى مقصورة مسجد
وتضرع على أعتاب الكرم ، قائلاً !
يارب!! ابعثني إلى الفردوس الأعلى (١).

ثم يأتي الشاعر برجل المسجد ، وهو المؤذن ، فيدخله في القصة ليزيدها قوة وجدته ، فيرد الثمل على المسجد مؤنباً له :

— أمسك المؤذن بتلابيبه ، أن أبعدا!
يامن لا عقل فيه ولا دين عنده ، أكذب ومسجد؟؟
وما العمل اللائق الذي عملته حتى تبحث عن الجنة؟
أيليق بك الدلال ، مع وجهك القبيح؟؟ (٢).

ثم ينتقل الشاعر إلى المغزى من وضع القصة . فيأتي بالرد على لسان السكران —
أتعجب من لطف الله الخالق؟؟
أن يطلب المذنب الرجاء منه!! (٣).

- (١) تنلدم كه مستي زتاب نبيسسد
بناليد بر آسسستان كسرم
(٢) مؤذن سگريبان گرفنس كه هين
چه شايسته كردي كه خواهي بهشت
(٣) عجب داري از لطف يروردگار
كه باشد گنه كاري أميد وار
بمقصوره مسجدي در دويسد
كه يارب بفردوسي أعلى بسم
سك ومسجد ايفاغ از عقل ودين
نمي زيادت ناز باروي زشت
كه باشد گنه كاري أميد وار

ثم يخلص الشاعر إلى الحديث العام عن التوبة، والمناجاة، على لسان السكران:

— لست أقول ، لا تكن بالعموضنين !!

فإن باب التوبة مفتوح ، وأنت المعين .

انى أستحى من لطف الله الكريم

أن أَعُدَّ ذنبي عظيماً، أمام عفوه العظيم (١)

ثم يمتضى فيدخل في أوصاف الله بما يوسع من آماله في العفو عن الذنوب:

— لو أدرك أحد أصدقائي قليلاً من زلاتي

لشهرّني بقسلة العقل ، وقبح الصفات

— نحن نخشى بعضنا ، وأنت بنا البصير

ونحن هاتكوا الستر ، وأنت نعم السائر

— إن الناس يشهرون ، كلما حلّ بي العار

لكذك الكاشف وراء السترو على عيبك الستار (٢).

— فإن عفوت عني ، بمقدار جودك

ما بقي آثم واحداً في ملكك (٣).

ويختتم الباب في ختام القصة بما يلائم موضوعه تمام الملائمة

— لم آت ببضاعة إلا الرجاء !

إلهي ! لا تخيب في عفوك رجائي !! (٤).

در توبه بازاست وحق دستگیر
که خوانم گنه بینس عفوش عظیم
بنا بخردی شهره گردانستم
که تو پرده بوشی وما سرده در
بسو بیننده در پرده و پرده سوش
نمساند گنه کاری آندر وجود
خسدا یا ز عفوم مکن نا امید

(١) ترامی نگویم که عدرم بذیر
همی شرم دارم ز لطف کریم
(٢) اگر یاری آندک زلل دانستم
تو بینا وما خائف از بکدگر
بر آورده مردم زبیرون خروش
(٣) اگر جسم بخشى بمقدار جسود
(٤) بضاعت نبا وردم إلا امید

الرُّفْطَرُ الْعَامَّةُ فِي بَابِ الْمَنَاجَاةِ

رأينا أن قصص هذا الباب قليلة جداً بالنسبة لغيره من الأبواب ، ويمكن أن تتوزع كثير من أفكاره على أفكار بعض الأبواب الأخرى ، وخاصة في الباب السابق . والباب في مجموعه لا يعرض لأفكار جديدة أخرى غير المناجاة .

ونحن نتكلم — بكلمة عامة — عن مغزى قصصه الأخرى ، فالقصة الأولى تدور حول المناجاة ، وتشقيق الطريق لها ، وتقع في تسعة عشر بيتاً ، يقول في مطلعها :

— هلم !! حتى نرفع أيدينا عن القلب
فلن نستطيع غداً ، أن نخرجها من التراب (١) .
— ولا تحسبنَّ من رفع يده يرد كائناً
عن ذلك الباب ، الذي لم يعلق أمام تائب .
— رَبِّ ! هلم بجمودك وكرمك !!
فإن الذنب ، والإثم ، شأن عبيدك (٢) .
— ولا تسلط على من كان مثلي من خلقك
فإن كان لا بد من العقوبة ، فلا تجعلها من يديك .
— فليس في الدنيا كبير شرٍّ
أسوأ من أن يعاقب المرء البشر .
— يكفيني أنني خجل من رؤيتك
فلا تخجلني — بعد ذلك — أمام غيرك (٣) .

- | | |
|----------------------------------|------------------------------|
| ١) بيا تا بر آريم دسستی زدل | که ننوان بر آورد فردا زگل |
| ٢) میند ار آزان در که هر گز نیست | که نوید گردد بر آورده دست |
| خسداوند گارا نظر کن بچود | که جرم آید از بندگان در وجود |
| ٣) مسلط مکن چون منی بر سرم | زدست تو به گر عقوبت برسم |
| بگیتی نباشسد بتر زین بسدی | جفا بردن از دست هم چون خودی |
| مرا شرمساری ز روی تسو بس | دگر شرمسارم مکن پیش کس ق ١ |

أما قصصه الأخرى فيتردد فيها — بجانب المناجاة — كثير من المعاني المختلفة التي تدور حول معاني باب الرضا ، في القضاء والقدر ، والجبر والاختيار في قوله:

- إلهي ! نقضنا العهد ضلّةً ، وبلاء فكيف تقاوم يد الجهد ، ما جرى به القضاء .

— لقد أبطلتَ تدبيرى ، وكل ما فعلته فكيف يكون للنفسية ، قوة مع الألوهية (١) .

— فإذا هديتني الطريق ، أوصلتني إلى الخير وإذا أضلتني ، تخلفت عن إدراك كل أمر (٢) .

— إنك تعلم ضمائر من لا يتكلم وإنك — على قلوب المرضى — واطع المرهم (٣) .

-
- | | | |
|-----|---------------------------|---------------------------------|
| ق ٢ | چه زور آورد بافضا دست جهد | (١) خدايا بغفلت شكستيم عهد |
| ق ٣ | چه قوت کند باخدائی خسودی | همی هرچه کردم تسو برهم زدی |
| ق ٤ | وگر گم کنی باز ماندم زسیر | (٢) گرم ره نمائی . رسیدم به خیر |
| ق ٤ | تو مرهم نمی بردل خسستگان | (٣) تسو دانی ضمیر زبان بستگان |

أرأيت ، إلى تلك الروح السامية، التي تجلت في الشاعر عند عرض أفكاره
وآرائه في كتابه البوستان ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذه الإنسانية العامة ، التي تتردد في أبوابه ، لا على الإنسان
فحسب ، بل على جميع المخلوقات ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذه الدعوة الصادقة ، في أن ينظر الإنسان إلى أخيه ، من
حيث هو إنسان ، لا من حيث دينه ، أو جنسه ؟ ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذا التوازن الاجتماعي الذي عرض له ، في بابي العدل، والإحسان
من أوائل أبواب الكتاب ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، حين عرض إلى العشق، فأحاله إلى صلة سامية ، في ثوب طاهر
شفاف ، تصفو فيه النفس ، حتى تبلغ أسمى مراتب الروحية ؟ ؟ ؟

أرأيت ، إليه وهو يدعو إلى تلك الصوفية العملية ، التي تقوم على التربية
الروحية في أطهر أئوابها ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، وهو يقيم من أبواب الرضا ، والتواضع ، والتربية ، والقناعة ،
تربية خالقية في أعلى مراتبها ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه، كيف يفهم العبادة على صحتها؟ وكيف لا يقطع الأمل بين
العبد — إذ ما عصى — وبين ربه — إذا ماتاب — في أبواب التوبة ،
والشكر ، والمناجاة ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، كيف تناول القصة ، وهياً لها من يديرها ، وكيف أحكمها ،
حتى يملك على الإنسان حسه ، ومشاعره ، فينقله معه كيف يشاء ، ويحل به كيف
يريد ، حتى ينتهي إلى الغرض المقصود ؟ ؟ ؟

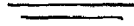
كل هذا عرضناه ، وصورنا به الشاعر في كتابه البوستان ، وصح عندنا ما سبق أن أطلقناه عليه ، من أنه طيب أمام مجتمع مريض أخذ يشخص الداء ويعرض الدواء ، أو أنه مصلح اجتماعي ، أقام نفسه للهداية والإرشاد .

ومن هنا كانت أحكام النقاد ، ورجال التاريخ والأدب ، على الشاعر أحكاماً تلمس الحقيقة في كل النواحي التي صور بها ، وصح ما كتبه عنه الغربيون والشرقيون فيما عرضناه سابقاً .

صح ما كتبه الأستاذ آر برى من أن الشاعر الحق ، والكاتب المبدع هو الذي يجمع من سمو الفكرة وطرافتها ، مع رقة العبارة وسلاستها . ومن هنا كان السبب في إعجاب الكثيرين من الفرنسيين بسعدى .

وصح كذلك ، ما اعترفت به دائرة المعارف البريطانية ، من أنه يعد في طليعة شعراء الأخلاق في الفارسية .

كما صح أخيراً ، ما كتبه الأستاذ على دشتى — سفير إيران — من أن مُلك الكلام قد سلم إليه ، وأنه رب الأدب الفارسي إذا ادعينا النبوة ، وإعجازه هو البوستان ، وديوان الطيبات ، وأن كلياته — عند الفرس — بمنزلة القرآن .



كشاف

أسماء الأشخاص والأسر والشعوب

٤٩-٤٨-٤٧-٤٦-٤٥-٤٤-٤٣	ابن خلدون	١٠٢-١٠١-٩٩-٩٧-٩٣-٧٣-٦٢	آباقا
٢٦٤-٧-٥	ابن خلكان	٢٧٩-٢٥٨-٢٤٧-٢٢٠-١٧٦-١٧٣	
٤٢	ابن الدامغانى	٩٤	آتسز
٤٤	ابن درنوش	٣٣٨-١٤	آدم
٤٢	ابن الدوامى	٢١٤	آذر
٩١	ابن طباطبا	٢٦٥	آذرى
٩٧	ابن الطقطقى	٣٢١-٣١٠-٣١١-٢٩٠-١٨٢	آبرى
٨٦-٤١-٤٠-٣٤-٢٨	ابن العبرى	٧٦-٦٧-٦٣-٦٢-٦٠	آزنولد
٤٢	ابن العلقمى	١١٤-٢٧-٢٦	آل بويه
٩١	ابن هارون الماطلى	١٠٣	آل الجوينى
١٧٠-١١٧	أبو اسحق الكازرونى	٣٦١	آل زنگى
٣٣٩-٣٠٣	أبو بكر «الصدىق»	١٠٩	آل ساسان
١٠٦-٨٣-٢٠-١٩-١٤	أبو بكر بن سعد	٣٢-٨-٣	آل سلغز
١٥٣-١٥٢-١٥١-١٢٧-١٢٢-١١٣		٢٥٦-١٥٤	آل عباس
١٩٠-١٦٧-١٦٤-١٦٣-١٦٠-١٥٩		١١٥	آنو شتنگين
٢٢٨-٢٢٧-٢٢٤-٢٠٩-٢٠٨-٢٠٦		٣٧٩-٣٧٨-٣٧٧	سيدنا إبراهيم
٢٤١-٢٤٠-٢٣٩-٢٣٥-٢٣٣-٢٢٩		٢٧٧	إبراهيم بن أدهم
٢٩٤-٢٨٢-٢٥٤-٢٥٣-٢٤٦-٢٤٥		٤٢٥-٤٢٤-٣٢٢-٢٦٣-٢٦٢	الابدال
٣٢٩-٣١١-٣٠٢		١٣٢-١٢٩-١٢٨-١١٧-٣٢	أبش خاتون
٦	أبو الحسن الشيبانى	١٧٦-١٧٥-١٧٤-١٧٢-١٧١-١٥٦	
١٧٩	أبو سعيد الأيلخانى	٤٠٧	ابليس
٣٠٦	أبو سعيد بن أبى الخير	١١٥-٥٥	ابن الأثير
٩٢	أبو سليمان داود البنائكى	١١٠-١٠٩	ابن البلخى
٣٠٥	أبو شكور البلخى	٢٦٤٢١١-٢١٠-٢٠٣-٢٠٢	ابن الجوزى
٤٦٧			

٣٠٥	الدقيقي	٥٧	ابو الطيب المتنبي
٨٧	أرسطو	١١	أبو العباس أحمد الدمشقي
١١٩	أرسلان بن طغرل	٢٩٥-٢٩٠-١١٩	أبو عبد الله بن الخفيف
٦٣	الأرمن		أبو عبد الله مشرف بن مصلح الشيرازي
١٣١-١٢٠	أزبك بن بهلوان	٢٣٦-٢١٨-٢١٧-٢١٦	
٣٧٤	الاسكندر	٣٥-٢٩	أبو الفدا
٢٦٤	المهر وردي	٢١١-٢٠٢	أبو الفرج
٢٠٠-١٩٩	إقبال - الأستاذ عباس -	٩١	أبو الفرج عز يغوريوس
٢٤٠-٢٣٩-٢٢٦-٢١٠-٢٠٤-٢٠٢		١١٢	أبو كاليجار
٨٧	أقليدس	٣٠٥-٣٠٤	أبو المؤيد البلخي
١٢٣	الإمام علي	١٢٣	أبو نصر أسعد
٣٤٠	أمير ساكس	٤١٤-٤١٣	أبو يزيد البسطامي
١٧٨	أمير محمد بك	٣٥٨	أتابكة آذربيجان
١١٩	أمين الدولة الكازروني	٦٧	الأتابك بهلوان
١٧٥	أنكيانو	١١٧-١١٥-١١٣-١٠٦-٩٨	الأتابكة
٣٦١	آنو شروان	٢٢٥-١٧٦-١٧٥-١٧٢-١٥٩-١٣٣	
٢٨٩	أنوري	٢٨٧-٢٨٢	
٨٤-٧٤-٧٣-٧٢-٧١-٧٠-٦٦	أورغون	١١٣	الأتابكة السلغريون
٩٩-٩٥		١١٧	أتابكة فارس
٢٩٠	أوفيد	١١٤-٩٨	أتابكة يزد
٩٥-٩٠	أوكتاي قاآن	٩	الأتراك
٣٩٤-٣٩٣-٣٩١	إياز	٥٤	الأتراك العثمانيون
١٧٥	أليك أبش	٩٢-٦٢	الحايثو خدا بنده
٢٥٢-٢٧٢-٢٦٤-٢٢٥-٢٢٤	الايروانيون	٨٠-٧٨-٦٠-٥٤	الجويني « عطا ملك »
	ب	١٠٠-٩٤-٩٣-٨٦-٨٤-٨١	
٣٠٥	بابا طاهر	٧٤-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧-٦٦	السلطان أحمد
٢٩٠	باربييه دي منار	١٠٠-٩٩-٩٧	
٥٨-٥٧-٥٤-٤٩-٤٨-١٨	بارتولد	٨٤	أحمد بيتكجي
		٣٢٢-٢٥٨-٢٥٧-٢٧٤	الخطا

٤١	الترك	٤٠٥	بايزيد
١٥٩-١٥٥-١٥٤-١١٧	ترکان خاتون	٩	مختصر
١٧٤-١٧١-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٥		١٨٥-٧٨-٦٢-٦٠-٥٤-٥٢-١٣	براون
٢٨٣		٢٤٥-٢٣٧-٢٣٤-٢٢٦-١٩٨-١٩٧	
١١٥	تغ تگین	٣٤٩-٢٨٩-٢٨٧-٢٥٣	
٨٧	تقی الدین الحشاشی	٤١	البربر
٤٣٠-٩٤	تکش بن اییل أرسلان	١١٨-١١٤	بزارية « الأتابک »
١١٥	تکش السلجوقی	٤٥	البيستاني
١٥٣-١٢٠-١١٩-١١٧	تکلة	١١٠	البشاری
٣٦١-٣٤٣	تکلة بن زنگی	٤٣٨-٤٣١	بقراط الحكيم
١٧٣-٩٩-٦٧-٦٦-٦٢	تکودار أحمد	٩	بنو اسرائيل
١٧٨-١٧٤		٩٤-٣١	بنو عباس
٩	تموجين	١٣٣	بنو قيصر
١٤٠	توده بشتی	٩٨-٩٥-٩٤	بهاء الدين الجويني
٣٤٧	توران	٢٧٥	بهار « ملك الشعراء »
١٧٨	تونيایق	٣٠٧	بهرام شاه
٣٠٠	تويسركانی	٣٨٥-٣٧٨-٣٥٢	بهرام گور
١٧٠-٨٣	تيمور	١٠٨	بهلون سام بن نوح
	ث	٤١٣	بهلول
		٣٧٤	بهمن
١٠٩	ثمود	١١٦	بهمن کریمی
	ج	٦١-٦٠	البوذیون
١٩٦	جامی	١٧٨	بولغان
١١٤	جاولی « الأتابک »	٧٥-٧٤-٧٣-٧١	بيدو
٤٠٦-٣٣٨	جبریل		پ
٣١٥-٣١٤-٣١٣-٣١٢-٣١٠	جراف	٣٤٤-١٠٨	الپيشدادیه
٣٣٦-٣٣٠-٣٢٩-٣٢٥			ت
٩٠	جغطای	١٩١	تازیکو
١٢٣	جلال الدين الحاولی	١٣٦	تاج الدين محمد
٣٠٦-٢٧٩-٢٦٤	جلال الدين الرومی	٨٨-٥٣-٥٢-٣٣-٢٨-١٥-١٤-٩-٨	التتر

	خ	جلال الدين منكبرتي	١٨-١٣-١٢-١١
٨١	خدا بنده	١٢٩-١٢٤-١٢١-٩٤	
٧٥	خر بنده	١٧٩	جمال الدين
٣٥١-٣٤٩-٣٤٣	خسرو الساساني	١٤١	جمال الدين أبو بكر نعيم المصري
٢٨٨-٢٦٥-٢٦٤	خسرو الدهلوي	٤٥٢-٤٥١-٣٤٥-٣٤٤-٣٤٣	جمشيد
٧٩-٤١-٤٠	الخطا	٢٨٧	الجمعية الآسيوية
٣٣٩-٢٧٤	الخلفاء الراشدون	٤٠٥	الجنيد
١٤١	خواجه إمام الدين	١١٩	جهان بهلوان
٩٧	الخلفاء	٩٠	جوجي
٤٠٢	الخليل «إبراهيم»	٢٣-١٢-١١-٨-٧	الحويني «عطا ملك»
٩٠-٧٨-٩-٨	خوارز مشاه	٨١-٨٠-٧٨-٦٠-٥٥-٤٧-٤٢-٣٧	
١٢٢-١١٥-٩٤-٩١	الخوارز مشاهيون	١٠٠٤-٩٤ ٩٣٤-٨٦٤-٨٤	
١٣٢-١٣١		١٠٠	الحوينيين
	د	چ	
٣٤٧-٣٤٦-٣٤٣-٧٨	دارا	٧٧-٦١-٥٨-٣٧-٣٦-١٢-٩	چنگيز خان
٤٣٤-٤٣٣-٤٣٠	داود والطائي	١٣١-٩٢-٩١-٨٦-٧٨	
٢٢٧-٢٢٣-٢١٤-١٩٧-١٠٤	دولت شاه	٢٧١	جورج الثالث
٢٧٠-٢٦٥-٢٣١-٢٣٠			
٥٤	الدولة البيزنطية	ح	
٩٣	الدولة الصغوية	٤١١-٤٠٩-٤٠٥	حاتم الأصم
١١٥-١١٤-١١٣-١١٢	الديالملة	٣٨٤-٣٨٣-٣٨٢-٣٧٨-٣٧٧	حاتم الطائي
٢٩٠	ديدرو	٢٨٨-٢٧٢-٢٧١-١٩	حافظ الشيرازي
٤٩	ديودورس	٢٩٠-٢٨٩	
٢٩٠	دي ريبالييه	٤٣٥-٣٥٦-٣٥٥-١١١-١١٠	الحجاج
	ذ	١٥٤	الحسن بن علي
٤١٦-٤٠٥	ذو النون المصري	٩٦	حسن الصباح
	ر	٢٧١	حسين الطاف
٤٤٣	رستم	٩٢	حسين بايقرا
٢٧٧-٢٧٦-٢٧٤	الرسول عليه السلام	٢٧٢	حسين ميرزا
٣٨٣-٣٣٦-٣٢٩-٣١١-٢٨٥-٢٨٢		١٣٧-٢٢٤-٢١٣-١٩٤	حمد الله المستوفى
		٣٠٥-٢٣٨	

٢٤٢-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٠-٢٢٩-٢٢٧	رشيد الدين « فضل الله »	٩٢-٥٥-٣٧
٣٠٢-٢٨٣-٢٥٠-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٣		١٤٣-١٣٠
٣٠٣	رشيد الدين الوطواط	٤٣٠-٩٤
٢٧٨	الرصافي	٢٩-٢٢
١٢١-١٢٠-٨٣-١٨-٣	رضا زاده شفق « الدكتور »	٨٨-٥٥
١٢٧-١٢٦-١٢٥-١٢٤-١٢٣-١٢٢	رضا مكى خانه	٢٢٣-٢١٤-١٩٧
١٦١-١٦٠-١٥٣-١٤٢-١٣٩-١٣٠	ركن الدين	١٢٣
٢٢٣-٢٢١-١٨٦-١٨٥-١٨٣-١٨١	ركن الدين خمارتگين	١١٤
٢٣٠-٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٤	ركن الدين صلاح الكرمانى	١٣٥
٢٤٢-٢٣٨-٢٣٦-٢٣٤-٢٣٢-٢٣١	الرودكى	٣٠٧
٢٩٤-٢٨٥-٢٥١-٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣	روز بهان	٢٩٤-١٢٩
٧٣-٧٢	روس	٢٨٩-٢٤٣
١٨٨	الروم	٤٠
١١٥-١١٤-١١٣-٩٤-٩٣-١٨	رينان	٢٩٠
١٧٠-١٦٨-١١٨-١١٦	ز	
٣٤١	زكريا « النبي »	٣٩
٤٣١	زليخا	٤٥٣-٤٥٢-٤٤٧
١٧٠-١٦٩-١٦٨-١١٧-٣٢	زنكى	١١٧
٢٨٧-١٧٥-١٧٢-١٧١	زنكى بن مودود	١٢٩-١١٩
١١٨-١١٧	زين الدين بن صاعد	٧٣
١٧٤-١٢٩	س	
١٦٧-١١٧	سام	٤٤٣
٣٦١-٢٤٠-١٥٣	سرقنى	٨١
٣٠٧-٣٠٦	سروش	٢٧١
٩٤-٨٢	سرورى	٣١٠
١٣٣-١٢٧-١١٨-١١٧	سعد بن أبى بكر	١٣٢-١٢٧-١١٧-١٠٦
٣٢٣-٣١٥-٣١٤-٣١٠-٣٠٩		١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٥٣-١٥١-١٤٢
٤٠٩-٤٠٠-٣٧٩-٣٣٦-٣٢٩-٣٢٥		١٦٣-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩-١٥٨
١٧٨-١٧٢-٩٧-٩٦		١٩٠-١٨١-١٧٥-١٧١-١٦٩-١٦٤
سيد أمير على ٧٨		٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢-٢٢١

ض	١٧٣	سيد شرف الدين إبراهيم
٣٤٥ الضحاك	١٧٤	سيد عماد الدين أبو يعلى
ط	١٣٣	سيف الدولة أبو نصر على
٤٤٧-٤٤٦-٩٤	٨١	سيف الدولة الباخريزي
١١٩	ش	
١٠٨	٣٥١-٣٤٣-١١٠	شاپور
٣٧-٣٤-٢٩	٣٨١-٣٨٠-٣٧٨-٣٧٧	شبلې
٥٥-٤٧-٣٨	٢١٤	شرف الدين بن مصالح « السعدى »
٣٨٣	٢٣٦-٢١٩-٢١٥	
ظ	٩٧-٩٤-٩٣-٨٩	شمس الدولة الجوينى
٦٢	٢٣٦-٢٢٠-١٠٤-١٠١-١٠٠-٩٩	
٣٥٩-٣٥٨	٢٨٧-٢٨٥-٢٨٢-٢٧٨	
ظفر خاتون	٧٢	شمس الدولة اليهودى
ظهير الدين الفاريابى	١٩٠	شمس الدين تازيكو
ع	٢٨٠-١٧٩	شمس الدين محمد الطيبي
١٠٩	٢٣٣-٢٢٩-٢٢٨	شمس قيس
١٠٤	٩١	شهاب الدين أحمد الكاتب الدمشقى
٢٦	٢١١-٢٠٤	شهاب الدين السهروردى
٣٢١-١٩٥	٢٩٤-٢٦٤	
١٧٩	٣٤٩-٣٤٣	شرويه
١٨٢	٢٦	الشييعون
٢١٨-١١٤		
٢٧٧-٢٧٦	ص	
٢٧٧	٢٨٧-٤٢	صاحب الديوان
٩٢-٥٥	١٣٦-١٣٥	الصاحب السعيد
١١١	٢٧٩	الصاحبين
٣٣٩	١٤١-١٤٠	صدر الدين أشهى
١٢٨-١١١	١٣٦	صفي الدين بن أبى الفتح السيرافى
١٣٣-٩١-٧٠-٤٩-٤٥-٤٣-٤١	١٢٣	صلاح الدين الكرمانى
٣٢١-١٣٤	١١٢	صمصام الدولة

غ	غازان ٩٢-٨٢-٧٦-٧٥-٧٤-٦٦-٥٥	١٧٩	عز الدين
	غياث الدين خوارزمشاه ٤٥-١٣١-١٢١	١٤١-١٤٠	عز الدين إبراهيم القيسي
	غياث الدين خواندمير ٩٣	٢٨٢-١٠٦	عز الدين أحمد بن يوسف
	غياث الدين الزدى ١٣٠	١٢٠	عز الدين پنهجره
ف		١٤٠	عز الدين زرکوب
	فاطمة « الزهراء » ٣٣٩	١٢٠	عز الدين السحمره
	فتح على شاه ٢٧١	٨٨-٥٧-٤٩-٢٠	عزام بك « الدكتور »
	الفخر الأخطاى ٨٧-٨٦	١٣٤	عصفور بن راشد بن عمير
	فخر الدولة « اليهودى » ٧٢	٤٣٣-٤٣٠-١١٢	عضد الدولة
	فخر الدولة أبو بكر ٢٨٢	٣٠٦	العطار
	فخر الدين الدامغانى ٤٢-٣٤	٩١-٥٥-٤٧-٣٧	عطا ملك « الجوينى »
	الفخر المراغى ٨٧-٨٦	٢٢٠-١٠٣-٩٥-٩٤	
	فرج « الجوينى » ١٠٠	٩٦-٩٥-٩٣-٨٤	علاء الدين الجوينى
	الفردوسى ٣٨٠-٣٠٥-٣٠٤-٢٨٩	١٠٤-١٠٣-١٠١-١٠٠-٩٩-٩٧	
	الفرس ٣٢١-٣٠٧-١٠٩-٧٥-٤٦-٤٤	٢٩٤-٢٨٢	
	الفرنسيون ٢٩٠	٨١	علاء الدين السمنانى
	فرنكلين ٢٧١	٨٥	علاء الدين محمود بن الحسن الاسماعيلى
	فروغى ٣٨٣-٢٨١-٢١٦-٢٠٦-١٦٤	٤١٠-٤٠٥	على بن أنى طالب
	فريديون ٣١٣-٣١١-٢٨٤	٣١١-١٣٣	على بن أحمد البيستونى
	فضاويه ٤٣٦-٤٣١-٤٣٠-١٥٠	٩٩	على بن بهاء الدين
	فولتير ١١٥-١١٤	١١٢	على بن بويه
ق		٢٩٠-٢٨٣-٢٨١	على دشتى « الأستاذ »
	قآن ٣٢١-٢٤٠-١٢٩-٨٤-٧٩	١٢١	عماد الدين زيدان
	قارون ٤٢٨	٣٣٩-١٧٨-١٤٨-١٤٧	عمر بن الخطاب
	قاسم تويسركانى « الأستاذ » ٢٢٥	٤٠٩-٤٠٥	
		٣١٣-٢٧٧-١١٢	عمر بن عبد العزيز
		٣٥٤-٣٥٣-٣٤٣-٣١٤	
		١١٢	عمر بن الليث
		١٢٤	عميد الدين أسعد الأبرزى
		٤٠٨-٤٠٦-٤٠٥	عيسى عليه السلام

ك	٥٥	قاسم غنى «الدكتور»
الكرگانی «الأستاذ عبد العظيم» ١٨٣	١٢٨	قتلغ خان
٢١٧-٢١٦-٢١٣-١٩٩-١٨٩-١٨٦	١١٤	قراجه «الأتابك»
٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٠-٢١٩-٢١٨	١٠٩	قریش
٣٠٠-٢٨٩-٢٧٠-٢٦٦-٢٦٥	٣٦٠٣٥٩-٢٥٨-٢٤٣-٢٠٨	قزل أرسلان
٣٥٣-٣٥٢-٣٤٣	٢١١-٢٠٣-١٩٩-٧٨	الأستاذ القزوينی
٣٠٥	٣٠٢-٣٠٠	
٢٧١	٨٧-٦٧	قطب الدين الشيرازی
ل	١٥٤	قطب الدين محمود شاه
٦٣	٦٩-٦٨-٦٧-٦٦	قلاوون
٢٩٠	٦١	قوبلاى
١٩٧		
٤١١		
٣٩٢-٣٩١		
م	ك	
٥٤	٨٤	كرای ملك
٣٥٧	٣٥٢	کرد وچين
١٣٤	٢٧١-٢٧٠	كریم خان الزندى
١٠٤	٢٧١	الكاتبين كلارك
٣٥٨	٣٤٨-٣٤٣	كسرى
٩٠	١٢٠	كلجه
٢٨٨	٢٢٨-٢٢٧	كمال الدين إسماعيل
٣٩٣-٣٩٢-٣٩١	١٠٩	كودرز الأشكافى
٦٧	٤١٢-٤٠٥	كوشيار الحكيم
٢٦٤	١٧٩-٧٣-٧١	كيخاتو
١٥٤	٩٠	كيوك خان
٣٠٩		
٣٠٨		

٣٥	مصلح الدين اللارى	١٥٨-١٥٦-١٥٥-١١٧	محمد بن سعد
٢٦	المطيع لله	١٦٨-١٦٤-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩	
١٢٩	مظفر الدين	٣٠٢-٢٨٣-١٧٤-١٦٩	
٤١٣-٤٠٥	معروف الكرخى	١١٢	محمد بن القاسم بن عقيل
١٨-١٧-١٢-٧-٦-٥-٤-٣-٢-١	المغول	١١٢-١١١	محمد بن يوسف الثقفى
٣٢-٣٠-٢٩-٢٧-٢٣-٢١-٢٠-١٩		١٥٣-١٣٢-١٨	محمد شاه بن سلغرشاه
٥٥-٥٤-٥٣-٥١-٥٠-٤٦-٤٢-٤٠		١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦	
٦٤-٦٣-٦٢-٦٠-٥٩-٥٨-٥٧-٥٦		٣٢٩-٣٠٩	محمد شاه غازى
٨٢-٧٩-٧٨-٧٣-٧٢-٦٧-٦٦-٦٥		٥٥	محمد المنشى النسوى
٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٨-٨٧-٨٣		٣١١-٣٠٨	محمد على فروغى
١٠٦-١٠٢-٩٨-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤		٢٦٥	محمد بن غيات الدين
١٣٢-١٣١-١٢٩-١٢٤-١٢٣-١٢٢		٢٣٤-١٢٨	محمد بن قيس
١٦٨-١٥٤-١٥٢-١٤٩-١٤٨-١٤٧		٣٩١-٢٥٩-٨٢	محمود بن سبكتگين
١٧٤-١٧٣-١٧٢-١٧١-١٧٠-١٦٩		٣٩٤-٣٩٣-٣٩٢	
٢٣٤-٢٣٣-٢٠٦-١٧٨-١٧٦-١٧٥		٨٧-٨٦	محيى الدين المغربى
٣٠٧-٣٠٦-٢٨٢		٢٩٠	مدام رولان
١٢٢	ملك خاتون	٣٣-٣١-٣٠-٢٩-٢٨-١٧-٣	المستعصم
١٧٨	الملك السعيد جمال الدين إبراهيم	٢٨١-٢٧٤-١٢٦-١٠٦-٤٤	
١٣٣	ملك سلطان بن قوام الدين	٢٦	المستكفى
١١٥	ملكشاه	١٠٠	ميسعود « الجوينى »
٣٤٨	ملوك الأكاسرة	١٨٨	مسعود الكازرونى
٩١	ملوك الترك	٦٠	المسلمون
٣٨٥	ملوك الخيرة	٦٢-٦٠	المسيحيون
٩٣-٩٠-١٨-١٠-٣-٢-١	ملوك خوارزم	٦٤-٦٢-٦١	المسيحية
١١٥		٢١٧-٢١٦-٢١٣	مشرف بن مصالح
١١٦	المماليك	٢١٩-٢١٨	
٩٤-٩١	منتخب الدين بديع الجوينى	٢١٥-٢١٤-١٨١	مصالح الدين سعدى
١١٤	منكوترس « الأتابك »	٢١٨	

هـ
 ٢٢٣ هدايت
 ٢٦٥-٢٦٤-٢٤٩-٢٤٨ همام التبريزي
 ٢٨٨-٢٦٦
 ٢٤٣-١٠٣ الأستاذ هنري ماسيه
 ٢٩٠ هو راس
 ٢٦-٢٥-٢٤-٢٣-٢٢-٢١-٢٠ هولاكو
 ٣٥-٣٤-٣٣-٣٢-٣١-٣٠-٢٩-٢٧
 ٦٢-٥٥-٤٧-٤٤-٤١-٤٠-٣٨-٣٦
 ٩٧-٩٦-٩٥-٩٣-٩٠-٨٥-٨٤-٨١
 ١٥٨-١٥٦-١٥٤-١٥٣-١٣٢-٩٩
 ١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦-١٥٩
 ٢٧٨-١٧٨-١٧٦-١٧٣

و
 ٨٨-٧٢-٥٥-٤٠-٣٧-٣٥-٣٠ وصاف
 ١٢٨-١٢٥-١٢٤-١٢٢-٩٨-٩٢-٨٩
 ١٥٩-١٥٥-١٥٢-١٤٠-١٣٤-١٣١
 ٢٣٧-١٧٢

ي
 ٢٠ ياجوج
 ٥٥-٨-٧-٦ ياقوت
 ٢٧٧ يحيى بن معاذ الرازي
 ١٠٩-١٠٠ يحيى « الجويني »
 ٤٠٠ يعقوب
 ٩١ اليعقوبيون
 ١٠٩-٧٣-٧٢ اليهود
 ٤٥٢-٤٠٠ يوسف
 ٣٠٦-٣٠٥ يوسف وزليخا
 ٥٤ اليونان

منكو تيمور ١٧٤-١٧٣-١٧٢
 منكو قآن ٩٥-٩٠-٢٥-٢٤
 مودود السلغرى ١١٨-١١٧
 مولانا جلال الدين الرومى ٢٦٦-٥٥
 مؤيد الدين العروضى ٨٧-٨٦
 مؤيد الدين بن العلقمى ٤٢-٣٤
 مير خواند ٩٢
 مير عماد ٢١٧
 مينكلي بيك ١٧١-١٧٠

ن

٣٨٣ النبي عليه السلام
 ٩٩ نجم الدين الأصغر
 ٨٧ نجم الدين القزوينى
 ٢٤ نجم الدين كبرى
 ٨٦ النجم دبيران القزوينى
 ١٤٠ نجيب الدين
 ٦٣ النسطوريون
 ٩١-٤٢ النصرارى
 ٨٥-٥٥-٤٧-٣٧ نصير الدين الطوسى
 ٩٠-٨٧-٨٦
 ١٥٨ نظام أبو بكر
 ١١٦-١١٥-١١٤ نظام الملك
 ٢١٥-٢١٣-١٩٩ نفيسى « الأستاذ »
 ٢٤٥-٢٣٧-٢١٧-٢١٦
 ٦٦-٦٢ نقولا
 ٧٥ نوروز

كشاف أسماء الكتب والمقالات

ب	الكتب
٣٢١	أتش كده ٢٢٣-٢٢٢-٢١٤-١٩٧
ت	أفرين نامه ٣٠٥
٨٨	أحسن التقاسيم ١١٠
٥٥	أخبار الدول وآثار الأول ٧٨
٤٨-١٨	أسرار نامه ٣٠٦
١١٨-٨٨-٨٥-٣٥-٢٧-١١	إلهى نامه ٣٠٦
٢٩٧-٢٩٥-١٧٢-١٣٧-١٢٥-١٢٤	الانجيل ٣٣٨
٢٢٧-٢٢٤-٢٢٢-٢١٥-٢١٤-٢١٣	ب
٢٣٧-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤-٢٣٠-٢٢٩	بدايع سعدى ٢٨٢
٢٣٩-٢٣٨	بهارستان ٣٢١
٩١	بوستان ١٥١-١٤٤-١٢٦-١٠٦-١٩-١٤
١٢٢-١٠٠-٣٧	١٨١-١٦٣-١٦١-١٦٠-١٥٨-١٥٧
٢١٤-١٩٨-١٩٥-١٨٣	٢٠٤-٢٠٣-٢٠٠-١٩٢-١٨٩-١٨٧
-٢١٥	٢١٢-٢١١-٢١٠-٢٠٩-٢٠٦-٢٠٥
٩٨-٩٦-٩٠	٢٣٩-٢٣٢-٢٢٩-٢١٩-٢١٨-٢١٦
٥٨-٥٦-٢٤	٢٥٤-٢٥٣-٢٤٧-٢٤٥-٢٤١-٢٤٠
٣٣٨	٢٦٨-٢٦٦-٢٦٤-٢٦١-٢٥٦-٢٥٥
ج	٢٩١-٢٩٠-٢٨٦-٢٧٥-٢٧٤-٢٧١
٣٧-٣٥-٣٤-٣٠-٢٤-١٨	جامع التواريخ ٣٠٢-٣٠١-٣٠٠-٢٩٩-٢٩٦-٢٩٣
١٢٣-٩٦-٩٢-٨٨-٨٠-٤٢-٣٨	٣١٠-٣٠٩-٣٠٨-٣٠٧-٣٠٤-٣٠٣
٢٣٧-١٢٥-١٢٤	٣٢١-٣٢٠-٣١٩-٣١٨-٣١٢-٣١١
٢٣٨-٢٢٣-٢٢٢-١٢٤	جهان آرا ٣٢٢

	س	جهان گشای ۷-۳۴-۵۵-۵۸-۷۹-۸۶
۲۹۰-۲۸۳	سایه	۲۰۷-۹۵-۹۳-۹۲-۹۱-۹۰-۸۹-۸۸
۲۸۰-۲۷۵	سبک شناسی	۲۷۷
۳۰۵	سرخ بت	جواهر الأسرار ۲۹۴-۲۶۶-۲۶۵
۹۶	سرگذشت سیدنا	ح
۳۰۲-۳۰۱-۳۰۰-۲۱۶-۱۷۵	سعدی نامه	حبيب السیر ۱۹۶-۱۹۵-۱۲۴-۱۱۸-۹۳
۸۹	سلسله جب	۲۸۹-۲۲۳-۲۲۲-۲۱۵-۲۱۴-۲۱۳
۱۸۹-۱۸۸-۱۸۳	سلم السموات	۱۹۵
۳۰۶	سیر العباد إلى الميعاد	حساب الجمل
	ش	حدیقة الحقائق ۳۰۷-۳۰۶
۵۹	الشامانية	حدیقة السنائی ۳۰۷
۳۴۴-۳۰۶-۳۰۵-۳۰۴	الشاهنامه	الحوادث الجامعة ۸۱-۴۲-۴۱-۳۵-۳۱
۱۱۲-۱۱۱-۱۱۰-۱۰۹-۱۰۴	شیراز نامه	۹۸-۸۵
۱۳۶-۱۲۹-۱۲۸-۱۲۲-۱۱۶-۱۱۴		حیات سعدی ۲۷۱
۱۴۳-۱۴۰-۱۳۹		خ
۱۳۶	الشکنوانية « قصيدة »	خنک بت ۳۰۵
	ط	د
۲۷۰	طرائق الحقائق	دائرة المعارف الإسلامية ۱۹۸-۱۰۳-۸۱
۳۰۶	طریق التحقیق	۲۴۳-۲۲۵-۱۹۹
	ظ	دائرة المعارف البريطانية ۳۰۷-۲۵۳-۲۴۴
۲۳۷	ظفر نامه	دیوان البوستان ۲۸۱
	ع	دیوان الطیبات ۲۹۰-۲۸۳
۵۸-۳۵-۳۰-۲۶	العراق بین احتلالین	ر
۳۰۶	عشق نامه	روضه أولى الألباب ۹۲
۳۰۶	عفو نامه	روضات الجنات ۲۶۶
۳۰۶	عقل نامه	ریاض العارفین ۲۱۵-۲۱۴-۱۹۷-۱۹۶
۲۶۴	عوارف المعارف	۲۲۲
۳۰۵	عین الحیة	ز
		زمان تولد وأوایل زندگیان سعدی ۲۲۶

٣٠٦	المثنوى المعنوى	٩٧-٩١-٤٢-٤١-٢٨	الفخرى
٨٧	المحسبى	٢٧٩	فيه ما فيه
١٩٩	محلّة مهر		
٢٨	مختصر الدول		ق
١١٢	مراصد الاطلاع	٢٩٠-١٨٨-١٠٩	القرآن الكريم
٢٣٤-٢٢٢-١٩٦-١٥٦	مزارات شيراز	٢٠	قصة الأدب فى العالم
٩١	مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار	١٢٤	القصيدّة الشكّونانية
٣٠٦	مظهر العجائب		ك
٧	معجم البلدان		
١٢٨-١٢٤	المعجم فى معاير أشعار العجم	٨٧	كتاب العين
٢٣٨-٢٣٤-٢٣٢-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٣		٣١٠	كشف الظنون
٤٩-٤٨	مقامة بن خلدون	٢٨٠-٢٣٠-١٩٠-١٦٠-١٥٩	الكليات
٣٩٧-٢٥٨	مقدمة الزخشرى	٢٨٣-٢٨١	
٢٨٩	ملاحة الشعراء	٢٧٥-٢٣٢-٢٣١-٢٠٢	كليات سعدى
	م	١٥٨-١٥٧-١٤٥-٣١	كليات فروغى
١٧٥-١٢٤-٣٢	ممدوحين شيخ سعدى	٢٧٥-١٦٥	
٢٣٢-٢٣١-٢٢٦-٢٢٢		٣٠٧	كليّة ودمنة
٣٠٦	منطق الطير		س
	ن		
١١٠-١٠٩	نزهة القلوب	١٥٨-١٥٧-١٥١-١٣٧-١٩-١٥	گلستان
٢٧٩	نصائح الملوك	٢٢٨-٢٢٧-٢١٦-٢٠٢-٢٠١-١٩٩	
٢١٤-١٩٦-١٩٥	نفحات الأنس	٢٧٧-٢٧٦-٢٧٥-٢٦٨-٢٦٦-٢٦٤	
	و	٣٠٠-٢٨٩-٢٨٤-٢٨١-٢٨٠-٢٧٩	
٣٠٥	وامق والعدراء	٣٢١-٣٢٠-٣١٩-٣٠٣-٣٠٢-٣٠١	
٥	وفيات الأعيان	٣٥	گلشن خلفا
	ى	٣٥	گلشن زار
			ل
٩٠	الياسا		
٥٩	الياساق	١٢٤	لب التوارىخ
٧٨	الياساق الكبير	٣٠٦	لسان الغيب
٤٧٩			

كشاف أسماء المدن والأماكن والأقطار

١٣	باميان			
٥٢	بحر قزوين	١٧٢-١١٩-١٣-١٠	آذربيجان	
١٣٤-١٣٣-١١٠	البحرين	٥٤-٥٢	آسيا	
٤٢	برج العجمى	٢٦٤-٨٣-٥٦-٥٢	آسيا الصغرى	
٢٨٤	برلين	٩٦-٩٠-٨٥	آلموت	
١٧١-١١٠-٨٦	البصرة	١٠	أرانيه	
٢٢٠	بعلبك	١١٠	أرجان	
٢٦-٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٨-٥	بغداد	١١٠	أردشير خوره	
٤٣-٤٢-٣٨-٣٦-٣٥-٣٤-٣١-٣٠		١٢٢-١١٥-١١١-١١٠-١٠٩	أصطخر	
٩٩-٩٧-٩٦-٩٠-٨٦-٧٢-٥٥-٤٥		١٧٠-١٢١-١٠٨-٩٨-٩٥-١٤	أصفهان	
١٨٨-١٨٥-١٦٧-١٣٢-١٢٦-١٠٧		٢٥٥		
٢٢٦-٢٢٤-٢٠٦-٢٠٤-٢٠٣-١٩٠		١٣٤	أوال	
٢٦٤-٢٥٩-٢٥٨-٢٥٤-٢٥١-٢٣٤		٩	أوترار	
٢٨١		٣١٠-٣٠٨-٢٨٤-٥٤-٥٢-١	أوربا	
١٠	بلاد الجبل	٥٢-٥١-١٩-١٧-٨-٦-٤-٣-٢-١	إيران	
٧٢	بلاد الروم	٩٢-٩٠-٨٨-٨٣-٧٩-٦٦-٥٧-٥٦		
١٥٤	بلاد اللور	٢٥٥-١٧٦-١٦٤-١٠٨-٩٥-٩٣		
١٠	بلا سغون	٣٨٠-٢٧٤-٢٧٢-٢٧١-٢٦٤-٢٥٦		
٢٥٥	بلخ	٣٤٧-٣٠٩		
١٠٥-١٩	البيت العتيق	ب		
٩	البيت المقدس	١١	باب الأبواب	
	پ	٩٠	باريس	
١٧٣	پل گوار	٨٠	باغ منصورية	

١١٥-٧٨	خوارزم	ت	
١٧٠	خورشيف	١٧٩-١٢٣-١٠١-١٠٠-٩٩-٨١	تبريز
١١٨-١١٠-١٠٨	خوزستان	٣٠٩-٢٧٩	
	د	٢٥٥-٢٤٧-٩٠-١٠-٩-٨	تركستان
٧٢	دار السلام	٣٠٩-٣٠٨	تركيا
١١٠	داراب جرد	٨٦	تفليس
٤٧-٤٦-٤٤-٣٧	دجلة	ج	
٢٢٠-١١٥-٨٦	دمشق	١٢٣	الجامع الجديد
	ر	٤٠-٣٩	جامع الخليفة
٢٧٠	ركن آباد	٣٤	جامع القصر
٣٨٢-٣٨٢-٣٨٠-٣٦٥	الروم	١٢٣	جامع نو
٢٥٥-١٢١-١٠	الري	١٧٤-١٠٠-٩٩	جرنداب
	ز	٢٥٦	الجزيرة العربية
٣٧٤	زابلستان	١٣٣	جزيرة قيس
	س	١٣٣-١٢٥	جزيرة كيس
١٧١	سجستان	٩٤	جوين
٣٣٨	سدره المنهى	١٠٨	جيحون
٧٨-٢٣-١٢-١١-١٠-٩	سمرقند	ح	
٢٢٠	سوريا	٢٥٥	الحبش
١١٢	سوق الأمير	٢٦١-٢٥٥-٢٥٤	الحجاز
٢٥٩-٢٥٧-٢٥٥	سومنا	٢٥٦-١٩٢	حلب
	ش	خ	
٨٢	شام	٧٥-٧٢-٥٤-٢٨-١٣-١٠-٧-٦-١	خراسان
٢٥٦-٢٥٥-٤١-٤-١	الشام	١٧٣-١١٨-٩٩-٩٤-٩٢-٧٨	
١٢٣	شهر الله	١٣٤	خليج البصرة
		١٣٢	خليج فارس
		٥٢	الخليج الفارسي
٤٨١		م	سعدى م - ٣١

غ	غزنة	شيراز ١١٠-١٠٦-١٠٥-١٠٤-١٠١-١٩
٣٩٣-٨٢-١٣	الغور	١٢٣-١٢٠-١١٩-١١٨-١١٣-١١٢
١٣		١٥٠-١٤١-١٤٠-١٣٨-١٣٧-١٢٤
		١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٥٩-١٥٥-١٥٤
		٢١٩-١٨٥-١٧٩-١٧٨-١٧٤-١٧٣
		٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٤-٢٢١-٢٢٠
		٢٤١-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤-٢٣٣-٢٣١
		٢٤٩-٢٤٧-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣
		٢٦٨-٢٥٨-٢٥٤-٢٥٣-٢٥١-٢٥٠
		٣٥٤-٢٩٥-٢٩٤-٢٨١-٢٧١-٢٧٠
		٣٥٥
		ص
		٣٦٥
	فارياب	٣٦٥-١٩٢
	فرزين	١١١
	فيينا	٤٠-١٠
		ط
	قبادخره	١٥٤
	قراقورم	٨٠
	قرشى سودى	٣١١
	القسطنطينية	
	القطيف	ع
	قفجان	العراق ١١٠-٩٧-٩٥-٢٨-٢١-١٣-١٠-٤
	القفجاق	٢٥٦-٢٥٥-١٢٣-١٢١-١١١
	قلاع الإسماعيلية	٩٧-٩٣-٦٥
	قلعة سفيد	العراق العربى
	قلعة شكنوان	العزى
	قهنلذ	العززية
	قونيه	عين جالوت
		٤

١٢٣	مسجد الكوفة	ك	
٤٠-٣٩	مشهد موسى الخواد	١٨٨	كازرون
٢٥٥	مصر: ٤-٦٦-٦٧-٧٩-٨٣-٩٨-١٧١-١٧١	٣٩٧-٩٩	كاشان
٩٩	مغان	٢٥٧-٢٥٥-٢٤٧-٢١٩-١٠	كاشغر
٤٠-٣٨-٣٧-٣٦-٢٢	مكتبات بغداد	٣٢٢-٢٥٨	
٣١٠-٣٠٩-٣٠٨	مكتبة الجامعة	١٧٠-١٢١-١٨	كرمان
١٣٤-١٢٨	ملك سليمان	٢٨٨	الكعبة
٢٥٩	منات	٧	الكمالية
٨٦-٧٢	الموصل	٢٥٥	كيش
٢٦٥	مولتان		
	ن	ك	
٢١٤-٢١٠-١٨٨-١٨٥-٥٩	النظامية	١١٢	گردقنا خسرو
٢٨٦-٢٦٤			ل
٨١	نهر جعفر	٣٣٨	اللات
٩٥	نهر جيحون		م
٢	نهر السند	١٣	مازندران
١٣	نيسابور	٢٥٨-٩٠-٩-٢	ما وراء النهر
٤٠١	النيـل	٨٢	المؤمن
	هـ	٣٠٠	متحف لندن
٣٤٨-٣٤٣	هرمز	١٣٤-١٣٢-١٠٨	المحيط الهندي
١٠	همدان	٤٦-٤٥-٤٤	المدائن
٢٦١-٢٥٩-٢٥٧-٢٥٥-١٣-١	الهند	١١٩	مدرسة أميني
٣٢٢-٣١٤-٣٠٩-٣٠٨-٢٨٧-٢٦٤		١٧٤-١٥٤	المدرسة العضدية
	و	١٣٦	مدرسة مقرب
٨٦-٨١	واسط	٤١٦	مسدين
٣٠	وقف	٩١-٨٧-٨٦-٨٥-٨١	مراغه
	ي	٤	مرج الصفر
١٤٨	ياجـوج	٨٥	المرصد الإيلخاني
١٧١-١٦٩-١٦٧-١٥٤-٩٨	يزد	٨٢-١٣-١٢-٨-٧	مرو
٢٦١-٢٥٥	المن	٢١٠-٥٩	المستنصرية
		١٣٧-١١٩-١١٢	المسجد العتيق

المصادر

أثبت هنا فقط المصادر التي تكوّن البحث منها

١ - المصادر العربية

- ١ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسى . البشارى - الطبعة الثانية . ليدن سنة ١٩٠٩ م .
- ٢ - الاحياء في علوم الدين : الغزالي - أبو حامد محمد بن محمد - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٣ - تاريخ الخلفاء : السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن - طبعة الحلبي سنة ١٣٠٥ هـ .
- ٤ - تاريخ أبي الفداء « المختصر في أخبار البشر » : أبو الفدا - إسماعيل بن علي عماد الدين - استانبول سنة ١٣٤٠ هـ .
- ٥ - تاريخ الحضارة الإسلامية : بارتولد (ترجمة الأستاذ حمزة طاهر) . مطبعة المعارف سنة ١٩٤٢ م .
- ٦ - تاريخ مختصر الدول : ابن العبرى - غريغورس أبو الفرج بن هارون الملطى . بيروت ١٨٩٠ م .
- ٧ - تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار : م . م . الرمزي . أورونبورغ سنة ١٩٠٨ م .
- ٨ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : ابن الفوطى - أبو الفضل عبد الرازق البغدادي - بغداد سنة ١٣٥١ هـ .
- ٩ - الحميس في أحوال أنفوس نفيس . الديار بكرى : القاهرة سنة ١٨٢٢ م .

- ١٠ - دائرة المعارف الإسلامية :
الترجمة العربية .
- ١١ - الدعوة إلى الإسلام . :
سير توماس أنزولد . (ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرين
الشوباكشي ١٩٤٧ .
- ١٢ - ذكرى أبي الطيب المتنبي :
الدكتور عبد الوهاب عزام بك - بغداد سنة ١٩٤٢ م .
- ١٣ - رحلة ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار :
القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ١٤ - الرسالة القشيرية :
أبو القاسم عبد الكريم القشيري - المطبعة الأدبية سنة ١٣٠٠ هـ .
- ١٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك :
المقريزي - تقي الدين أحمد بن علي - نشر الدكتور زيادة -
دار الكتب ١٩٣٦ م .
- ١٦ - سيرة جلال الدين منكبرتي :
النسوي - المنشي - شهاب الدين محمد بن أحمد - نشر هوداس
سنة ١٨٠١ م .
- ١٧ - الشهاهنامه :
الدكتور عبد الوهاب عزام بك - دار الكتب سنة ١٩٣٢ م .
- ١٨ - العبر وديوان المبتدأ والخبر :
ابن خلدون - بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .
- ١٩ - الع - راق بين احتلالين :
الأستاذ عباس العزاوي - بغداد سنة ١٩٣٥ م .

- ٢٠ - عوارف المعارف . على هامش الأحياء للغزالي :
شهاب الدين السهروردي - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٢١ - الفخـري :
ابن طباطبا - المطبعة التجارية سنة ١٩٢٧ م .
- ٢٢ - الفنون الإيرانية :
الدكتور زكي محمد حسن - دار الكتب ١٩٤٦ م .
- ٢٣ - فـوات الوفيات :
ابن شاكر الكتبي - بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٢٤ - قصة الأدب في العالم :
الدكتورين أحمد أمين بك وزكي نجيب محمود - لجنة التأليف سنة ١٩٤٥
- ٢٥ - الكامل لابن الأثير :
ابن الأثير - على بن أحمد - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٢٦ - كشف الظنون :
ملاحاجي خليفه جلبي - طبع مصر سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٢٧ - مختصر تاريخ العرب الإسلامي : تأليف سيد أمير علي وترجمة الأستاذ
رياض رأفت - لجنة التأليف والترجمة - سنة ١٩٣٨ م .
- ٢٨ - مسالك الممالك :
تأليف الاضطخري - ليدن سنة ١٨٧٠ م .
- ٢٩ - المسالك والممالك :
ابن خرداذبه - ليدن سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٣٠ - معجم البلدان :
ياقوت الحموي - مطبعة الخانجي سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٣١ - وفيات الأعيان :
ابن خلكان - طبعة الحلبي سنة ١٣١٠ هـ .

٢ - المصادر الفارسية

- ١ - آتش-كده :
تأليف لطفعلی بيك آذر - طبع بمبي سنة ١٢٧٧ هـ .
- ٢ - بدائع غزليات سعدى :
تأليف سعدى الشيرازى - برلين سنة ١٣٠٤ هـ . ش .
- ٣ - بوستان سعدى - مع قاموس :
طبع كانبور سنة ١٩٠١ م .
- ٤ - بوستان سعدى :
طبع المطبعة العامرة سنة ١٢٨٨ هـ .
- ٥ - بوستان سعدى :
نسخة جـراف . - فينا سنة ١٨٥٤ م .
- ٦ - بوستان سعدى :
نسخة مخطوطة . تاريخ كتابتها سنة ٩٧٨ هـ .
- ٧ - بهارستان :
عبد الرخمن الجامى - القاهرة سنة ١٢٩١ هـ .
- ٨ - تاريخ تصوف در إسلام :
دكتور قاسم غنى - طهران سنة ١٣٢٢ هـ . ش .
- ٩ - تاريخ عصر حافظ :
دكتور قاسم غنى - طهران سنة ١٣٦١ هـ . ش .
- ١٠ - تاريخ گزيده :
تأليف حمد الله المستوفى . سلسلة جب . نشر براون . لندن سنة ١٩١٠ م
- ١١ - تجربة الأمصار وتزجية الأعصار . المشهور بتاريخ و صاف :
وصاف الحضرة - بمبي سنة ١٢٦٩ هـ .

- ١٢ - تذكرة رياض العارفين :
تأليف رضا قليخان هدايت . طهران سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٣ - تذكرة الشعراء : .
دولتشاه السمرقندى - لندن سنة ١٩٠١ م .
- ١٤ - تعليم وتربيت در نظر سعدى :
محمد جناب زاده - مطبعة سروش سنة ١٣١٧ هـ . ش .
- ١٥ - جامع التواريخ :
تأليف رشيد الدين فضل الله . نشر كاترمير . باريس سنة ١٨٤٣ م .
- ١٦ - جامى :
الأستاذ على أصغر حكمت - طهران سنة ١٣٢٠ هـ . ش .
- ١٧ - حبيب السير فى أخبار البشر :
خواندمير - بمبى سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٧ م .
- ١٨ - حديقة الحقيقة :
السنانى الغزنوى - بمبى سنة ١٨٥٩ م .
- ١٩ - حيات سعدى :
تأليف الطاف حسين وترجمة سيد نصر الله سروش - طهران سنة ١٣١٦ هـ .
- ٢٠ - سـنـايه :
الأستاذ على دشتى - طهران سنة ١٣٤٢ هـ . ش .
- ٢١ - سبك شناسى :
« الشاعر بهار » طهران سنة ١٣١٩ هـ . ش .
- ٢٢ - سخن سعدى :
الأستاذ قاسم تويسركانى - طهران
- ٢٣ - سعد ینامه :
مجموعة مقالات فى العيد السبعائوى للگلستان سنة ١٣٦٥ هـ .
- ٢٤ - شرح بوستان سعدى :
سـوـدى - استانبول سنة ١٢٨٨ هـ .

- ٢٥ - شيراز نامه :
أبو العباس أحمد زركوب . نشر الأستاذ بهمن كريمي - طهران
سنة ١٣٥٠ هـ . ش .
- ٢٦ - فارس نامه :
ابن البلخي - طبع كامبردج سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٣١ م .
- ٢٧ - كليات سعدي :
نسخة تبريز - طبع حجر سنة ١٣٥٨ هـ .
- ٢٨ - كليات سعدي :
نسخة الأستاذ محمد علي فروغي . نشر شركة التضامن العلمية .
طهران سنة ١٣٢١ هـ . ش .
- ٢٩ - گلستان سعدي :
نشر الأستاذ عبد العظيم خان الديرگاني سنة ١٣١٠ هـ . ش .
- ٣٠ - گلستان سعدي :
نشر بلاتس . لندن سنة ١٨٧٤ م .
- ٣١ - محملة مهبر :
السنة الخامسة . الأعداد السبعة الأولى .
- ٣٢ - مجمع النصحاء :
تأليف رضا قليخان هدايت - طهران سنة ١٢٨٤ هـ .
- ٣٣ - المعجم في معايير أشعار العجم :
تأليف شمس الدين محمد بن قيسر - نشر الأستاذ القزويني -
بيروت سنة ١٩٠٩ م .
- ٣٤ - زهرة القاء - وب :
تأليف حمد الله المستوفي - سلسلة جب - ليدن سنة ١٨١٠ م .
- ٣٥ - نصحات الأنس :
تأليف الحامي - مخطوط سنة ١٠٣٢ هـ . رقم ٦٨٤ - مكتبة الجامعة .

٣ - المصادر الأفرنجية

1. Arberry, (A.J.),
Kings & Beggars. The First two Chapters of Sa'd's Gulistan,
London 1945.
2. Browne, (A.G.),
A Literary History of Persia, London 1906.
3. Ross, (J.),
Sa'd's Gulistan, New York 1923.
4. The Encyclopaedia Britannica.
5. The Encyclopaedia of Islam.

استدراك خطأ وصواب

وقعت بعض أخطاء يمكن إدراكها ولكننا نشير إليها ونرجو ردها أما كتبها

الصواب	الخطأ	س	ص
گرد	کرد	٢٥	١٥
هبيج	هييج	٢٧	١٥
بيج	بييج	٢٧	١٥
خدا	جدا	٤	٣٣
المكتبات	المكتبة	١٢	٥٠
احداهما	احديهما	١٣	٨١
الگنبد	الگنبد	١٥	٨٢
جغطاي	جهطاي	٥	٩٠
في الواقع	في الوقع	٢	٩٦
الجويني	الجويشي	١	١٠٣
طبع	طبيع	٨	١٠٦
قاآن خان	قاآنخان	١	١٢٩
الفضلاء	القضلاء	١٧	١٣٧
استغنا	استفتنا	٨	١٤١
ودر	ودد	٨	١٤١
گوي	كوي	٢٢	١٤٤
أز زرست	أزست	١٣	١٤٨
تجعل	نُخفل	٢٤	١٤٨
في عهد	في عهدہ	٤	١٦٣

الصواب	الخطأ	س	ص
بلاد اللوز	بلاد الالوز	٣	١٧٠
قبيله	قبيلة	١٦	١٨٣
كنار	گنار	١٦	١٨٧
ميكنى	ميكى	١٠	١٨٩
برا درم	برا ددم	٢١	١٩٠
حدود سنه	حد سنه و	١٧	١٩١
مزار كثير من	مزار من كثير	١٤	٢٧٠
تمدحه	تمدحه	٩	٣٠٣
٩٩	٧٩	١٥	٣٣٦
قدرك	قدرتك	١٤	٣٣٨
در	درعد	٢٥	٣٤٩
ألالو	إلالو	٣	٣٨٧
كرم	گرم	٢٠	٣٨٧
والواحد والثلاثين	والاربعين	١٢	٣٩٥
برده	برد	١٧	٤١٣
كترم	گسترم	٢٤	٤١٥
الطمع	الطمو	٤	٤٢٨
تخيل	تخيل	٧	٤٢٨
الحوارز شاهيين	الحوارز شاهيين	١	٤٣٢
كسى	كس	٢٤	٤٣٣
القوة	القسوة	٤	٤٣٦
عقلمت	عقلمت	٢٤	٤٣٧
برده	برده	٢٢	٤٣٨
الاختيار	الأخيار	٨	٤٥٨

كتب للهؤلف

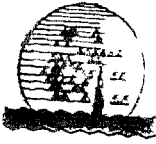
(أ) مطبوعة :

١ - تاريخ الأدب الفارسي « مترجم » شامل في دراسة الحياة الأدبية في إيران قبل الإسلام وبعده . يعرض لتراجم كثير من الشعراء ورجال الأدب والعلم في العصور المختلفة .

٢ - المعجم في اللغة الفارسية . يجري إتمام طبعه الآن في مطبعة مصر يحتوي قرابة ٢٠ ألف كلمة واستعمال ، ومعانيها المختلفة في العربية ، مع الإشارة إلى الدخيل من هذه الكلمات في اللغة العربية .

(ب) تحت الطبع :

- ٣ - ترجمة بوستان سعدى الشيرازي مع النص .
- ٤ - ترجمة بدائع سعدى الشيرازي مع النص .
- ٥ - ترجمة قصة يوسف وزليخا للشاعر الفردوسي مع النص .



National Library and Archives of Iran
www.nli.ir

يطلب المطبوع من هذه الكتب من :
مكتبة الخانجي ، ودار الفكر العربي ، والمكتبات الشهيرة

